كيف نتعامل مع الأطفال و المراهقين

نظرة واقعية هادفة

تأليف: أ. منصوري عبد الحق
جامعة وهران 2 الجزائر Algeria

الطبعة الثانية 2025

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

"يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس و الحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يومرون"
(سورة التحريم، الاية 6)

"ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ،..." (حديث نبوي شريف).

محتويات الكتاب

الصفحة

الباب الثاني : كيف نتعامل مع المراهقين ؟

الفصل الخامس: بعض مظاهر النمو الجسمي و النفسي في مرحلة المراهقة

الفصل السادس: بعض ما يُعرف به المراهق

الفصل السابع: أوجه متقلبة في حياة المراهق

الفصل الثامن: المراهق والعلاقات الاجتماعية

الفصل التاسع: المراهق و عالم الشغل

الفصل العاشر: مرحلة المراهقة و بعض المظاهر السلبية

الباب الثالث : بعض المشكلات في مرحلتي الطفولة و المراهقة

الفصل الحادي عشر : بعض مشكلات الطفولة

الفصل الثاني عشر : مشكلات المراهقة

مقدمة الطبعة الثانية

إن رعاية الأطفال والمراهقين ومرافقتهم حتى يقوى عودهم ويدركوا رشدهم عملية طويلة وشاقة وتمرّ بتحديات عديدة وعقبات بعضها متعلق بهؤلاء الأطفال والمراهقين يقترن بطبيعة نموهم وخصائص كل مرحلة من مراحله وبعضها يرتبط بالبيئة التي تحيط بهم وبمختلف التفاعلات التي تنشأ عن الاحتكاك بها والمشكلات التي تفرزها التحولات في العلاقة بينهما. من ناحية أخرى فإن صعوبة احتضان الأطفال والمراهقين تزداد مع ما تفرضه الخصوصيات الفردية التي تستعصي على اية محاولة للالتفاف حولها أو القفز عليها. بالإضافة إلى تعدد الرؤى والقناعات حول المقاربات المقترحة من فبل الأخصائيين والباحثين لتأطير الطفولة والمراهقة والتكفل بهما والتي يكلّف تجريبها واختبارها على أرض الواقع كثيرا من الوقت والجهد وغالبا بمحصلة ونتائج متواضعة لا يتحقق بها الهدف المنشود. هذه الصعوبات دون شك تلقي بظلالها على عملية الاشراف على الأطفال والمراهقين وتفرض قيودا إضافية تضطر المشرفين إلى تكييف أهدافهم واستراتيجياتهم ومراجعتها باستمرار لاستيعاب تلك الصعوبات امتصاص آثارها. علما بأنه، وفي ظل وجود الصور المتباينة المؤشرة على حالة السواء أو المجسدة للخلل والاضطراب التي يستعرضها هذا الكائن البشري الناشئ، يصعب تحديد ملامح الشخصية النموذجية للمرحلة العمرية كإطار مرجعي يُستعان به لتقدير مستوى الصحة النفسية للأفراد، مما يحتّم علينا اعتماد مقاربات تنطلق من خصوصية كل عنصر بشري وعدم الاكتفاء بعرض هذا الأخير على نموذج نظري لا يستوعب كثيرا من أوجه أصالته ومميزاته الخاصة، وهي الاستراتيجية الأقل هدرا للإمكانات الفردية الفعلية والأكثر إتاحة لفرص تحسس القدرات الكامنة التي تحتاج إلى تفعيل عوامل تفجيرها والشروع في استغلالها وتحويلها إلى كفاءات ومهارات إبداعية، وهذا دون إهمال مساحة القواسم المشتركة بين بني البشر و التي يكون الاستثمار فيها اختيارا ناضجا تبرره الحاجة إلى تعزيز طبيعة الانسان الاجتماعية و كل أنواع التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع. وبعبارة أخرى يمكن تنظيم عملية التكفل الجماعي من خلال تلك القواسم المشتركة و لكن بمراعاة خصوصيات الأفراد حتى يشعر هؤلاء بأن الحياة الاجتماعية هي ملاذهم الذي يحققون فيه ذواتهم. في سياق هذه العلاقة القوية بين خصوصية الفرد و حاجته للانتماء إلى الجماعة يأخذ الكتاب "***كيف نتعامل مع الأطفال والمراهقين***" موقعه وتتحدد أهداف و مرامي محتوياته. و إذا كانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب تناولت إجمالا كيفية متابعة و توجيه و رعاية حاجات الطفولة والمراهقة بصورة عملية و على أساس ركائز و منطلقات من خلال بلورة استراتيجيات مشبعة بالأصول التربوية وخاضعة لتقويم مستمر، فقد أُضيف إليها في هذه الطبعة الثانية باب ثالث يتناول بعض المشاكل التي يواجها الأطفال والمراهقون، ويشتمل على فصلين خُصص

أحدهما لعرض عينة من مشاكل تعرفها الطفولة والمتمثلة في" فرط الحركة ونقص الانتباه"، "الخجل " و" الكذب "، بينما خصص الثاني لمناقشة عينة من مشاكل تتعلق بالمراهقين وشملت " التدخين واستعمال المنشطات "، " المشكلات الجنسية " و" الاضطرابات العقلية والنفسية". ولأن هذه المشكلات ومثيلاتها ظلت بانعكاساتها العنيفة تسبب اضطرابا في عملية النمو الطبيعي لدى الأطفال والمراهقين ويأخذ التصدي لها من أوقاتهم الثمينة وجهودهم العزيزة فتتعثر بذلك العملية التربوية معهم ويتأخر نضجهم، فقد اخترنا أن يصاحب عرضها تقديم عناصر نحسبها تساهم في رسم أرضية تصورية مساعدة في بلورة أطر عامة للوقاية منها ومنع انتشارها وفي بناء استراتيجيات قابلة للتكييف حسب الحالات للتعامل معها والتخفيف من آثارها. وبهذه الاضافة تصبح فقرات هذا المؤلف تتوزع على ثلاثة أبوابمجموع اثنى عشر فصلا. لا بد أن نشير كذلك إلى أن فصول الباب الأول والثاني في هذه الطبعة توسعت مضامينها وأُدخلت على فقراتها تعديلات كما أضيفت إليها عناصر مكملة إثراء لمحتوياتها، مع تحيين وتوسيع عملية التوثيق لنصوصها.

مقدمة الطبعة الأولى

رغم تراكم الخبرة حول خصائص الكائن البشري عبر الخمسين سنة الماضية والتي شرّحت حياته وقدّمت حولها تفاصيل دقيقة تتعلق بشتى أبعاد شخصيته وسلطت الضوء على جوانب عديدة ظل يكتنفها الغموض، حتى مع بقاء مساحات كبيرة من عالم الإنسان مجهولة استعصى أمر فهمها أو لم تدخل بعدُ ضمن أولويات البحث وانشغالات الباحثين، إلا أن ما يستوقفنا هو هذا الغياب في توظيف ما توصل إليه العلم وتسخيره في توجيه حياة الإنسان نحو الأفضل وتطوير أساليب وطرق مناسبة لتأطيره والإشراف عليه بما يحقق استقراره ويضمن استمرار عطاءه أو إسهامه في صناعة الحياة الهادفة من حوله. وما نلاحظه في الواقع، مع توفر مثل هذه الخبرة لدى صُنّاع القرار ومن وراءهم دعم العلماء والباحثين، أن البشرية ظلّت تتخبط في أحضان الشقاوة والتعاسة والصراع الدموي والميز العنصري فساءت أحوال الإنسان واضطربت، كما ازدادت هواجسه ومخاوفه وازداد معها فقدانه للثقة بنفسه وللأمل في رؤية مستقبل واعد. ولسنا هنا بصدد مناقشة كيف حصل ذلك كله أو كيف تطورت الأوضاع حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن أو ما هي العوامل التي ساهمت فيه بصورة مباشرة، لأن المسألة ليست بهذه البساطة نظرا لتداخل العوامل وتفاعل المتغيرات مما جعل النظريات حولها تتعدد نتيجة تعدد القراءات لهذا الواقع، ولكن هذا لا يمنعنا من مناقشة بعض الجوانب التي ، في تقديرنا، لا يستقيم البناء و لا يحصل الانفراج بدون مراعاتها والتي يمكن حصرها في محاولة تمكين الإنسان من مواجهة واقعه بكل إيجابية وتحقيق فيه أقصى مردود باستفراغ كل جهده وعدم الشعور بالرضى والاطمئنان حين يقف في إنجازه دون هذا المستوى. وأظن أن رفع التحدي بهذا النوع من العزم والإقدام يشّكل له قاعدة صالحة يبني عليها آماله ويعالج بها آلامه. ومن وجهة نظرنا لا يكون هذا ممكنا إلا إذا اقتنع به الإنسان نفسه وانطلق، كما هو وبما هو عليه حقيقة لا مجازا، في بلورة المواقف المجسدة لتلك القناعة. لكن كيف يحدث هذا؟ كيف تنشأ هذه القناعة؟ كيف ينطلق هذا الإنسان نحو تحقيق الأهداف التي توجّه إليها قناعتُه؟ هل هي حملة إعلامية تسلطية مؤقتة تقوم بإقناع الضعيف بأنك قوي و المهزوم بأنك منتصرا والفاشل بأنك ناجحا متمكنتا؟ أم هي دعوة إلى الدخول في مغامرة بطلها الإنسان الذي يجهل حدود ما في حوزته من قدرات وإمكانات و لا يقدّر حجم التبعات التي تقترن طبيعيا بالاختيارات والقرارات؟ أم أنها أسلوب التخدير الذي يدفع إلى الانزواء وا عتماد سياسة النعامة يدخل الانسان بها عالم الأحلام السارة يخفّف بها من آثار أوجاع الواقع و لا يتغير شيء من هذا الواقع؟

إن ما نريد التأكيد عليه من البداية قبل أن ندخل في التحليل المفصل هو أن الإنسان بالصفات المؤهلة المطلوبة لا تُصاغ شخصيته في لحظات أو سويعات كما أن المهمة التي تنتظره لا نستطيع أن نهيّئُه لها بتقديم له أو حتى لمن يشرفون عليه مجموعة من النصائح المفيدة والتوجيهات القابلة للتطبيق على النحو الذي يقدم فيه قائد الجيش لجنوده التعليمات الأخيرة التي يوزع بها الأدوار قُبيل الدخول في المواجهات مع العدو. إننا أمام مشروع بناء للشخصية الإنسانية في شمولية أبعادها وتكامل صفاتها وتناغم ظاهرها مع باطنها. وهو بناء من الأساس لا بد أن تكون بدايته صحيحة ومتابعة أطواره هادفة وموضوعية، يأخذ كل الوقت الذي يتطلبه ويغطي كل الأشواط اللازمة وكل المراحل المتعاقبة دون تكلف في اختصار الطريق يختل معه توازن عملية البناء أو محاولة استعجال الوصول قبل استكمال الإعداد وبلوغ الهدف. بهذه الكيفية تتحول جاهزية الكائن البشري لشق طريقه بنجاح إلى عنصر متجدر ينبعث من أعماق شخصيته المتوازنة فيواجه به ظروف الحياة بمختلف صورها، ويستوي عنده بعد ذلك الصعب والسهل واليسير والعسير.

في فصول هذا الكتاب ومن خلال مجموعة من العناصر المنتقاة ضمن محاور محددة، نتناول ببعض التفصيل كيفية متابعة إنجاز مشروع البناء المشار إليه على ضوء الحقائق الثابتة حول الكائن البشري وانطلاقا من حاجات الأطفال والمراهقين الفطرية المتجددة وبالتركيز على كيفية التعامل معهم وطبيعة ونوع التكفل بهم في ظل عملية نمو أو تطور الشخصية التي تكاد لا تعرف توقفا، مع الأخذ بعين الاعتبار أولويات المرحلة التي يمر بها الطفل أو الشاب، دون الوقوف طويلا عند الاختلافات التي تطرحها النظريات وهي كثيرة، لا يتسع لها المجال و لا تدخل ضمن الأهداف والمقاصد التي ترمي إليها هذه المحاولة، والاكتفاء في المقابل بصياغة منهجية عمل نُبرز فيها المبادئ التي ينبغي اعتمادها والأسس التي يمكن أن يقف عليها برنامج العمل مع ترك تفاصيل الخطة التنفيذية للمشرفين المباشرين الذين يقومون بتنظيم أولويات تدخلاتهم حسب ما يقتضيه الوضع وانطلاقا من حقائق الواقع.

أما التصور العام الذي تنضوي تحته الجزئيات التي سنتعرض لها فإنه يتغذى من القناعة بأن عدم القفز على الحقائق الثابتة يشكّل ضمانة أساسية لنجاح عملية تأطير عالم الأطفال والمراهقين و تحقيق الأهداف المرتقبة منها و على رأسها تمكين هؤلاء من استغلال إمكاناتهم الاستغلال الأمثل حسب المرحلة العمرية والاستفادة القصوى منها، وأن أية محاولة للتّنكّر لها وعدم الالتفات الهادف إليها يمثل بداية الانحراف و بالضرورة كل ما يُبنى على الخطأ فهو خطأ وكل ممارسة تقوم على أساس غير صحيح لا أمل في أن تؤتي الثمار التي نرجوها إن لم تنقلب علينا بالآثار الوخيمة.

والكتاب يتضمن عشرة فصول تندرج في مجموعها ضمن بابين، الباب الأول يغطي المحاور التي تتعلق بالطفولة وكيفية التجاوب مع حاجاتها ويشتمل على أربعة فصول، يدور النقاش في الفصل الأول منها حول مجموعة من الركائز والمنطلقات التي يمكن توجيه معاملة الأطفال على أساسها ومن العناصر البارزة ضمن فقرات هذا الفصل الطبيعة التربوية التي يجب أن تطغى على علاقة الكبار بالأطفال والتي لا يمكن الاستغناء عنها مهما كانت الأسباب والمبررات، وضرورة الوقوف على الفروق الفردية والتجاوب الإيجابي معها، وحاجة الأطفال إلى توفيّر لهم الحيز الأوسع للنشاط الحر خاصة كوسيلة للتعبير العفوي الصادق. في الفصل الثاني حاولنا أن نتعرض لعملية الإشراف على عالم الأطفال لكن من خلال أداء دور عملي سواء تمثل ذلك في تذليل العقبات التي تعترض طريقهم أو في بناء برامج العمل على أساس واقعي يُراعى فيه ما أصبح من مكتسباتهم أو بالتحكم في الأعصاب ومراقبة الانفعالات أو غيرها من التدخلات التي لها صدى مباشر في واقع الأفراد. تناولنا في الفصل الثالث بعض الاستراتيجيات التي حققت نتائج مشجعة مع ربطها بالأصول التربوية التي تستند إليها ومن أهمها اللجوء إلى أسلوب التشجيع بدلا من أسلوب التثبيط وعدم الاعتماد على الأقوال وحدها دون أن تُقرن بالأفعال المترجمة لها. ناقشنا في الفصل الرابع كيفية تقويم الجهد التربوي وتحسس المؤشرات التي تساعد على توجيه أو تصويب العملية التربوية أثناء الممارسة مع تقديمنا لهيكل نظري عام يستعين به المربي أو المشرف لتثمين العملية التقويمية. أما الباب الثاني تناول في خمسة فصول موضوع المراهقة وكيفية التعامل معها. دارت المناقشة في الفصل الأول حول كيفية التجاوب مع بعض مظاهر النمو الجسمي والنفسي في هذه المرحلة وطبيعة ونوع الدعم الذي يحتاج إليه المراهق لمواصلة مشوار حياته. في الفصل الثاني محاولة للتعريف بالمراهق من خلال بعض المظاهر التي يتميز بها وتتجسد هويته عادة في سياقها، ومنها رغبته في التنافس بدافع إثبات الوجود ومحاكاة الراشدين في بعض مهامهم ومواقفهم. في الفصل الثالث عرض سريع للأوجه المتقلبة في حياة المراهقين وكان من الممكن أن نضم هذه العناصر إلى الفصل السابق على اعتبار أن مظهر التقلب هو من المظاهر التي تُعرف بها المراهقة بصورة عامة، لكن ولأهميتها ولكونها شغلت مساحات كبيرة من اهتمامات الباحثين فضلنا أن نخصص لها فصلا مستقلا. بالنسبة لعلاقات المراهق الاجتماعية فقد تضمنها الفصل الرابع و من أبرز ما نوقش فيه علاقة هذا المراهق بالسلطة وعلاقته بالآباء وكيفية اندماجه ضمن جماعة الرفاق. ونظرا لأهمية العمل في حياة المراهق وما يأخذه من حيز ضمن اهتماماته فقد تناولناه كمحور مستقل في الفصل الخامس وتعرضنا فيه بالخصوص إلى القيم المهنية وموقف الفتاة تجاه مزاولة المهنة وما يترتب عنه من إعادة تحديد أو ترتيب أولوياتها. خُتم الباب الثاني بمناقشة بعض المظاهر

السلبية التي يمكن أن تميز حياة بعض المراهقين والمراهقات مثل ظاهرة الانحراف وتعاطي المخدرات التي تتدخل في حياة كثير من هؤلاء فتقطع عليهم طريق استكمال بناء الشخصية وتحرمهم من مواصلة تطوير القدرات أو اكتساب المهارات مما يؤثر سلبا على عملية انخراطهم في المجتمع والفشل في تحقيق تموقع يسمح لهم بتقديم مساهمتهم.

الباب الأول:

كيف نتعامل مع الأطفال ؟

الفصل الأول :

منطلقات في معاملة الأطفال

تمهيد:

إن طبيعة العنصر البشري بكل ما تتميز به من سمو وتكريم وامتياز على باقي الكائنات تأبى التجاوب مع عمليات الاشراف الاعتباطية التي لا تنطلق من أصالتها و لا تتناغم مع فطرتها. وهذه الخاصية البشرية يدركها المربون منذ المراحل المبكرة من عمر هذا الكائن حيث تواجههم تلقائية رفض هذا الأخير كل تعامل يتجاهل نداء طبيعته البشرية و لا يستجيب لحاجاته الفعلية التي لا يمكن القفز عليها بالاجتهاد والتأويل أو بأي محاولة للتكييف أو التعديل إلى درجة رسوخ عندهم القناعة بأن طريقهم الآمن في أداء دورهم الحساس يكمن من ناحية في المسايرة وعدم التنظير خارج السياق الانساني الأصيل، ومن ناحية ثانية في إخضاع كل التدخلات لقواعد التربية. وفيما يلي من خلال فقرات هذا الفصل نتناول بعض المنطلقات التي ينبغي مراعاتها حين نتعامل مع الكائن البشري مع الاشارة إلى حيثيات ذلك والانعكاسات التي يمكن أن تترتب عن عدم اعتبارها.

علاقة الراشد بالطفل تحافظ على طبيعتها التربوية

لا يمكن تبرير اعتبارات أخرى في سياق التعامل مع الطفل. وهذا لا يتأثر بطبيعة الموقع الذي يحتله الراشد(المسؤولية أو الوظيفة)، فالضمير و المسؤولية الجماعية الى جانب طبيعة استعدادات الطفل ومؤهلاته كلها توجه نحو هذا الاختيار. فالكبار عندما يتدخلون في حياة الأطفال لا بد أن يكون تدخلهم يمثل اللبنة التي تساهم في بعث نمو الشخصية أو إزالة ما من شأنه أن يعرقل هذه العملية و ألا يكون التدخل معترضا هذا التوجه السليم، (Abbeduto, & Elliott.,1998) وإن العلاقة البيداغوجية ليست فقط الابتسامة في وجه الطفل أو أي صورة من صور المكافأة أو التعزيز الايجابي، كما أنها ليست هي المعاتبة الشفوية أو العقاب البدني. وهي ليست الحرية التي نمنحها الطفل أو عملية فكه من كل القيود. فهذه لا تزيد عن كونها بعض من الوسائل التي يلجأ إليها المربي كما قد يلجأ الى غيرها في التعامل مع الطفل. وهي، كما سنرى فيما بعد، لا قيمة لها في ذاتها و لا يمكن الحكم عليها إلا من خلال اقترانها بالهدف الذي يصبو المربي إلى تحقيقه. فقط على ضوء هذا الهدف أو ذاك نستطيع أن نصفها بالمناسبة والصالحة أو بعقمها وعدم صلاحيتها. والمقصود تأكيده هنا هو أن العلاقة التي تُبنى مع الأطفال من أي طرف كان لا يدخل في حساباتها سوى ما يؤكد براءة الطفل وفائدته ماديا أو معنويا وما يحافظ على حالة الانسجام في شخصيته. فلا يليق استغلال العلاقة أو المتاجرة بها من أجل غرض آخر كالحصول على الربح أو توظيفها من أجل أغراض مصلحية أخرى، كما لا ينبغي تعريضها لأخطار معنوية ومادية مهما كانت الأسباب والملابسات. فالطفل دوما يحتاج من الكبير العاقل أن يحتضنه ويحميه وأن يأخذ بيده ويساعده على تجاوز مختلف العقبات التي تعترض حياته، ويجنبه الوقوع في المشاكل

والمخاطر ويمده بكل عون يفتقر إليه. ومن المؤسف أن نقول إن هذا الكلام البديهي، الذي لا يرفضه إلا مكابر، يفقد معناه في واقع طفل الحضارة المعاصرة. هذا الأخير اضطرته ظروف المعيشة إلى الالتحاق بالعمل في السن التي يكون أحوج ما يكون فيها إلى التربية والإعداد(Hamenoo,E.S.,et al,2018; بن عيسى رابح ،2016.، منظمة العمل الدولية، 1994)، فنجده يؤدي أعمالا شاقة فوق طاقة الاحتمال، ويُلقن أفكارا تتجاوز قدراته التأملية ومستوى نموه العقلي، و يُدمج في أنشطة وأعمال تنمي عنده الأحقاد وتغذي فيه روح الانتقام يكتسب منها آليات و مهارات الهدم و التخريب و يُورط ضمن هذه المغامرة حتى يقتحم عالم الممنوعات و المحرمات في مرحلة مبكرة من حياته كاعتماد بالتقليد و المحاكاة أساليب الغش و الخداع (Nogales,A.,2009;Hays,C.,& Carver, L.J.,2014) أو التعدي على ممتلكات الآخرين أو تعاطي المخدرات و المشروبات الكحولية. و هو واقع معيشي لا يوجد من خصائص الطفولة أو ما يخدم مستقبلها ومستقبل المجتمع ما يبرره.

من الأسئلة التي يمكن أن تطرح هنا: هل العلاقة القائمة بين الأطفال وآبائهم والتي غالبا ما تكون مشحونة بالعواطف ومظاهر التعلق بين الجانبين هو النوع الذي يجب أن يسود بين الكبار والصغار بصورة عامة؟ هل يمكن أن نتحدث عن أطفال أصحاب عقول كبيرة يكون لهم الحق في الدخول في العلاقة المتميزة أم أن العلاقة مع الأطفال لا تختلف؟ وإذا كان الكبار غير مستعدين لتحمل هذه المسؤولية فهل يمكن توفير وسائل وقائية للطفولة البريئة مثل الأسلحة الوقائية التي نعلّم الطفل كيفية استخدامها لحماية نفسه؟ وما هي الحدود التي يسمح فيها للرقابة البيداغوجية في حياة الأطفال أن تغيب؟ أو بعبارة أدق هل يمكن، بعد ظهور مؤشرات لها دلالة، أن تتوقف المسؤولية التربوية تجاه الطفل فيُترك لشأنه يتصرف كما يحلو له؟

علاقة الطفل بأبويه

لا شك أن هذه العلاقة تتميز عن باقي العلاقات، وأن تأثيراتها في شخصية الطفل قوية وبالغة، فهي علاقة ملؤها الحنان والعطف والمحبة والاعتراف غير المشروط والعفوية والصدق والانفتاح. ومن هذه العناصر جميعها تتغذى الشخصية النامية (Winnicott.,1965). وهي علاقة لا يمكن أن تتواجد سوى داخل الأسرة، لأن الذين يبنونها هم الآباء والأطفال أي الأصول والفروع. فالأم لا تحتاج إلى أدنى درجة من التكلف في محبة طفلها والرفق به والسهر من أجل راحته وطمأنينته والأب لا يبالي بالمتاعب التي يجدها والتضحيات التي يقدمها، لأنه يحرص على إسعاد عائلته وضمان كل ما يساهم في تيسير العيش لأفرادها. وقد حاول بعض المربين الحكماء نقل الجو الأسري الخاص إلى داخل المؤسسة التربوية حتى أن "**مدرسة بستالوزي**" أصبحت فيها المعلمة تدعى "ماما" ويدعى المعلم "بابا". و لا شك

أن ذلك يساعد الطفل الصغير على الانتقال التدريجي من جو التبعية الكامل إلى جو يُطالب فيه ببذل جهود خاصة وتحقيق الأهداف بنفسه، لكن بالتأكيد لن يتحقق هذا الجو الأسري الطبيعي بطريقة اصطناعية والسؤال الذي يطرحه بعض المربين: هل من مصلحة الطفل، حتى مع إمكانية توفير هذا الجو خارج الأسرة، أن يظل هذا النوع من العلاقات قائما بين الكبار والصغار؟ والجواب البديهي هو: " لا "، فالطفل يحتاج:

– أن يتعلم الاستقلالية ويتحرر تدريجيا من وصاية الأبوين.

– أن يوسع من دائرة العلاقات وينوّع في هذه العلاقات. وذلك من مقتضيات الحياة الاجتماعية ومن متطلبات التكيف مع المجتمع.

– أن يكتسب مهارات جديدة تسمح له بأداء دور إيجابي في هذه الحياة وتقديم المساهمة التي تشرّف وجوده بين الآخرين وتضمن له مكانته الطبيعية بينهم.

وإذا بقيت العلاقة على الصورة الأولى فإنه من الصعب على هذا الكائن أن يشق طريقه بنفسه ويدخل في تجربة الحياة بإمكاناته الخاصة. ذلك أن علاقة الأم بابنها ثابتة لا تتغير وستظل تحرص على صحته و عافيته و تتألم لكل ما يمكن أن يحلّ به من مرض أو سقم وتتخوف عليه من كل ما يمكن أن يؤذيه أو يؤثر سلبا على حياته بغض النظر عن سنه. وإن درجة تعلقها به تزداد كل يوم و لا تضعف سواء كان رضيعا أو طفلا أو مراهقا أو كهلا أو شيخا. فهو بالنسبة إليها ولدها وفي تقديرها يحتاج إليها ولا أحد يستطيع أن يخدمه مثلها. وهذا المنطق إذا اعتمد في صورته المطلقة فلن يساعد الفرد على الانتقال من مراحل التبعية الطبيعية الى مرحلة الاستقلالية الضرورية.

النضج المبكر

هناك بعض الأطفال اذا حاول الراشد أن يعاملهم بالطريقة التي يعامل بها من هم في سنهم فإنهم ينفرون منه و لا يتجاوبون معه. إنهم ببساطة يرون أن هذا الراشد مستهين بهم لا يحفظ لهم كرامة. فهم يرون أنفسهم أكبر من هذا المستوى الذي أنزلهم فيه ويلتمسون من الراشدين عامة، كحق طبيعي، أن يخاطبوهم كما يخاطبون الكبار. وهم في الظاهر يتميزون فعلا عن بقية الأطفال من خلال سلوكهم المجسد ومواقفهم المعلنة.هذه الأخيرة تعبر بوضوح عن وجود نضج في مستوى معين ينبغي أن نأخذه في الحسبان وبسببه نمنح الطفل حقه في المعاملة المتميزة والتي ننوّه له من خلالها بقدرته على تحمّل بعض المسؤوليات وممارسة أنشطته ببعض الحرية. فالأطفال يجدون أنفسهم أحيانا في ظروف تدفعهم دفعا نحو فهم أشياء أو اكتساب خبرات أو الدخول في تجارب في مرحلة مبكرة من العمر. وقد تضطرهم هذه الظروف إلى تحمل أعباء لا يتحملها الأطفال عادة في هذه السن. كأن تكون البنت التي لم تبلغ بعد سن العاشرة أكبر إخوتها و أخواتها وبسبب غياب أمها المؤقت أو الدائم

تضطر إلى القيام بتعويض الأم في مهامها أو في بعضها، و الولد الأكبر الذي مات أبوه وترك عائلة فقيرة قد يضطر إلى صرف ولو بعض وقته في العمل من أجل توفير لقمة العيش لأفراد هذه العائلة. كذلك الأطفال الذين تتعمد أسرهم في إهمالهم والإلقاء بهم إلى الشارع دون الاهتمام بإشباع حاجاتهم قد يتعلمون بأنفسهم أساليب خاصة بهم يحصلون بواسطتها على كل ما يريدون. والطفل الذي ينتسب إلى مجتمع دمّرته الحرب أو مجتمع محتل عنوة يجد نفسه مضطرا لتقديم مساهمته من أجل تحرير بلده. و في بعض الأحيان لا يُعتمد الموقف المألوف إذ أن هذا الأخير في ظروف الحرب يصبح ناذرا وشاذا. فما أكثر ما وجد الطفل الجزائري نفسه خلال المائة وثلاثين سنة من الاحتلال الفرنسي الوحشي للجزائر، حاملا لأسرار لو تعرّف عليها العدو لاستطاع بسب ذلك أن يوجه ضربات قاضية للمجاهدين الجزائريين. كذلك الطفل الفلسطيني الذي اضطرته سياسة اليهود الحاقدة إلى إدراك و فهم كل ما يجب على الكبار فهمه واستيعابه والاستعداد للقيام بواجب الكبار، لأن الحياة هناك لا ترحم. حصل له ذلك كله في بداية حياته فحُرم من التمتع ببراءة الطفولة. فالطفل على هذه الأرض المغتصبة ليس له الحق أن يحيى حياة عامة الأطفال. يجب عليه أن يقف جنبا إلى جنب مع الراشدين يتصدى للهجمات الشرسة الموجهة ضد شعبه، فالحياة في فلسطين لا ترحم الصغار و لا ترحم الكبار.

لكن مع ذلك لا بد أن يحتاط المربي حيال هذه المظاهر التي توحي ببلوغ الطفل مستوى متقدم من عملية النضج. فهي أحيانا تعطي صورة غير واقعية عن إمكانات الفرد الحقيقية. ففصاحة اللسان لا تعني بالضرورة استيعابا كاملا فهما سليما. كما أن طرح الأسئلة الصعبة التي تتناول قضايا عادة يعالجها الكبار لا يعني بالضرورة أن الطفل أصبح يفقه جيدا عالم الكبار...الخ. ويُستحسن مع هذه الفئة من الأطفال اعتماد موقف وسط بحيث نسمح لهم بمحاولاتهم الخاصة ونفسح أمامهم المجال للقيام بمبادراتهم والاعتراف لهم علانية بقدراتهم وإمكاناتهم، وإشراكهم في تحمل المسؤولية، لكن دون التخلي عن مراقبة سلوكهم ومتابعته متابعة تربوية هادفة، لأن عالم الأطفال مليء بالمفاجئات، فنكون دوما على استعداد لتقبل المفاجأة والتكيف معها حتى لا نضطر الى تجرّع خيبة أمل حين ظهورها.. إذ أنه يبقى أولا وقبل كل شيء طفلا وإذا ظهرت الإشارات الدالة على النضج في مستوى من المستويات فهي الاستثناء وليست القاعدة زيادة على أن آثار وجودها قد لا يغطي كل ما تحتاج إليه شخصيته في أبعادها المختلفة.

الطفل بإمكانه حماية نفسه

إن المجتمعات البشرية عبر التاريخ الطويل و العريض لم تكن دائما تُحسن الى الطفولة أو ترعاها على النحو المطلوب بل كثيرا ما عرفت الطفولة المعاناة والحياة القاسية

والاستغلال البشع و القتل و التشرد و المرض و الفقر و في كثير من الأحيان نتيجة إهمال الراشدين لواجبهم. في هذه الحالة هل يمكن أن نتحدث عن توعية خاصة تقدم للطفل كوسيلة مباشرة تقيه من الأضرار التي تنجم عن إهمال الكبار لدورهم تجاهه؟ إن هذا الانشغال حظي باهتمام الباحتين الذين عرضوه في صور متعددة ولو أنهم لأسباب موضوعية ظلوا يدرجون حماية الأطفال وتوفير أمنهم ضمن مهام الكبار، باستثناء بعض المحاولات التي بدأت تطرح أسئلة مباشرة حول مدى تحسين إمكانية حماية الأطفال أنفسهم و تقرنها خاصة بالإهمال أو التسيب عندما يبلغ ذروته وحين تصبح حياة الأطفال على المحك، مع تركيزهم على بعض المسائل مثل التدخين والاعتداء الجنسي وما شابه، (Isbell, R.,& Morrow,B.,1991; Philips Jr, B.U, et al.,1990; Kenny,M.C.,et al.,2008; Fossey, R.,1993) مع بعض التحفظ والاحتياط حين يتعلق الأمر بتشجيع الأطفال على الوقوف في وجه آبائهم وأمهاتهم. (Baker., & Ben-Ami.,2011) وقد تقوم المؤسسة التربوية بهذا الدور على نحو أفضل دون حصول صدام أو تجاوز الواقع المألوف وذلك من خلال تطعيم برامجها بعناصر تساعد في تزويد الأطفال بالطرق الوقائية التي يستطيعون استغلالها في حماية أنفسهم، (Briggs.,& McVeity.,2000; Poche., Yoder.,& Miltenberger.,1988) ولو أن تحقيق النتائج المرضية لا يخضع لنجاعة الطريقة المستخدمة أو الأسلوب فحسب بل تؤثر فيه عوامل تتعلق بشخصية المراهق واستعداداته ومستوى الثقة بالنفس والرغبة في المواجهة.

ومما يكون في وُسع المجتمع المساهمة به تعزيزا و دعما لحماية الأطفال الذاتية:

1- تعليمهم الاحتياطات الأمنية المتعلقة بالغاز وخطورة تسربه في البيت والكهرباء وخطورة التلاعب بأسلاكه والطريقة الآمنة التي ينبغي أن يتدخل بها الانسان للحد من الخطر، والاجراءات الصارمة التي لا يجب التغافل عنها، وتعريفهم بالأرقام التليفونية المهمة كاحتياط في حالة حدوث الطوارئ في غياب الكبار(مركز سيارات الاسعاف، المستشفى، رجال المطافئ، شركة الكهرباء والغاز...) مع التنبيه إلى أن هذه التوعية التي يتلقاها الأطفال لا يجب أن يعتبرها الآباء بديلا لحضورهم وإشرافهم المباشر حيث أن إهمالهم لدورهم وتهاونهم في القيام بمسؤوليتهم تجاه أطفالهم وخاصة تركهم لوحدهم قد يعرضهم إلى أخطار تنتهي إلى كوارث مثل قيام بأفعال تؤدي إلى نشوب حريق، أو تسرب الغاز، استعمال ضار لأدوات في البيت كالسكين،...).

2- اعتماد الحذر والحيطة خاصة عند التعامل مع أفراد لا يعرفونهم والذين قد يرغبون في إلحاق الضرر بهم، كأن يتعودوا على عدم تقبل أي دعوة تأتيهم من شخص غريب ورفض الركوب في سيارة لا يعرفون سائقها. وبإمكان الأسرة أو المدرسة التأكد من أن هذا

السلوك الاحتياطي الضروري استوعبه الأطفال وبات عندهم كقناعة ثابتة بجعلهم يواجهون وضعيات تطبيقية لاختبار مدى جاهزيتهم للاستجابة بالطريقة الآمنة.

3- تشجيع الأطفال ، خارج أوقات دراستهم ، على الانضمام إلى جمعيات ثقافية أو فنية أو إلى فرق كشفية أو رياضية، والتي قد تفتح أمام الكثير منهم مجالا للتعبير والمساهمة، يستطيعون داخله توثيق علاقات وصداقات، وكما أظهرت التجارب اليومية فإن التحاق الأطفال بالنوادي والجمعيات وانخراطهم في أنشطتها واحتكاكهم بأفرادها والتفاعل يعوض لهم بعض ما يفتقدونه داخل أسرتهم، وهو بديل آمن ينبغي للأسرة والمدرسة دعمة .

هل يمكن أن تغيب الرقابة البيداغوجية للأطفال ؟

إن اتخاذ الإجراءات الاحتياطية لا يعفي أفراد المجتمع الراشدين من القيام بدورهم تجاه هذه الطفولة المهملة و تحمّل المسؤولية التي يرفض الآباء و الأمهات أحيانا تحمّلها. فلا بد من تنمية الحس الاجتماعي وتعزيز روح التضامن ومعاني التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع. و لا ينبغي في أي حال من الأحوال ترك الأطفال يتصرفون بمفردهم دون إشراف تربوي واعي. فهم عاجزون عن تدبير مصالحهم بموضوعية وبعد نظر و لا يحسنون تقدير الخطر و الأمن، وكثيرا ما يحملون صورا خاطئة عن الواقع أو يقرؤونه قراءة سطحية لا تلم بالعناصر الوازنة أو الرئيسية والعوامل المؤثرة. فالإشراف التربوي الهادف لا يمكن الاستغناء عنه و لا ينبغي أن يغيب على اعتبار أنه يمثل الحاضنة التي تؤمّن المسالك التي تتحرك فيها هذه الطفولة نحو النضج و الاعتماد على الذات وحمايتها من أي انحراف أو خروج عن مسارها الطبيعي. لكن هذا لا يعني إخضاعها لتسلط الكبار ورقابتهم الخانقة التي لا توجهها حاجات الأطفال. إن المتابعة المطلوبة توفر لهؤلاء الأطفال فرص النمو وإمكانية تحقيق الاستقلالية و لا تهدف لمحاصرة حياتهم والتقييد من حركتهم ومنعهم من النشاط الحر وتقديم المبادرة والتعبير عن انشغالاتهم واهتماماتهم. وجاءت نتائج الدراسات تؤكد على ضرورة توسيع المجال أمام مبادرات الأطفال وتمكينهم من الدخول في تجاربهم الاستكشافية واختبار قدراتهم ميدانيا وعدم المبالغة في عملية المتابعة التي غالبا ما تتحول إلى حاجز يمنعهم من تطوير المهارات البدنية والمعرفية والاجتماعية التي ترتكز عليها استقلاليتهم. وإذا كانت قلة المراقبة تعرّض سلامة الأطفال للخطر خاصة إذا بلغت مستوى الإهمال، فإن الآباء الذين يتابعون بحضور مفرط وإشراف مكثف ومباشر، يقومون بتربية أطفال "من الصوف القطني"، على حد تعبير بعضهم (Bristow,2014;O'Malley,2015) لمجتمع خال من المشاكل والتحديات لا يوجد في الواقع. وهذا يعكس فكرة أن البالغين الذين يقللون من شأن قدرات الأطفال يمنعونهم من تطوير إمكاناتهم الكاملة، وقد أوضح *سنارتي* و *ديراوان* أن بمعاملة الآباء أطفالهم بطرق أقل من مستوى نموهم إضافة إلى تقييد أنشطتهم، فإنهم يعيقون تنمية

استقلاليتهم (Sunarty.,& Dirawan Darma.,2015) . وخاصة بعدم تأهيلهم وإعدادهم لمواكبة مختلف مراحلهم العمرية كعدم تحضيرهم للالتحاق بالمدرسة (Ghandour,et al.,2019; Maxwell.,& Clifford .,2004) وما يترتب عنها من فشل وإخفاق، علما بأن هناك إشارات قوية لوجود علاقة بين الافتقار إلى استقلالية الطفولة والنتائج السلبية وأن الأطفال يعانون من مزيد من القلق والاكتئاب عندما يشعرون أنهم لا يملكون سوى قدر ضئيل من السيطرة على حياتهم، (Gray,2011;Gray, et al.,2023) وأن النتائج الإيجابية لا تظهر عندما يتدخل الآباء باستمرار ويعيدون توجيه أطفالهم، وأن التدخل الأقل من قبل الوالدين، حسب *دوكليف*، أدى إلى قدر أكبر من الثقة والسعادة والمساعدة ونوبات غضب أقل لدى الأطفال الذين لاحظتهم.(Doucleff., 2021) كما أن قضاء المزيد من الوقت في أنشطة مستقلة غير منظمة أعطى نتائج معرفية وسلوكية واجتماعية أفضل. (Gray,et al;2023) وفي كل الأحوال يحتاج الأطفال إلى فرص للاستكشاف واللعب غير الخاضع للرقابة واكتشاف الذات لتعلم كيفية التنظيم الذاتي واتخاذ القرارات وحل المشكلات. والملاحظ أن الصرامة في الاشراف على طفل يلعب تمتص كل الحيوية والطاقة الابداعية التي يتميز بها هذا اللعب، وتؤدي في النهاية إلى نتائج غير مشجعة. ذلك أن اللعب المستقل غير المنظم ودون حضور البالغين يتيح للأطفال فرصا للاستكشاف والتعرف على أنفسهم (Gopnik.,2016;Gray,2011;Gray,et al; 2023) و يعرض عليهم وضعيات تضطرهم لإعمال الفكر وابتكار الطريقة و ربما إنتاج الوسيلة المساعدة. من ناحية أخرى يسمح النشاط الحر خارج سيطرة الكبار بإثارة الشعور بالانتماء للمجتمع من خلال لعب أدوار غنية بالتفاعلات الوجدانية والمظاهر التضامنية التعاونية (Gray.,2013;Hooper,C.M.,et al.,2015) . وبشكل عام، فإن تدخلات الوالدين المكثفة في حياة أطفالهم لم تكن نتائجها مشجعة،(Schiffrin, H.H., et al.,2015) في حين جاءت تحركات الأطفال خارج دائرة توجيه الأسرة المباشر بنتائج أفضل إلى درجة أنها أظهرت عدم وجاهة مبررات كثير من مخاوف الأولياء والمربين إزاء دخول الأطفال في تجارب غير خاضعة لرقابتهم، بحيث اتضح أن فوائد اللعب المستقل على نمو الطفل تفوق بكثير المخاطر المحتملة، خاصة، كما أسلفنا، في تفعيل التقارب مع الجيران الذي سينعكس إيجابيا على التواصل الاجتماعي بصورة عامة وعلى مستوى رفاهية الفرد مرحلة البلوغ. (Rogers.,2012;Hooper,C.M.,et al.,2015) كإجابة على السؤال الذي طرحناه من قبل نقول: مع الأطفال القاصرين لا ينبغي أن تتخلف جهود الرعاية والحماية ضمانا لاستمرار انتقالهم بسلام إلى مرحلة الاعتماد على أنفسهم، كما يجب ألا يغيب الاشراف التربوي مع الأطفال عامة لأن عملية التنشئة لم تنتهي بعد وحاجتهم إلى التوجيه لا زالت قائمة، لكن ما يجب إدراكه أن فرض الكثير من القيود على نشاط الأطفال المحفوف بالمخاطر يقمع فيهم الرغبة

في المشاركة ولا يشجعهم على القيام بمبادرات قد تكون بمثابة تغذية راجعة للمربين تساعدهم في عملية التقويم. فلا بد أن تأتي جهود الحفاظ على سلامتهم متوازنة مع فرص نموهم التي قد يسوقها تحمّل المخاطر وإدارتها، من منطلق استراتيجية إبقاء الأطفال "آمنين بقدر الضرورة" وليس "آمنين قدر الإمكان" على حد تعبير بعضهم (Brussoni, M.,et al.,2012).

معاملة الأطفال تتجاوز النمطية

إن عالم الطفولة متنوع تنتعش فيه الفروق الفردية الى حدود بعيدة بحيث تكاد لا تصادف طفلا واحدا من بين آلاف يشبه طفلا آخر خاصة في الأبعاد النفسية الانفعالية الوجدانية من الشخصية. فالمعاملة المطلوبة تكون إنسانية اجتماعية مبنية على سابق معرفة بحقيقة كل طفل و واقعه(Aiken,L.R.,1999) . والعملية التربوية ينبغي أن نعتمد فيها أساليب إشراف متنوعة تجاوبا مع هذا الواقع الثري والمتعدد في مظاهره ومتطلبات تناوله. فلا يضيق الراشد صدرا بهذا التنوع فيحاول، خطأ، أن يطمس معالمه أو يُذيب الفوارق فيدمج الكل في الجزء أو حتى الجزء في الكل. فمن حق كل إنسان أن ينمو ويتطور ويحيى في حدود مؤهلاته واستعداداته الفطرية و لا يُفرض عليه ما يتعارض مع حقيقته الذاتية العميقة وخصائصه المميزة. فمن واجب المربي المحافظة على هذا الواقع الثابت والمتأصّل وحمايته وعدم تجاهله أو تجاوزه. ومن الاحتياطات المطلوبة في هذا السياق:

1-عدم اعتبار المربي أسلوبه في المعاملة أو طريقته التربوية صالحة لمجرد أنها حققت نجاحا مع فئة معينة من الأطفال. فإذا جرب طريقته ولم تعطي نتائجها المرجوة فلا يحكم بسرعة على الأطفال بالعجز و الضعف، فالطريقة التربوية قد تكون غير مناسبة مع طفل أو مجموعة من الأطفال حتى و لو أنها كانت سببا مباشرا أو عاملا بارزا في تحقيق نتائج إيجابية ملفتة للانتباه مع طفل آخر أو مجموعة أخرى من الأطفال.

2-عدم التخوف أو إبداء القلق من الاختلاف الموجود بين الأفراد. فهو ثراء بشري يمكن الاستفادة منه في المجتمع، و عدم فرض نمط واحد من السلوك على المجموعة. هذا الانضباط النمطي يخفي كثيرا من الحقائق التي تتعلق بهؤلاء الأفراد، فهناك من هو سريع الغضب ومن هو بطيء الفهم ومن هو حساس وسريع التأثر وهناك الكتوم الذي لا يُفصح والقلق المضطرب وهناك ضعيف البنية والمحدود في قدراته العقلية والذكي الألمعي، وإن اعتماد الحل الوسط الذي يميل إليه كثير من المربين كمخرج طبيعي أمام هذا التنوع الهائل وتوجيه نشاط المجموعة من خلاله قد يكون من أنجع الوسائل وأقواها تهميشا وإقصاء لفئات عديدة داخل تلك المجموعة.

3-عدم اللجوء إلى التقسيم الشكلي للفئات وتحديد عناصرها من منطلقات صورية كأن نضم أطفال من خمس إلى سبع سنوات في مجموعة أولى وأطفال من الثامنة إلى العاشرة في مجموعة ثانية وهكذا. مثل هذا التقسيم إذا اعتمدناه في بلورة البرامج الدراسية والتربوية قد

تأتي هذه الأخيرة بعيدة عن الواقع، فقيرة من حيث حجم المستهدفين والفرص المتاحة لكل واحد منهم، غير مستوعبة لحاجات كثير منهم. فعندما نصنف الأطفال دون سن الرابعة ضمن فئة واحدة فإننا في الحقيقة نبني العملية التربوية على مغالطة. ذلك أن الطفل الذي بلغ سنة واحدة لا يمكن أن نقارنه بالطفل الذي بلغ السنة الثانية أو الثالثة. فهم يختلفون في كل ناحية، في النمو الحسي والعقلي والنفسي وفي رصيدهم اللغوي المكتسب وما يحمله كل واحد من صور و"مفاهيم" عن الحياة وما أصبح يمتلكه من خبرة أو يتحكم فيه من مهارات. كذلك الحال بالنسبة لأطفال السادسة فهم لا يماثلون أطفال الثامنة أو التاسعة. ومراجعة عن كثب مسار النمو الذي يسلكه الأطفال خلال المراحل العمرية تؤكد صعوبة تبني نظام فئوي يميز مجموعات عمرية كالحديث عن الطفولة المبكرة و الطفولة الوسطى والطفولة المتأخرة أو بالأحرى الثغرات التي يخلفها والعجز الواضح في استيعاب الخصائص الفردية التي لا يمكن التضحية بها (بياجه، ج، 1988). و في محاولة علماء النفس فهم عمليات التغيير والنمو والوظيفة في التنمية البشرية بالرجوع إلى تصورات نظرية على نموذج *فرويد* النفسي الجنسي أو نموذج *إريكسون* النفسي الاجتماعي أو نموذج *بياجيه* المعرفي أو نموذج *كوهلبيرج* للتفكير الأخلاقي، فإنهم نظروا إلى التطور عبر مراحل عمرية محددة بأنه نمو سواء كان جسديًا أو نفسيًا اجتماعيًا أو معرفيًا دون النظر إلى التفاعل الديناميكي بين الأفراد وبيئتهم (Pelaez, M.,et al, 2008). وانطلاقا من ذلك قاموا بتحديد خصائص الشخصية الإنسانية لكل مرحلة. وإذا كانت المعطيات المتعلقة بالمراحل تساعد إلى حد ما في التنبؤ بما قد يفعله الأطفال أثناء هذه المراحل أو في تقدير أعمارهم و مستوى نموهم، فإنها مع ذلك لا تخبرنا "كيف أو لماذا يستطيع الأطفال القيام بذلك" وهو ما يشير حسب *شلينجر*(Schlinger,1992,p.36) إلى أن نظريات النمو السائدة لا تملك جوابا شافيا عن ذلك.

زيادة على الفروق الفردية العامة هناك الفروق الواضحة بين الجنسين (Hutt.,1972; Cohn.,1991;Barbu.,et al.,2015;Kimura.,1992;Weiss.,et al.,2003;Reber.,& Tranel., 2017) فلا بد من مراعاة نفسية كل منهما وخصائصه المميزة، ومحاولة الدخول معه في تربية جنسية هادفة من بداية الطريق حتى يتحقق له التطابق الجنسي المناسب وإعداده بالتالي لأداء دوره الخاص داخل المجتمع بمصداقية وفخر واعتزاز، و كل هذا نزولا عند حاجات كل جنس التي طالما أكدتها نتائج الدراسات العلمية(Lips,H.M and Colwill;N.L.,1978).

وُلوج عالم الطفل من بابه الطبيعي

عندما نريد أن نتعرف على عالم الطفولة لا بد من الولوج إليه من الباب الطبيعي وعدم اقتحامه على صاحبه عنوة، فاعتماد هذه الوسيلة الأخيرة يؤدي إلى تشويش علاقة الطفل بالراشدين و زعزعة حالة الاطمئنان والشعور بالأمن والثقة بين الطرفين بما يجعل الإشراف

على الطفولة عملية صعبة. إن عالم الطفل محاط بسدّ منيع لا يمكن لأحد اختراقه إذا رفض التعاون معنا وتقديم المساعدة. إن الجولة الناجحة في عالم الطفل والمفيدة تتحقق عندما يكون هو ذاته برغبته دليلنا فيها وبألفاظه الخاصة يتحدث عن نفسه ومشاعره وأمنياته وهواجسه فيوقفنا على خصائصه الذاتية ويعرّفنا بخبايا شخصيته. كل ذلك نستطيع التقاطه أو تحسّس آثاره إذا وفّرنا له البيئة الآمنة التي تفسح المجال واسعا للتعبير العفوي. حينها لا نحتاج لإدراك رسائله المتضمنة إلى أي جهد في التحليل والتأويل. وحتى نتمكن من جعل الطفل يمدّنا بهذه المشاركة التي لا غنى لنا عنها، نحتاج إلى:

1- كسب ثقته. في الواقع، تعد الثقة بين الأشخاص أمرًا ضروريًا لعلاقاتنا الاجتماعية (Talwar & Renaud,2010)، و كما ظل يؤكد العديد من المفكرين والباحثين، فإن العالم بدون ثقة سيكون أكثر فقرًا وعقمًا وألمًا و وحشية(Hollis,M.,1994) . فالثقة بين الأشخاص تؤدي في المجتمع دورا مفصليا إذ هي بمثابة الاسمنت أو الغراء الذي يثبت أركان تماسك المجتمع ويحافظ على استقراره. و يعتبر *إريكسون* من بين أوائل علماء النفس الذين أكدوا على حاجة تنمية الثقة أثناء مرحلة الطفولة واعتبروها عنصرًا حاسمًا طوال حياة الانسان (Erickson,E., 1963;Sakai,A.,2010)، ومن شأنها بالنسبة للأطفال أن تجعلهم يطمئنون إلى من يرعى شؤونهم ويأنسون به ، فيتصرفون بعفوية معبرة وصادقة دون ارتباك، كما يصبح دورها في التواصل التربوي مهمّا بشكل خاص، إلى درجة استحالة تصور متابعتهم وتربيتهم دون توفّر الثقة بالمشرفين عليهم. والثقة المنشودة لا تتحقق بالضرورة في لقاء واحد أو في لقاءين وهذا الشعور لا يمكن اكتسابه بالجهد وإنما يتبلور لدى الفرد بمرور الوقت خلال تفاعله مع البيئة وكاستجابة للرعاية التي يتلقاها والتلبية لاحتياجاته بصورة منتظمة ومستمرة، ثم إن كسب هذه الثقة ليست عملية نهائية، فالطفل يتعامل بمقتضاها مع الأفراد ولكن أيضا حسب الظروف والملابسات التي تحيط به، والثقة تحتاج الى تنمية وتجديد والاحتياط لها والمحافظة عليها. عدم مباشرته بالأسئلة التي تتعلق بحياته وحياة عائلته خاصة تلك الأسئلة المحرجة. كذلك تقديم كإجابات على أسئلته التي يباشرنا بها الحد الضروري منها الذي لا يمكن إخفاؤه، ويعد تطوير مهارات طرح الأسئلة لدى الأطفال هدفًا تعليميًا مهمًا، ويلعب دورًا حاسمًا في مرحلة مبكرة من التطور المعرفي للأطفال (Chouinard.,2007). قد يكون هدف الطفل من طرح سؤال في بعض الأحيان هو مجرد جذب انتباه البالغين(Beyer, E.,1940) ، لكن عندما تكون لديه فجوة معرفية محددة فقد يتحول سؤاله إلى وسيلة مناسبة بل ومحبذة لالتماس معلومات يسد بها هذه الفجوة وقد يستخدمها في حل مشكلة تواجهه. وهذا الوضع ليس حالة استثنائية بل يواجه بصورة متكررة فئات عمرية من الأطفال والشباب وتكون الاستعانة بالآخرين بواسطة توجيه السؤال هي أيسر الطرق للتعامل معه، وتكاد تكون استجابة فطرية، خاصة

إذا علمنا، كما عاين الباحثون، أن بإمكان الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة وفي سن مبكرة من المرحلة الابتدائية طرح أسئلة فعالة لحل خاصة المشكلات البسيطة (Chouinard,2007;Mosher & Hornsby,1966)، وأيضا بغرض الاستيعاب والفهم (Callanan & Oakes,1992; Greif,et al.,2006). بل الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 2و4 سنوات يمكنهم طرح أسئلة مناسبة للموضوع للحصول على معلومات أساسية حول اسم شيء ما، أو ما يفعله(Deborah,G.K.N.,2004)، والفائدة لا تنتفي حتى حين يسأل الأطفال بحثا عن معلومات لإشباع فضولهم، وإن تمكينهم من متابعة فضولهم واهتماماتهم له مزايا كثيرة أقلها توسيع دائرة معارفهم وتعميق خبراتهم (Chin & Osborne,2008; Luce.,& Hsi.,2015; Loewenstein., 1994) وما يؤدي إليه من مراجعة لصورة الواقع التي علقت بأذهانهم و للفهم المنبثق عنها. وعموما فإن طرح الأسئلة والإجابة عليها ليس فقط جزءًا من كيفية تعلمنا، ولكنها أيضًا آلية لتطوير مهاراتنا الاجتماعية من حيث أنه تواصُل مع الآخرين يمكن تقييمه والاستفادة منه. لكل هذه الأسباب و غيرها لا يجب الاستهانة بأسئلة الطفل أو رفض الاجابة عنها، لأن موقفا سلبيا كهذا يدفعه إلى الانسحاب من النقاش والتوقف عن الحديث. وبينما يكون تقديم الاجابة على أسئلته بمثابة الغذاء الذي يجد معه شهية في الكلام والتحدث، فإن عدم التجاوب من شأنه أن يضعف رغبته ويثبط عزيمته.

2- عدم اللجوء الى أساليب لغوية أو سلوكية تُشعر الطفل بأنه لا قيمة لما يقوله ويفعله، وحتى سكوت الكبار الطويل وعدم تسجيل أي رد متزامن يراه الطفل أحيانا إشارة إلى عدم الرضا أو عدم الارتياح إزاء سلوكه أو موقفه فيختار احتياطا التزام الصمت كبديل أقل إثارة. من ناحية أخرى، ولأننا في مقام التربية والإعداد فلا مكان لإطلاق أحكام أخلاقية تجاه مواقفه وتوجيه له الانتقاد والعتاب كل مرة يصدر منه ما نراه غير مناسب، بل نحاول أن نعطيه الفرصة لكي يواصل حديثه ويستمر في التصرف بصورة طبيعية، (Kotaman.,2013) وهذا لا يعني عدم مباشرة معه النقاش النقدي في سياق الحوار العام الذي نستعرض معه فيه صورا أخرى مكملة بإمكانه مقارنتها مع ما ظل مقتنعا به، بل إن مثل هذا الحوار يمكن أن يندرج ضمن جهود ما يسمى باليقظة الذهنية(Hooker, K.E.,& Fodor, I.E.,2008) وهي التقنية التي تتزايد شعبيتها بين المختصين في الصحة النفسية والمتمثلة في توعية الأطفال والشباب وتعزيز انتباههم وتركيزهم، وتحسين ذاكرتهم، وتنمية لديهم احترام وقبول الذات، إضافة إلى تطوير مهارات الإدارة الذاتية، ويتم كل ذلك بشكل تدريجي بدءًا من الوعي بالبيئة الخارجية، ثم الوعي بالذات في البيئة... وبهذه الكيفية يصبح الأطفال حاملين لقناعات ومستوعبين لرؤى وأفكار تكون بمثابة أدوات فاعلة للحماية الذاتية، بدلا من اللجوء إلى أساليب التهديد والقمع والردع والإهانة التي ينشأ عن استخدامها اضطراب في العلاقات.

3- عدم تقديم إيحاءات للطفل من خلال تدخلاتنا وتجنب الاسقاطات مهما تبدو بديهية حتى لا نجعله ينساق في اتجاه غير الاتجاه الطبيعي الذي بدأ فيه والذي نحرص على استمراره ضمنه. فالحياد الذي نلتزمه أثناء التعامل معه يمثّل واحدة من الضمانات التي تحمي مصداقية الحوار بحيث يكون محتواه صالحا لاستغلاله في تجسيد أهداف المقابلة واعتماده أرضية لتوجيه جهودنا التربوية والارشادية.

4- عدم الوقوف في وجه رغبة الطفل في تصرف ما و خاصة رغبته في إنهاء اللقاء، إذ من غير المفيد بقاء هذا الطفل معنا بجسده وهو قلق ومضطرب وغير راغب في مواصلة الحوار، وأن المدة التي نفرضها عليه وهو بهذه النفسية قد تأتي على كل الايجابيات التي حققها اللقاء، كما قد تهدم ما تم بناؤه خاصة العلاقة التي تعززها الثقة المتبادلة. لذلك لا بد أن نتحسس حاجة الطفل الى الانصراف والسماح له بذلك فورا. وهذا يندرج ضمن ما يسمى في أوساط الارشاد والعلاج النفسي" تفضيلات العملاء" (Cooper,M.,et al,2022) ، والتي أكد بعضهم على ضرورة تحديد النهج المتبع في العمليات الارشادية والعلاجية على أساسها (DiGiuseppe, et al.,2013)، لكن في الواقع نادرا ما يُلتفت إليها (Cooper.,& Norcross.,2016) رغم ما أظهرته نتائج الدراسات من إيجابيات اعتمادها، خاصة و أنها تجسد للعميل موضوع التكفل الاستقلالية الشخصية التي تحظى بتقدير كبير في مجال الرعاية الصحية (Entwistle, V.A.,et al,2010; McLeod,J.,2015) . هذا لا يعني أن ما يريده العميل هو بالضرورة ما يحتاج إليه هذا الأخير، و لكن رغم أن سلوك المرشد هذا الطريق قد يعتبره البعض تنازلا يتعارض أخلاقيا مع وظيفته، فإنه مع ذلك يساعد في المحافظة على العلاقة بين الطرفين، ويتيح الفرصة لهذا المرشد رؤية العالم كما يدركه العميل نفسه و هو ما سيثري فهمه للحالة بما يسمح له بالقيام بتشخيص أكثر تطابقا مع واقعها، وتعبيد الطريق للتكفل الأفضل بها.

الأطفال يختلفون وليس هناك طفل أهم من طفل

رغم أن كل أطفال العالم متشابهون من حيث البراءة والحاجة الى الرعاية والقابلية للتأثر السريع، ومع ذلك يظل كل واحد منهم يمثل عالما خاصا ويشكل حالة قائمة بذاتها لا يمكن أن ننازعه فيها مهما كانت الأسباب والظروف. ومن حق كل طفل الحصول على حب أبويه ودعمهما غير المشروط، وقبوله كما هو ومساعدته على النمو والتطور بالوتيرة التي تتناسب مع الخصائص المميزة له، وعدم الاقتصار في توجيه عملية التقويم والمتابعة على ضوء مقارنته بالآخرين. فأهمية هذا طفل تكمن في ذاته ولا تحدد خارج عالمه هو، وتقتضي رعاية فرديته أن نمنحه حرية الاستكشاف وإيجاد طريقه الخاص والتمرّس على إدارة شؤونه بنفسه واختبار قدراته على أرض الواقع، وكما عبر عنه كوهن Kohn "يتعلم الأطفال كيفية اتخاذ القرارات الجيدة من خلال اتخاذ القرارات، وليس من خلال اتباع التوجيهات"(Kohn,A.,1994).

ومن ناحية أخرى لا يوجد طفل أهم من طفل آخر بغض النظر عن موقعه الاجتماعي ولون بشرته ومستوى المجتمع الذي ينتسب إليه. والغاية من التنويع في الطرق وأساليب التعامل والأدوات المساعدة هي استيعاب الفروق الفردية والتجاوب مع حاجات كل طفل بما يسمح له باكتساب المهارات وتطوير القدرات المؤهلة للاعتماد على النفس وتحقيق الاستقلالية، وليس بهدف إبراز أفضلية بعض الأطفال على بعض، بل بغرض تهيئة و إعداد الأفراد لولوج عالم إنساني متنوع علما بأن التعايش داخل هذا التنوع البشري وتسخير اختلاف عناصره قد تنتج عنهما بيئة حاضنة للجميع يشعر فيها كل واحد بالقيمة والتقدير كما يستطيع استخدام مواهبه وتحسين أحواله ومشاركة الاخرين في ترقية الحياة الاجتماعية. إنه التنوّع جنبا إلى جنب مع تكافؤ الفرص اللذان يؤديان بالضرورة إلى الحل الوسط الأكثر استيعابا لصور الاختلاف في ظل التقارب الايجابي والتعايش.

الطفل يحس ويدرك ويفهم

من الشائع والمألوف استصغار شؤون الأطفال كلها، والقناعة الغالبة في أوساط الكبار أن مداركه محدودة وأنه لا يفهم كثيرا و لا يُحسن تقدير مصالحه و لا يعرف ما ينفعه وما يضره...الخ. والآباء والأمهات لا يقتصرون على إطلاق مثل هذه الأحكام، فهم يسجلون على ضوئها مواقف حياتية ويحددون من خلالها أساليب تربوية ويبررون بها كل ما يفعلونه مع أطفالهم. فعندما يوصف الطفل بهذه الأوصاف يصبح من حق المجتمع من خلال الأسرة أو المدرسة أو أي مؤسسة أخرى:

- تقدير مصالح الأطفال والتدخل المباشر في تنظيم حياتهم.
- تقرير الاختيارات الأساسية والحاسمة في حياتهم(كاختيار اللعبة، الأصدقاء، التخصص العلمي،...إلخ.)
- المتابعة المباشرة لكل أنشطتهم.
- المراقبة الصارمة لكل تحركاتهم والتدخل المباشر فيها (تحديد وقت الدخول الى البيت والخروج الى الشارع ...).
- التفكير في مكانهم.
- عدم أخذ بعين الاعتبار آراء الأطفال وقناعاتهم، فهي فاقدة لكل قيمة و لا تستند إلى تجربة أو فقه وعلم.
- تغييب الأطفال وما يرغبون فيه من سياسة البيت العامة، وجعل التجاوب معها منسجما مع الظروف وما يسمح به الواقع و في حدود الامكانيات المتوفرة.
- عدم ترك الأطفال يباشرون الأنشطة بأنفسهم، وإلزامهم بما ينبغي القيام به وما يتعين عليهم تركه والامتناع عن الدخول فيه.

- عدم الانشغال بذوق الأطفال وميولهم و رغباتهم، لأنها غير مستقرة وغير واقعية.
- تحديد الطريقة التي يرقّهُ بها الأطفال على أنفسهم.

وباختصار هناك تحكم مطلق في شؤون الأطفال وسيطرة كاملة على حياتهم، بحيث يصبح الأطفال في مجتمعهم يؤدون أدوارا تماما كما يحصل بالنسبة للمثلين الذين يباشرون الأدوار التي يمليها عليهم المخرجون. فالأطفال يحيون بالطريقة التي يريدها الكبار ويرغب فيها الراشدون لا كما يحلو لهم. ليس لهم في هذا الواقع خيارات أخرى، فبحكم التبعية المادية والمعنوية فإنهم مضطرون الى الالتزام والامتثال. ومما يزيد هذا الواقع تكريسا، توظيف أبعاد حضارية نبيلة وجليلة واستغلالها في هذا الاتجاه، مثل تبرير كل هذه التجاوزات على أساس الأعراف الثابتة وما تدعو إليه الديانات.

وهكذا يحتفظ الآباء بسلطتهم شبه المطلقة على أطفالهم كوكلاء أو أمناء نيابة عن هؤلاء الأطفال، أو من منطلق أن الأطفال يدخلون ضمن ممتلكات الأسرة كهيئة أو بتعبير أوضح لـ*مونقوميري* "كدولة صغيرة لها سلطة مطلقة موكلة إلى رؤسائها، الآباء"، وإذا تم التعامل معهم على أنهم ملك لوالديهم، كما علق لاحقا، فسيكونون تحت رحمة أحد الوالدين غير المستعد لتسهيل نمو الطفل نحو تقرير المصير والاستقلال (Montgomery,J.1988, p.323, 324). ومن السهل جدًا تبرير هذه السياسة تجاه الأطفال، فهم لا يتمتعون بالنضج الكافي لتنظيم حياتهم كما يفتقرون إلى العقلانية وإلى القدرة على تشكيل أهداف متماسكة وذات مغزى، وإلى الفهم والخبرة، وبذلك فإن حالتهم تتطلب رعاية الآخرين وحمايتهم من أنفسهم ومن الأذى الخارجي، ومنح حقوق رعايتهم للوالدين وتحميلهم مسؤولية حمايتهم هو اختيار واقعي. لكن ماذا نفعل عندما تحصل إساءة لاستخدام هذه السلطة حتى من أقرب الناس إلى الأطفال كآبائهم وأمهاتهم،علما بأن العديد من التحقيقات أكدت فعلا حصول استغلال ضعف الأطفال داخل أسرهم(Ennew,J.,1986) . وأهم من ذلك، فإن عجز الأطفال وضعفهم تم استغلاله لتمرير كثير من القناعات النظرية التي لا يؤيدها الواقع في صورتها المعروضة، فقد تم عرضه بصورة فيها مبالغة أو بالأحرى بطريقة مبتورة لا تذكر التفاصيل الكاملة، وتبرير على أساسها أبويّة تتدخل في كل جزئية من حياة الأطفال ضمانا- ادعاء- لتجسيد حقهم في الحماية، وهي حماية لا تتجاوب من قريب أو من بعيد مع أهم متطلبات نمو الطفل النفسي والاجتماعي الذي لا ينتعش بتقييد حريته ومحاصرة حياته من كل جانب، حتى أن بعضهم علق بأن حقوق الأطفال المكفولة بهذا هي حقوق "حماية المصلحة" وليست حقوق "حماية الاختيار" (Vallentyne, P.,2002).

إن محاولة تحقيق مصلحة الطفل، بتغييب ملكة الفكر عنده وتجريده من كل إحساس وتقييد حريته وبعدم مراعاة ما يحصل من تغيير في كل لحظة من حياته والذي يعلن بوضوح

أن هذا الكائن البشري في حالة نمو مستمر وتطور وأن يومه ليس كأمسه...، هي جهود تسير في غير اتجاه مصلحة الطفل بل هي تعزيز لحضور الوصاية المكبلة والخانقة التي لا تتوافق مع استقلاليته المنشودة. والحقيقة تقول إن الأطفال يتحسسون الكثير مما يحيط بهم ويفهمون الكثير مما يخوض فيه الكبار، وبإمكانهم التنبؤ بما يحدث في المستقبل و لا تكون تنبؤاتهم بعيدة عن الواقع مثلهم مثل الكبار. نعم إن عقولهم صغيرة ولكنها تستوعب وتدرك، وحجم الاستيعاب والادراك يتوقف على البيئة التي يجدون أنفسهم فيها. فإذا أردنا أن يصبح أطفالنا أكثر إدراكا وأعمق فهما يجب أن نتيح لهم الفرص لاستغلال ما عندهم من زاد طبيعي. أما قناعة كثير من الآباء والمعلمين بأن الأطفال عاجزون عن التمييز بين الواقع والخيال، فهي في صورتها المعممة غير مؤسسة ولا تستند إلى حقائق علمية ذات مصداقية. وفي المقابل نجد أن نتائج الدراسات تشير بوضوح إلى قدرة الأطفال في سن مبكرة على التمييز وممارسة التفكير الهادف وتوظيف الخيال ولو في صور بدائية، حيث نلاحظ كلنا كيف يتقنون لعبة التظاهر التي ترتكز أساسا على التمييز بين ما هو واقعي وما هو خيالي (Woolley, J.D.,1997)، مثل تحويل بعضهم المكنسة إلى حصان أو إجراء حوار مع أصدقاء وهميين، وهي صورة من صنع الخيال ولكن وراءها إدراك وتقدير و"تخمين". ثم إن الطفولة تعرف خلال مراحلها التحولات، فبينما يعتقد أطفال ما قبل سن المدرسة أن ما يرونه على شاشة التلفزيون حقيقي، فإنهم بين السنة الخامسة و السادسة يتغير تقديرهم للأمر ويصبح "الحقيقي" في رأيهم ما لا ينتهك الواقع المادي الذي عرفوه وألفوه، وبزيادة تفكيرهم المنطقي بين7 و11 سنة يكون بإمكانهم تسجيل ملاحظات على البرامج التلفزيونية التي تبتعد عن الواقع كثيرا وتكون طفولية بشكل مفرط (Valkenburg.,& Cantor.,2000) . كذلك استخدمت عينات من الأطفال المنطق في أعمار تتراوح بين5 و8 سنوات لتقييم والحكم على مصداقية وموثوقية المعلومات الجديدة من خلال مقارنتها بالمعارف الحالية التي في حوزتهم تقريبا بما يشبه طريقة تفكير البالغين (Lopez-Mobilia.,& Woolley.,2016) .

ناحية أخرى من سلوك الأطفال توقف عندها الباحثون خاصة ضمن جهودهم في وتتعلق بقدرة الفرد على ممارسة التنظيم الذاتي وضبط السلوك والتحكم في العواطف وهي لا شك ثمرة نضج متنام ومؤشر قوي عن وجود وعي يتغذى من إدراك وفهم علما بأن الحاجة إلى ضبط النفس تبدأ في الظهور خلال مرحلة الطفولة(Tao,T.,et al,2014) ، بما يساعد في تحقيق النضج العاطفي والتواصل الاجتماعي. وإذا كانت عملية " التنظيم " في حياة الأطفال تبدأ متواضعة فإنها تتطور خلال مراحل الطفولة لتقترب من مطابقة ما يحصل مع البالغين، مثل محاولتهم السيطرة على انفعالاتهم وإبداء الصبر والثبات أمام الظروف الصعبة و ربما اعتبارها فرص يمكن استغلالها، و مراعاة في سلوكهم و مواقفهم المبادئ التي يؤمنون بها

تحقيقا للانسجام مع أنفسهم، وكذلك الالتفات إلى بعض قيم المجتمع من أجل التوافق معه، إضافة إلى رغبتهم في استفراغ الجهد كوسيلة عملية لتحقيق الأهداف (Hampson,S.E.,et al, 2016) ، مع التأكيد على أن التطور المشار إليه ليس أمرا تلقائيا و لكن لا بد من مرافقة واعية غير مقيّدة لحركاتهم و أنشطتهم و في نفس الوقت غير مهملة لاحتياجاتهم التي لا ينبغي تأجيل إشباعها (Spratt, E.G.,et al,2012).

حقيقة الطفولة والنشاط الحر

إننا جميعا نميل الى تقبّل الرأي الذي يقول إن الطفل في حاجة الى توجيه و نصح وعدم تركه ينشط بمفرده، لأنه لا يحسن استغلال الوقت و لا توظيف الحرية. و قد يركز على ما هو أقل أهمية و يهمل ما هو أساسي، و هو بطبعه يميل الى اللهو واللعب و لا يريد أن يُلزم نفسه بالقيام بالأعمال التي تتطلب جهدا و يتحمل فيها مشقة. هذا التصور على بداهته في الظاهر لم تؤكده نتائج الدراسات العلمية ويبقى مجرد تصور له إيجابيات كما له سلبيات. وغالبًا ما يتم الحديث عن اللعب وكأنه وسيلة للراحة من التعلم الجاد، ولكن بالنسبة للأطفال كما يعقّب *روجرز، ف.، وشرابان، هـ.* " فإن اللعب هو تعلم جاد." (Rogers,F.,& Sharapan, H.,1993) صحيح أن الطفل لا يريد التعب و لكن لا يريده لذاته و كعقوبة. لكننا نجده من ناحية أخرى لا يعبأ بالمتاعب و المشاق عندما يكون مستغرقا في أنشطته التي يدخل فيها من تلقاء نفسه وبرغبة منه. ومعروف عن شعور الطفل و حالته النفسية و الكيفية التي يتجاوب بها حين يُطلب منه التوجه الى سرير النوم. فهو أمر بتوقيف النشاط الذي يتمنى أن يتواصل بدون انقطاع الى اللحظة التي يغلبه فيها النوم. ومعروف عنه كذلك أنه يقضي أحيانا أوقاتا طويلة بدون تناول طعام لا يشعر خلالها بجوع و ذلك حين يمارس نشاطه الحر. بل عندما نجبره على تناول وجباته في أوقاتها المحددة التي تتزامن أحيانا مع دخوله في نشاط ما، فإنه يتناولها و واقعه يؤكد أن شهيته مع اللعب والنشاط أقوى من شهيته في الطعام. ولعل غياب النشاط الحر في سياق العملية التربوية هو أحد العوامل التي تدفع بغالبية تلاميذ المدارس نحو الضعف والعجز الناجمين عن غياب الرغبة في تحسين الأداء. وإن إدماج حصص من النشاط الحر كجزء من البرنامج المدرسي قد يُحدث ثورة في هذا الواقع الراكد ويساعد الأطفال على تفجير طاقاتهم الكامنة وفي استغلال استعداداتهم الذاتية التي لم تجد المناخ المناسب لتبرز وتظهر. ولعل هذا ما كان *جون ديوي*– قبل أزيد من قرن ونصف– يؤكد عليه خاصة السعي إلى تهيئة الظروف التي تجبر الطفل على المشاركة الفعالة في بناء مشاكله الشخصية والمساهمة في تنفيذ الأساليب التي تمكنه من حلها(Dewey,J.1899; 1903; 1907) وقد تراكمت نتائج البحوث التي تبرز أهمية الأنشطة في

جعل الفصول التربوية المملة أكثر إثارة للاهتمام وفي تعزيز عملية التعلم، والرفع من مردوده. (Anwer,F.,2019; Shoval, E.,et al,2018; Lu, C.,& Montague, B.,2016)

الاصغاء الى ما **يقوله الطفل قد يغيّر من الانطباع**

من العوامل التي تساعد على تكريس الموقف الرافض للسماع الى ما يعبر عنه الأطفال عامة:

1- الحكم على الصغار مسبقا بأنهم يخطئون و بأن تجربتهم محدودة.

2- اعتبارهم عاجزين عن تقدير مصلحتهم على الوجه الصحيح.

3- القناعة المسبقة بأن ما يقوله الأطفال لا يتسم بالجدية، إذ أن حياتهم مرح و لعب، ومواقفهم لا يمكن أن تكون مسؤولة.

4- إن محاولة إدماجهم في عالم الكبار تتسبب في ظهور خرقات للآداب والأخلاق وخدش حجاب الحياء والاحترام الذي يجب أن يبقى بين الكبار و الصغار.

5- إن الأطفال يعيشون تحت كفالة، ومسؤولية الأخطاء المرتكبة يجب أن يتحملها الكبار، لذلك نجد هؤلاء الكبار يتصرفون في حياة الأطفال على ضوء ما تمليه عليهم هذه المسؤولية فيحتاطون معهم خشية أن يقعوا في المحظور وقبل أن يحدث المكروه أو ما يمكن أن يفاجئهم.

لكن لو استطاع الكبار رفع هذه الحجب التي تحول بينهم وبين الإحاطة بعالم الأطفال لتمكنوا من رؤية عالم حيوي متكامل بالعناصر المثيرة (Wood,D.J.,1998)، عالم متجدد ومتطور، و لأدركوا ما يلي:

1- ليس كل ما يقوله الأطفال بالضرورة فاقدا للمدلول و غير مقترن بمقصد و هدف، بل إنهم أحيانا يستخدمون تعدد المعاني لبناء معاني جديدة للكلمات (Srinivasan.,Berner.,& Rabagliati.,2019) ، ويستخدمون التعميمات الدلالية لاستنتاج معاني الكلمات (Srinivasan, M.,et al,2017) ، ويفهمون المتجانسات (Backscheider.,& Gelman.,1995) ، وما أكثر ما انتبهوا إلى ما نسيه الكبار (Plebanek, D.J.,& Sloutsky,V.M.,2017) ، كما يقوم الصغار منهم بتنشيط المعرفة الدلالية المعجمية في غياب المراجع البصرية(Willits,J.A.,et al,2013). والحقيقة التي يتعامى عنها غالبية الناس أن الأطفال لا يعرفون سوى الجد، وهذه الجدية حاضرة حتى أثناء اللعب أو خلال الحصص الترفيهية. فعندما نتابع سلوك الطفل مع لعبته وكل الحركات التي تصاحبه ندرك أنه لا يلعب بالمعنى الشائع للكلمة، بل إنه يستكشف ويجرب، ويغير ترتيب العناصر والأشياء ويعيد تنظيمها ويسعى إلى الفهم وإيجاد أجوبة مقنعة لما علق بذهنه من إشكالات وتساؤلات وألغاز. ولذلك وجدنا نتائج دراسات تؤكد أن أثناء اللعب ينمي الأطفال الخيال والقدرات الإبداعية إضافة إلى التنمية الاجتماعية واكتساب

المهارات (Clements & Fiorentino, 2004). كذلك نلاحظ حيوية تعاملهم وانخراطهم العميق في النشاط بدافع ذاتي ربما دون تحديد هدف واضح سوى إشباع فضوليتهم. والمشهد في عمومه يطبعه التركيز و الحزم والجدية و الالتزام. هذا التركيز والحضور الذهني أثناء اللعب لا تأثير لهما على شعوره بالمتعة لأن المرح والجدية في عالم الطفولة لا يتعارضان. إن انغماس الطفل في نشاطه إلى حد أن كل انتباهه يتركز على المهمة تكاد تتطابق مع الحالة التجريبية التي تم الاعتراف بها في العديد من الثقافات، بعناوين وتسميات مختلفة والتي أصبحت متداولة في بعض بلدان العالم تحت اسم "التدفق Flow" ، وقد وصف *ميهالي كسيكسزنتميهالي* الأفراد الذين عاشوا هذه التجربة على النحو التالي:

"... كان تركيزهم منصبًا بالكامل على ما كانوا يفعلونه. عدد قليل جدا من الملهيات والمشوشات دخلت العقل. وبعد فترة من الوقت، أصبح عمق التركيز شديدًا لدرجة أن الشخص شعر بأنه قد أصبح مندمجًا مع النشاط؛ ولم يعد هناك انفصال بين الشخص وما كان يفعله، بل أصبح الاثنان واحدًا. ولم تلج إلى العقل المخاوف المتعلقة بجوانب أخرى من الحياة؛ اختفى الماضي مؤقتًا، وكذلك اختفى المستقبل. عندما يصبح الشخص منغمسًا بشكل متزايد في النشاط، تكون هناك مساحة أقل في العقل لملاحظة أو التفكير في أي شيء آخر لا علاقة له بالنشاط. اختفى الوعي بالزمن؛ وأصبح الإحساس بالأنا أضعف، بحيث لم يعد الشخص قلقاً بشأن ما يعتقده الآخرون عنه، أو ما إذا كان سينجح أو يفشل. هذا الشعور هو ما نسميه بالتجربة التلقائية، أو التدفق.."(Csikszentmihalyi, M.,2000).

وقد نقع في خطأ جسيم في حق الأطفال عندما نحكم عليهم بعدم الجدية لأنهم يفضلون أن يقضوا أوقاتا في اللعب، وكأن اللعب يعني التهاون والاهمال وعدم الجدية في حين أن ممارسة اللعب لا تقل إنتاجا عن الحصص التي وُصفت بالجدية (بورقيق ودحام، 2020.، النوبي محمد2024.، العامري, ف.ع.م.غ., وآخرون،2018.، شاهين, أ. ر. م., & أمل رياض محمد،2017). حقيقة ساد الرأي في أوساط المربين أن اللعب هو للمتعة وليس للتعلم، والمنطق خلفه أنه طريقة لشحن أوقات الفراغ على نحو متحرر من القيود من أجل الترفيه، وأن أي تعلم ناجم عنه لم يكن هدفا للنشاط، لكن مع ظهور مؤشرات قوية تطعن في هذا التقدير، بدأ التفكير الجاد في إمكانية استخدام اللعب بطريقة غير مباشرة كوسيلة لإغواء الطفل حتى ينخرط أكثر في النشاط التربوي المقصود مثل إدخال هذا الأخير في قالب لعبة تجلب التركيز وتشد الانتباه. ولأن دائرة الاهتمام باللعب توسعت ولم يعد يشعر المربون بالحرج من ربط التعلم باللعب ، فقد أصبحت العلاقة بينهما تكاملية واندمجت ضمن العملية التربوية في معادلات متعددة التوجهات كلها تتبنى اللعب على الأقل كمصدر محفز للمتعلم

مثل " تعلم والعب"، " العب متعلما"، "العب و افهم"، العب مبدعا"... بما يشير إلى تحوّل جذري في الممارسة التربوية.

2- إن عالم الطفولة الفسيح والمتنوع والدينامي لا تستوعبه النظرة الضيقة، وكل فرد فيه يكاد يمثل حالة قائمة بذاتها. ومن الخطأ أن تظل المؤسسات الاجتماعية عامة والتربوية خاصة تعالج قضايا الطفولة بقوالب في سياق نظرة معممة.

3- يتعين علينا بعد تصحيح النظرة الى الأطفال أن نراجع طريقة تدخلنا في حياتهم والتي سوف تثمر فعلا ما يجعل منهم قرة أعين الآباء والمربين بحيث أن كل المخاوف التي يحملونها والتي لا أساس لها من الواقع تزول وتحل محلها عناصر الاطمئنان والاستئناس بهم، إذ يمكن أن يكون للتربية المبنية على الخوف تأثيرات عديدة على نمو الطفل وعلاقته بالآخرين، بما في ذلك الوالدين. ومن عواقبها السلبية منع الأطفال من الاستفادة من الأخطاء لأن الذين ينشئون على هذا النحو لا يجدون فرصة لمواجهة المواقف الصعبة والمحرجة، في الوقت الذي يمكّنهم التصدي لمثل هذه الظروف من التعلم والنمو وتنمية الثقة. كذلك يتدنى لدى الأطفال احترام الذات، ويواجهون صعوبات في اتخاذ القرارات وتكوين الصداقات، وربما نشأ عن هذه المعاملة الضاغطة تمرد خاصة حين تكون حاجتهم إلى الاستقلالية في أوجها. وعليه فإن ممارسة الأمومة والأبوة أو متابعة العملية التربوية في جو من القلق والخوف تكون غير مستقرة و قد لا تحقق أهدافها، فالآباء و الأمهات و المربون لا غنى لهم عن الاستماع إلى أطفالهم وتلاميذهم حتى ولو اختلفوا معهم لأن في ظل التربية الواعية يستطيعون مراجعة أفكارهم وإعادة تنظيمها وتهذيب عواطفهم فيصبحوا أكثر حضورا واستجابة لاحتياجات أطفالهم وأكثر تعاطفا معهم بما يساهم في تعزيز العلاقة معهم وتحسين مستوى ضبط النفس لديهم (Coatsworth,J.D.,et al,2010). هذا فضلا عن التقليل من العدوان والاكتئاب وعن الانخفاض في الضغط العام والاجهاد الأبوي بشكل كبير مع زيادة رضا الوالدين، كما أوضحت ذلك نتائج دراسة حول فوائد اليقظة الذهنية للتربية في تشيلي(Corthorn C.,2018) . قد تتغير نظرتنا الى المستقبل ويحل محل التشاؤم الخانق تفاؤل تنشرح له الصدور وتتوسع معه الآفاق. ولعل مراجعة العمل مع الطفولة بحثا عن وسائل أنجع وأساليب أنفع تمثل البداية الواعدة لتغيير واقع الشعوب وتحسينه والانتقال بها إلى حياة أفضل.

الفصل الثاني:

الدور العملي للإشراف على الطفولة

تذليل العقبات ومساعدة الطفل على تحقيق النجاح

إن الاشراف التربوي لا ينبغي أن ننظر إليه من زاوية الوصاية وحدها لأن هذا المنطلق يجعل الانسان يعطي دائما أولوية للاحتياطات والتحفظات بحيث تتحول علاقته بالطفل الى علاقة حسابات وتقديرات، فتكون بالتالي متعثرة وغير طبيعية. هذه النظرة المسؤولة يمكن أن تتجه وجهة أخرى أكثر فاعلية فتجعل المربي المشرف يتابع سلوك الطفل عن كثب ويتحسس كثيرا من المشاكل التي تعترض عملية النمو لديه، فيقوم بتذليل الصعوبات وتقويم موضوعي لكل ما يصدر عن الطفل. فأحيانا تكون الصعوبات أقوى من عزيمة الطفل وإمكاناته فيعجز عن اجتيازها وتصبح بالنسبة إليه عقبة مانعة لا تسمح له بمواصلة الطريق. وهنا لا بد أن يتدخل الاشراف الواعي لإزالة ذلك الحاجز من على طريقه، حين يتأكّد عجزه عن مواجهته بنفسه، وعدم التدخل هنا أو حتى التأخر في تقديم مثل هذه المساعدة الضرورية يترتب عنه إحباط كبير لدى الطفل من شأنه أن يضعف حيويته ومعنوياته. في المقابل فإن مساعدة الطفل على تجاوز العقبات وحلّ المعضلات المستعصية عليه تقوّي عنده الدوافع في الاستمرار في بذل الجهد وتنمي لديه الثقة بالنفس. وعندما يتدخل الأباء أو المربون لإسعاف الطفل فليس بهدف إزاحة كل الحواجز التي تواجه الطفل ولكن يتدخلون فقط لرفع ما بعجز عن إزاحته بنفسه، حتى لا يعتقد الطفل خطأً أن العالم خالي من العقبات بينما الواقع لا يخلو منها. ويتعين على الإشراف أن يتيح له كامل الفرص ليتعلم كيفية مواجهة صعوبات الحياة ومنحه الوقت لتطوير حلوله الخاصة واختبار على أرض الواقع ما تعلمه. و لا حاجة هنا للتشجيع غير الهادف وأي ثناء يجب أن يتعلق بالجهد المبذول حتى لو كان الانجاز متواضعا، لأن الثناء على القدرة العامة أو الذكاء له طبيعة خادعة وغالبا ما تكون له عواقب سلبية على دافعية الإنجاز (Mueller,C.M.,& Dweck,C.S.,1998) .

والطفل في هذه السن يحتاج الى الشعور بالنجاحات المحفزة وأن يلمس آثار جهوده بما يدفعه الى مضاعفتها دون ملل وكلل. فالنجاح يولد النجاح والفشل يؤدي إلى الفشل. وإذا تابعنا الآثار الخطيرة التي يمكن أن تنجم عن قناعة الطفل بأنه إنسان فاشل في هذه الحياة، أدركنا أهمية مرافقة الطفولة وضرورة توفير المساندة التي لا غنى له عنها لتجنب السقوط في مستنقع الانهزامية ولمواصلة بذل الجهد و تتويجه بالنجاح بعد تحقيق أهدافه.

عدم محاصرة المبادرة الحرة واستقبالها بصدر رحب

إن المبادرة الحرة هو سلوك معبر وفسحة لتقدير حقيقة ما تعلّمه الأطفال وأفضل ميدان لاختبار المهارات ومختلف المكتسبات التي استفادها. لهذا ينبغي أن يستأنس بها المربون ويرحبون بها و ألاّ يضيّقوا صدرا بها و ألا يتعمدوا الوقوف في وجه أصحابها أو محاولة محاصرتهم، ولن تكون الفلسفة التربوية المعتمدة ايجابية وشاملة إذا عجزت عن استيعاب

هذه المبادرات ولم تخصص لها حيزا لائقا من اهتماماتها.ونتساءل أحيانا لماذا يتمرد الانسان على عائلته التي هو مشدود إليها بالفطرة. إنه بدون شك سلوك شاذ وغريب، والجواب الذي يراعي تسلسل الوقائع والأحداث و لا يتجاوز الحقائق التاريخية أن العائلة هي التي أخطأت أولا قبل أن يحصل هذا التمرد حين تأخرت في التكفل بانشغالات أطفالها، وكان بإمكان الآباء ومعهم المربون استيعاب هذه الأخيرة خاصة الملحّة منها من خلال تقنين المبادرة الحرة وإتاحة الفرص الكاملة لهم حتى يبرزوها بحرية ودون قيود إضافية، وقبل أن تأتي المبادرة كرد فعل سلبي على أوضاع غير صالحة. فمبادرة الأطفال إذا فُتح لها المجال قد تجعلهم أكثر ثقة بالنفس وقدرة وأكثر استقلالية وتحفيزًا ذاتيًا، كما تساهم بصورة مباشرة في تهيئتهم لاتخاذ بعض القرارات وتحمّل بعض المسؤوليات. ومن الطرق المساعدة في تعزيز المبادرة لدى الأطفال اعتماد التعلم القائم على اللعب، فقد أظهرت الأبحاث أن التعلم من خلال اللعب يمكن أن يوسّع من مجال المبادرات اللفظية وغير اللفظية (Parker.et al,2022). لا ينبغي أن نفهم من هذا ضرورة التخلي عن معاني الالتزام و الانضباط و التجانس في المظاهر والمواقف الاجتماعية. وإن أقل ما يمكن أن نبرر به ضرورة توسيع المجال للمبادرة الحرة الآن هو فقر البرامج التربوية و التعليمية التي فشلت في تلبية حاجات أفراد المؤسسة، زيادة على الطرق المعتمدة في التدريس و أساليب التلقين التي لم يتمكن مستخدموها من شدّ انتباه الأطفال و تعزيز رغبتهم في التعلم. وفي غياب البرامج الأكثر ثراء و المربين الأكثر كفاءة تبقى فرصة المبادرة الحرة متنفسا يعوّض عن الكثير مما أخفقت المدرسة في تحقيقه. ولو أن المبادرة الحرة تظل دائما مطلوبة لذاتها نظرا لما ينجم عنها بالنسبة لإعداد الفرد وما يكتسبه بواسطتها إن على المستوى النفسي المعنوي و إن على مستوى الخبرات و المهارات، الأمر الذي يتعذر إدراكه بوسائل أخرى.

وإذا كان رفع القيود على نشاط الأطفال يشجع على تقديم المبادرة فإن ترتيب بيئة الطفل وتنظيم أنشطته من شأنه كذلك أن يدفعه إلى أخذ زمام المبادرة، و لو أن بعضهم لاحظ في الواقع أن النشاط حين يكون أقل تنظيما يعطي نتائج أحسن مقارنة بالنشاط الموجه بالكامل، والمقصود بالنشاط الأقل تنظيما أن يظل الطفل فيه هو من يحدد ما يجب القيام به ومعرفة كيفية القيام بذلك، وهذا راجع إلى أن الوقت الذي يقضيه في الأنشطة الأقل تنظيمًا من شأنه أن يستفيد منه فرصًا لممارسة الأداء التنفيذي الموجه ذاتيًا، وقد يؤدي إلى تحقيق كثير من الفوائد. وتأكد لدى باحثين وجود علاقة المدة التي يقضيها الأطفال في الأنشطة الأقل تنظيمًا بتطوير الوظيفة التنفيذية الموجهة ذاتيًا، حيث أظهر الذين قضوا وقتًا أطول في الأنشطة الأقل تنظيمًا تحكمًا أفضل في التوجيه الذاتي، بينما أظهر الذين أمضوا وقتًا أطول في الأنشطة المنظمة ضعفًا في التوجيه الذاتي (Barker,J.E. et al,2014).

الاشراف على الأطفال من خلال قناتي الإرسال والاستقبال

بنفس المنطق الذي تحدثنا به في الفقرة السابقة فإن العملية التربوية الهادفة لا تكون دائما عبارة عن أوامر تُعرض بصورة مباشرة أو أشياء محددة ودقيقة تُقدم أو تُلقن. فالمشرفون التربويون لا يمثّلون دائما جهاز الارسال والتلميذ لا يكون دائما الطرف المستقبل. بل إن العملية التربوية الناجحة لا يُستغنى فيها عن الاصغاء المركّز لما يقوله الأطفال وهي الاستراتيجية التي تسمح للمربي بـ :

1- تحسس كيفية فهم الطفل، هل هو فهم كامل وصحيح أم هو فهم ناقص وشكلي.

2- التعرف على كيفية تجاوب التلاميذ مع دروسه وهل استطاع هذا المربي أن يحقق ما أراده وما قصده.

3- تحسس العناصر المتميزة(الأذكياء والعباقرة وأصحاب المواهب و ذوو الاستيعاب والفهم السريعين) والتعرف على الضعفاء والمحدودين وأصحاب التعلم البطيء، علما بأن الاكتشاف المبكر لهذه العناصر يعود عليها وعلى المجتمع بالفائدة، وذلك قبل تلاشى تلك المواهب فتموت وقبل أن يتعزز الضعف ويتأكد (*ابو شماله فرج و رحاب يوسف*،2020.، Keogh & Becker.,1973;Hoge & Cudmore.,1986;Sommer.,et al,2008;Ziegler.,& Stoeger., 2003) الاطلاع على الرسالة التي يقدمها التلاميذ شفهيا أو بواسطة آليات أخرى وقد تأتي مفعمة بالمعلومات والاشارات المساعدة.

ويبقى الاتصال و التواصل الطريق الأسلم لتنمية العلاقة التربوية بين التلاميذ معلميهم ولرفع الحواجز النفسية والمخاوف التي كثيرا ما ظلت تقوّض العملية التربوية و تشلّ حركتها الهادفة (Pellegrini, A.,& Blatchford, P.,2000) . كذلك فإن تطوير الاستعمال اللغوي لدى التلاميذ وتعويدهم على اعتماد التفكير الجهري أحيانا- زيادة على الثمرات المستفادة عامة من أساليب الحوار والنقاش- له فوائد أخرى نذكر منها:

1- إمكانية كسر العملية الروتينية التي يطبعها الالقاء من قبل المعلم والاصغاء من جانب التلاميذ، وبذلك عدم السماح للملل باقتحام النفوس.

2- تجديد المناخ وبعث النشاط بصورة أكثر حيوية.

3- إتاحة الفرصة للمكبوتات أن تطفو على السطح مما يساعد على فهم بعض مشاكل التلميذ أو الوقوف على بعض الأسباب التي يمكن أن يبرر بها سلوكه. وتتعزز حينئذ الروابط العائلية داخل الحجرة الدراسية حيث يصغي المعلم والمعلمة الى أطفالهما بكل تعلق وبكل حرص و رغبة. وكلما انفتحت الأطراف على بعضها وأصغى كل طرف الى الأطراف الأخرى كلما أصبح الجو طاهرا وخاليا من الأحقاد والضغائن والعقد النفسية، جو كل فرد

يجد نفسه فيه ويتمنى من أعماقه وبكل صدق أن يبقى ويدوم. وهو ما تفتقده المؤسسة التربوية حاليا.

التخطيط للأهداف على أساس ما تم اكتسابه.

إن كل بناء لا يقوم على أسس صحيحة ومتينة لا يمكن أن يستقر وسرعان ما يتساقط وينهار، وإن أساس اكتساب المعرفة الجديدة ليس شكلها إنما هو الرصيد الذي يحتفظ به الفرد في صورة تجعله قابلا للتوظيف والاستغلال. فالإعداد لا ينطلق من المجهول وإنما يُشرع فيه من خلال توظيف ما هو موجود ومتحّكم فيه، وعن طريقه يُقدّم التلميذ الى الأشياء الجديدة. وهنا يتموقع المستجد بالنسبة للمتعلم بصورة إيجابية، فالوضوح الذي يميز الخبرة السابقة والالمام الكامل بعناصرها والفهم الشامل لوظائفها، كل ذلك ينقله المربي ويسلّطه على الخبرة الجديدة لتندمج اندماجا طبيعيا مع الخبرة السابقة. وبما أن هذه العناصر المضافة جاءت لتكمل الصورة الحسية والذهنية الموجودة، فسيكون من الميسور جدا فهمها واستيعابها من قبل التلميذ. نعم إن متاعب جمة تصادف المعلمين حين يشرعون في تقديم عناصر جديدة في دروسهم دون الاعتماد على مكتسبات الأطفال. هؤلاء المربين بهذه الاستراتيجية الخاطئة يضطرون في كل مرة الى الدخول في موضوع جديد مقطوع الصلة بكل ما سبقت معالجته. فهم في كل مرة يبحثون عن طريقة لإيصال المعلومات وفي كل مرة ينطلقون من نقطة البداية التي تستند إلى فراغ. في حين يكون بإمكانهم استغلال ما سبق أن تعلمه الأطفال والانطلاق منه في تهيئة العقول لاستقبال الموضوع الجديد. ورغم الجدل الكبير حول نوع العلاقة بين المعرفة السابقة والمعرفة المستجدة فإن هناك اتفاقا واسع النطاق على أن المعرفة السابقة تؤثر على عملية التعلم سلبا أو إيجابا حسب نوع توظيفها، وأن المتعلم يبني مفاهيمه من المعرفة السابقة(Resnick,1983). وإحلال معرفة جديدة محل أخرى سابقة لا يعطي تعلما بل التعلم يحدث من خلال عملية تحويلية وإعادة هيكلة تُنتج كليات تكاملية تنسق الأجزاء الموجودة مسبقًا(Roschelle,J.,1995). والمعلم الحاذق لا يتجاهل المعرفة التي اكتسبها المتعلم سابقا بل يحتاج إلى فهم كيفية تأثير تلك المعرفة على التعلم، فقد يعتبرها صالحة للبناء عليها فيستغلها في تقديم المعرفة الجديدة أو يرى أنها في صورتها المستوعبة تمثل إطارا مربكا ومشوشا يقف عقبة في وجه الأهداف المرحلية لعملية التعلم فيضطر إلى التعامل معها على نحو يرفع عنها أوجه اللبس في علاقتها مع ما يرغب الاسترسال فيه. والخبرة العلمية في الأصل مرتبطة الأجزاء كما أن الظواهر الاجتماعية والفيزيقية الطبيعية تؤثر في بعضها وتلتقي مع بعضها. والمهم أن تنطلق العملية التعليمية دائما من الوضوح ومن الفهم القائم ومما هو مستوعب، وأمام المربي حياة الأفراد الواسعة والغنية بمظاهرها وبوسعه أن يوظّف منها البديهيات وما هو معروف لديهم خاصة إذا تعذر

إيجاد فيما سبق تقديمه من معارف وخبرات ما يصلح لتقديم الدرس الجديد. فلا داعي للهروب الى الأمام، إذ ما الفائدة من الخوض في المواضيع الجديدة المتصلة، في الوقت الذي يكون المربي مقتنعا بضعف عملية التحصيل عند التلاميذ. ألا يكون أفضل، بالنسبة للمعلم والتلميذ، السير بوتيرة تضمن الاستيعاب والفهم والاكتساب حتى بطريقة بطيئة و مع التوقف أحيانا أو التعثر بدلا من الخوض في المسالك الوعرة بدون توقف للتأمل في حقيقة ما يجده المتعلم حتى يفاجئنا الواقع بفشل هذا الأخير وتوقّف عملية التحصيل عنده وعجزه العام عن متابعة الدراسة. إن الاستمرار في مد عقول الناشئة بالمعلومات وعرض عليها المزيد من المفاهيم دون متابعة آثارها وتقدير مدى التجاوب معها من شأنه أن يرسم في أذهانهم غابة جميلة بألوانها وتنوّع عناصرها لكنها كثيفة تتداخل أجزاءها بعضها ببعض فلا تترك مجالا للرؤية الواضحة وبالتالي لا يمكن وُلوجها والاستفادة منها بدون تهيئتها وتنظيم المسالك فيها وتعبيد الطرق التي تسمح باستكشافها وتسهيل الدخول إليها والخروج منها.

حدود التسامح مع الأطفال

إن اعتماد التسامح في التعامل بصورة عامة مع الأطفال لا يعني غض الطرف عن كل شيء و فتح الباب على مصراعيه بدون توظيف ضوابط تعزز توازنا في السلوك والمواقف، تنجر عنه حتما التجاوزات التي تضيف نتائجها متاعب جديدة تضطر المؤسسة التربوية إلى تحملها و تسيير آثارها وكل ما ترتّب عنها من أعباء ومسؤوليات. وهناك مجالات يكون تدخل المربي فيها أمرا ضروريا فينتظر منه، على سبيل المثال لا الحصر، أن يتدخل لـ :

1- تصحيح المعتقدات الفاسدة. فالخالق جل وعلا لا يغفر أن يُشرك به والآية القرآنية صريحة "إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"، (سورة النساء،الآية48) وجهاز التربية لا ينبغي أن يعد الفرد إعدادا غير صالح في هذه الناحية الخطيرة التي قد يتحول بسببها إلى إنسان متواكل يتغذى من الأوهام والخرافات ويمشي على غير هدى، متجاهلا أن هذا الكون يرتبط بقوانين مطردة وبسنن ثابتة مستقرة لا تتغير وتقهر كل من يعتدي عليها.

2- منع كل سلوك من شأنه أن يعود بالضرر المادي أو المعنوي على صحة الطفل أو صحة الآخرين أو يشّكل خطرا عليه أو على غيره بغض النظر عن النوايا و راءه.

3- مراجعة الطفل في كل ما يصدره من سلوكيات غير مقبولة أخلاقيا واجتماعيا، على اعتبار أن الأصل في المدرسة أنها تعدّ عناصر بشرية متشبعة بقيم وأخلاق مجتمعها. وإن عدم تأهيل طلاب المدارس أخلاقيا، مهما كان رصيدهم العلمي والمعرفي، يُبقي حياتهم النفسية والاجتماعية متأرجحة وغير مستقرة قد يتحوّلون في ظلها إلى مصدر خطر على

أنفسهم وعلى مجتمعهم. وفي المقابل فإن رسوخ الفضائل الأخلاقية يساهم في تعزيز إنسانيتهم و يرتقي بها نحو الكمال البشري.

4- تكريس الآداب العامة في تعامل الأطفال مع الآباء والمعلمين والكبار دون اعتبار الحرمة المصونة لهذه الأطراف تعفيهم من تحمّل المسؤولية تجاه الأطفال الذين لهم حقوق تترتب عنها لدى الراشدين واجبات. والمشهد يكتمل حين يحصل هؤلاء الأطفال كذلك على رعاية انسانية وتكفُّل مناسب بحاجاتهم. و الأصل أن تكون هذه المواقف المحبذة والمطلوبة من الطرفين كاستجابات عفوية لا تكلُّف فيها، ذلك أن الكبير بفطرته يشفق على الصغير ويرمحه والصغير من جانبه يتجاوب مع رعاية الكبير له بالتقدير والاحترام. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله " ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا "(حديث رواه أحمد في مسنده رقم6733 وأبو داود، رقم 4943 وفي رواية الترمذي "وشرف كبيرنا" رقم 1920) وهو أنسب وأصلح لضمان التكامل والتعاون بين الطرفين.

لا أحد يكون بديلا للآخر في حياة الطفل

عندما نتعامل مع الأطفال ينبغي أن نتذكر أنهم عادة يتجاوبون وبسهولة مع السلوك الطبيعي أيا كان مصدره، و لا فرق عندهم في ذلك بين قوي أو ضعيف وغني أو فقير وصاحب سلطة وجاه أو محكوم لا وزن له و لا قوة، وذكر أو أنثى، بل و صغير أو كبير. فقلوب الأطفال أوعية يفتحونها لكل فرد يكنّ لهم المحبة والتقدير بغض النظر عن مكانته الاجتماعية التي لا يلتفتون إليها لأنها لا تعني بالنسبة إليهم شيئا. ويبقى هذا صحيحا في كل الأحوال ما لم يحصل تشويه فطرة هؤلاء الأبرياء بتدخل آثم من قبل الراشدين. ويُستحسن أن تتم عملية تعزيز العلاقة بالطفل من خلال المكانة الطبيعية التي تربطنا به. فلا يحاول أحدنا مثلا انتحال شخصية الغير والتظاهر بها أمامه لكسب المصداقية، كما لا يحتاج لتحقيق ذلك أن يحتل لدى عقول الأطفال مكان الآخرين، فبالنسبة للطفل كل واحد مهم ويمكن أن يصبح مصدرا يتزود منه.. فالأدوار من وجهة نظر تربوية يجب أن تتكامل، ولهذا لا حاجة لنا في التعامل مع الأطفال أن نبني علاقة على حساب علاقة أخرى. وإذا كان هذا المعنى يصدق على كل علاقة مع الطفل مهما كان مصدرها قريبا أو بعيدا، فإنها تتأكد بالنسبة لمن تربطه بالطفل قرابة مثل قرابة الدم أو القرابة العائلية بصورة عامة. فلا ينبغي للأب مثلا أن يعمل على كسب ثقة الطفل على حساب ثقته بأمه إذ بالنسبة إليه كما أن الأب يظل مهما كذلك الأم تظل مهمة وتظل حاجته إليهما معا قائمة لا يمكن لأحدهما أن يعوّض الآخر في إشباعها. وهناك آلاف الدراسات على مدى العقود الماضية تظهر مدى أهمية الأمهات والآباء البيولوجيين لرفاهية أطفالهم، وأنه لا يوجد عامل آخر أكثر أهمية للنمو الصحي للأطفال من وجود أم وأب في أدوار متباينة ولكنها متكاملة (Paquette.,2008;

كذلك . Melissa Petersen.,& Lesch.,2022; Martens,H.,2017; Flouri.,& Buchanan.,2004) فإن المعلم الذي يدخل في حياة الطفل في مرحلة متأخرة من الطفولة يستطيع أن يقدم له الكثير بدون أن يلجأ الى تهميش أفراد آخرين وبدون أن يبني مجده على حساب غيره. فالطفل لا يستوعب مثل هذه الصراعات و لا يعرف في الأصل التمييز بين الناس على هذا النحو بل إنه يتعامل مع الجميع ويفتح قلبه لمن يحب ومن تطمئن إليه نفسه بصورة طبيعية دون تصنّع ودون مجاملة. وهو في الواقع يظل في حاجة إليهم جميعا كلا من موقعه وليس بديلا عن غيره خاصة عندما يبدأ في الاحتكاك بالناس خارج الاطار الأسري وتتوسع بالتالي دائرة علاقاته.

تنظيم ومراقبة الانفعالات والعواطف وضبطها

من السهل جدا أن يتعلق الطفل بالمربي خاصة إذا كانت معاملته له معاملة إنسانية تطبعها أخلاق سامية وتتيح له فرصا كثيرة للتحدث والتقرب منه. وهو موقف لا يُعاب على الأطفال وإنما هو طبيعي متوقع. وبإمكان المربي أن يستغل هذا التعلق لتكريس عملية التعلم والتحصيل وتحقيق ما يصبو إليه كل مربي. وتعلُّق الطفل هذا لا شك يؤثر في المربي نفسه وقد يدفعه بدوره الى التعلق بالطفل. ومن إيجابيات هذا التعلق أن يُقبل المربي في صدق وتفان على خدمة الطفل ومساعدته والعمل من أجل تحقيق مصلحته. وبدون هذا الاحساس أو هذا الشعور نحو التلميذ قد لا يقدّر المربي مسؤوليته حق قدرها. ولعل فكرة تحويل الجو المدرسي الى ما يشبه الجو السائد في الأسرة المنسجمة كانت دائما محل تأمل وظلت لوقت طويل تراود أذهان العديد من التربويين واستطاع *بستالوزي*[1] المربي الانساني رسمها صورة في الواقع حيث تحوّلت المدرسة التي أنشأها فعلا الى أسرة وصار فيها المعلمون والمعلمات ينادون بالآباء والأمهات والتلاميذ بالأبناء والبنات(جمالي،1968 ص.17). ومثل هذا الجو يساعد الطفل على التعبير الحر وعلى الانطلاق في عملية التعلم بكل رغبة كما يساهم في رفع الحواجز التي تحول دون بناء العلاقة البيداغوجية المثمرة بين التلميذ و المعلم كالخوف و الخجل و القلق التي كثيرا ما صاحبت العملية التربوية في المدرسة. وإذا كانت المستويات المعتدلة من التوتر والخوف تعزز التعلم كما أوحت بذلك نتائج بعض الدراسات (Vogel & Schwabe,2016) فإن المستويات المنخفضة جدًا من هذا التوتر تميل إلى إضعاف أداء المتعلم (Shors,TJ.,2004)، كما أن المستويات العالية والمستمرة من التوتر أو الخوف القاتل والمزمن بدورها تعيق عملية التعلم وبشكل كبير (Arnsten,2009)، علما بأن الخوف من الفشل

---

[1]- Johann Heinrich Pestalozzi (1746–1827) : سويسري من رواد التربية الذين نادوا بضرورة فهم سلوك الأطفال ومن الذين يعتقدون في براءة وطهارة الطفولة .

كثيرا ما أفرز مستويات عالية من القلق انعكست سلبا على الاستعداد للتعلم والتحصيل (Martin,A.J.,& Marsh,H.W.,2003).

و رغم أن نتائج البحث تؤكد على الحاجة إلى خلو الأجواء التربوية من أي ضغط يعمل على تثبيط التلميذ وإرباكه، إلاّ أن هذه العواطف الجياشة في العلاقة البيداغوجية إذا طبعت العملية التربوية وكانت العنصر الغالب والبارز فإنها قد تلغي أو تعطّل ظهور أشياء أخرى لها أهميتها في حياة الفرد. فإن المربي لا شك إنسان مُحبّ ولكنه يعمل في اتجاه مقاصد وأهداف محددة. والأطفال أمانة في عنقه ومن واجباته أن يسمو بهم في عالم النضج والاستقلالية و يعمل على تزويدهم بما يساعدهم على تحقيق ذلك. ويجب ألا يدفعه الإشفاق عليهم إلى التخلي عن دوره وعن تحمّل مسؤولياته تجاههم أو عن تشجيعهم على القيام بالأعمال والأنشطة التي تساعد على تحقيق الغايات المنشودة. فما يراه المعلم نافعا للتلميذ يجب أن يطالب به حتى ولو ترتب عن ذلك إزعاج أو إثارة مخاوف حول إمكانية الحفاظ على العلاقة المستقرة مع التلميذ. والمربي الذي يسعى لبناء عقول كبيرة تفكّر بعمق وتحلل بموضوعية، لا يستغني عن ضبط انفعالاته والتحكم في عواطفه، و لا يترك هذه الأخيرة تطبع مواقفه حتى لا تثمر جهوده التربوية المخلصة شخصية تتغذى من العواطف و لا تحسن توظيف العقل الذي هو أجل ملكة كّرم الله بها الكائن البشري. وتنظيم المعلم انفعالاته واستجاباته العاطفية وضبطها يؤدي إلى تحسين فعالية التدريس وسهولة توجيهه نحو أهدافه (Sutton,R.E.,et al,2009) ، خاصة من حيث توفير بيئة الدراسة المساعدة على التركيز وإعمال الفكر وحسن الانتباه والادراك و سهولة الاستيعاب والتحصيل.

إقبال على العمل برغبة وشوق لا بتهجُّس وخوف

قد يبدو لأول وهلة أنه لا يوجد فرق بين أن يقوم الطفل بالعمل وهو يرغب فيه وأن يقوم به خوفا من عقوبة تنزل به في حالة عدم إتمامه. فالعمل في الحالتين أُنجز والنتيجة المرتقبة من العمل أو النشاط تحققت. إلا أننا عندما نتأمل جيدا نلاحظ ما يلي:

1- عند مباشرة العمل برغبة فإن الطفل يعطي كل ما في وسعه ويقدم قصارى جهده لإنجازه في حين يقتصر عادة على الجهد الأدنى الذي يستدعيه العمل إذا لم يكن راغبا فيه. فالطفل الفاقد للرغبة يشعر بالسأم و الملل و لا يستطيع تبرير التحاقه بالمدرسة، و قد لا يرى في متابعة الدروس فائدة نظرا لأنه يؤدي الأنشطة بداخلها مرغما دون أي اهتمام. أما الذي يرغب في الدراسة لا يُقلقُه المكوث داخل المدرسة حتى لمدة طويلة بل يشعر بضيق عندما يضطر مؤقتا لتركها ولا يطمئن من جديد و لا يرتاح حتى يعود إليها. وهذا الاستعداد يساعد على صبغ حياته التعليمية باتجاهات إيجابية تكون من أبرز العوامل التي تقف وراء نجاحه وتحقيقه النتائج الايجابية. إن توفّر الرغبة في الدراسة يدفع الفرد للبحث عن تجارب جديدة،

والاجتهاد في اكتساب الخبرة و تطوير المزيد من المهارات، و توسيع فهمه لبيئته وللعالم من حوله. فالاستعداد للتعلم باختصار هو مفتاح النجاح فيه. وإذا كان الانسان يتذكر الأحداث المخيفة التي مرت به والتجارب المرعبة فهذا لا يعني أن عامل الخوف يكون دائما أداة تعليمية فعالة، وعلى العكس فإن أساليب مثل المكافأة والتشجيع حققت تجاوبا أفضل حيث اقترن باستخدامها شعور التلميذ بالسعادة أثناء عملية التعلم، كذلك ساهمت في تطوير قدرات هذا الأخير ومهاراته في التعلم وتحسين علاقته بمعلمه التي تدفعه إلى توجيه جهوده نحو الاستيعاب الواعي والاتقان. فرغبته القوية في التعلم تجعله أكثر استعدادا و عزيمة للتغلب على العقبات والسعي لتحقيق تطلعاته. و يستطيع المعلم أن يوفّر الظروف التي تنتعش فيها الرغبة في التعلم بتحضير دروس هادفة ومصممة بشكل جيد وجذاب وبتنويع في الأدوات والتقنيات أثناء تقديمها واعتماد كل ما يسهّل إقبال التلاميذ عليها خاصة أن يكون أمامهم قدوة ومثالا يُحتذى (Roggeveen.,2016). في المقابل أظهر البحث الميداني علاقة سلبية بين الشعور بعدم الأمان في الفصل الدراسي والتحصيل الدراسي(Lacoe, J.,2020) ، وهذا يتماشى مع قناعة الباحثين التي ظلت تؤكد أن البيئة الآمنة شرط أساسي للتعلم المنتج. (Maslow., 1970;Piaget,1936) وحسب بعض التقديرات فإن السياق المباشر للمدرسة والفصل الدراسي يلعب دورًا أكبر في تحديد مشاعر الأمان لدى تلاميذ المدارس من الأحداث الخارجية الأخرى كالابتزاز والتهديد أو حتى إطلاق النار(Fisher,et al, 2017) .

2- بالرغم من أن إلزامية التعليم كانت لها فوائد كثيرة على مستوى الأفراد والمجتمع، من أبرزها زيادة المشاركة في التعليم وخاصة بين الفئات المهمشة، ومعها زيادة كبيرة في التحصيل العلمي وفي تحسين المهارات وتعزيز الإنتاجية والرفاهية الاقتصادية وهذا بالتأكيد انعكس إيجابا على سوق العمل وعلى حياة المجتمعات البشرية (Dursun.,& Cesur,.,2016).

ويجب أن ننوّه كذلك أن إلزامية التعليم صاحبتها في كثير من الأحيان إجراءات داعمة مثل وضع القيود على عمالة الأطفال حتى يتفرغ هؤلاء للدراسة، وحسب ما أشارت إليه نتائج البحوث فقد انعكس ذلك إيجابا على التحصيل التعليمي لهؤلاء (Lang & Kropp.,1986; Lleras-Muney 2002) . من ناحية أخرى يتأكد يوما بعد يوم أن التربية الشاملة التي يتلقاها الأطفال والمراهقون بالمدارس تساهم في تجفيف منابع الانحراف والآفات والحد من انتشار الجريمة، وأن في نفس الوقت الذي حدث فيه التوسع في التعليم، انخفضت جرائم الشباب بصورة ملفتة للغاية (Machin, S.,et al,2012; Bell,B.,et al,2016). ومن النتائج الملموسة والمباشرة للاستثمار في التربية أن تمكنت كثير من الدول التي عرفت انتشارا واسعا للجريمة أن توفّر أموالا معتبرة كانت تُسخرها لملاحقة المجرمين (Lochner.,& Moretti.,2004). و لا زالت الآمال معقودة على تحسّن أفضل وأوسع في هذه الناحية نتيجة تفعيل دور المدرسة

وتحسين أداءها (Deming, D.J.,2011). رغم كل هذا فإن طريقة استغلال " إلزامية التعليم " التي اعتمدتها غالبية دول العالم جاءت في كثير من مظاهرها على أرض الواقع التربوي تؤكد على الشكل دون أخذها بعين الاعتبار حاجات الأطفال في المدارس، خاصة النفسية والاجتماعية منها، بحيث أن هذه الإلزامية التعليمية جعلت الطفل في وضعية تشبه الطير الموجود داخل قفص ينتظر أول فرصة يُفتح له فيها باب القفص ليطير حرا طليقا بعيدا عن القيود والحواجز. فالتلميذ يتجاوب مع ما يُفرض عليه داخل المدرسة في حدود ما يغطي الوقت المحدد للحصص، يفعل ذلك إلى حين. هذا لا يعني الاعتراض على التعليم الالزامي أو رفضه من حيث هو كما فعل بعضهم أمثال *جاتو*Gatto الذي يعتقد أن التعليم يدمر الناس بشكل جماعي ويرفض المدرسة والتعليم رفضا قاطعا ويشيد فقط بشكل من أشكال التعليم الطوعي وغير الرسمي الذي يتم بصورة عفوية دون الخضوع لآلية تنظيمية (Gatto, J.T.,2002,2010) ، وهو تصوّر بعيد عن حقائق الواقع لا يواكب تعقيدات الحياة المعاصرة كما أنه عاجز عن استيعاب حاجات الأفراد والمجتمعات وتلبيتها. وإذا كان التعليم في تقديرنا يلعب دورا رائدا في إنتاج وتنظيم المعرفة العلمية و رفع رأس المال البشري إلى مستويات متقدمة فإن إلزامية التعليم هي وسيلة عملية لصياغة المجتمع والارتقاء بأفراده وعنصر أساسي لاستقلال و سيادة الدول وملاذ آمن لحل مختلف مشاكلها (Becker.,1993; Alwi,.& Rauf,.,2019;Öztürk.,2001) . والانتقاد الذي يوجه للمدرسة نتيجة إخفاقها على أكثر من صعيد متعلق بنوعية احتضانها لهؤلاء الأطفال وكيفية تعامل مربيها وأعوانها معهم والقيود غير الضرورية التي تفرضها عليهم تجاوبا مع اهتمامها الزائد بالانضباط وفرض الاستسلام غير الواعي لقواعدها الداخلية وأعرافها و فشل برامجها في إفساح المجال للتعلم الواعي الذي ينشأ عنه التبصر والفهم والإبداع. وإن أجواء كهذه لا تجعل من المدرسة المكان الذي يُقبل عليه المتعلم بشغف و حب، و لعل انتشار ظواهر كـ" فوبيا المدرسة " و" الفشل المدرسي"، و" التسرب المدرسي" أقوى مؤشر على أن العملية التربوية كما تُمارس في الواقع تتخبط في غموض أهدافها فتبدد طاقة أجيال من الأبرياء وأغلى أوقاتهم وتستهلك أجمل مراحل أعمارهم لتنتهي بهم إلى إعداد أعرج و غير مؤهل.

3- عندما تلتفت المدرسة إلى اهتمامات الأطفال و ميولهم ولو بصورة جزئية وناقصة فإنها تكسب ودّهم و إخلاصهم في العمل و تفانيهم فيه مما يساعد المؤسسة التربوية على الوصول بهم إلى أهدافها المسطرة. إن الدروس التي تراعي اهتمامات التلاميذ تجلب انتباههم أكثر و تزيد من دافعيتهم للتعلم (Harackiewicz, et al.,2016; Hargrove's.,2005)، مما يؤدي إلى ارتفاع في مستويات تعلمهم (Krapp,2002) . وباستخدام استراتيجيات التدريس المتمايزة والتنويع في الأساليب يمكن التكفل باحتياجات أفراد كل مجموعة تربوية مع الالتفات إلى

بعض ميولهم واهتماماتهم (Levy, H.M.,2008). وإن توجيه الممارسة التربوية على ضوء اهتمامات التلاميذ وميولهم وإيجاد روابط بين محتوياتها المقررة وهذه الاهتمامات واستخدام هذه الأخيرة كموارد للتعليم يمكن أن تحدث ثورة في الواقع المدرسي. إن محور هذا التحوّل المرتقب و تفاعلاته سيكون حتما الطالب، على اعتبار أن معاينته بعض ما يميل إليه وما يهتم به في التعليم الذي يتلقاه من شأنها أن تغيّر من نظرته إلى المدرسة وإلى معلميها وينتعش عنده الدافع لحضور الدروس، وهو عمود فقري في عملية التعلم، ويصبح على استعداد أكبر للانخراط في العملية التربوية ومتطلباتها ربما بتركيز خاص وانتباه لافت ومشاركة غير معهودة، وكل هذا يحصل وأكثر حسب ما أشارت الدراسة الميدانية (Hidi & Harackiewicz, 2000; Harackiewicz.,et al,2016) . كيف لا وهو اليوم يشعر بمتعة التعلم ومدرك لفائدته. وهذا التحوّل الإيجابي من قبل الطالب لا بد أن يدفع بالعناصر البشرية الفاعلة في البيئة المدرسية و بالأخص المعلمين إلى مراجعة نظرتهم و توقعاتهم و سلوكهم والانخراط بدورهم في مسار جديد يواكب التغيير الذي حصل بوسائل مناسبة و عقلية منفتحة من أجل استغلال إقبال الطالب بشغف على التعلم. إن إظهار الطالب الاستعداد للتجاوب مع البرامج المدرسية التي تحتضن اهتماماته ينبغي أن يثمّنه المربون باعتباره لحظة فارقة قد تشكل نقطة بداية واعدة في حياته المدرسية وتبعث دينامية جديدة في العمل المدرسي يستفيد منه كل الطاقم التربوي. ويجب أن لا تغيب عنهم الصعوبة التي تواجههم عندما يفتقدون رغبة التلاميذ في الدراسة فيضطرون إلى اعتماد حتى الأساليب العنيفة لاستعادة وتوجيه انتباههم والحفاظ على مستوى معين من تركيزهم الذهني. وهو أمر يطرح نفسه على المؤسسة التربوية من سنوات كمشكلة حادة ومستعصية وقد يزيد في إضعاف حافر التعلم عندهم (Mansouri,A.,2021; Cicekci, M.A., & Sadik, F.,2019; Eastwood, J.D.,et al,2012; Leber,C.1996) . فالمعلمون يحاولون دوما إبقاء تلاميذهم منتبهين لكن بدون جدوى، ويقومون مرارا وتكرارا بالتذكير والتنبيه بسبب الغفلة التي تنتابهم أثناء عرض الدرس. وما أكثر ما تعرض التلاميذ الى معاملات قاسية بسبب ذلك مما دفع البعض إلى التغيب عن الحصص خوفا من العقوبات التي لا يملكون وسيلة لصدها أو تجنبها. فهم يحضرون الدروس بصورة اعتيادية و يجسدون أثناء هذا الحضور كل مظاهر الانضباط و يلتزمون فيه بالآداب العامة المطلوبة. وذنبهم الوحيد أنهم عجزوا عن متابعة الدروس و لم يصلوا الى مستوى فهم الشروح المقدمة بسبب تشتت انتباههم السريع. فهم لا يجدون في تلك العروض ما يشدهم إليها أو ما يُقوّي رغبتهم في الاصغاء إليها. ولعل درجة السهو أو الشرود الذهني الذي يميز الطريقة التي يتابع بها التلاميذ دروسهم تعطي إشارة واضحة للمعلم أنه يسير في الاتجاه الذي سيبذل فيه جهدا كبيرا و لا يحقق سوى نتائج محدودة. و بدلا أن يكتفي بتوجيه

اللوم لهؤلاء التلاميذ على ما يحصل لهم من سهو في كثير من الأحيان لا يستطيعون رده، فليحاول أن يقوّم منهجيته في العمل معهم و يراجعها بما يضمن تجاوبا أكبر و خاصة إبقاء انتباههم نشطًا(Pllana, D.,2020) .

التمييز بين الأطفال لا يمر بسلام

يظن البعض أن الأطفال لا يتأثرون بفعل التمييز و لا يلتفتون إلى صورها في الواقع، وهو تقدير خاطئ، فالأطفال هم أكثر الناس تحسسا للتمييز الذي يتعاطاه الكبار. و أبسط مظهر يحمل معنى من معاني التمييز مهما حاول هؤلاء الكبار إخفاؤه لا يمر على الأطفال مر الكرام بل يستوقفهم ويسترعي انتباههم. وهذا لا بد أن يخلّف آثارا سلبية في نفوسهم وخاصة في العلاقة التي تربطهم بغيرهم. فممارسة التمييز أو التفرقة بين الأطفال هي من العوامل القوية التي تهتز بسببها الثقة بين الكبير والصغير وبين الأب والطفل وبين التلميذ والمعلم. وإذا غابت الثقة بين الطرفين يصبح من الصعب التأثير في الطفل وتربيته وتعليمه. من ناحية أخرى يمكن أن يؤدي التعرض للتمييز إلى تكوين تصورات سلبية لدى الأطفال عن أصلهم العرقي أو الثقافي أو مظهرهم أو جنسهم. لذلك يجب أن يرى الأطفال حقيقة لا تصورا فقط أن البشر لهم قيمة لمجرد أنهم بشر، وأن لكل طفل الحق في طفولة كاملة بكرامة واحترام وخالية من أي تمييز وإقصاء، وأن عوامل العرق واللون واللغة والوضع الاقتصادي وغيرها لا تزيد في قيمة الشخص أو تقلل منها. وتجارب الوالدين مع التمييز بين أطفالهم كانت لها انعكاسات سلبية على صحة الطفل العقلية (Tran,A.G.,2014)، كما أن تعاطي المعلم التفضيل والتحيّز ساعد في انتشار العدوانية وتنمّر الأقران على بعضهم (Rudasill, K.M.,et al.,2018) ، بل و تطورت آثاره بشكل كبير خلال مراحل الطفولة حتى صارت في مرحلة المراهقة بالتفاعل مع تحدياتها تغذي لدى الشباب التفكير الانتحاري (Butler-Barnes,S.T.,et al,2022;Jiang, M.M.,et al,2023).

خلاصة:

لقد عالج هذا الفصل مسألة غاية في الأهمية والمتمثلة في كيفية الإشراف عمليا على الطفولة دون تبديد الجهود فيما لا طائل وراءه. وأدركنا من خلال العرض والتحليل أن الفعل التربوي لا تكتمل دورته فقط بتلقين الدروس النظرية وإسداء النصائح وتوجيه الأوامر والنواهي بل لا بد من مرافقة الأطفال موضوع التربية ومتابعتهم عن كثب وتقديم الدعم لهم متى دعت الحاجة إليه خاصة تذليل العقبات التي لا يستطيعون تجاوزها بمفردهم، وبما أن النجاح فضلا عن أنه محفز قوي لهم فإن مساعدتهم على تحقيقه هو حق مشروع لهم، وفشل إدراكه هو في الحقيقة فشل المؤسسة التربوية. وبما أن استقلالية الفرد تمثل صورة التكريم الراقية له والوسيلة العملية التي تسمح له بأداء دور مشرف في مجتمعه، فينبغي تمكينه من اكتسابها

والسماح له بالتمرس عليها وعدم مضايقته حين ينزع بفطرته نحوها، كأن يجتهد تلقائيا بأفعال ومبادرات، فلا ينبغي قمع هذه الأخيرة أو محاصرتها فتضعف رغبة صاحبها في تكرارها. إن المبادرة الحرة هي الوقود الذي تتغذى منه الاستقلالية ويجب تشجيعها ومتابعتها في الميدان باهتمام مع تحسس المواهب والقدرات الخاصة الكامنة التي قد تفجرها والتكفل بها، وهذا ما يؤكد حاجة المربين للالتفات إلى أقوال الأطفال وأفعالهم وعدم الاستخفاف بها لأنها مادة غنية بالرسائل و الدروس و هي بمثابة التغذية الراجعة القابلة للاستغلال تساعد في تقويم العملية التربوية وإعادة توجيهها. فالعملية التربوية لا تحقق أهدافها حين تخضع بالكامل لأفعال المربين وأقوالهم دون مراعاتها لطبيعة استجابات الطرف المستهدف بها وكيفية تفاعله معها. من ناحية أخرى لا ينفع فيها الهروب إلى الأمام دون التوقف المرحلي للتقييم والمراجعة، لأن برمجة الأهداف التربوية الجديدة لا تتم في فراغ بل تتأسس على رصيد الأطفال المكتسب، وخطوات التعامل مع هؤلاء ليست اعتباطية بل هي متناغمة ومتكاملة ومتوازنة. وضمن التوازن المنشود ضبط مستوى التسامح بحيث لا يتحوّل إلى لا مبالاة وإهمال و فوضى. وهناك خط رفيع يفصل بين الوضعين، وكلما كان المربون أكثر تسامحًا مع السلوك المعادي للمجتمع، وجد الأطفال صعوبة في الانخراط بصورة طبيعية في الحياة الاجتماعية. وعواقب الافراط في التساهل والتسامح كثيرة منها تعزيز عدم الانضباط، والارتباك حول الحدود والتوقعات وإعاقة عملية التعلم في الأقسام الدراسية، وأكثر من ذلك، إضعاف وتقويض سلطة هؤلاء المربين مما يجعل من الصعب عليهم إدارة فصولهم الدراسية بشكل فعال. وبما أن حياة الأطفال تتقاطع مع أكثر من طرف فقد لا تكون تدخلات هذه الأطراف بالضرورة منسجمة بصورة كاملة فيما بينها، والخلل الأكبر سيظهر حين تتداخل أدوارهم مع الطفل فيحاول بعضهم أن يكون بديلا لبعض فيتسبب في اضطراب علاقات الطفل الطبيعية بهم. مثل هذه التجاوزات تحصل في غياب مراقبة وضبط الانفعالات، وقد تُخرج الفعل التربوي عن مساره الصحيح، وتنشأ من آثارها أجواء غير طبيعية تجعل العملية التربوية المعقود عليها كل الآمال متأرجحة و غير مستقرة فتحتضن العنصر البشري بالتهديد والاهانة بدلا من جعل انخراط فيها يحركه الاهتمام والرغبة والشوق. إن هذا الوضع غير المستقر سيوفر بيئة خصبة للعمل المناهض للتربية وأهدافها وللعديد من التجاوزات من أبرزها ممارسة التمييز بين الأطفال الذي يزعزع التماسك الاجتماعي للأسرة ولكل مؤسسة تربوية إضافة إلى فقدان الثقة في المربين.

الفصل الثالث:

بعض الاستراتيجيات الناجحة

اعتماد الفعل قبل القول

يُستحسن بالنسبة للأطفال أن نبدأ التعامل معهم بالسلوك الفعلي و لا نعتمد كثيرا على القول. فالقاعدة التي ينبغي دوما أن نتبناها هي " اعمل أولا ثم تحدث ثانيا ". والملاحظ على صعيد واسع أن الأولياء ينفقون وقتا طويلا في الشرح والتوضيح حين يواجهون أطفالهم. وقد يلجؤون إلى أساليب لغوية دقيقة يريدون بذلك إقناعهم ونقل حماسهم إليهم، و هو الأسلوب المستعجل الذي يبرره حرصهم على رؤية الأطفال يجسدون بعضا من قناعتهم بصورة مباشرة و دون تأخر، ثقة منهم بأن الاستجابة من قبل أطفالهم تكون تلقائية و ينسون أن هؤلاء الأطفال لا يملكون دائما ما يسمح عمليا بنقل الخطاب الشفهي إلى سلوك عملي. ومن الصور التي يمكن اعتمادها انطلاقا من قناعتنا بأن الفعل أنجع وأقوى تأثيرا من مجرد القول:

1- *توجيه الأمر الذي ينفذ في الحال*: بدلا أن يقول الأب مثلا " كم مرة نهيتكم عن ترك أدواتكم المدرسية مبعثرة على الطاولة"، يوجه أمره بصورة مباشرة على نحو" قم واجمع أدواتك وضعها داخل المحفظة". و بدلا أن يتحسّر ويتأسّف على عدم استجابة أطفاله لرغبته في أن يغسلوا أيديهم قبل تناول الطعام، يوجه الأمر" قم و اغسل يديك". ويكون أيسر على الأبوين توجيه أمر قابل للتنفيذ مرات ومرات من أن يعيشا دوما على الأعصاب بسبب عدم استجابة الأطفال لمطالبهم. وفي بعض الأحيان يواجه الأطفال مطالب أبويهم خاصة من أمهاتهم، بالمقاومة أو اللامبالاة. فعلى الأم هنا ألا تقف متفرجة لا تتحرك، بل ينبغي أن تؤكد على ضرورة تنفيذ الأمر وأنها تنتظر الشروع في تنفيذه الآن دون تأجيل. وفي حالة إصرار الطفل على عدم الاستجابة أن تعطيه مهلة محددة، كأن تقوم بالعد إلى غاية العدد العاشر، فإذا استمر على حاله تأخذه من يده إلى المكان الذي يتم فيه الفعل وتنتزع منه الاستجابة انتزاعا. و تكرار هذا الحدث مرة أو مرتين كفيل بأن يضمن الفعل المطلوب وفي المستوى المطلوب.

2- *تعطيل مؤقت للعب*: يمكن منع الطفل من متابعة نشاطه الحر والتشويش عليه في لعبه الذي يتعاطاه وعدم السماح له بمواصلته إلا بعد أن ينجز الأعمال المطلوبة منه. وينبغي أن يتكرر هذا السلوك حتى ندفع الطفل إلى أخذ الحيطة والحذر من عدم التخلف مرة أخرى عن أداء ما يُطلب منه حتى لا يضطره وضع كهذا إلى الحرمان من اللعب والحرمان من التقاء الأصدقاء وتحمُّل البقاء داخل البيت مدة أطول مما اعتاد عليه. وإذا كان الأمر يتعلق بسلوك طفل غير مرغوب فيه و أراد الأب أو الأم التأكيد على عدم إتيان مثل هذا السلوك في المستقبل و اعتُمد الحرمان من اللعب كعقوبة، فينبغي ألا تكون المدة المقررة لحرمانه طويلة جدا بل يجب أن نقدرها بمستوى الانحراف أو الخطأ الذي ارتكب و لا نزيد عن هذا الحد حتى لا يتحول تنفيذ العقاب إلى مناسبة للانتقام.

3- *تقليص الامتيازات أو الأخذ منها* :إن اللجوء إلى هذا الاسلوب يفيد الآباء ويعفيهم من مجرد تكرار مطالبهم كلاميا دون جدوى فقد يؤثر في الطفل ويدفعه إلى أن يكون أكثر تعاونا وأكثر تجاوبا مع متطلبات الحياة داخل الأسرة. لكن كما تنصح *سوزان قرفين*[2] Susan Griffin "تأكد أنك فعلا تفرض على الطفل خسارة وحرمانا تجعله يتألم من فقدانها أكثر من تألم الأب" فحرمان الطفل من الطعام تتألم له الأم كذلك والأب وبالتالي يصبح مثل هذا القرار يضغط على الأبوين بنفس الدرجة أو أكثر. وفي هذه الحالة يفشل الأبوان في تحقيق الهدف المنشود من اعتماد هذا الأسلوب. نعم يمكن تقليص بعض الامتيازات بهدف دفع الأطفال للاستجابة لمطالب المربي، بشرط أن يكون ما يؤخذ من امتيازات يتناسب مع الانتهاك الذي يرتكبونه وتجنب إزالة الكثير من الامتيازات مرة واحدة حتى لا ندفعهم إلى عناد يصعب استيعابه والتحكم فيه. إن حرمان الأطفال من الامتياز سيساعدهم على تعلم تحمّل المسؤولية تجاه مواقفهم وسلوكهم وإدراك الفرق بين ما هو مقبول منها وما هو غبر مقبول، بل و كان سحب الامتيازات كاستراتيجية تأديبية حتى مع الشباب فعّالاً في تطوير القيم لديهم (Musasi.,et al.,2022)، وسنجد فقدان الامتياز يعمل بشكل جيد خصوصا عندما يكون لدى من يستخدمه الكثير من التفاعلات الدافئة والإيجابية مع الطفل الذي أُخذ منه الامتياز. لكن بما أن نسبة كبيرة من الأطفال الصغار الذين تقل أعمارهم عن 6 سنوات لا يستطيعون ربط سلوكهم بالنتيجة المترتبة عليه فإنه بالتالي قد لا ينفع معهم أسلوب " فقدان الامتياز، فيتعيّن اعتماد معهم تقنيات أخرى بديلة مثل سحب الانتباه و التظاهر بعدم الاهتمام بما يقولونه أو يفعلونه إذا لم يترتب عن ذلك أي خطر. وبهذه المرافقة الواعية وباعتماد البدائل المناسبة التي تراعي خصائص الأطفال نستطيع ولو تدريجيا نقلهم إلى مستويات متقدمة من الانضباط السلوكي وجعلهم يستجيبون تلقائيا بما يتوافق مع الايقاع الاجتماعي.

الإصغاء المتواصل

جرت العادة أن الأطفال عندما يتكلمون لا نولي اهتماما كبيرا إلى ما يقولونه، انطلاقا من تقدير خاطئ بأنهم لا يقولون ما يفيد وما له أهمية وقيمة. وما أكثر ما يحدث أن يقمع الكبار صغارهم ويفرضون عليهم التزام الصمت بعد أن أبدوا رغبة في التحدث. و الحقيقة أن من خلال الاستماع إليهم يصبح الأطفال أكثر قدرة على التعبير عن آرائهم بشأن الأمور التي تهمهم والمشاركة في القرارات التي تؤثر عليهم. وهذا الاصغاء استجابة بالغة الأهمية تعبر عن الاهتمام بهؤلاء الأطفال وتقديرهم وترفع من شأنهم، وكل ذلك يعمل في اتجاه تعزيز العلاقة معهم وتعبيد أمامهم مسالك عملية التعلم التي قد تُكسبهم مهارات جديدة يستعيدون بها ثقتهم بأنفسهم، كما يسمح لنا بفهم أين تتجه ميول الأطفال واهتماماتهم وانشغالاتهم،

---

[2] – مؤسسة و مديرة لمعهد " قريفين و وانق Griffin & Wong Institute : مركز إسعاف الأطفال والأولياء ذوي الظروف الصعبة.

وتحسس حالة شعورهم تجاه أنفسهم وكيف ينظرون إلى ما يحيط بهم، وبالتعرف على الطرق التي يفكرون بها والاسترلنيجيات التي يعتمدونها (Cousins,J.,1999;Dupree,E,et al.,2001; Clark,A, et al, 2003). وعلى ضوء مثل هذه المعطيات المشتخلصة يمكن بلورة تصور وبناء خطط وصياغة برامج التكفل بهم والتعامل معهم. وعلى مستوى انعكاس هذا النوع من الاهتمام المبكر بالأطفال فقد بينت نتائج الدراسات أن الذين استفادوا من فرص الاصغاء إليهم خلال طفولتهم تمكّنوا من تعزيز رصيدهم من المهارات الاجتماعية وتطويرها وكانوا أكثر استعدادا ليصبحوا مواطنين إيجابيين ومتعاونين (Miller.,2003).

وحتى لا تحصل أي تجاوزات تفسد العلاقة بين الكبار والصغار، هناك بعض آداب التخاطب لا بأس أن نحرص كآباء ومربين على تلقينها لأطفالنا وترسيخها فيهم كعادات وتقاليد طيبة يمكن أن تمنع حصول ما قد يشوش على تلك العلاقة، من أهمها:

- عدم مقاطعة الانسان حين يكون متكلما.
- التماس الطفل من الكبير الموافقة على أن يوجه سؤالا أو يعرض فكرة.
- أن يكون مختصرا و ألا يطيل حين يتكلم مخاطبا غيره.
- ألا يعتمد أساليب تخرج عن آداب الحديث أو يتفوّه بكلام غير لائق.

أما الرفض المطلق للطفل في التحدث و التعبير أو عدم الإصغاء لما يقول فهو في حقيقة الأمر أسلوب:

- يحرمه من فرصة التمرس أمام وبين أحب الناس إليه على مهارة الكلام، وهو مظهر من أخطر مظاهر الحياة الاجتماعية التي تنتظره.
- يحول دون تمكّنه من بناء الرأي المستقل والتحرر من تبعيته للآخرين.

و من الآثار الايجابية لتفعيل تكنية الاصغاء :

1- تأكيد للطفل أنه موجود وله قيمة ومكانة قد يجعله أكثر تعلقا بالأسرة فيحبها ويُقبل على أبويه مع حرص على إشراكهما في خاصة أموره، وستظل القناة نحوهما مفتوحة و دون حواجز بينه وبينهم تمنعه من التعبير عن حاجته أو عرض رأيه.

2- إمكانية الاحتكاك المباشر بما يشغل الأطفال. ومن الخطأ أن يظل الأولياء والمربون يعتمدون في الكشف عن انشغالات الأطفال واهتماماتهم على تقديراتهم الذاتية، يبنون عليها مواقف ملتبسة وغير صحيحة تنجرّ عنها نتائج عكسية أحيانا غير متوقعة. والحقيقة أن الاستماع إلى الأطفال والإصغاء بكل اهتمام إلى ما يقولون هي فرصة يجب استغلالها. فقد تُجلّي كثيرا من مظاهر هذا الالتباس وتكشف عن بعض الحقائق التي لم يستوعبها التصور التقديري الذي بناه الأولياء بطريقتهم الخاصة دون كبير اهتمام بما يقدمه الأطفال أنفسهم، في الوقت الذي يهمنا كثيرا معرفة فيم يفكر أطفالنا ولماذا وكيف يفكرون في ذلك كله. إن

التنشئة الصحيحة توجه على ضوء الواقع المتطور، ومن خلال الإصغاء، نستطيع ان نحكم على أساليبنا التربوية و مدى نجاعتها و ماذا حققت و فيما أخفقت.

3- تسمح لنا هذه المناسبة أن نقدر مستوى التحكم في اللغة ونوع الصعوبات التي يعاني منها الأطفال في هذه الناحية والوقوف على صور العجز ومظاهر الفقر فيها. هذا الوجه له أهميته القصوى في السماح للطفل بالتدرب على الأساليب اللغوية المختلفة التي تؤهله للتحقّق بفهم عميق لواقعه الاجتماعي والتمكن من مدّ الجسور الطبيعية نحوه. لذلك ينبغي ألا نتدخل كثيرا حين يتحدث الأطفال فنقاطعهم، إلا لضرورة، والأفضل أن نتركهم يعبرون بكل حرية من أجل إيصال أفكارهم إلى الآخرين بطريقتهم الخاصة. و إذا قدّرنا أن هناك بعض القصور أو العجز في بعض جوانب توظيف الأطفال للغة وأنهم في حاجة إلى تحكّم أكبر فيها وبطريقة صحيحة وسليمة، نستطيع أن نخطط لاحقا لأنشطة محددة نسخّرها لتدارك تلك النقائص و سدّ الثغرات، مع الحرص على عدم التشويش على الطفل في هذه المناسبة التي نريد أن نسمعه و هو يعبر، وكله حماسة و رغبة في التحدث إلينا. فمن حقه علينا ألا نقطع شهيته في الكلام. ذلك أن عملية تصحيح الأخطاء أثناء حديثه إلينا إذا تكررت قد تعكر الجو و تتسبب في اضطراب تسلسل أفكاره التي يريد أن يلقي بها. إن ما يحتاجه الأطفال منا في هذه المناسبة هو الإصغاء إليهم، وهذا لا يتحقق في مستواه المطلوب حتى يكون:

أ- إصغاء باهتمام، كي يشعروا أن حديثهم مع ذويهم يحظى بالعناية وأن هؤلاء يحرصون على فهم كل ما يريدون قوله وبأن ذلك يدخل ضمن الانشغالات البارزة في حياتهم.

ب - عدم الالتفات أو القيام بأي حركة من الحركات التي توحي لهم بأن الأب أو الأم في حالة استعجال منهم. هذا الشعور يربكهم ويضيّع عليهم خيوط الفكرة التي يريدون توضيحها فيعجزون بالتالي عن إيصالها كاملة و واضحة. ويُستحب للأب أو الأم المحافظة على تركيز النظر في الطفل وإظهار بوضوح التجاوب مع ما يقوله، ومقاومة الشرود بالفكر بعيدا عن هذا الحوار. مثل هذا السلوك يفقده حرارة المواصلة وتضعف رغبته في التحدث. واستجابة أوليائه هي بمثابة التغذية الراجعة التي تؤثر بالضرورة في الموقف بعد ذلك.

ج- عندما ينتهي الطفل من سرد قضيته أو عرض فكرته لا بد من تسجيل موقف أو رد فعل أو تعليق يطيّب خاطر الطفل و يشجعه على اللجوء مجددا إلى التعبير الصريح كلما احتاج إليه. فحين يقص الطفل على الأب طُرفة يتوقع أن يطرب الأب لسماعها فيشارك طفله في الانشراح و السرور الذي يجده. فمن غير المعقول أن نقابل حماس الطفل في عرض قصة تثير الضحك عنده بنوع من البرودة و كأن شيئا لم يحدث و هذا يستوجب أن يكون الإصغاء دقيقا وعميقا و ألا تضيع الفرص الثمينة التي يمنحها الأطفال لذويهم كي يعززوا علاقتهم بهم.

مارس التشجيع و لا تبالي

بالرغم من أن تعاطي التشجيع مع الأطفال يبدو بديهيا و لا نحتاج معه خاصة كآباء وأمهات أي تكلّف لممارسته على اعتبار أن الذين نقوم بتشجيعهم هم جزء منا وفلذات أكبادنا، لكن هذا الفعل الإيجابي بهذا الحجم على بساطته يظل في الواقع صعبا في وسط فتنة الانشغال بقضايا الحياة اليومية التي تكاد لا تنتهي. ومع ذلك يجب أن نتذكر أن أطفالنا يحتاجون منا كل التشجيع وكل الدعم. إنهم يواجهون واقعا حيا يتلوّن أمامهم وتتجدد مظاهره ويعرض نفسه عليهم في صور شتى ومشاهد متباينة، الأمر الذي يدعوهم دائما إلى مراجعة ما تعلموه وتعديل مواقفهم التي سبق لهم أن اعتمدوها وتغيير أساليبهم التي قد تكون أوصلتهم إلى نتائج غير مرضية. وكل ذلك يضطرون إلى القيام به حتى يتمكنوا من التجاوب مع واقعهم المتجدد. وهم بدون شك يستعرضون الكثير من صور التكيف في خضم الأحداث اليومية بنوع من العفوية مما يعزز عندنا القناعة الخاطئة أنهم في كل الأحوال يستغنون عن التشجيع. وننسى أن كل وضع يفرض على الطفل مثل هذا التصويب ومثل هذه المراجعة من شأنه أن يشوش عليه ويدفع بأحواله القارة إلى حالة من الاضطراب ويجعله يدفع ثمنا إضافيا من وقته الثمين و جهده مقابل المتعة التي يسعى لإيجادها حين يتقلّب بين أنشطته. والأمر يكون هيّنا لو أن الطفل يقوم بهذه المراجعة في حالات نادرة. لكنه وهو يلجأ إليها في غالب أوقاته ينبغي ألا نغتر بالنجاح الذي يحققه في استيعاب متطلباتها، فهو في كل مرة يدفع ثمنا مقابل ذلك. و لا يستطيع أن يحقق ذلك التكيف الذي يمليه عليه وضعه الجديد حتى يمتص بصمت الكثير من الضغوط التي يمارسها عليه هذا الوضع، وسيظل على هذه الحال يتعامل مع المستجدات بكل تلقائية ويعطي من نفسه كل ما يملك بدون حسابات ما لم ينفذ صبره وما لم تضعف عزيمته، وما لم تتلاشى وتذبُل رغبته في اللعب. و لا شك أن تراكم الضغوط والزيادة في حدتها تعمل في اتجاه قتل الحرارة التي تدفع الأطفال إلى الحركة والنشاط. وهنا تأتي أهمية التشجيع في التخفيف من هذه المعاناة التي يتحملها الأطفال بصمت، وفي سياقه يمكن أن تُدرج توجيهات تختصر لهم الطريق وتحفظ لهم استقرارهم النفسي وتجنبهم بعضا من تلك التجارب التي تؤدي إلى حالات من التوتر الزائد والقلق الشديد. إن التشجيع هو بمثابة وقود للروح، يوفر الدافع اللازم للاستمرار، خاصة عند مواجهة الصعوبات، كما يُعيد لمن يتلقاه صغيرا أو كبيرا احترام الذات والثقة بالنفس إلى ذروتهما. وعندما يتم تشجيع فضول الأطفال الطبيعي ودعمه ويصبح لديهم دوافع ذاتية فيقومون بأشياء لمجرد أنهم يستمتعون بالقيام بها. ويعتبر *أدلر* من أوائل علماء النفس الذين وضعوا نظرية حول التشجيع، و رأى في هذا الأخير سمة أساسية للتنمية البشرية ولأي علاج نفسي(Adler.,A.1956). وأظهرت الدراسات أن الأفراد الذين يتلقون تشجيعًا منتظمًا يشعرون

بتحسن في الصحة العقلية و زيادة المرونة(Wong.,2015)، وأكدت على وجه الخصوص أن الأطفال الذين تلقوا التشجيع اللفظي المتعلق بالنجاح قبل البدء بمهمتهم نجحوا أكثر من الأطفال الذين لم يتلقوا أي تشجيع (Guéguen,N.,et al.,2015)، كما أفادت دراسات أخرى أن التشجيع اللفظي وسيلة فعالة لزيادة الأداء العضلي (McNair.,et al,1996) أو القدرة على التحمل(Bullinger,D.L.,et al,2012). إن تقديم التشجيع للأطفال من قبل الآباء والأمهات ينمي عندهم الرغبة في التعاون ويعززها كما يقوّي حرصهم على التجاوب مع مختلف توجيهاتهم، وهذا السلوك يساعدهم على الانخراط في الجماعة والتكامل بداخلها مع باقي عناصرها وهو المسلك نفسه الذي سيواصلون السير فيه للدخول إلى المجتمع الواسع والتكيف مع حقائقه. وهذا لا يعني أننا نتحاشى تقديم الانتقادات إذا كانت تساهم في البناء الصحيح لشخصية الفرد. فنحن هنا لا ندعو إلى التشجيع لذات التشجيع وإنما المقصود هو السند المعنوي الذي يجعل الطفل يكرر محاولاته بكل عزيمة حتى يتمكن من اختراق مختلف الحواجز والموانع وتخطي أنواع العقبات والصعوبات بإمكاناته الذاتية بعد أن يتحرر من المخاوف التي كثيرا ما كانت السبب المباشر فيما حصل له من إخفاق، ويصبح أكثر إيمانا بقدراته. إن عملية التشجيع الايجابية تهدف إلى إحداث ثورة في المفاهيم التي يحملها الفرد عن نفسه وعن الآخرين وفي الكيفية التي ينبغي أن يتجاوب بها مع الحياة من حوله والتي تخضع لمجموعة من السنن والآليات لا بد أن يتعرف عليها ويفهمها بالاحتكاك والمشاركة، وذلك بالتعود على بدل الجهد وتسخير ما في مقدوره، مع الاستعداد لتطوير رصيده إلى حدود قصوى.

الخلاصة:

تضمن هذا الفصل عرض لعينة من الاستراتيجيات التربوية التي أثبتت نجاعتها وحقق تسخيرها في الميدان نتائج مشجعة. وتمت المناقشة حولها من خلال ثلاثة محاور. تناول المحور الأول منها حاجة الأطفال خاصة إلى التعامل معهم بالأفعال بدلا من التركيز فقط على الأقوال لصعوبة استيعابهم في هذه المرحلة العمرية لمضمون الخطاب الشفوي وتحويله إلى فعل يوافق الطلب. في المحور الثاني تم تسليط بعض الضوء على أهمية الاصغاء التي طالمها غابت في معاملة الأطفال رغم أنها وسيلة عملية تجعلهم مع الوقت أكثر قدرة على التعبير عن أفكارهم وبعض ما يشغلهم فضلا عن أنها اعتراف بشأنهم من انعكاساته إقبال على الآخرين والتعاون معهم وهي كذلك طريقة مباشرة للتعرف على اهتماماتهم وميولهم. أما المحور الثالث تم التركيز فيه على عنصر التشجيع خاصة كسند معنوي يجعل الطفل يثابر و لا يستسلم و لا ييأس خاصة عندما يواجه الحواجز والعقبات، ويتمكن بالتالي من تحقيق الاختراق المرغوب والوصول إلى الأهداف.

الفصل الرابع :

مؤشرات مساعدة في توجيه العملية التربوية

اعتماد العقاب في التربية

إن المبدأ الذي اعتمد قديما في التربية والمتأثر بالنظرة المسيحية هو أن الغرائز الحيوانية عند الكائن البشري هي شيطانية في طبيعتها و لا توجد سوى وسيلة واحدة للتعامل معها وذلك بقمعها لتطهير نفسية الطفل من أثارها. لكن النظرة الأكثر تفاؤلا ترى أن القوى الفطرية في الانسان مُنحت له حتى يستغلها وأن ضمن وظيفة التربية توجيه هذه القوى الطبيعية. إن هذا التوجه اللين في ظاهره لا يمنع، في ظل الممارسة التربوية الهادفة، من اللجوء إلى أساليب الردع والضبط والمعاتبة والعقاب. فهذه وسائل أعطت عبر تاريخ الانسان الطويل نتائج لا يستهان بها ولها من الخصائص ما يسمح لها أن تواكب التطورات وتُعاصر الأجيال المتعاقبة. إن استخدام العقاب عندما يستند إلى أساس تربوي يكون مبررا، خاصة في البيئات المدرسية. وحسب *ويلسون*، فإن المدارس هي مواقع للتفاعل الاجتماعي، وهذا التفاعل الاجتماعي يجب أن تحكمه قواعد، وأن القواعد تصمد فقط إذا تمت معاقبة من ينتهكها بشكل طبيعي(Wilson,1977). وظل *ويلسون* متمسكا برأيه حتى في وجه بعض معارضيه كمارشال (Marshall, 1984) الذين انتقدوه وطعنوا في مصداقية ما ذهب إليه، ولكنه مع ذلك أصر على أن العقوبة هي سمة لا يمكن فصلها عن الحياة المدرسية(Wilson,1984) .

إن عملية التأديب هي قانون من قوانين الحياة وبواسطة اعتماده نعطي معنى ومدلولا لهذه الحياة. والذين يرفعون شعارات تحرير الانسان من جميع القيود في إشباع الغرائز، إنما يسلكون طريقا يتعارض مع ما هو فطري وطبيعي. فعملية التأديب من هذه الناحية لا تتعارض بالضرورة مع حرية الانسان بل هي ضرورية لتحقيق المعنى العميق للحرية. كذلك فإن ضبط النفس يعني في الواقع تسخير الفرد لقدراته الفطرية وإمكاناته الطبيعية في خدمة نفسه ومن أجل تحقيق ذاته، ويكون بهذا المعنى بعيدا عن مفهوم القمع الاستبدادي. و نحن كثيرا ما نتناقش حول الفائدة من لجوء المربين الى العقاب، وتتعدد الرؤى والقناعات حول فائدته والنتائج التي يحققها في الميدان. ويمكن حسم هذا الأمر من منطلق موضوعي وهو أن العقاب يكون وسيلة ناجعة إذا كان عقابا في طبيعته تربويا ولا يختلف عنه في ذلك الثواب. فالعقوبة إذا كانت تؤدي إلى تقليل قوة السلوك غير المناسب أو تقليل احتمالية استمرار حدوثه فلماذا لا نلجأ إليه خاصة إذا لم تترتب عليه آثار سلبية جانبية. أما استعمال العقاب من أجل العقاب أو الثواب من أجل الثواب فلا يدخل ضمن اختيارات رجال التربية الحكماء لأنه لا فائدة عندئذ مرجوة من اللجوء إليهما، ومع تفاعل عوامل أخرى في الاتجاه السلبي، يمكن أن يؤدي ذلك إلى ضرر يضطر المربون إلى الالتفات إلى آثاره ومعالجتها.

ما هي المبادئ التي نستطيع اعتمادها لتوجيه العقاب الوجهة الصائبة والمثمرة؟

من العناصر الهامة التي ركز عليها *هادفيلد* Hadfield حين تحدث عن مكانة العقاب في العملية التأديبية التربوية:

1- أن المدح و الثناء في مقابل اللوم و التوبيخ هما في نفس درجة تأثير الاستحسان والموافقة مقابل الاستنكار والرفض. فما المانع أن نبدأ بهما قبل اللجوء الى أساليب المواجهة المباشرة.

2- تقديم الإنذار هو أمر ضروري ومفيد(التنبيه من خطر تناول طعام مسموم ومن عواقب الدخول في طريق دون مراقبة حركة السيارات في كل الاتجاهات...إلخ).

3- التحذير والانذار يختلفان عن التهديد والوعيد. ففي التنبيه والإنذار يتجه النظر إلى العواقب والنتائج كيف تكون عقب فعل ما، وفي التهديد نفرض النتائج المهددة. ومع ذلك فإن التهديد له أيضا مكانته حين تخفق الوسائل الأخرى. مثال: " إذا لم تتوقف عن إزعاج باقي الأطفال فإنك ستُفصل عن المجموعة ولن يُسمح لك بمواصلة اللعب معهم". هذه العبارات هي بمثابة إنذار واضح للطفل فإذا لم يتوقف عن الازعاج ويُحرم فعلا من اللعب يكون في الواقع قد نال ما يستحق و لا يترتب عن هذا الاجراء العملي ضرر كبير. ويكون الضرر أكبر على الطفل وغيره لو بقي المربي غاضا لبصره عن هذا السلوك السلبي.

4- ظهور العقاب كإحدى النتائج الطبيعية التي ترتبت عن سلوك الطفل. فالطفل عادة يختار سلوكا معينا لأنه يجد فيه متعة أو نشاطا أو امتيازا ما، لكن إذا رأى من نتائج ذلك السلوك حصول عقوبة فإنه قد يقرر أن هذا السلوك لا طائل وراءه، إذ بعملية حسابية بسيطة يدرك أن ما يجنيه من إتيان الفعل هو أقل بكثير من الضرر الذي ينجر عن الفعل.

5- لا تُقدم العقوبات بدون سابق إنذار وتحذير. وينبغي أن نلاحظ هنا أن الأطفال في كثير من الأحيان لا يعرفون السبب الذي من أجله يعاقبون. فالإنذار يعطي فرصة للطفل كي يتخذ قراراته الخاصة به.

6- الإثابة والعقاب يجب أن نمارسهما مباشرة بعد ظهور السلوك حتى لا يلتبس الأمر على الطفل فيعجز عن فهم السبب الذي يقف وراء هذا العقاب أو تلك الاثابة.

7- اقتران العقاب بالسلوك المرفوض في ذهن الطفل وفي قناعته أمر ثابت لا يتخلف. فإذا حصل أن تخلف إعقاب السلوك بالعقاب المستحق والمناسب فقد تضعف القوة الرادعة في هذه الاستراتيجية التربوية.

8- ينبغي ألا يكون العقاب في درجة كبيرة من القساوة والشدة و لا في درجة كبيرة من الليونة و الرفق. فالرفق فيه إذا تجاوز حدا معينا يجعل الطفل يقتنع بأن إتيان السلوك لا يكلف الكثير كما أن الشدة إذا ارتفعت كثيرا فإنها تولد إحساسا بالظلم وعدم الانصاف.

9- لا ينبغي أن يؤثر العقاب ولو قليلا على علاقة الحب التي تربط بين الآباء وأطفالهم.

10- لا يُمارس العقاب قبل معرفة السبب الذي دفع الطفل إلى ذلك السلوك المعاقب عليه عرفا أو اتفاقا. فقد نعذره إذا وقفنا على طبيعة الدوافع وراء سلوكه. (Hadfield,J.A., 1978, pp.272-281)

ومن المبادئ التوجيهية التي أكد عليها *ماثر* و *جولدستين* Mather & Goldstein و أوردها *لوكوياك* و *بريدجس* Lukowiak & Bridges والتي ينبغي للمعلمين والآباء مراعاتها عند استخدام العقاب:

1- تقديم للأطفال إرشادات واضحة حول السلوك غير المناسب و طبيعة و نوع العقوبة المترتبة عليه.

2- تزويد الأطفال بنماذج من السلوكيات المناسبة، لأنهم بحاجة إلى رؤية و ممارسة السلوك المتوقّع منهم القيام بها.

3- أن تكون استراتيجيات العقاب عادلة ومتسقة ويتم تطبيقها فور قيام الطفل بالسلوك غير المناسب (Lukowiak.,& Bridges.,2010) .

ومن سلبيات استخدام العقاب كما عرضها بعض الباحثين:

1- أن تتطور لدى الأطفال الذين يتلقون العقاب بشكل متكرر مشاعر نفورية تجاه البيت أو المدرسة، أو ينشأ عندهم خوف مرضي تجاه المدرسة (Bos & Vaughn.,2006) .

2- أن تأثيرات العقاب قصيرة الأمد و يصبح بمرور الوقت غير فعال و لا يقضي على السلوك غير المرغوب. فإذا فقد فعاليته لا معنى أن نستمر في استخدامه.

3- أن تكون استراتيجية العقاب غير مراعية لتعليم الطفل السلوك المقبول، ويتعلم فقط السلوك الذي يجب تجنبه أمام الشخص الذي ينفذ العقوبة (Lukowiak.,& Bridges.,2010) .

ومن بين مساوئ العقاب الأخرى التي أشار إليها *إريك لونيس*:

1- أن " العقاب" وسيلة يمكن إساءة استعمالها بسهولة فتؤدي إلى نتائج عكسية، كما أن المناخ العلائقي في ظل هذا الاستعمال يكون عدائيا غير صحي و مشحونا بالقلق و غير ملائم للتعلم.

2- أنها طريقة لتعليم العدوانية خاصة عندما تؤدى على نحو انتقامي، فيتعذر على الطفل الصغير أن يدرك جانب " النتيجة المنطقية" للعقاب(Loonis, E.,2011) .

وعلى العموم تكون الطرق الايجابية في التعامل مع الأطفال مفضلة على الطرق السلبية. فالعقاب والعتاب واللوم والاستنكار والرفض كلها روادع للسلوك القبيح بدرجات تأثير متفاوتة. والاستحسان والتشجيع والإثابة والموافقة هي محفزات للسلوكيات الجيدة. هذه الأدوات هي مفضلة لأنها تدفع بالطفل الى تعاطي أفعال مقبولة اجتماعيا بمحض إرادته بينما تكون الأساليب الرادعة مانعة للسلوك فقط و لا تساعد الطفل على تقديم سلوك بديل.

أداة تقويم شامل لأداء الأطفال

حتى يتسنى للمشرفين أو المربين أن يأخذوا صورة واقعية عن الأطفال الذين يتعاملون معهم و يتمكنوا بذلك من متابعة مواقفهم و تقويم سلوكهم بشيء من الموضوعية و الواقعية يحتاجون إلى التعرف على مختلف جوانب شخصيتهم و تقدير مستوى التفاعلية و التكاملية بينها و كيفية انصهارها ضمن الشخصية. وفيما يلي مجموعة من الأبعاد متبوعة بمجموعة من الأوصاف يمكن أن نعرض عليها الأطفال من فئات عمرية مختلفة لمعرفة مستوى تقدم عملية النمو عندهم و مدى مواكبتها للمرحلة المتناسبة مع عمرهم الزمني ونوع الصعوبات التي يواجهون في علاقتهم مع أنفسهم وفي تعاملهم مع الآخرين، علما بأن الاستعانة بهذه الأداة هي فقط بغرض الحصول على مؤشرات يمكن الاستناد إليها في توجيه العملية التربوية ولكن ضمن سياج من الاحتياطات يسمح لنا بمراجعة الموقف كلما ظهر من واقع احتكاكنا بالأطفال ما يتطلب ذلك، مع ضرورة تقويم الطفل في مختلف الأبعاد المطروحة للتمكن من رسم صورة شاملة عنه وعن إمكاناته وضرورة صياغة برامج التدخل انطلاقا من التقويم الشامل لا فقط من التقديرات الخاصة والجزئية.

1- ***قدرة الطفل على التركيز والانتباه***: يمكن متابعة هذا الجانب من خلال قياس:

- درجة اهتياج الطفل والتقلب وتشتت الانتباه مع تقدير المدة الزمنية التي تستغرقها الحالة الطارئة.

- كيفية متابعة عمله (بجدية أو تهاون، أو باهتمام و رغبة، وبإشراف ومراقبة أو بمفرده، باستمرار أو بانقطاع، وبتركيز والتزام التوجيهات والشروط، أو إهمال ولامبالاة.)

2- ***قدرته على الانسجام والتكيف مع الأقران***: يمكن قياسها من خلال النظر في:

- مدى انسجام العلاقات بين الأطفال.
- حجم ونوع ومدة واتجاه حضور الصراع والشجار والعدوانية بينهم .

3- ***استعداده للتجاوب مع توجيه الكبار والتعاون معهم (طاعة وإذعان)***:يُقدّر بمتابعة تحدي الطفل للكبار أو تعاونه معهم و حجمه و تكراره (تعاون طبيعي وعفوي أو تعاون مشروط بما يتحقق من فائدة) ومدى استقرار السلوك المتعاون وإمكانية الاعتماد عليه.

4- ***استعداده لتغيير النشاط والانتقال لنشاط جديد***: يمكن تحسسه بالوقوف على:

- مدى تجاوبه مع طلب تغيير السلوك، أو إبداء الرفض و المقاومة، أو الحاجة إلى ممارسة الضغط عليه لتغيير السلوك و تكييف النشاط.

- مسار قبول التغيير و مدى مساهمة كل من جهد المشرفين الموجّه و رغبة الطفل.

5- ***قدرته على الاستجابة بطريقة مناسبة وأخذ دوره***: يمكن قياسها بالتعرف على:

- مدى حضور التنافس بين الأطفال في تقديم المبادرة و مختلف انعكاساته.

- نوع الاستجابات وهل هي مرهونة بطلب من الاشراف أو من التماس الأطفال الآخرين أو صادرة عن رغبة الطفل.

- مدى إيحاء مؤشرات تعكسها المبادرة بمستوى نضج الطفل و إمكانية التعويل عليه.

6- ***استعداده لتقاسم أدواته وأجهزته مع الآخرين***: يمكن تحسسه من خلال تقدير:

- مدى إشراكه أدواته وممتلكاته غيره من الأطفال.

- كيفية تطور هذا الإشراك والتقاسم نحو نضج واستعداد لتحمّل المسؤولية.

7- ***استعداده للعمل أو السلوك بموجب القواعد العامة***: يمكن معاينته من خلال معرفة:

- مدى متابعته للقواعد والالتزام بها والانضباط على أساسها أو تجاوزها وانتهاكها.

8- ***استعداده لتقبل الاختلاف***: يتم التأكد منه بالاطلاع على:

- كيفيه استيعابه للاختلاف ومدى تقبله له والصعوبات والتحديات المصاحبة لذلك.

- هل يصاحب تقبّل الاختلاف انفتاح واستعداد للتغيّر الملائم لهذا الاختلاف.

9- ***انشغاله بالمصلحة العامة***: يمكن تحسس معالمه من خلال:

- الوقوف على مدى اهتمامه بالمصلحة العامة وما يعترضه من تحديات.

- مدى تأكيده على مصالحه الخاصة مقابل لا مبالاة إزاء ما يتعلق بالجماعة.

- معاينة مؤشرات النضج المتعلقة بالتوافق بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة.

10- ***قدرته على التحكم في مزاجه وانفعالاته***: يمكن قياسها من خلال الوقوف على:

- طبيعة و نوع ومدى تكرار غضب الأطفال وتوترهم.

- هل الغضب والإثارة لهما أرضية ضمن التوقعات أو ضمن المفاجئات.

- مستوى تحكم الطفل في غضبه ومدى قدرته على لجم انفعالاته وتمكنه من حل مشاكله بفاعلية.

11- ***تبعيته للمشرفين في طلب المساعدة ولفت الانتباه***: يتم تقدير حجمها بمتابعة:

- كم يتكرر طلبه المساعدة من المشرفين عليه وكم يرغب في لفت الانتباه إليه.

- مدى قدرته على متابعة النشاط بمفرده.

- مؤشرات ذكاء الطفل و مستوى استقلاليته .

12- ***قدرته على إتمام العمل المتوقع منه***: يمكن قياسها بمعرفة:

- مدى نجاحه في إنهاء عمله، وهل يمكن التنبؤ بذلك.

- نوع الأعمال التي ينجح فيها وتلك التي يفشل في إتمامها.

وحتى تعطي الممارسات التربوية أكلها يجب أن يحرص المربون على توجيهها لتشمل كافة هذه الجوانب مع محاولة الارتقاء بالفرد في كل جانب منها تدريجيا من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى وذلك حسب إمكاناته. بهذا يصبح البرنامج التربوي وسيلة فعالة لتجديد

حياة الأفراد والجماعات في الاتجاه الايجابي وهي الضمانة التي يستند عليها استقرار عملية تطور المجتمع.

الخلاصة

إن التعامل مع الأطفال حين يرتكز على حقائق الفطرة البشرية و لا يتجاوزها سيدفع بهذه الشخصية النامية حتما إلى مستويات نضجها القصوى كما يؤهلها لامتلاك ما يمكّنها من رفع كل أنواع التحديات التي تواجهها بكل واقعية وإيجابية ويسمح لها أن تعيش كل مرحلة من مراحلها بإمكاناتها وليس بأقل من ذلك. و رغم وجود قواسم مشتركة تتدخل في كل تجربة ناجحة وأخرى فاشلة في ميدان التعامل مع الأطفال، إلا أن الممارسة التربوية التي يستطيع أصحابها إدراك أهدافها المتوخاة لا بد أن يُخطط لها على ضوء معلومات دقيقة مستخلصة من خصوصيات كل فرد نتعامل معه بعد تحديد مستواه الحقيقي وتقويم رصيده الذي يحمله فعلا وتحديد نقطة البداية معه على أساس ما يُعرف عنه ليس انطلاقا من قناعات نظرية لها منطلقات ثابتة في قراءتها للطفولة.

الباب الثاني:

كيف نتعامل مع المراهقين ؟

تمهيد

رغم أننا نتناول مرحلة المراهقة في علاقتها بمراحل الطفولة السابقة وهناك من خصائصها ومواصفاتها ما يؤكد ذلك ويؤشر عليه، فإنه ليس بوسعنا أن نغفل عن اعتبارها من ناحية أخرى منعطفا جديدا في حياة الكائن البشري بأتم ما تحمله الكلمة من معنى، وإن أقل ما نحرص على عدم تجاهله فيما يتعلق بالمظهر التطوري الشامل الذي تعرفه الشخصية الانسانية مع دخولها فترة المراهقة ما يلي:

1- إن الحديث عن النمو في هذه المرحلة يتناول شخصية فرد ترك خلفه مرحلة الحماية الطفولية و يتجه نحو مرحلة الحماية الذاتية.

2- يتعزز عنصر المغامرة أكثر من ذي قبل لما يجسده من صور عملية للاستقلالية التي يمكن اعتبارها من العناوين البارزة في هذه المرحلة من العمر و هو تقريبا نظير مفهوم التبعية في مرحلة الطفولة.

3- بدأ مفهوم المسؤولية يحتل مكانة خاصة في حياة المراهق ويغزو تفكيره إلى حد الانشغال والتعلق وذلك لارتباطه بما قد يسمح له بإثبات الذات وتجسيد معاني الاستقلالية في الميدان العملي.

ينبغي أن نؤكد من جديد على أن حياة المراهق لا شك أنها تتخللها مواقف ومظاهر لا تكون دائما معبرة عن النقلة النوعية التي عرفتها حياته، حيث يبدو في تعامله مع الظروف المحيطة به كأنه لا زال طفلا. فعلى المربي أن يحتاط و لا يبني على هذا الوضع الانتقالي مواقف نهائية تلغي من التقدير أن يكون الفرد قد انتقل فعلا إلى مرحلة أخرى فيعود خطأ إلى التعامل معه بالمنطق الذي اعتمده معه حين كان طفلا. ويكفيه أن يتابع نشاط المراهق عن كثب ليُدرك بما ليس فيه شك أنه لم يعد يقف أمام طفل وأنه بات من الضروري تكييف السياسة التربوية وسائر التدخلات مع هذه المستجدات.

الفصل الخامس :

المراهقة
وبعض مظاهر النمو الجسمي والنفسي

النمو الجنسي

من أهم مظاهر التطور الفيزيولوجي التي تحدث في مرحلة المراهقة البلوغ الجنسي. ذلك أن العملية التناسلية بالنسبة للمراهق والمراهقة أصبحت ممكنة. بعبارة أوضح الشاب يستطيع بيولوجيا أن يكون أبا والشابة تستطيع بيولوجيا أن تكون أما. يُؤقت النضج الجنسي للفتاة بين8 و13سنة و بين9 سنوات ونصف و13سنة ونصف بالنسبة للفتى. علما بأن سن البلوغ أصبح أصغر بالنسبة للأطفال في معظم أنحاء العالم، وفقًا لـ *يولينج* وآخرون(Euling,S.Y., et al,2008) حيث أن قبل قرن من الزمان، كان متوسط عمر المرأة في تجربة دورتها الشهرية الأولى بالولايات المتحدة و أوروبا هو16عامًا، بينما نزل اليوم إلى حوالي13عامًا. على الرغم من أن الإناث الأمريكيات من أصل إفريقي هن عادةً أول من يتطور، إلا أنهن أقل تعرضا لعواقب سلبية للبلوغ المبكر مقارنة بالإناث الأمريكيات والأوروبيات(Weir, K., 2016). و أشارت نتائج الأبحاث إلى أن مشاكل الصحة العقلية اقترنت بعامل البلوغ المبكر، إذ بالنسبة للإناث، ارتبط البلوغ المبكر بالاكتئاب وتعاطي المخدرات واضطرابات الأكل واضطرابات السلوك التخريبي والسلوك الجنسي المبكر (Graber,J.A. 2013). كما أظهرت بعض الإناث الناضجات مبكرًا مزيدًا من القلق وثقة أقل في علاقاتهن مع العائلة والأصدقاء وأكثر سلبية في نظرتهن لأنفسهن مقارنة بأقرانهن(Weir, K., 2016). وفي نفس السياق، بينما شهد معظم الذكور انخفاضًا في أعراض الاكتئاب أثناء فترة البلوغ، فإن الذكور الذين بدأوا البلوغ مبكرًا، وفقا لـ *ميندل* وآخرون، أظهروا معدلا سريعا للتغيير و زادت معهم أعراض الاكتئاب (Mendle,J.,et al, 2010). أما من الناحية النفسية فإن سن النضج للذكور والاناث يختلف بين الأفراد في مجتمع العاديين بفوارق كبيرة و الذي كثيرا ما يتسبب في القلق و في المزيد من الاهتمام الضاغط لدى العديد منهم. و بديهي أن الوعي بأن مثل هذه الاختلافات هي مظاهر طبيعية مألوفة عند الكائن البشري من شأنه أن يخفف من درجة الضغط. والتمايز الجنسي يتحقق خلال هذه المرحلة في صوره المتقدمة ومن أقواها بروز الثديين لدى الفتاة وتغير الصوت و ظهور شعر الوجه لدى الفتى.

إن تحقُّق المراهق بالبلوغ يمثل نقطة تحوّل بين حياة الطفولة و حياة الراشدين. وإذا كانت هذه التغيرات هي عادة مصدر افتخار بالنسبة للمراهق والمراهقة العاديين، فإنها تتحول لدى غالبية الآباء والأمهات إلى مصدر قلق وخوف يؤثر سلبا على علاقتهما بالمراهق والمراهقة. وأكثر ما يولد القلق عندهما التقارب بين الجنسين وانجذاب أحدهما نحو الآخر. لذلك نجدهما عادة يحرصان على تسجيل الحضور المكثف في المشهد الاجتماعي الذي تكون فيه المراهقة على مقربة من المراهق، بتركيز على حماية الفتاة بشكل خاص، و لا يطمئنان إلاّ حين يبتعد المراهقان عن بعضهما. وإذا كنا نقدر مشاعر الأولياء و لا نجد صعوبة في

تبريرها نظرا لما يمكن أن يترتب من آثار سلبية على أي تهاون من قبلهما في تسيير الموقف و ضبط العلاقة بين المراهقين الذكور والإناث (تكرار قصة " الفتاة الأم " وكل ما يصاحبها من آلام ومعاناة وهواجس تعيشها الفتاة وتعيشها معها عائلتها بسبب التسامح الأعمى كافية لتدفع بكل أفراد الأسرة للتجنّد من أجل منع حدوثها)، فإننا مع ذلك ننبه إلى أن مثل هذه الاحتياطات وحدها غير كافية و لا توفر كل عوامل امتصاص الضغوط التي تواجه المراهق والمراهقة كما أنها لا تقدم لتساؤلاتهما وانشغالاتهما أجوبة شافية. من هنا ضرورة توجيه الأولياء وكل من يتعامل مع المراهقين إلى:

1- مناقشة موضوع الغريزة الجنسية بأكبر قدر من الشفافية وعدم تحاشيه بحجة أن تناوله يتسبب في الحرج أو يخدش معاني الحياء التي تطبع علاقة الآباء بالأبناء. إن تهميش موضوع بهذه الأهمية والخطورة وعدم الخوض أو التحدث فيه قبل الزواج تترتب عنه كثير من المشاكل التي تنجم عنها أحيانا انحرافات تتضاعف آثارها التراكمية عبر الزمن. وإذا كان الدين الإسلامي الحنيف- الذي يعتبر الحياء من الإيمان ونبيه ﷺ أصلا بُعث متمما لمكارم الأخلاق،(أحمد ابن حنبل، الحديث رقم8952.، البخاري، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، الحديث رقم273)- تناول بكل التفاصيل الضرورية موضوع الجنس وما يرتبط به من مسائل شائكة وفي ظاهرها محرجة، فلا يدّعين أحد أنه أكثر حياء من خاتم الأنبياءﷺ فيشعر بأدنى حرج في التحدث في مثل هذه المسائل علما بأن مناقشتها تساهم بشكل كبير في رعاية النسل وحماية الأعراض. يجب ألا ننسى كذلك أن بقاء النوع الإنساني يتعلق بالاستجابة للغريزة الجنسية، و مسألة بهذه الآثار المصيرية على مستوى وجود الكائن البشري من حيث هو لا يجب التهاون فيها أو تناولها باستخفاف.

2- العمل على توعية الشباب بمخاطر الفعل الآثم وما يمكن أن ينجر عنه في حياتهم الخاصة والعامة وما يتسبب فيه من اضطراب وتصدّع في العلاقات الاجتماعية التي بدورها تنغّص حياة الأفراد والجماعة. ففي دراسة أجريت في جامعة مايدوجوريMaiduguri، أحد أهدافها العملية المساهمة في الحد من فيروس نقص المناعة البشرية/الأمراض المنقولة جنسيا بين عامة السكان في المجتمع وآثاره، وفي سياقها محاولة فهم لماذا لا يزال الشباب ينخرطون في سلوك جنسي محفوف بالمخاطر. ومن عواقب الممارسة الجنسية خارج العلاقة الزوجية التي كشفت عنها الدراسة حصول الحمل غير المرغوب فيه، ظهور أمراض منقولة بالاتصال الجنسي (فيروس نقص المناعة البشرية، الإيدز)، إجراء عمليات إجهاض...، ومن الاثار النفسية المترتبة عن ذلك ظهور حالات الاكتئاب، والرهاب، والشعور بالذنب، والشعور بالندم، فضلا عن زيادة في درجة القلق والتوتر. و من انعكاساتها الاجتماعية فقدان دعم الأسرة، فقدان احترام الذات، وضعف الأداء الأكاديمي، وعزلة عن الأقران. (Musa

(Abdullahi,2013 ومن العوامل التي اقترنت بممارسة المراهقين الجنس قبل الزواج، تأثير الأقران وضغطهم عليهم(Bingenheimer,J.B.et al.,2015) ، وتأثير وسائل الإعلام على سلوكهم الجنسي عامة ، (Escobar-Chaves., et al, 2005) إلى جانب الرغبة في إثبات الذات ولو بتعاطي السلوك الجنسي المحفوف بالمخاطر (Enejon, V.,et al,2016) .

إن الواقع يفرض أحيانا شروطا لا تعطي اختيارات كثيرة للمراهق فيضطر إلى التكيف معها على نحو يخفف به الضغوط بصورة مؤقتة خاصة التي تتولد عن حاجته الملحة إلى الإشباع الجنسي أو على العكس من ذلك يمنحه فرصا خاصة ويتيح له مجالا أوسع للتعامل بإيجابية و واقعية مع حاجاته وإمكانية إشباعها على النحو الذي يحقق الاستقرار في حياته دون المساس بأخلاقيات المجتمع وتقاليده ودون الحاجة إلى التورط في مخالفة تعاليم دينه الذي اعتنقه عن قناعة وإيمان حتى لا ينزلق إلى صراع مع الذات ينجم عنه شعور بالذنب يحرمه من الاستمتاع براحة البال. ولا شك أن عدم ترك فراغ في حياة المراهق وشحن أوقاته بالمفيد من الأعمال والأنشطة التي تمتص الفائض من الطاقة بصورة بناءة بحيث يشعر إثرها بطمأنينة النفس وانشراح الصدر ، فإذا تعزّزت هذه الأحوال بإنجازات يحققها على أرض الواقع يصبح مدفوعا إلى مواصلة العمل بوتيرة معينة لتحقيق المزيد منها. وهكذا يظل المراهق ينتقل من نشاط مفيد إلى نشاط مفيد، تزداد فيه خبرته وتتوسع تجربته كما ونوعا ولا يبقى في حياته مجال للتفكير في أمور ينحرف بها عن هذا المسار الصحيح.

من ناحية أخرى، تناول بعض الباحثين بالتحليل والنقاش كثيرا من البدائل التي يمكن التجاوب بها مع الظروف الاضطرارية أو ظروف السعة واليسر ، وتباينت مقترحاتهم إلى حد التعارض والتناقض بسبب الاختلاف في توجّه المدارس الفكرية التي ينتمون إليها وفي الخلفية الفلسفية التي يرتكزون عليها وطبيعة الحياة الاجتماعية التي ينتسبون إليها. ومن المحاور البارزة في نقاشهم هذا:

1- تأخير الزواج لأسباب اقتصادية اجتماعية وظروف ومعطيات ومستجدات الحياة المعاصرة. إن تشجيع أفراد المجتمع على تأخير الزواج لتمكينهم من استكمال عملية النضج والدخول في الحياة الزوجية، حسب ما يرى البعض، بمؤهلات الكفاءة تسمح لهم بتقدير المسؤولية و القيام بها على النحو الذي يحقق المصالح المشتركة. وقد يثمّن بعضهم النتائج الطبيعية المترتبة عن هذا السلوك من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، حيث يساعد على امتصاص سرعة النمو الديموغرافي والتحكم في نسبة الولادات بما يتناسب مع معدل النمو الاقتصادي. وبينما تخوّف البعض من التأخير الاضطراري في الإشباع الجنسي واعتبروه وسيلة قوية لتعزيز الاضطراب في شخصية المراهق، وخاصة إذا كان مصحوبا بالمعاشرة غير الزوجية التي يترتب عنها إنجاب (Maharaj & Shangase., 2020)، رأى آخرون أن مجرد

شحن حياته بأنشطة أخرى من شأنه أن يجعل عملية التأجيل سهلة لا تخلف الآثار الوخيمة التي تحدث عنها الفريق الأول، علما بأن الزواج المتأخر كما رجّح كثيرون وأكدت نتائج الدراسة يكون فيه الزوج و الزوجة أكثر نضجا وأكثر استعدادا لتحمّل التبعات والمسؤوليات بما يضاعف فُرص إنجاح الحياة الزوجية بينهما (Hawkins et al., 2022) . ومن انعكاسات تأخير الزواج الايجابية كذلك أنه يمنح الأفراد وقتا إضافيا يمكن استغلاله في تطوير شخصيتهم (Haotanto,2016). لكن في الجانب الآخر يؤدي تأخير الزواج إلى انخفاض معدل المواليد و سببه انخفاض الخصوبة وإذا كان هذا الأخير يبدأ في العشرينات من عمر المرأة، فإن احتمال الحمل قد يكون أكثر صعوبة بعد هذه الفترة. وهو أمر يشغل بال المراهقة خاصة لأنها تخشى أن تفوتها فرصة الانجاب، ولعل هذا السبب الذي يدفع كل عام12 مليون فتاة إلى الزواج قبل سن18عاما. و رغم أن نتائج الدراسات توازن في الآثار بين إيجابيات وسلبيات تأخير الزواج (Gündoğdu,A.H., & Bulut, S.,2022) ، ومع ذلك لا بد أن نضيف أن المسألة في الواقع المعاصر أخذت أبعادا خطيرة من أهم آثارها: "الإباحية" وتعاطي الجنس خارج إطار الزواج والذي ترتبت عنه ولادة أطفال غير شرعيين بأعداد كبيرة ومتصاعدة. ونظرا لأن عددا كبيرا منهم لا يحظى بحياة أسرية مستقرة، يضطر المجتمع إلى تحمّل مسؤولية الاهتمام بهم و تجميعهم في مؤسسات لا يمكن أن تكون بديلا للأسرة. هذه الإباحية دفعت أجيالا من الشباب إلى العزوف عن الزواج، لتتحول العنوسة من ظاهرة يعرفها أفراد قلائل في كل مجتمع إلى ظاهرة اجتماعية تشمل نسبة كبيرة من أفراد المجتمع، وهذا الارتفاع المتزايد في أعدادها هو الذي دفع البعض إلى نعتها بالخطر القادم(يحياوي مريم وقرزيز محمود،2011.، حسن رمضان فحلة،2009.، كركوش، فتيحة وشرادي، نادية، 2014). من ناحية أخرى تطرح الرهبنة الإشكال بصورة أخرى حيث تقهر الإنسان وتجبره على الاعتداء على ما هو فطري فيه وهذا بطبيعة الحال لا يحل المشكلة من أساسها بل بالعكس يقدم حلا مؤقتا غير ناجع سرعان ما يتحول إلى مصدر تنجم عنه مشاكل أصعب وعنف. يكفي هنا أن نشير إلى تجربة الكنيسة الكاثوليكية التي اعتبرت الزواج مظهرا يطعن في الطهارة الكاملة للإنسان فرفضت لمن يتقلد وظائف متقدمة ضمن مؤسساتها من قساوسة و"كاردنلات" و"بابوات" أن يتزوجوا. وبالرغم من أن هذا الموقف يُعرض في قالب ديني محض وأن القديس حين يمتنع عن الزواج فهو يزداد رفعة وتقربا من خالقه كما تقول تعاليم الكنيسة، لكن الواقع يستعرض صورا تبعث على الخجل حيث تتم انتهاكات هذا الخط الأحمر باستمرار في فضائح يندى لها الجبين. إن منع هؤلاء من الدخول في علاقة زواج عفيفة تم تعويضه كممارسة على أرض الواقع بعلاقة زنى مشبوهة تحرمها كل الديانات السماوية فضلا عن العقوبات التي تقترن بها في المنظومات القانونية الوضعية (Fortune,

(M.M.,2008;Hill,A.,2000. كذلك الحال بالنسبة لتحريم الطلاق الذي اعتمدته الديانة المسيحية ونصت عليه بعض الأناجيل[3] واعتمد في قانون الأسرة لدى غالبية المجتمعات الغربية (Terry.,1976). وعلل الانجيل المتداول هذا التحريم القاسي، كما قال العلامة يوسف القرضاوي بأن "ما جمعه الله لا يصح أن يفرقه الإنسان"[4](القرضاوي،1973، ص،201). هذا الحرص على تمديد عمر الزواج حتى ولو كان فاشلا بدوره خلف آثارا مدمرة للمجتمع وكاد أن يزلزل أركان مؤسسة الأسرة في المجتمعات الغربية. وأخذ فريق آخر ذلك كله كذريعة يبررون بها مقترحهم الأكثر جرأة وهو المطالبة برفع القيود على الممارسة الجنسية وعدم ربطها بموضوع الزواج كما هو موضّح في العنصر الموالي.

2- إيجاد صيغة منظمة لإشباع حاجة الشباب الجنسية خارج إطار الزواج. فعدم الإشباع في تقدير أصحاب هذا الرأي يؤدي إلى عدم استقرار شخصية المراهق وهو عين ما يدعو إليه رواد النظرية التي تقرن حالة الضغط أو الغليان التي تعاني منه فئة الشباب بالأطر الاجتماعية والثقافية التي تقوم بتقييد الإشباع الجنسي ببروتوكولات، و لا تسمح به إلا ضمن العلاقة الزوجية الشرعية. هذا التوجه يدعو صراحة إلى السماح بممارسة الزنى. أما الحاجة إلى تنظيم هذه الممارسة فجاءت من جراء الآثار الوخيمة التي تنجر عن هذا الفعل حيث تنتقل بواسطته أمراض خطيرة أصبحت اليوم تهدد مصير مجتمعات بأكملها (Schöpf, I.C. et al., 2022;Ghebremichael, M.S.,& Finkelman,M.D.,2013;Gonzales,G.,et al,1997).

3- اعتماد الزواج المبكر حيث ارتفعت كثير من الأصوات المسؤولة تدعو المجتمعات إلى تبني هذا الأسلوب خاصة في ظل ارتفاع نسبة المواليد غير الشرعيين المقلقة. (منصوري.ع، 2005، ص.41-43) قناعة هؤلاء أنه ما دام أن مسألة إشباع حاجة المراهق إلى الجنس ملحة وأن تحقيق ذلك بالعلاقة الجنسية غير الشرعية يتسبب في أضرار تنجم عنه ولادة أطفال منبوذين يضطر المجتمع إلى إيجاد مؤسسات لاحتضانهم و رعايتهم، فأولى السماح به في إطار أُسري شرعي مستقر يحظى بسند المجتمع، فنحمي بذلك الفرد والمجتمع ونوفّر للطفل المولود محضنا طبيعيا يعيش في ظله حياة كريمة وينشأ نشأة طبيعية.

4- يبقى الموقف الإسلامي الأكثر واقعية واعتدالا حين أولى الاهتمام لعلاقة الزواج الشرعية وحرّم كل ممارسة جنسية خارج هذا الإطار، كما شجع المسلمين على الزواج متى توفرت لهم الأسباب، فهم بذلك يدركون نصف الدين كما أخبر رسول الاسلام ﷺ. فعن أنس رضي الله عنه، عن النبيﷺ أنه قال" إذا تزوّج العبد فقد كمّل نصف الدين، فليتق الله في

---

[3]- من أقوال المسيح كما ورد في إنجيل متى 5 : 31، 32 " قد قيل: من طلق امرأته فليدفع إليها كتاب طلاق أما أنا فأقول لكم: من طلق امرأته إلا لعلة الزنى فقد جعلها زانية ، و من تزوج مطلقة فقد زنى " . و في إنجيل مرقس ، 10: 11، 12 : " من طلق امرأته و تزوج بأخرى بزني عليها ، و إذا طلقت المرأة زوجها، و تزوجت بآخر ، ارتكبت جريمة الزنى " نصوص ذكرها يوسف القرضاوي في كتابه " الحلال و الحرام في الإسلام " ص.201

[4]- إنجيل متى 19 : 6 و إنجيل مرقس10: 9

النصف الباقي"(رواه البيهقي، رقم5100.،الطبراني، في الأوسط، رقم8794.، حسّنه الألباني بلفظ "استكمل" بدلا من "كمّل"، رقم 430). كما ثبت عنه ﷺ قوله: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ، فإنَّه له وِجَاءٌ" (رواه البخاري، رقم4778 ومسلم، رقم1400). والدعوة إلى الصيام على اعتبار العلاقة القوية التي توجد بين الشبع والرغبة في الجنس، ولعل هذا ما ساعد على حصول توافق في آراء غالبية المدارس الصوفية وجمهور علماء القلوب وكثير من الفلاسفة والحكماء في التأكيد على ما أسموه بكسر شهوة الطعام من أجل المحافظة على التوازن بين مطالب الشخصية الإنسانية في أبعادها الجسمية والنفسية والروحية(الغزالي، ت505هـ،ج3)، دون إفراط و لا تفريط ودون تطرف أو تنطع. كما أن الإسلام كان صريحا في النهي عن الزهد في الزواج، وقصة الصحابة الثلاثة الذين أرادوا أن يتبنّوا أساليب هي أقرب إلى تعذيب النفس منها إلى العبادة وموقف الرسولﷺ منهم أصدق تعبير على ذلك. فحين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ للسؤال عن عبادة هذا النبي الكريم ﷺ فلمّا أُخبروا " كأنهم، كما ورد في النص المروي، تقالوها، فقالوا وأين نحن من النبيﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر و لا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" (رواه البخاري، رقم 4776) .

العادة الشهرية والمراهقة

يعدّ الحيض جزءًا طبيعيًا من علم وظائف الأعضاء التناسلية الأنثوية، ويحدث أول نزيف حيض للفتاة في متوسط عمر13عامًا، ويستمر حتى انقطاع الطمث ويحدث آخر نزيف حيض للمرأة مع دخولها سن الخمسين وقد يزيد عن هذا العمر أو قد يحصل قبله. (Reece,& Barbieri,2010) كما يعتبر الحيض مؤشر قوي عن النضج الجنسي، ويرمز بالتالي إلى الانتقال من الطفولة إلى الأنوثة، بل و إلى القدرة على إنجاب الأطفال. ولذلك فإن عددا كبيرا من الاناث يستقبلن الحدث بنوع من السرور والابتهاج ويأتي معززا لموقفهن ومؤكدا لدورهن ومكانتهن في المجتمع. إنها مناسبة للاعتزاز والافتخار. لكن من ناحية أخرى ولأسباب معقولة، فإن عددا متزايدا من المراهقات يتخوّفن من هذا الحدث و لا يتجاوبن معه بالرضا والابتهاج، ويبدين إزاءه عدم الارتياح خاصة من حيث أنهن غير مستعدات لتحمّل تبعاته (Rembeck.,& Gunnarsson.,2004; Orringer & Gahagan,2010)، علما بأن دخول مرحلة الحيض يفعّل في المجتمعات التقليدية أعرافا اجتماعية داعمة لزواج الأطفال وهو ما يعني نهاية تعليمهن وتهديد لمستقلهن الدراسي (Lee.J.,2009). ومن العوامل التي تعزز استمرار

الضغط النفسي عليهن العادات والتقاليد التي تدعو صراحة إلى إحاطة الدورة الشهرية بالسرية والشعور بالخجل من التحدث عنها، حيث أن طالبات المدارس يترددن في مناقشة مسألة الحيض مع ذويهم أو حتى معلميهن، ويشعرن براحة أكبر عند مناقشتها مع أقرانهن (Jarrah, S.S., & Kamel,A.A.,2012) . إن الاستجابات السلبية التي تسجلها مثل هذه الاناث إزاء العادة الشهرية يمكن تجنبها و التخفيف من آثارها لو أن الآباء و الأمهات أبدوا مواقف أكثر مرونة وتفهّما و حكمة في معاملتهم للمراهقة و هي تجتاز هذه المرحلة، كأن يقدموا العلاج المناسب في حالة وجود صعوبات جسمية فيزيولوجية، أو تقديم لها الشروح الوافية و أن ما تعاني منه هو أمر طبيعي تعرفه كل أنثى ناضجة و ينتظر زواله بعد فترة زمنية معينة و لا داعي للارتباك والخوف. وقد أظهرت نتائج البحث أن التوعية حول الدورة الشهرية عند الاناث يمكن أن تؤثر على مواقفهن تجاه الحيض والحياة الجنسية عامة وتجعلهن أكثر قدرة على التعامل معها والسيطرة عليها(Rembeck.,& Gunnarsson.,2004; Beausang & Razor.,2000) . وقد تكون للموقف السلبي من هذه الظاهرة أسباب مباشرة تقترن بحالة عدم الارتياح الجسمي الذي يصاحب العادة الشهرية خاصة و أن هذه الأخيرة تتميز في بداية حدوثها بعدم الاستقرار من حيث التوقيت، و ترتبط بظهورها آلام في البطن و صداع في الرأس، و يصعب أحيانا تحديد أسبابها هل هي عضوية أو نفسية عضوية، و لكن الظاهر أن هذه الاضطرابات تزول مع الوقت و تختفي بتأكُّد النضج واكتماله، وتظل بعض الاضطرابات مع ذلك تصاحب العادة الشهرية الى غاية سن اليأس وهو أمر تتعود عليه الأنثى.

الملاحظ أن ما يحدث للذكور من تطورات فيزيولوجية لا يسجل معهم فيها تخوفات كما هو شأن الاناث ربما لأن الذكور يتمتعون بحرية أكبر في التحدث عن ذلك مع بعضهم وإن كان يوجد أحيانا من الذكور من تطرح التطورات الجسمية معهم مشاكل وتنجم عنها صعوبات جمة تؤثر سلبا على عملية التكيف والاندماج داخل المجتمع (Pomeroy.,1968,1969) . هؤلاء هم أيضا في حاجة إلى أن يطمئنوا على ما يحدث معهم، وبإمكان الأسرة والمدرسة الاسهام في التخفيف من هذه الضغوط المتولدة عن عمليتي البلوغ والنضج.

من ناحية أخرى فإن التطورات التي تعرفها المراهقة لا تحدث في لحظة واحدة بل تستمر في الظهور لعدد من السنوات. لهذا السبب وجد الباحثون صعوبة في تحديد المرحلة الكاملة والمراحل الفرعية ضمنها بدقة ذلك أن الأمارات الأولى للبلوغ تظهر بصفة تدريجية و تتواصل التغيرات الجسمية حتى بعد اكتمال نضج الجهاز التناسلي. ويتعين على من يتعامل مع المراهقين أن يكيّف مواقفه بما يضمن مواكبة تطور الصفات و الخصائص لدى هؤلاء و لا يكتفي بردود أفعال مباشرة تجاه سلوكهم يقطع بها سيرورة حلقات النمو المتعاقبة في حياتهم.

بما أن التغيرات الجسمية تصاحب ظهورها أو تعقبه تغيرات في مستويات أخرى مثل تغيرات في الاتجاهات والمواقف، وفي الاستجابات العاطفية والانفعالية، وفي كيفية استعراض السلوك الاجتماعي، فلا بأس هنا فيما له علاقة بهذه النقطة بالذات، أن نعرج على بعض الأخطاء من السهل وقوع الأولياء والمربين فيها أثناء إشرافهم على المراهقين نظرا للإحراج الذي تسببه بعض سلوكيات المراهقين للمجتمع والضغوط النفسية والاجتماعية القيمية والأخلاقية التي تتولد عنها والتي تدفع باتجاه استعجال تسجيل التدخلات التي تعالج ما يطفو على السطح من صور هي بالنسبة للحالات الغالبة مجرد أعراض لا أمل في امتصاص عمق الخلل وأسباب الاضطراب بالتوقف عندها وحدها. ومن أبرز هذه الأخطاء تركيز اهتمامهم على تلك المظاهر الطاغية على حياة المراهق مثل الحساسية الشديدة والانفعال الحاد والمثالية المتألقة و انتقادها في ذاتها دون ربطها بسياق نمو الشخصية و ما يترتب عنه من حاجات تتطلب إشباعا و دون إدماجها في المشهد الاجتماعي الشامل بكل تحدياته و عقباته التي تضطره إلى القيام ببعض الاختيارات التي يعتبرها المراهق أحسن طريقة للتعبير عن قناعته و أنجع أسلوب يرفض به محاولة تكريس الآخرين لتبعيته لهم. وعند محاولة تقويم مختلف استجابات المراهق داخل هذا المشهد، مع أخذ بعين الاعتبار جميع العناصر المتفاعلة فيه، نجد أن سبب القلق الذي ينتابنا و سبب اقتناعنا بوجود الخلل في حياة المراهق يرتبط بشخصيتنا كأفراد نتعامل معه أو كجماعة وطبيعة معاناتنا وليس له دائما علاقة بشخص المراهق. وحتى نستطيع التحقق بالإنصاف في أقوالنا وأفعالنا نحتاج إلى التحرر من هذه القيود التي تكبّلنا و تحجبنا الرؤية الواضحة و الكاملة لما يجري في الواقع فعلا لا خيالا، مع عدم إغفال حاجة المراهق إلى دعمنا و وقوفنا بجانبه، و إلى تفهّم أوسع من قبلنا حتى يتمكن من مواصلة خوض تجربة الاستقلالية و تحمّل تبعاتها.

فيما يخص التطور في النواحي الجسمية التي عرفته المراهقة خلال حقب زمنية يسجل بالخصوص أن بعد50 سنة (دراسة *هاستينج* Hasting لأطفال *أوماها* Omaha سنة1902 ودراسة *بويد* Boyd لأطفال *دنفر*Denver سنة1952) لم تتجاوز الزيادة في الطول لدى المراهقين في الولايات المتحدة الأمريكية بعض الأصابيع. كما أن الفرق بين الذكور والاناث في الطول لم يتغير خلال حقب زمنية ممتدة، (Hastings W.W.,1902; Boyd, E.,1952; Hathaway, M.,1957). مما يؤكد أن الكائن البشري له أصل واحد وكل مظاهر تباينه لها جذورها في هذا الأصل الذي عرف بدايته منذ قال الله تعالى لملائكته " إني جاعل في الأرض خليفة " (سورة البقرة، الآية 29) .

النضج المبكر والنضج المتأخر

من الحقائق الثابتة عن مرحلة المراهقة أن معدل النضج بين المراهقين يختلف ويتباين، والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا "هل مثل هذه الاختلافات الجسمية تظهر في اختلافات في النمو الشخصي والسلوك الاجتماعي، وكيف يحصل ذلك؟

إن هذه الاختلافات بين المراهقين يصعب هيكلتها وتصنيفها لكثرتها، وقد يساعد أسلوب دراسة الحالة في تسليط الضوء عليها والوقوف على طبيعة تفاعلها مع باقي سمات وصفات شخصية كل مراهق. ولكن لا بأس أن نتناول جانبا منها حظي باهتمام الباحثين ربما بسبب تأثيراه الكبيرة و المباشرة على حياة المراهقين وبيئاتهم في جوانب مختلفة منها، ويتعلق هذا الجانب بسنّ النضج و الارتكاز عليه للحديث عن نضج مبكر ونضج متأخر. والبلوغ عند الفتاة يُوصف بالمبكر عندما يحصل قبل سن الثامنة ويوصف بالمتأخر إذا لم تظهر علاماته في سن13 أو إذا لم تأتيها الدورة الشهرية الأولى قبل16عامًا، على اعتبار أن بدء الحيض مؤشر قوي وحاسم للنضج عند الأنثى (Cameron & Nagdee,1996). أما بالنسبة للفتى فيكون البلوغ مبكرا في سن التاسعة ومتأخرا إذا ظهر في سن الرابعة عشر. والبلوغ المبكر هو أكثر شيوعا عند الفتيات، والملاحظ أن الفتيات اللاتي ينضجن قبل الوقت الاعتيادي يحملن عن أنفسهن صورة منحطة ولديهن معدلات أعلى من الاكتئاب والقلق واضطراب شهية الطعام (Mrug,S.et al,2014) ، كما يتحوّل هذا النضج المفاجئ مع بعضهن إلى مصدر خطر يعزز العدوان والانحراف السلوكي(Celio,M. et al,2006) . وفي دراسة حول تأثيرات مفترضة للانتقال إلى البلوغ، أن الفتيات اللاتي ينضجن مبكرًا يعانين من مستويات من الضائقة النفسية أعلى بكثير مقارنة بزميلاتهن اللاتي ينضجن في الوقت المحدد والمتأخرات في النضج، وكانت أكثر منهن عرضة للمشاكل النفسية وضغوط الأقران المستفزة والمحرجة، فضلا عن مشاعر الآباء العدائية (Ge,X.,Conger,R.D.,& Elder Jr,G.H.,1996). وعلى العكس من ذلك كان الفتيان الذين ينضجون مبكرًا أكثر اعتزازا بأنفسهم و نظرتهم إلى الذات أعلى إضافة إلى أنهم يحضون بشعبية أكبر بين أقرانهم.

من ناحية أخرى فإن نتائج اختبارات الشخصية التي طُبقت مع المراهقين الذين تأخروا في عملية النضج أظهرت معهم الشعور بعدم التوافق والنظرة السلبية إلى الذات والشعور بالرفض، وعدم الاستياء من السلطة التي يخضعون لها وحاجتهم الملحة إلى التبعية لغيرهم متوازية ظاهرا و بصورة متناقضة مع رغبة غير واضحة الاتجاه في البحث عن الاستقلالية والحرية (Mussen, & Jones,1957, pp.243-256) ، ربما بسبب الثمن الذي يدفعونه والإهانة التي تصيبهم في ظل الوصاية و التي مع ذلك لا يملكون الاستعداد النفسي للاستغناء عنها.

ففي دراسة تتبعية لعينة من33 مراهق وُصفوا بالمتأخرين في عملية النضج، لوحظ أنهم كانوا أقل ضبطا للنفس وتحكما فيها وأقل شعورا وإحساسا بالمسؤولية وأكثر ميلا للتوجه للآخرين طلبا للمساعدة والتأييد (Jones,M.C.1957). وفي دراسة أخرى أجريت في أوساط طلبة معاهد عليا شملت عينة من المراهقين تميزوا بنضجهم المبكر وعينة ثانية من المراهقين سجلوا تأخرا في عملية النضج وعينة ثالثة كانت عملية النضج معهم تسير بمعدل متوسط، وتناولت الدراسة بالمتابعة والقياس أبعادا متعددة من الشخصية. ومن نتائجها أن المتأخرين في عملية النضج من الذكور سجلوا درجات عالية من الشعور بالذنب والشعور بالنقص ومن حالات الانهيار العصبي والقلق العام، وأظهروا حاجتهم إلى التشجيع وإلى لطافة وتفهّم الآخرين لهم، أكثر مما حصل مع المراهقين الذين تميزوا بالنضج المتوسط أو المبكر، كما كانت حاجة المتأخرين إلى القيادة وإلى التحكم والسيطرة على الآخرين أضعف، وأن حالتهم توحي بوجود الصراع في اتجاه "حرية–تبعية" التي تؤرقهم وتزيد من درجة التوتر في حياتهم (Weatherley, D.,1964) . إن الحالة النفسية التي يفرزها النضج المبكر لدى المراهقين والمراهقات، وخاصة تعايشهم مع مطالب ملحة و لكن متعارضة كرغبتهم في التحرر من التبعية للغير وفي ذات الوقت حاجتهم إلى مساعدة الآخرين، قد تتحوّل أحيانا إلى اضطراب نفسي حاد بل وإلى حالة مرضية قد تستدعي رعاية صحية خاصة إذا تُرك المراهقون لوحدهم دون مرافقتهم في هذه الظروف الحرجة التي يمرون بها. فقد ثبت أن توقيت البلوغ، وخاصة النضج المبكر، يرتبط بمجموعة واسعة من الأعراض النفسية المرضية في مرحلة المراهقة لدى كل من الفتيات والفتيان (Ge,X.,& Natsuaki,M.N.,2009;Negriff.,& Susman.,2011; Graber.,2013). و رغم أن نتائج نفسية ضارة ارتبطت بتوقيت البلوغ لدى الذكور و الإناث حسب ما أشارت إليه الدراسات (Mendle,J. et al., 2007)، إلاّ أن هذه الأخيرة لم تنفي وجود فروق بين الجنسين من حيث تأثير النضج المبكر على كليهما، و ظل نصيب الأنثى منه هو الأكبر ذلك أن هذا التوقيت للنضج يطرح مشكلة بالنسبة لها لأنه يكون عادة غير متوقع في سنها لذلك يحدث لها مرارا أن تصطدم بالواقع و تواجه بقوة الطريقة التي يتم بها التعامل معها وكيفية احتضانها، فتظل علاقتها بأفراد المجتمع القريب و البعيد متوترة. ولعل هذا ما يبرر ارتفاع معدلات الاضطراب بما في ذلك الاضطرابات الإكتئابية في أوساط هذه الفئة من الإناث (Copeland, et al.,2010;Hayward,et al.,1997)، واضطرابات تعاطي المخدرات واضطرابات الأكل (Klump,2013;Stice,et al.,2001) . كذلك الحال بالنسبة لتأخر نضجها الذي يجعلها تواجه مضايقات أو رفض الواقع تكييف أساليبه ومعاملته بما يتجاوب معها ومع حقائق تتعلق بها. الجميع ينظر إليها أنها كبيرة ويجب أن تتحمل المسؤولية كاملة، والحقيقة أنها غير قادرة عمليا على ذلك. وأيضا عندما تقارن نفسها مع باقي الإناث ينتابها

خوف وقلق و وسواس، ومثل الذكور الذين تأخر نضجهم، فقد تحمل نظرة سلبية عن ذاتها فتفشل في بناء علاقة صحيحة مع الآباء والأمهات وباقي أفراد أسرتها ومع من تتقاطع معهم في المدرسة أو في غيرها.

وحتى تكتمل الصورة لا بد أن نضيف أن ارتفاع معدلات أعراض الاكتئاب سُجلت أيضا مع الذكور خلال فترة المراهقة، كما أفادت دراسات أخرى، لكن حصل هذا مع المتأخرين في النضج (Negriff.,& Susman.,2011)، وترتبط بإحساسهم العميق بالخيبة والعجز الذي تهتز معه مكانتهم الاجتماعية.

ونظرا لأن العلاقات الأسرية تتميز بالدينامية والحركية وتشكل مساحة تفاعل بين أفراد الأسرة في تناغم وتعاون أحيانا، وتوتر وخلاف أحيانا أخرى، فقد أظهرت بعض الدراسات أن ضعف العلاقة الأسرية كالتي يطبعها ارتفاع الصراع بين الوالدين وأطفالهم وانخفاض الدفء وغياب الأب ينبئ بتوقيت البلوغ المبكر لدى الفتيات (Ellis, B.J.,& Essex,M.J.2007)، وأن الإناث التي دخلن مرحلة النضج مبكرًا تحدثن وباستمرار عن ضعف جودة العلاقات مع العائلة (Graber ,et al,1997,2004). وغالبا ما يعود ذلك إلى عدم تقبّل الأولياء للواقع الجديد والمفاجئ الذي تستعرضه بناتهم أو إلى عدم استيعابهم ما حصل معهن وما قد يصاحبه من عجز في التعامل معه على نحو مسؤول يوفّر الأرضية المناسبة لتوجيه العلاقة مع المراهقات إلى الأفضل.

زيادة على الاثار المباشرة للنضج المبكر أو المتأخر على المراهق والتي تضطره في كثير من الأحيان إلى مراجعة أساليب حياته وبعض مواقفه وتكييفها من جهة حتى يحقق تناغما بين ظاهره وباطنه فتطمئن نفسه، ومن جهة أخرى حتى تتوافق مع توقعات الآخرين التي وضعوها انطلاقا من مؤشرات ملموسة أفرزتها عملية نمو الأطفال والمراهقين كطول القامة أو قصرها ونحافة الجسم أو ضخامته...إلخ. ولأن هذه التوقعات بُنيت على تقديرات سطحية فإنها غالبا ما تأتي دون إمكانات الفرد الحقيقية، فتنشأ بسببها حالة إحباط و انهيار معنوي أو أنها تتجاوز طاقة تحمّل الفرد فتولّد عنده قلقا يفقده توازنه النفسي يدفعه إلى لوم نفسك والتشكيك في قدراته.

وهناك جانب آخر في غاية الأهمية بالنسبة لحياة المراهق كثيرا ما تسبب له في الإحراج وأوقعه في صراع مع توقعات الآخرين و صدام مع أساليب الكبار في توزيع الأدوار و تقسيم المهام، ويتعلق بالصورة الخادعة لبعض مظاهر النمو. فبما أن الجسم أحيانا لا ينمو كوحدة متجانسة كأن تشذ ناحية وتخرج عن الاطار العام، فنمو سريع للعمود الفقري والعضلي الذي لا يواكبه انتشار موازي بنفس المعدل والسرعة في باقي أجزاء الجسم بصورة مؤقتة قد يُحدث أحيانا اضطرابات في توازن العمليات الفيزيولوجية بحيث أن المراهق يشعر أن الرشاقة في

الحركة تعوزه أو أنه غير منسجم في حركاته. يتغذى هذا الشعور عادة من الانطباع الذي تعطيه صورة جسمه عندما يتأمل فيها أمام المرآة أو من خلال ما يسمعه من الأوصاف التي يرسلها الآخرون من مواقع مختلفة و بأهداف شتى و التي يعطيها أهمية قصوى و يتوقف عندها وقتا كافيا خاصة إذا كانت تتطابق مع الصورة التي يحملها. إن عدم التلاؤم أو عدم الانسجام قد يكون، كما بيناه، مجرد شعور يجده المراهق أو انطباع عام يحمله. ومما يساعد على إثارة هذه الحالة النفسية التي يشوبها القلق و الارتباك و التردد، الخطأ في تقدير الحجم المناسب للسن خلال المراهقة من قبل أفراد المجتمع. فطفل عمره 12سنة ويعطي مظهر طفل في سن16 يتوقع منه المجتمع الذي يبني على هذا المظهر الماثل أمامه أن يسلك مثل ما يسلك الأطفال في سن16، في الوقت الذي لا يملك هذا الأخير سوى أنماط الحركة والسلوك الخاصة بأطفال عمرهم12سنة. فهو يبدو غير منسجم مع نفسه وكأنه ليس في ثوبه من جراء تقدير غير صائب لإمكانات لا يملكها. إنه حُكم قاسي يزيد في إرباك المراهق و لا يسهل عليه عملية بناء الجسر مع أفراد المجتمع و التي يتوقف عليها مستقبله الاجتماعي. ومن تم، ضرورة مراقبة الكبار لمواقفهم ومراجعتها بعد تقويم آثارها والتأكد من مدى تناسبها مع الواقع، علما بأن التمادي في اعتمادها يتحول تدريجيا إلى وسيلة عنيفة تدفع المراهق في أحسن الأحوال إلى محاولة مسايرتها في الوقت الذي هو فاقد للآليات المساعدة على القيام بذلك، وفي أسوء الأحوال وخاصة عندما يخفق في محاولاته تلك أن ينطوي على نفسه فينمو عنده الخوف من المبادرة مما يعزز عنده قناعة بأنه فاشل بطبعه وأنه لا يشبه الآخرين. ويحدث الإجهاد عندما يتجاوز الضغط قدرة الفرد على التأقلم و التكيف و على الاستجابة بشكل مريح، عقليًا وجسديًا و سلوكيًا و اجتماعيًا، فيتحوّل إلى مشكلة تحتاج إلى إدارة. و تمّ تصنيف الإجهاد على أنه مصدر قلق صحي كبير بين الشباب وفقًا للمسح السنوي الخامس في الولايات المتحدة (Davis,M.,et al.,2010). ويمكن للأسر والمدارس والجمعيات والأندية والفئات الاجتماعية الأخرى لعب دور مهمّ في مساعدته على امتصاص الضغوط الزائدة والتخلص من التوتر المحبط و تمكينه من استعادة التوازن المفقود و تفعيل قدرته على الفعل والمبادرة بدلا من البقاء في حلقة رد الفعل الضيقة.

ويعاني بعض المراهقين المجهدين من آثار جسدية كآلام المعدة والصداع، ويواجه آخرون صعوبة في التركيز أو إكمال الواجبات المدرسية، بينما يصبح آخرون منعزلين أو يقضون الكثير من الوقت بمفردهم(Jugal Kishore., & Bhaskar Watode, 2011). وقد ينبعث عن ذلك شعور الكراهية تجاه كافة أفراد المجتمع لما يُسجّل لهم من حضور قوي له صدى في حياة المجتمع مقابل عجزه أو فشله الذي قد يعتبر الأبوين السبب المباشر فيه وهذا من المرجّح أن يؤثر سلبا على علاقته بهما.

بعض خصائص لغة المراهق

من نتائج التحقيقات المسجلة حول قدرة المراهق على تعاطي جوانب تصورية تحليلية للغة ما انتهى إليه *مانسنجار* و*دوجلاس* حيث لاحظا مع التوائم المتماثلة (Mussinger.& Douglass, 1976,pp.40-50) أحد جوانب النمو اللغوي: القدرة على فهم الاستعارة والتشبيه في الاستعمال اللغوي والتجاوب المناسب معهما، باعتبارهما عمليتان معقدتان تتطلبان قدرة خاصة على التفكير الصوري الاجرائي. ففي المجاز أو الاستعارة ننطلق من الرمزية لنعود الى الرمزية (Gleason,2001). و قد احتلت إشكالية الرمز و دوره في النشاط البشري مكانًا مهمًا في فكر *إرنست كاسيرر* Ernst Cassire و وفقا لـ *كاسيرر* يخلق الإنسان بعض "الأشكال الرمزية" التي تمكن من تنظيم البيانات الحسية، أي: تصور للعالم، كما يتعرف على الواقع بفضل ما يُسمى بالأشكال الرمزية التي تقف في الطريق بين الذات و العالم، فلا يدرك الإنسان الواقع كما هو " في ذاته"، بشكل مستقل عن فعل الإدراك، لكنه يراه دائمًا من خلال عدسة الأشكال الرمزية التي تنظم مادة الخبرة، و تبني صورة محددة و متماسكة عن العالم (Cassirer, E., 1953). إن *كاسيرر*، كما يعلق النجيحي، رفع الانسان فوق مستوى الثقافة ومنحه القدرة على تحريكها وتطويرها وإيجاد الانسجام والتكامل بين أجزائها. فالإنسان هو خالق هذه الثقافة وهذا التاريخ و هو الذي يطور الأحداث و يُخضع التشكيل الاجتماعي لقدرته الخلاقة(النجيحي، 1981، ص.150)، وهو بهذا المعنى لا يخضع للثقافة خضوعا سلبيا، و تكون بذلك نظرة *كاسيرر* للطبيعة الانسانية متكاملة تشد جميع أجزائها لخيط واحد هو الرمز الذي هو واسطة التكيف بين الانسان والبيئة (النجيحي،1981، ص.151) .

إن دراسة *مانسنجار* و *دوجلاس* التي أشرنا إليها تربط نجاح فهم الاستعارة بنجاح في امتحان التفكير الصوري الاجرائي. و ليس من قبيل الصدفة أن يلجأ المراهق إلى استعمال لغوي يبتعد فيه عن المألوف من حيث التراكيب والعبارات ومن حيث المضمون وهو في ذلك يترجم عن أصالته و أنه ليس صورة متكررة لغيره فيصبح حرصه على مظهر ما يتفوه به أو ما يجري على لسانه كحرصه على ترتيب هندامه لكن بلون و نكهة المراهقة. فلا ينبغي أن نسجل إزاء هذا المطلب موقفا سلبيا أو نعمد إلى قطع هذا الطريق عليه و إرغامه على التحدث بطريقة "طبيعية " أو إعادة صياغة ما قاله وما عبر عنه بكيفية تحمل معنى التحقير أو التشهير، فنحرمه بالتالي من التمتع بآثار محاولته الإبداعية. وليتذكر الذين يتعاملون معه أنهم أمام شخصية تريد أن تؤكد وجودها المتميز و لا تريد فقط وجودا في ظل الآخرين. ومن ملاحظات و معاينات الباحثين *مندلار* و*جونسون* أن عملية نمو مخططات تذكرية جيدة وذات فعالية أكبر تواكب تقدم الأطفال في أعمارهم الزمنية، و أن اتساع مدى الذاكرة يزداد بصورة ملحوظة أثناء فترة المراهقة. كما أن الذاكرة المفيدة و الأقوى لدى المراهق أو الراشد

على حد سواء هي التي تقوم بتصنيف و تنظيم المعلومات بطريقة أفضل فتجعلها في متناول أي استعمال أو أي توظيف(Mandler.& Johnson.,1977,pp.111-151) .

النمو العقلي للمراهق

إن قدرة المراهق العقلية خلال هذه المرحلة تزداد في النمو كما و نوعا. هذه التغيرات تساعد المراهق على التعامل مع المتطلبات التربوية والمهنية الجديدة التي تزداد تعقيدا. ومع نضوج بعض قدرات المراهق المعرفية، يصبح قادرا على التفكير بطرق أكثر تعقيدًا و تجريدًا وهو ما ساعده على الانخراط في التفكير الذاتي على مستوى أعمق. كذلك فإن مظاهر أخرى من نمو المراهق تعتمد على تقدمه في هذه الناحية مثل:

1- *التغيير في طبيعة العلاقة بين الطفل و الآخرين*: إن العمل على تشكيل المراهق لهويته، تجعله عمليا يبتعد عن والديه، وفي المقابل تدفعه نحو مجموعة الأقران التي تصبح بالنسبة إليه ذات أهمية خاصة(Shanahan,L.,et al.,2007). لذلك غالبًا ما يتم خلال فترة المراهقة إعادة تنظيم العلاقات الأسرية، حيث يريد المراهق مزيدًا من الاستقلالية ومسافة عاطفية أكبر بينه و بين والديه، يتحول تركيزه إلى تفاعلات اجتماعية وصداقات. ولأسباب، تفرزها عملية النمو، تظهر حاجته إلى الانتماء وتحرير الولاء لمجموعات الأقران. وإذا كان الانخراط الواسع مع الأقران يفعّل لدى بعض المراهقين تطورهم الاجتماعي ويعزز احترام الذات خاصة لدى الصغار منهم، فإنه قد يتحوّل إلى عقبة في وجه هذا التطور إذا أدى إلى تهميش علاقات اجتماعية حيوية، ولعل هذا ما تناوله الباحثون على نطاق واسع تحت مسمى"عدوى الأقران المنحرفة " (Dishion,T.J. & Tipsord,J.M.,2011) .

2-*بناء خصائص شخصية و نفسية*. مثل النمو الاجتماعي و الذي تجسده تفاعلات المراهق الأكثر نضجا مع الأفراد والجماعات، والتطور الأخلاقي المقترن بقدرته المتزايدة على اتخاذ خيارات مبدئية وميله الدافع نحو المثالية وتعلّقه القوي بالعدالة في العلاقات الإنسانية، والتطور الفكري الذي تترجمه زيادة قدرته على الفهم والتفكير، مع التنبيه إلى أن هذا التطور لا يكون مرئيًا مثل النمو الجسدي، ولكنه، حسب نتائج المتابعة، بنفس القدر من القوة (Van Hoose, J. et al,2001) ، فخلال فترة المراهقة المبكرة، يُظهر الشباب مجموعة واسعة من صور التطور الفكري الفردي وبالخصوص التفكير المستقل وممارسة المراهق التأمل في تفكيره وهي صورة متقدمة في عملية التجريد التي تصاحب مرحلة المراهقة، كما تزداد فضوليته فتتوسع بذلك ميوله واهتماماته. إن هذا الجهد التقويمي الذاتي سوف يسمح للمراهق بمراقبة سلوكه إدارة عواطفه حتى يصبح أكثر وعياً بمشاعره ومشاعر الآخرين، كما يمنحه هذا التأني فرصة بناء مهارات مناسبة واكتشاف صفاته الفريدة، خاصة إذا توفّرت الخبرات والبيئات التعليمية الأكثر ملاءمة من الناحية التنموية. ويتعيّن على الممارسين

وأولياء الأمور وغيرهم ممن يعملون مع المراهقين أن يكونوا على دراية بأي تغييرات في الخصائص التنموية، فهي تساعدهم على تحسس التحديات التي تواجه المراهقين وتوضح الأسباب المحتملة للتحولات في قدرة المراهقين وسلوكهم علما بأن احتياجات المراهقين الصغار التنموية تؤثر على البيئة التعليمية والهيكل التنظيمي للمؤسسة التربوية التي يتواجدون بها(Caskey,M.M., & Anfara Jr, V.A.,2007) .

3- *تنمية الاحساس بالأنا*. خلال هذه الفترة سيجد المراهق إحساسه بالهوية يؤثر بشكل متزايد على القرارات التي يتخذها، وهو مؤشر على قوة حضوره الايجابي. لبناء شعور إيجابي بالهوية، يحتاج المراهق إلى فرص لاستكشاف مكانه أو موقعه في العالم المحيط به، وتحديد أهدافه الخاصة وتحديد كيف يريد أن يُنظر إليه (Blasi & Milton.,1991;Coté.,2009)، وباستطاعة الآباء والمربين دعم عملية تطوير الهوية الصحية بتوفير له فرص استكشاف الهوية و التعبير عنها.

4- *الاندماج الاجتماعي وتحديد الأدوار والتوقعات*:بواسطة الاحتكاك بأفراد المجتمع الذي يتزايد مع الوقت، يستوعب المراهق مفاهيم حول القيم العامة والخاصة، وبالاستجابات التي تفرزها العلاقات معهم تنمو لديه مهارة خاصة في توظيف تلك المفاهيم. ويعتبر التزاوج في حياة المراهق بين انتعاش شعوره بالذات و روح الانتماء إلى المجتمع أحد مؤشرات التطور النوعي في هذه المرحلة من العمر. ورغم أن العنصرين متعارضان في الظاهر، لكن حرص المراهق على التحقق بفعالية الموقف المجسد في للتكيف المثمر، فإنه لا يستغني عن قوة دافعة يستمدها من رغبته في إثبات وجوده المتميز وفي ذات الوقت لا يمكنه إدراك ما يطمح إليه دون سند يحمي ظهره. إن هويته الذاتية هي التي تشكّل تصوراته للإنتماء، وتكوينها الفريد يولّد لديه شعوراً بالرفاهية النفسية وبأنه داخل جسده بكامل الاستعداد للمناورة داخل بيئته الاجتماعية المباشرة وخارجها، وكما أظهرت المتابعة الميدانية فقد أفرز تحقيقها نتائج اجتماعية ونفسية إيجابية كالرفاهية النفسية والتكيف العاطفي والرضا عن العلاقات الحميمة في مرحلة البلوغ (Sandhu.,et al,2012).كذلك الحال بالنسبة لحاجته إلى الانتماء، فهي بالنسبة لـ *بوميستير وليري* دافع قوي لتشكيل والحفاظ على الحد الأدنى من القيم الإيجابية والهادفة، ونقطة انطلاق لفهم وتكامل العلاقات الإنسانية بين الأشخاص (Baumeister.,& Leary.,1995).علما بأن خلال هذه الفترة ينضج دماغ المراهق بطرق تساعده على فهم وجهات نظر الآخرين بشكل أفضل، وهو ما يسهل عملية انخراطه في الحياة الاجتماعية.

5- *نظرته إلى الذات تتسم بموضوعية أكبر*، فضلا عن الجرأة على تسجيل انتقادات موجهة نحو الذات. إنه الوجه الآخر للمراهقة والذي كثيرا ما يهمله المربون و لا يتابع مساره الباحثون لأنهم لا يضعونه ضمن أولويات ما يشغلهم من حياة المراهقين بالرغم مما يمثله

التفكير بالنسبة لهؤلاء وتعاطيهم إياه دون توقف حتى في أوج استجاباتهم العاطفية. ولعل هذا ما دفع *أوستيريث* إلى القول بكل وضوح" التفكير بالنسبة للشاب حاجة ومتعة"[5] (Osterrieth,1969, p.15).إذا كان هذا أحد عناوين المراهقة البارزة ومظهر مميز من مظاهرها فلا يبقى أمام المربين أي مبرر لعدم تطوير برامج و توفير خدمات من أجل تمكين المراهق من تنمية قدراته العقلية التي، كما أكدته الدراسة العلمية، تساهم بصورة مباشرة في تحقيق توازن شخصية المراهق واستقرار حياته النفسية(بياجه،1988). ويكتشف الجميع أن الاهتمام بهذه الناحية مبكرا يعبّد الطريق لامتصاص كثير من الصعوبات التي طالما واجهت من يتعامل مع المراهقين، فيصبح تطوير آليات التفكير لدى هؤلاء استثمار، له على المدى المتوسط نتائجه التي تستفيد منها كل الأطراف وتحررهم جميعا من الخوف والقلق ومن سياسة الحيطة والحذر التي طالما هيمنت على الموقف وطبعت علاقة المجتمع بالمراهق.

خلاصة:

تناولنا المراهقة في الفصل الخامس من خلال بعض مظاهر النمو الجسمي والنفسي، واتضح لنا أن البلوغ الجنسي يعتبر من أهم مظاهر التطور الفيزيولوجي التي تحدث في هذه المرحلة، وأن العملية التناسلية أصبحت ممكنة، حيث أن المراهق يستطيع بيولوجيا أن يكون أبا كما أن المراهقة تستطيع بيولوجيا أن تكون أما، وهي تغيرات تكون عادة مصدر افتخار بالنسبة للمراهق والمراهقة العاديين. ومن مظاهر النمو الجنسي التي توقفنا عندها "العادة الشهرية للأنثى" باعتبارها مؤشر قوي عن النضج الجنسي، وأن عددا كبيرا من المراهقات يستقبلن هذا الحدث بابتهاج واعتزاز لأنه يعزز موقفهن ومكانتهن في المجتمع، ولو أن عددا منهن يستقبلن الحدث بخوف وقلق ويبدين تجاهه عدم الارتياح لشعورهن بأنهن غير مستعدات لتحمّل تبعاته. كذلك تناولنا النضج المبكر والنضج المتأخر والحالة النفسية التي يفرزها كل منهما لدى المراهقين والمراهقات وكيف ينشأ عنهما أحيانا اضطراب نفسي حاد بل وحالة مرضية تستدعي رعاية صحية خاصة إذا تُرك المراهقون لوحدهم دون مرافقة في هذه الظروف الحرجة التي يمرون بها.من العناصر التي تضمنها الفصل "النمو اللغوي"حيث لاحظنا أن لغة المراهق النوعية في ازدياد خاصة قدرته على فهم الاستعارة والتشبيه والتجاوب المناسب معهما، ولجوؤه المتكرر إلى تراكيب وعبارات ومضامين غير مألوفة تعبيرا عن أصالته وؤأنه ليس صورة متكررة لغيره. مع ملاحظة حرصه على مظهر ما يتفوه به كحرصه على ترتيب هندامه. عنصر آخر شمله الفصل ويتعلق بالنمو العقلي حيث أدركنا أن المراهق أصبح أكثر من أي وقت مضى قادرا على التفكير بطرق أكثر تعقيدًا وتجريدًا و هو ما يساعده على الانخراط في التفكير الذاتي على مستوى أعمق.

---

[5] – النص الانجليزي الأصلي: To reason for the young person is a need and a pleasure

الفصل السادس:

بعض ما يعرف به المراهق

يُعرف المراهق عامة بعواطفه الشديدة سواء في تعلقه أو في ابتعاده و نفوره. ومن السهل ظهور في حياته صور الاعجاب بالنفس الذي تنبعث منه معاني الفخر خاصة بالمنجزات، والاعتزاز بالذات الذي يرفض فيه كل انتقاص من قيمته، والاحترام الذي يتجاوز حدود حسن المعاملة المألوفة، والانجذاب القوي نحو الآخر، والاخلاص الذي يجسده بتفان، والصداقة التي يقرنها بالتضحية الكاملة، والعدوانية التي لا تعرف خطا للرجعة، والانقياد أو الخضوع الذي يكاد يوحي بأن شخصه المتميز لم يعد موجودا. وفيما يلي نتوقف عند بعض ما يطغى في حياة المراهق من مواقف وممارسات على سبيل المثال لا الحصر.

التنافس في حياة المراهق

يعتبر التنافس من الوسائل الناجعة لدفع الانسان إلى استغلال قدراته استغلالا موضوعيا نظرا لما يعرضه من مواقف تحمل معاني التحدي التي يرغب المراهق بقوة أن يرفعها بجدارة ومصداقية. تساعد الأنشطة التنافسية في تطوير مهارات مثل المرونة المثابرة (Hammond., 2017) و كثيرا ما يكتشف المراهق في محاولاته تلك قدرات أخرى تبرز نتيجة الظروف التنافسية المحيطة به. وبما أن هذه العملية تستجر مثل هذه المواقف الايجابية لدى المراهق وتقوي فيه رغبة إثبات الذات من خلال الانجازات الخاصة التي يريد أن يتميز بها عن الآخرين ويتفوق فيها عليهم، فينبغي تشجيعها وعدم التردد في إتاحة له الفرصة تلوى الفرصة وإيجاد الظروف المواتية و توفير الوسائل و الآليات التي تساعده على الدخول في التنافس الشريف الذي يكتسب منه مزيدا من المهارات الجديدة والكفاءات المؤهلة كما يستفيد منه ثقة أكبر في النفس. إنها الظروف التي تفرض على المراهق أن يفكر لنفسه ويبني تصوره لوحده ويعبر عن وجهة نظره بطريقته الخاصة. و لا يهمنا في بداية الأمر مضمون هذه المحاولة أو ما يترتب عنها من نتائج خاصة في علاقتها بنا، بل يجب أن يتسع صدرنا للتجربة المستقلة التي خاضها المراهق، و قد اختبر فيها نفسه وأشبع بها بعض حاجاته و راجع على ضوء نتائجها بعض تصوراته وأهدافه. ومن حقه علينا أن نصبر على كل محاولة منه تندرج في السياق الذي ذكرنا دون أن ننسى عند تقويمنا لها أن عملية النمو الشاملة عنده ما زالت مستمرة، فينبغي مسايرتها و عدم اعتراض مسارها أو الوقوق في وجهها.

ومن بين الأخطاء التي يرتكبها بعض الآباء اهتمامهم الشديد بحماية أطفالهم من الفشل إلى درجة محاصرتهم والتضييق عليهم وتقييدهم، رغم أن الفشل في ذاته ليس أمرا سيئا، بل فرصة للتعلم واستفادة الدروس. ففضلا عن إتاحة إمكانية التعلم من الفشل و التحفيز على العمل بجدية أكبر وتطوير الكفاءات وتحسين المهارات، يمكن أن يساعد في تقوية عزيمة الفرد وثباته أمام التحديات و العقبات بحيث لا ينهار عندما يواجه ظروفا صعبة (Masten, A.S.,2014). و لأن الأهداف وراء دخول المنافسة تتعدد حسب ظروف المراهقين و أولوياتهم

(فتكون من أجل البقاء، أو طلبا للسيطرة أو التماسا لموقع أو عضوية، أو استغلالا لفرصة ،أو تحقيقا لتميّز أو فوز، أو للمتعة واللعب...) ولذلك يتعين تفعيل المرافقة الواعية والتوجيه حتى لا ينحرف السلوك التنافسي عن مساره الصحيح وحتى و لا تُبدد طاقة الشاب وجهوده فيما لا يجدي نفعا. يجب أن نذكر كذلك بأن عوامل "الاستقلالية" و"الشعور بالثقة" و"النظرة الايجابية إلى الذات" تساعد المراهق في الانخراط في عملية التنافس المثمر داخل المجتمع (Dupras.,& Bouffard.,2012; Bacchini.,& Magliulo.,2003) ، ولو أنها بدورها تتغذى من نتائج هذه المشاركة.إن هذا النوع من المشاركة في مرحلة المراهقة هو في جوهره تعبير عن الحضور بل عن الوجود (Lenjalley.,& Moro.,2019). وحتى حين يصاحبها تطرف في المواقف، فإن ظاهرة التطرف، كما يرى *جوسلين*،" تتحدث عن عملية نفسية ومجتمعية تردد صدى إنكار الآخر و إيديولوجية المحو، و يمكن فهم الخطابات الراديكالية أيضًا على أنها عملية بقاء للشباب بحثًا عن اتجاهات." (Joussellin, J.J.,2021) و لأنه يميل إلى البحث عن المطلق ويتعلق بالمثالية وتزداد رغبته في التأثير على العالم وتحويله وجعله أكثر عدالة، على حد تعبير *جاتون* و*مورو*، فإنه ينزلق حتما إلى التطرف في عمليات و مواقف غير متجانسة للغاية(Gutton, P.,& Moro, M.R.,2017) . و لهذا لا بد من الإشراف عليه واحتوائه و رعاية الديناميكية الحيوية التي يستعرضها حتى لا يضيع بين الاتجاهات المتناقضة.

مزاولة دور الكبار

يحرص المراهق على لعب دور الكبار في حياته و هو توجّه تفرضه المرحلة و يستدعي من الراشدين تجاوبا ناضجا و تفهما هادفا. و هو موقف يشبه موقف الطفل في سن السادسة أو السابعة الذي يُحرجه أن تحمله أمه بين ذراعيها. سلوك كان قبل هذه السن يلتمسه ويرغب فيه. كذلك المراهق الآن يأنف من قيام الكبار بأعمال بدلا منه على تقدير أنه ما زال "صغيرا ". فهو يخجل من هذا المظهر الذي يتبع فيه للآخرين كما يحصل للأطفال. فعندما يصاحب أمه قد لا تتردد هذه الأخيرة في التعامل معه كطفل و تقوم بترجمة ذلك في الألفاظ والحركات، لكن بصورة عفوية دون أن تستشعر ما يحس به هذا المراهق. إزاء هذه المشاهد التي تُحتقر فيها نفسه يسعى لتصحيح الموقف في محاولاته المتكررة لإثبات لها أنه لم يعد طفلا(Brizio, A.,et al,2015) . فإذا ركب معها الحافلة مثلا و أرادت أن تدفع ثمن التذكرتين تخفيفا عنه، فإنه يأبى لها ذلك. هذا المشهد في حضور أمه و أمام الآخرين لا يطيقه لذلك يبادر لدفع عنها وعن نفسه الثمن المطلوب حتى ولو كلفه ذلك إفراغ جيبه من الدراهم القليلة التي توجد معه. إنه يسعى لحفظ ماء وجهه. وبالمثل نجده يجتهد في رعاية أمه وأداء عنها الأعمال التي ترهقها كحمل شيء ثقيل كما يفعل عادة الكبار. إنها الحساسية الشديدة التي يتميز بها المراهق والتي تجعله يتأثر بسرعة ويحسب ألف حساب لكل صغيرة وكبيرة، وهو ما

يعرّض نفسه للتقلبات المزاجية وتظهر حاجته إلى الدعم المعنوي الأقوى والذي يتمثل خاصة في تقدير الكبار لموقفه وتفهّم منحى استجاباته.

تعتبر المراهقة مرحلة حاسمة في تطور فهم الفرد لذاته ولمشاعره و رغباته وطرق تفكيره، وردود أفعاله تجاه المواقف الخارجية والداخلية. وينشأ عن حضور المراهق المكثف في الحياة الاجتماعية ما يسميه الباحثون "الإدراك الاجتماعي"الذي يشير إلى العمليات النفسية المختلفة التي تمكّن الأفراد من الاستفادة من كونهم جزءًا من مجموعة اجتماعية(Frith, 2008) . ومن الجوانب المهمة لهذا الادراك، قدرة المراهق على فهم حالات الآخرين العقلية وتحسس ميولهم ورغباتهم وما تنطوي عليه نواياهم(Nichols.,& Stich. 2003; Blakemore.et al, ;2007) . وهكذا كلما واصل المراهق رحلته الاستهلالية في ظل التوتر بين تكوين الشخصية وبناء الرابطة الاجتماعية(Van Meerbeeck,P.,& Nobels,C.,1998) ، ظهرت تحديات جديدة تضطره إلى إيجاد استراتيجية لرفعها فيكتشف قيمته من خلال اختبار قدراته فيزداد إيمانا بنفسه واعتزازا باستقلاليته وقطيعة مع عالم الطفولة وتبعيتها.

التمركز حول الذات الخاص

بالرغم من أنه يستطيع تفهم آراء الآخرين والتفكير في منطلقات ليست من صميم قناعته إلا أن اعتقاد المراهق بأن الآخرين يراقبونه ومنشغلون بحياته ومختلف مواقفه يجعله متمركزا حول ذاته ومستغرقا في حوار عميق مع نفسه(Elkind,D.,1967, pp.1025-1034). يتحدث *بياجه*Piaget عن مرحلة من النمو يتجلى فيها حوار الطفل مع نفسه حتى في حضور الأطفال الآخرين الذين يكون منخرطا معهم في نشاط أو لعب، والذي يسميه *جان بياجه* بـ"المونولوق" Le Monologue. ونحن هنا نقول - مع وجود فارق بين المرحلتين - إن أثناء انشغال المراهق بنفسه ظاهرا وباطنا في صورته المتواصلة مع تزايد همومه التي يحملها سواء كانت حقيقية أو خيالية، فإنه كثيرا ما يشرد بعقله عن الحاضرين من أقرانه ليعيش في عالمه الخاص بعيدا معنويا عن كل ما يُقال و يُعرض في مجلسه، مع إدراج في الصورة عنصر التفاعل الغريب الذي تحظى به مجالس المراهقين و الذي عبر عنه *ألكايند* بقوله " إن تجمعات الشباب هي فريدة من نوعها من حيث أن كل فرد في المجموعة هو في نفس الوقت ممثل لنفسه و متفرّج على الآخرين"(Elkind,D.,1967). إن تحسس الأشياء واستشعارها كما يجب أن تكون في مقارنتها بما هي عليه من شأنه أن يساعد على فهم ظاهرة الارهاق في أوساط المراهقين وعدم الرضا الذي يعرفونه بصورة عامة. ويساهم النمو العقلي في تنمية الشعور بالذات وتأكيده، وتوجد علاقة ارتباطية إيجابية بين العاملين(Samuels, S.C.,1977). ودائما انطلاقا من تأثير النضج الفكري الذي أصبح يتمتع به المراهق فقد تأخذ عملية التمركز حول الذات شكلا آخر مثل اللجوء إلى الصيغ اللغوية المجازية واعتماد الأساليب

التهكمية أو الخطابات غير المباشرة التي تعرض رسالة محددة المضمون وهو يريد به العكس و لا يهمه إن كان الذين يتعامل معهم فهموا جيدا مقصده أم لا، و كأنه في هذه اللحظات يقوم بمخاطبة نفسه عن طريق التحدث للآخرين. وهو كما قلنا مظهر طبيعي من مظاهر التطور العقلي. فتعاطي التمارين الفكرية من هذا النوع يدفع إليه تلقائيا عمق الفهم ومستوى التجريد العالي الذي يتميز به الفرد في هذه السن كما يحصل انطلاقا من الرغبة في الاستمتاع بالقدرات التفكيرية التحليلية ومهارات تقليب النظر في الأشياء والقضايا وآليات مراجعة الآراء والمواقف واستنباط " الأحكام، وطرق تفكير المراهق باتت مختلفة عما ألفناه معه خلال طفولته، فقد أصبح منطقيا، يستند إلى الافتراض والاستنتاج ، كما أصبح تجريديا يتعاطى بسهولة التفكير في المفاهيم المجردة التي لا ترتبط بأشياء وأحداث العالم الملموس كما هو شأن الأطفال (Inhelder & Piaget,1958). كذلك أصبح يفكر في عملية التفكير ذاتها مع إمكانية إيلاء اهتمام انتقائي لمثير واحد في وجود آخرين بل الاهتمام بمجموعات متعددة من المحفزات في نفس الوقت (Bell, B.T.,2016) .

خلاصة:

تناولنا في هذا الفصل رغبة المراهق في الانخراط في الحياة الاجتماعية و دخوله في التنافس المفتوح تعزيزا لهويته و تحقيقا لذاته، و لأن المنافسة تدفع نحو رفع التحدي فإنها تتحوّل إلى وسيلة ناجعة لاستغلال قدرات وتطوير مهارات واكتشاف إمكانات كامنة أخرى. إنها الظروف التي تفرض عليه أن يفكر لنفسه وبناء تصوره لوحده والتعبير عن وجهة نظره. من ناحية أخرى توقفنا عند حرص المراهق على لعب دور الكبار في حياته إثباتا لنفسه وللآخرين أنه لم يعد صغيرا. وحضوره المكثف بين أفراد المجتمع يساعد في تنمية إدراكه الاجتماعي بحيث بات يتحسس ميول و رغبات الآخرين ويفهم نواياهم ويقرأ حالاتهم العقلية. و كلما توسع احتكاكه بالمجتمع ظهرت أخرى فيكتشف قيمته من خلال اختبار قدرته على تحييدها أو حلّها. ومع هذا الاقبال الشديد على المجتمع يسجل المراهق أحيانا انسحابا من المشهد الاجتماعي خاصة عندما يتلقى بعض المعاملات المثبطة ، وهي ناحية ثالثة توقفنا عندها في هذا الفصل كوسيلة يلجأ إليها أحيانا للهروب من ضغوط المجتمع فيختار الانطواء على الذات حين يشعر أن الناس من حوله يتابعونه عن كثب ويراقبونه، وخلال هذا الانسحاب كثيرا ما يصاحبه شرود ذهني حيث تأخذ التأملات المراهق بعيدا عما يجري في مجلسه، وقد يحقق الابتعاد المريح باعتماد صيغ لغوية مجازية يخاطب بها نفسه من خلال التحدث الظاهري مع الاخرين.

الفصل السابع:

أوجه متقلبة في حياة المراهق

من يستند في متابعة مرحلة المراهقة ومحاولة قراءتها وفهمها إلى النماذج و الأنماط النظرية يجد نفسه عند الاحتكاك بعيّنة منها على أرض الواقع في وضع حرج للغاية. إن كل الاعتبارات التي انطلق منها تسقط وكأنه دخل عالما يجهله والمراهق الذي كان يظن أنه عرفه صار يجهله و ازداد منه حيرة خاصة في الكيفية التي يوفق فيها بين المتناقضات أو بالأحرى بين ما يتعارض في الظاهر، إلى درجة يصعب معها تحديد بكل وضوح و ثقة ما هو الثابت و ما هو المتغير في حياة المراهقين. و فيما يلي بعض هذه الأوجه التي تُطرح إزاءها تساؤلات وانشغالات.

عزلة المراهق الطوعية

من خلال تعرفنا على خصائص المراهقة وأبعادها ندرك لماذا يختار المراهق أحيانا الانطواء على الذات، و يضعف اهتمامه بالجماعة في الوقت الذي يظل حريصا على إثبات وجوده المستقل داخلها. هذه المواقف المتناقضة في الظاهر كثيرا ما شغلت الآباء والأمهات. فما هو السبب الذي يجعل المراهق يتمنع عن رؤية أصدقائه ويرفض الخروج إليهم ومقابلتهم وممارسة الأنشطة معهم كالمعتاد. فما هو المظهر الثابت في حياة المراهق و ما هو المظهر المتغير فيها: المخالطة أو الاعتزال؟

هناك أسباب كثيرة تدفع بالمراهق إلى حالة الانطواء. هذا السلوك لا يؤشر بالضرورة على وجود اضطراب أو خلل في الشخصية. وفي الظروف العادية يلجأ إليه كاستجابة طبيعية يسترجع بها توازن الشخصية الذي افتقده. وقبل قليل أكدنا على حاجة هذا الأخير لإثبات وجوده المستقل، وحرصا منه على الأخذ بالأسباب التي تدعم هذا الاتجاه، فقد يشعر المراهق في وقت من الأوقات أن مواصلة النشاط داخل الجماعة أصبح يقيده ويقيّد من حركته و لا يفسح له مجالا واسعا للقيام بمبادراته الشخصية. فعندما يبتعد عنها يستطيع أن يقلّب الأمر من جوانبه المختلفة ويتأمل في واقع الجماعة و يستعرض مواقف العناصر الفاعلة بها بعيدا عن الضغوط وفي حالة هدوء وسكينة. من هذا الموقع يسهل عليه محاورة النفس بموضوعية أكبر والتفكير في مصلحته بنوع من الواقعية. قد يختار نتيجة لذلك أن يترك هذه الجماعة مرجحا تحقيق حاجاته خارجها أو أن يرجع إليها من جديد ليستفيد من محاسنها و يتحمّل الآثار الناجمة عن نقائصها. وإذا قرر أن يترك الجماعة سيكون أقل ترددا في تنفيد ما اقتنع به لأن رؤيته واضحة وما يريد الوصول إليه واضح كذلك. وإذا اختار العودة إلى الجماعة سيعود إليها بشخصية أقوى و ربما أصلب مما كانت عليه قبل اعتزالها. وهي مكاسب ما كانت لتتحقق لو مكث داخل الجماعة في حالة من القلق والاضطراب وبقي يعيش على أعصابه. في هذه الحالة سيظل بقاؤه مهددا وفي لحظة ضعف قد يستجيب لانفعالاته فيتركها دون تفكير و رويّة ليكتشف بعد أن تهدأ نفسه و تستقر أحواله أنه أخطأ في التقدير. فعملية

الانكباب على الذات ليست دائما في النقيض لعملية الاندماج داخل الجماعة بل قد تمثل عامل تعزيز لها خاصة إذا عرفنا أن الاندماج يفرغ من مضمونه إذا لم يشجع صاخبه على أداء دور يتكامل به مع أدوار باقي أفراد الجماعة، فضلا عما يدركه الفرد من ابتعاده عن الزخم البشري من راحة و طمأنينة هو في أمس الحاجة إليها كي يواصل مسيرته. فالعزلة الطوعية ليست استجابة شاذة بل هي أيضا مظهر يميز مرحلة المراهقة حيث يقضي غالبية المراهقين كل يوم ساعات بمفردهم، أكثر مما يقضونه مع أسرهم وما يعادل تقريبًا الوقت الذي يتقاسمونه مع أقرانهم. ولذلك اعتبر *لارسون* ظهور العزلة كمجال بناء للخبرة في مرحلة المراهقة المبكرة(Larson, R.W.,1997). كما أشرنا سابقا، يلجأ المراهق إلى العزلة حماية لنفسه من انتباه المحيطين به و تركيز أنظاهرهم المحرجة له، كذلك تتعزز هذه الحاجة عندما يتعرض للاضطهاد من الداخل بسبب دوافعه وصراعاته وتناقضاته الداخلية.

ومن المواقف التي تثير التساؤل، أن تكون الوحدة هي الشعور بالغياب عن الآخرين حتى حين يكون المراهق محاطًا بالناس. إن هذا المراهق، كما عرضه *دوبون،* غالبا ما يشعر بالوحدة النفسية بأكبر قدر من الضيق في حضور الآخرين، وأن وجود المُحاور يزيد في بعض الأحيان من شعوره بالوحدة، وعندما يعزل نفسه فيكون ذلك هربًا من شعوره بالعزلة(Dupont,S.,2016). ولعل هذا ما أشار إليه قبل قرن و أربعين سنة الأديب الفرنسي *موباسان*Maupassant في مقال بعنوان "العزلة" حيث كتب قائلا إن "عذابنا الكبير في الوجود يأتي من حقيقة أننا وحدنا إلى الأبد، وكل جهودنا وكل أعمالنا تميل فقط إلى الفرار من هذه العزلة "(Maupassant,1884). فلا نستبعد أن يكون المراهق في واقعه يتخبط نتيجة غياب معالم واضحة ومرجعيات راسخة تحظى بإجما والتي توجهه نحو أهدافه ويستعين بها في تحديد أولوياته، كما أن الحياة الاجتماعية المفككة التي تلفظه لا تمنحه فرصة الاستقرار والركون إلى زاوية آمنة من زواياها. من ناحية أخرى هناك العزلة الحديثة التي أفرزتها الديمقراطية والمساواة والحرية (Tocqueville,1951,p.106).بما أن هذه المُثُل تؤكد على الحقوق الفردية فهي حتما ستوسع الفجوة بين الفرد والمجتمع، وتكون العزلة المعاصرة نتيجة طبيعية لفردانية متفاقمة، أما الحياة الاجتماعية فتظهر ككل مفكك تتشكل شبكاته على إيقاع الرغبات الفردية(Doucet, M.C., 2005) ، بل إن بعضهم يرى أن فكرة المجتمع تثير تطلعات موحدة لم تعد موجودة (Dubet, F.,& Martuccelli, D.,1995)، ولغياب المرجعيات التي طالما احتضنها فلم يعد مكانًا مناسبا لتحديد أي هوية أو أي انتماء.

ومن العوامل التي ساهمت في تعزيز عزلة الكثير من المراهقين والمراهقات التطور التكنولوجي وبالخصوص الانترنت و وسائل التواصل الاجتماعي. فقد أظهرت نتائج دراسة أجريت عام 2006 أنه منذ عام 1985 أصبح الأميركيون أكثر عزلة اجتماعيا، وانخفض

حجم شبكات المناقشة الخاصة بهم، كما انخفض تنوع الأشخاص الذين يناقشون معهم المسائل المهمة. وبينت الدراسة على وجه الخصوص، أن الأميركيين لديهم علاقات وثيقة أقل مع أولئك الذين ينتمون إلى أحيائهم(Hampton, K.N.,et al,2009) . وكشفت دراسة أخرى أن الشعور بالوحدة لدى عينة من المراهقين الأتراك كان مرتبطًا بزيادة استخدام الإنترنت والمواقف تجاه الإنترنت، وكان الذين أبلغوا عن استخدام مفرط للإنترنت لديهم درجة أعلى بكثير من الشعور بالوحدة من أولئك الذين كانوا أقل استخداما للإنترنت، كما أن وتيرة استخدام الإنترنت والشعور بالوحدة لدى المراهقين الذكور كانت أكثر من الإناث. (Erdoğan, Y.,2008) . و في دراسة أخرى حول الإدمان على الإنترنت، ارتبط هذا الأخير بشكل إيجابي بالاكتئاب والشعور بالوحدة والعزلة الاجتماعية، دون أي إشارة إلى الاختلاف بين الجنسين، وكان الاستنتاج أن زيادة استخدام الإنترنت تؤدي إلى مشاكل نفسية مثل الاكتئاب والعزلة الاجتماعية والشعور بالوحدة بين المراهقين(Puri,A.,& Sharma,R.,2016) .

إن العزلة التي يعيشها المراهق سواء كانت اختيارا لجأ إليه أو رد فعل كان مدفوعا إليه لا يمكن أن تتحوّل إلى نمط بديل ينظم على أساسه شؤون حياته، لأنه مهما احتاج إلى أوقات يختلي فيها بنفسه و يبتعد فيها عن ضغوط البيئة الاجتماعية المحيطة و زخمها، فإن فطرته البشرية تأبى له أن يهجر المجتمع طويلا لأن كل خاصية من خصائصه تتغذى من علاقاته بالآخرين، وكل معاني إثبات الهوية الخاصة والتقدير الذاتي والاعتزاز بالنفس التي يتعلق بها المراهق نفقدها إذا بقي المراهق خارج حلبة المجتمع. حتى المراهقين المصابين بمرض السل الذين فُرض عليهم العزل المنزلي عادةً لمدة شهرين(وأحيانًا لمدة شهر واحد)، لمنع انتقال المرض، فلم يتمكنوا من الذهاب إلى المدرسة أو التواصل مع أفراد الأسرة أو الأصدقاء. وبرز موضوعان أساسيان من المقابلات. أولاً، أن استبعادهم من المدرسة جعل معظمهم يتخلفون أكاديمياً مما اضطرهم إلى إعادة فصل دراسي أو عام دراسي. ثانياً، أدى التغيب عن المدرسة و الانفصال عنالأصدقاء والأحباء وتعزيز الوصمة المرتبطة بالسل(الناشئة عن الخوف من انتقال مرض السل) إلى الإضرار بصحتهم العقلية(Rapoport., et al, 2022). هذه الآثار ظهرت بعد عزل المراهق مدة شهرين أو أقل لأسباب صحية و وقائية. فماذا يحصل لو استمرت العزلة لشهور أو سنوات كحالة المريض المزمن (Parisien.,& Morissette.,1997 ; Rokach, A.,2019) أو حالة السجين الفاقد لحريته والتي تمثل شكلاً من أشكال التجارب المؤلمة الشديدة بما يكفي لإحداث ردود فعل إجهاد ما بعد الصدمة (Rokach, A. 2019)، فلا شك أنها تدفع نحو الاكتئاب والشعور باليأس والأفكار المظلمة. كل هذا يؤكد أن العزلة لا يمكن أن تصبح نمطا بديلا للمراهق لأنها لا توافق فطرته البشرية و وضعه الطبيعي يُقاس بمدى انخراطه الايجابي والمثمر في المجتمع ومدى نجاحه في التعايش مع الآخرين، أما

عمليات الاعتزال فهي اختيارات ظرفية يلجأ إليها لمواجهة أوضاع استثنائية، ويصبح السؤال الوجيه المتعلق بهجرة الحياة الاجتماعية متى تصبح هذه الأخيرة ضارة، والجواب المبدئي: عندما تطول مدتها، على اعتبار أن الإنسان اجتماعي بطبعه ومن غير المعقول أن تطاوعه نفسه على هذا الابتعاد لوقت مفتوح لأنه بمثابة الغذاء إذا حرم نفسه منه اضطربت أحواله وتوترت أعصابه وفقد استقراره حتى يعود لمواصلة حياته الاجتماعية في كل حلقاتها. وعندما يصبح عاطلا عن أي نشاط إيجابي أو عمل، وفي ظل العزلة التي فرّ بها من واقع يصيبه التآكل، فيضعف و يتلاشى ويفقد شيئا فشيئا كل أمل لتستوعبه بعد ذلك موجة من اليأس قد لا تقوم له بعدها قائمة.

المراهق بين الاستقلالية والالتزام الاجتماعي

يسعى المراهق أن يتظاهر بالمظهر الذي له معنى في البيئة التي يحيى في وسطها ، ويكره عادة أن يختلف عن الآخرين أو يشذ عنهم في اللباس والكلام والعادات. والتمايز في رأيه يجلب له متاعب نفسية و علائقية حيث يغلب على ظنه أن الجميع ينظر إليه و يتابع حركاته وأفعاله، فيشعر بالحرج وعدم الارتياح، وكأنه يحتاج أحيانا أن يعيش في غُبار الناس و لا يرغب في الظهور الخاص والمميز، و هو ما يتناقض مع حاجته الملحة إلى أن يعلن للجميع أنه موجود وجودا مشرفا يرضيه ويكون الآخرون شهودا عليه. وليس ذلك فحسب، بل يشعر بمسؤولية تجاه المجتمع وبالحاجة إلى تفعيل مساهمته في تحسين أحواله وترقية الحياة إلى المستوى الذي يتطلع إليه. ومثل هذا الشعور سيقف عقبة في وجه رغبة المراهق في محاولة الاختلاء بنفسه والابتعاد عن الناس، إذ سيعتبره هروبا من أداء الواجب لا يشرّفه. ويعتقد العديد من الباحثين أن النظرة حول المراهقة التي ظلت من أيام *ستانلي هال* وقبله تعتبرها فترة عاصفة وتوتر، تتميز بالاضطراب العاطفي والتقلب المزاجي، والسلوك المتهور والمعادي للمجتمع (Hall,S.,1904)، هي نظرة غير واقعية لا يمكن تعميمها على فئة المراهقين (Arnett, 1999)، و أن معظم المراهقين يتعاملون مع تحديات المرحلة دون أن يتطور لديهم سلوك اجتماعي أو عاطفي خطير(Steinberg,& Morris.,2001) ، وصار يُنظر إلى المراهقة على أنها فترة من التطور تتميز بإعادة التنظيم البيولوجي والمعرفي والعاطفي والاجتماعي بهدف التكيف مع التوقعات الثقافية و الوصول إلى ذروة النضج والبلوغ. (Susman & Rogol, 2004) .مع هذا كله فإن العديد من الصعوبات لا زالت تعترض رغبة المراهق الصادقة في تحقيق التعايش مع المجتمع الذي قد يسمح له ببناء علاقات جديدة وتأسيس هويات خارج سياق الأسرة الضيق، والانخراط في استراتيجيات لعب الأدوار بالاحتكاك مع الأقران والكبار الذي يساعده في ممارسة مهارات التعاون و التواصل وحل المشكلات و صنع القرار .(Spence.,2003)

هذا وضع يشبه ما أوضحناه في سابقا حين تناولنا بالوصف و التحليل كيفية تجاذب الرغبتين في حياة المراهق تدفعه الأولى نحو البروز و الظهور بينما تدعوه الثانية إلى الابتعاد والاعتزال وكيف يتعايش كل ذلك وينصهر ضمن حياة المراهق المشدودة إلى أهداف وغايات. نعم قد تكلّفه استراتيجية الالتزام والتوافق مع الأمر الواقع أن يتخلى مؤقتا عن تعاطي بعض قناعاته و أذواقه و اهتماماته و"اعتماد" الأذواق العامة ومشاركة الناس أعرافهم وتقاليدهم في الأوساط التي يتحرك فيها، وذلك تجنبا لأنظار الآخرين التي من المتوقع أن تلاحقه حين يشذ عنهم. هذه الصورة تكيفية في طبيعتها، يسعى المراهق من خلالها إلى المحافظة على موقع بين أفراد المجتمع و لا تعني استسلاما من قبله. وإذا شعر أن هذه الطريقة لا يجني بها سوى فوائد قليلة، فضلا عن أنها لا تجلب له سوى المزيد من الضعف والاستكانة و تنحرف به بعيدا عن مسار تحقيق طموحاته، فلا يمكن أن يستمر في تقديم التضحيات على حساب مشروعه المستقبلي، وفي الظروف الطبيعية سوف نراه يتشبّث باستقلاليته سواء في البعد السلوكي وقدرته على التصرف أو الأداء بشكل مستقل، والبعد المعرفي الذي يعزز كفاءته الذاتية التي تمكّنه من السيطرة على حياته الشخصية، والبعد العاطفي الذي ينجم عن انتعاشه مزيد من احترام الذات وتقديرها(Parra, A.et al.,2015).

المثالية في حياة المراهق

يعيش المراهق صراعا نفسيا حادا بين ما تمليه الأخلاق والمثل العليا والدين وما تدفع إليه الرغبات الجامحة والشهوات، والتي تكون في مرحلة المراهقة في أوج قوتها. إنه مقتنع بأن قوة الشخصية في سمو الأخلاق التي تتميز بها وتجده في أعماق الذات متعلق بنماذج بشرية ممن يعيشون قريبا منه أو من غيرهم من الأحياء و الأموات و يعتبرها مثلا أعلى بالنسبة إليه. فهو يُجلّ العالم الذي كرّس حياته خدمة للبشرية والمُصلح الذي يتفانى في تقديم العون وإنقاذ الناس والأخذ بأيديهم إلى طريق الخير والسعادة، والبطل الذي يؤثر في الحياة ويصنع أحداثها، وصاحب الهمة العالية الذي يتحرك في وسط الناس مطمئنا مرتاحا لا يلتفت إلى سفاسف الأمور، كما يتعلق بما هو نظيف وجميل و وجيه و يشمئز لرؤية القبيح و البشع وتنتعش نفسه لمعاينة مظاهر الحياة المتناغمة والمنسجمة وتضيق بالفوضى وحالات التسيّب واللامبالاة وغياب النظام. ومما يدل على تجذّر هذه المثالية و رسوخها عند المراهق أنه يعتمدها كمرجع أساسي يحكم من خلاله على نفسه وعلى الآخرين. تنشأ المثالية بصورة طبيعية نتيجة تطور المراهق المعرفي ويتزامن ظهور بعض صورها مع دخوله فيما أسماه بياجه بمرحلة العمليات الأساسية التي يطغى خلالها التفكير المنطقي والتجريدي (Piaget, J., 1954,1958;Piaget,J.,& Inhelder,B.;1955) ، و تدفعه مُثله التي تشبّع بها إلى تطلعات عالية وأهداف سامية كما تجعله يعتقد بإمكانية إحداث تأثير كبير حوله و أبعد منه تحقيقا لمستقبل

أفضل. وكما عبّر عنها *بوني* فإن " الشاب المثالي الذي لم يخرج بعد من مرحلة المراهقة، يلتزم جسدًا وروحًا بخدمة المثل الأعلى الذي يضعه فوق كل شيء:هذه هي العدالة بوضوح. وإذ يلاحظ أن هذا قد تم الاستهزاء به وفي مواجهة الشخص الذي يجسد هذا التحدي المباشر وغير المشروط، يقوده هذا المثل الأعلى إلى الرد بطريقة فورية ومفرطة" (Bonnet,G.,2013). فهو لا ينتقد غيره فقط و لا يغض الطرف عن أخطائهم فحسب بل يكون عنيفا تجاه نفسه كذلك وغير متسامح معها حين تقع في الأخطاء. ولأنه متحمس إلى درجة كبيرة، فإن التعبير عن آرائه خاصة فيما يتعلق بعدم التفهّم والظلم الممارس من البالغين والإجحاف في حق الأطفال والشباب، غالبا ما ينجم عنه صدام مع والديه وأقرانه وأفراد مهمين في حياته، ويميل باستمرار إلى الاختلاف معهم.وما يزيد في تشنج الطرفين وتوسّع الهوة بينهما تشبث المراهق بأفكاره واعتبارها الصواب المطلق وأن أي شخص آخر يفكر بشكل مختلف يكون مُخطئا.

قد يُطرح السؤال لماذا لا يجاري الآباء والمشرفون هؤلاء المراهقين الذين يتطلعون لمجتمع فاضل مع توجّه صادق في إتقان العمل وتحسين الأداء ومحاولة مستمرة للارتقاء بمظاهر الحياة فيمدونهم بكل ما يسهّل لهم مواصلة السير نحو هذه الغاية النبيلة، وفي نفس الوقت يرافقونهم بالتوجيه والارشاد لتهذيب قناعاتهم وأفكارهم حتى لا تبتعد عن الواقعية ولتنمية وعيهم الذاتي الذي سيمكّنهم من ضبط انفعالاتهم والتحكم في اندفاعهم الزائد. ففي ظل هذا المناخ يستطيع المشرفون على المراهق أن يذهبوا بعيدا في علاقتهم معه وأن يحققوا بطريقة التكفّل والمرافقة ما فشلوا في تحقيقه بالاصطدام معه والمواجهة ؟!!

و رغم وجاهة هذا المقترح، فإن الجواب على السؤال المطروح ليس بهذه البساطة، ذلك أن الاستثمار في الفضائل و الخلق النبيل والسلوك الراقي هو استثمار طويل المدى لا تظهر نتائجه بسرعة، و أن الحياة بمطالبها الملحة و تحدياتها المباشرة لا تسمح بالانتظار، فضلا عن أن هذا الطريق موحش بقلة سالكيه، وأن الناس العاديين ليس لديهم الاستعداد لسلوكه. أما فيما يتعلق بالمراهق يمكن أن نجزم بأنه لو وجد في محيطه من يشجعه ويدعمه في المضي في هذا الطريق، فمن المؤكد أنه لن يحتاج أن يتكلّف في المواقف ليستمتع بهذا الاختيار و يحقق فيه ذاته بالصورة الأقوى و الأجمل، على اعتبار أنه اختيار يتجاوب مع فطرته البشرية.

إذا كانت مثالية المراهق مزعجة وتتحوّل في بعض الأحيان إلى مصدر إحباط تنشأ عنها صعوبات جمة، فهي من ناحية أخرى متماشية مع خصائص المرحلة و لها تأثيرات إيجابية على نمو الفرد الذي يستلهم منها ما يشجعه على توسيع الجهد الاستكشافي الابداعي خاصة في اتجاه حل المشكلات التي تواجهه و تعزيز الرغبة في تحقيق الأهداف التي يؤمن بها. فليس من مصلحة الأولياء أو من يتعامل مع المراهق كسر زخم هذه المثالية، لأن البديل

عنها حتما سيكون إطالة عمر عجز المراهق وتبعيته للآخرين. أما عن انعكاساتها السلبية فأفضل استراتيجية لمعالجتها تبدأ بالتواصل مع المراهق ومرافقته ودعمه والاستماع إليه لكسب ثقته، وعدم مواجهة و التصدي لكل ما يعرضه من أفكار و العمل في المقابل على إقناعه بأن وجهة نظره لها أهميتها و يمكن البناء عليها كما أن هناك وجهات نظر أخرى وجيهة وذات قيمة لا يوجد ما يبرر إبعادها عن التصور الشامل و المتوازن. إن مرافقة واعية ومن المتوقع أن تساعد المراهق في اكتساب مزيد من الخبرات الحياتية وتحقيق انتقال سلس من التفكير المثالي إلى التفكير الواقعي. ومن ثمرات استيعاب المراهق لمفهوم التعددية في الآراء حصول تهذيب في تفكيره الحاد والجامد " الكل أو لا شيء" بدخول التفكير النقدي في حياته وكذلك استعداد أكبر لتقبّل الآخرين والانفتاح على مشارعهم و التعاون معهم.

إن المثالية التي تناولناها في الفقرات السابقة ليست هي الصورة الوحيدة التي تُعرف بها مرحلة المراهقة، فبجانب المراهقين الذين يتطلعون إلى نماذج أخلاقية راقية ويسخّرون جهودا مضنية لتحسين الواقع والارتقاء به نحو الكمال، توجد فئة أخرى منهم تستعرض ممارستهم اليومية وجها آخر يتعارض مع المثل العليا و لا يعترف بوجود محارم وحدود في الأقوال والأفعال، و مردّ ذلك في الحالات الغالبة إلى عجزهم عن المقاومة، مقابل الرغبة الشديدة في التعجيل بالتجاوب مع حقائق الواقع الضاغطة عليهم. فهو الباب الأقرب و الأسهل يمكن أن يلجوا منه للإعلان عن حضورهم حتى لو داس بعضهم على قناعة عميقة تحرّك بداخلهم عتاب الضمير وتأنيبه وعارضوا السائد من ثقافة المجتمع وآدابه. إن ظاهر هذه الاستجابات السلوكية هي مواجهة صريحة للمجتمع وباستخدام المصطلح المتداول في أوساط الباحثين فإننا أمام مراهقة جانحة ومتمردة، لكن القراءة المكيفة لها ومن مستوى أعمق ترى أن الشباب إنما يمارس العدوان على الأشخاص والتدمير للأماكن والأشياء كنوع من اللعب هروبا من روتين الحياة وحالة الملل والضجر التي تصيبهم أو استعراضا للقوة وتأكيدا للذات (Petitclerc, J.M.,2001) ، أو نتيجة جهل بالمعايير والنظم والمبادئ الاجتماعية، أو كتعبير لفشل في مواجهة المواقف وتحمل مشاعر الغضب لهشاشة الشخصية وسهولة استثارتها (مقدم.خ،2005) ، أو حتى بدون دافع واضح أحيانا. وهذه الفئة من المراهقين هي في أمس الحاجة إلى الاحتضان والتوجيه والتكفل، وإهمالها وعدم متابعتها قد ينجم عنه ضرر كبير على أكثر من صعيد يصيب الفرد والمجتمع.

نظرة المراهق إلى الذات

ان اكتساب الهوية يمر بعملية إدراك الذات المتميزة عن الغير و الاحساس باستقرار هذه الذات. هذا الاحساس الداخلي لا يظهر في وقت معين فقط لكن يصبح سمة ثابتة من استقرار دائم (Kroger,J.2000,p.228) . و لا شك أن مظاهر النمو أو مستجدات التطور تهدد

الاحساس باستقرار الذات المرحلي، وتتطلب وقتا لإدماجها في سياق دينامية الشخصية، إضافة إلى حضور عوامل أخرى إنسانية واجتماعية تتفاعل مجتمعة لتحديد كيف يُعامل المراهق من قبل الآخرين وكيف ينظر الى نفسه، مع التنبيه إلى أن نظرته تلك لا تكون دائما مبنية على حقائق ثابتة وموضوعية(Susan, H., & Fischer Kurt,W.,1999). فنظرته الى جسده قد تتأثر بالتجارب السابقة التي دفعته إلى اعتبار نفسه جذابا أو غير جذاب، ضعيفا أو قويا، ذكرا أو أنثى. وهذا بغض النظر عن الحقائق الحالية المتعلقة بالناحية البدنية ومظاهرها وقدراته واستعداداته. والملاحظ أن المراهقة هي أكثر اهتماما بالنمو الجسمي، اهتمام يعززه الواقع الاجتماعي وخاصة نظرة المجتمع إلى الأنثى، فتشعر المراهقة بالحاجة إلى أن تكون مقبولة في المجتمع ومرغوب فيها وأن أول قاعدة يتأسس عليها هذا الرضى هو جسمها (المتداول في أوساط العائلات الجزائرية: " الذكر لا يُعاب ". وقد يكون جسمها سليما من كل العيوب المشينة ولكن مع ذلك تحكم على نفسها أنها غير جذابة والسبب في ذلك أنها تشبّعت برأي من خالطها من ذويها وممن سمعت وجهة نظرهم تقول بأنها تشبه كثيرا البنت الفلانية. هذه الأخيرة لا تستأنس بها المراهقة و لا تطمئن إلى شكلها الخارجي. وهكذا قامت المراهقة بتوظيف تشبيه بريء داخل العائلة من منطلقات ذاتية خرجت بحكم قاسي مزجت فيه وجهة نظرها بوجهة نظر أخرى مع العلم أن كل وجهة لها خلفيتها وأسبابها ومقصدها. فمن هو المراهق الحقيقي في ظل هذه المفارقة، هل هو ممثل في الشخصية التي تصبو لعالم يسوده العلم والخلق والتكافؤ والتعاون أم هو المغمور في جسد يجري وراء إشباع حاجاته ونزواته بدون قيد أو شرط (Gullotta,T.P.et al.,1999) . إن الكائن البشري يحمل في الأصل استعدادا كي يرتقي في عالم المثل والخلق النبيل كما يحمل استعدادا ليصبح منحرفا ومنقادا وراء الشهوات. هذا ما أخبرنا به القرآن الكريم. يقول الله عز وجل " و نفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها "(سورة الشمس،الآيتان7،8). وما يبدو في حياة المراهق من تناقض(Haugaard,J.J.,2001) يشير في الحقيقة إلى الاستعداد النفسي الغالب على شخصيته، وتأتي المواقف فقط لتترجم ذلك في الواقع علما بأن طغيان هذا الاستعداد أو ذاك في حياته يتوقف على تفاعل عدد من العوامل في سياق محدد أقواها تلك المرتبطة بنوع التربية أو التنشئة الاجتماعية التي تلقاها في طفولته. وإن تنوّع مظاهر المراهقة وتعدد صورها حسب الأفراد والأسر والجماعات والثقافات لدليل قاطع على أن واقع المراهق ليس مجرد استجابة لخاصية بيولوجية، و إنما تتدخل لصياغة شخصيته عوامل كثيرة يصعب عزل آثار كل واحد منها، ومتفاعلة إلى درجة كبيرة بحيث لا يمكن التقاط سوى مشهد شامل يقدم المراهقين و المراهقات في مظاهر اجتماعية و ثقافية عامة تذوب في ظلها مؤقتا كل الخصوصيات التي تميز الأفراد. لكن بمجرد ما يتم الاحتكاك المباشر بالمراهق تنبعث

أصالته من جديد و تصبح ملامح الشخصية المتميزة أكثر وضوحا سواء في طريقة تفكيره أو استجابته اللفظية والسلوكية أو في الطريقة التي ينظّم بها حياته. وهذا يؤكد لنا كآباء وخاصة كمربين أن خدمة المراهقة لا تتحقق بداهة من خلال الجاهز من البرامج مهما توفرت هذه الأخيرة على مقومات و عناصر قوة تجعلها في عمومها صالحة، بل لا بد من مراجعتها و تكييفها مع خصوصيات كل فرد و انطلاقا من حاجاته الملموسة والمحددة.

خلاصة:

تناولنا في هذا الفصل "*عزلة المراهق الطوعية*" وهو سلوك لا يؤشر بالضرورة على وجود خلل في شخصيته، أو أنه نقيض عملية الاندماج الاجتماعي. فقد يشعر المراهق أن النشاط مع الجماعة يقيد من حركته و لا يفسح له مجالا واسعا لمبادراته، أو في بعض الحالات يعزل نفسه هربًا من شعوره بالعزلة داخل الجماعة. كما أن الديمقراطية والمساواة والحرية في العصر الحديث والتطور التكنولوجي من انترنت و وسائل تواصل اجتماعي كلها ساهمت في توسيع الفجوة بين الفرد والمجتمع وعززت العزلة. و أدركنا أن عزلة المراهق– اختيارا كانت أو رد فعل– لا يمكن أن تصبح نمطا بديلا ينظم شؤون حياته، لأنها لا توافق فطرته البشرية. ثم انتقلنا إلى" *استقلالية المراهق مقابل التزامه الاجتماعي*" حيث أنه وبدافع الفطرة يُقبل على الحياة الاجتماعية مستشعرا مسؤولية المشاركة في ترقيتها مع حرص على التجانس مع أفراد المجتمع.. موقف لا يتوافق في الظاهر مع حاجته لوجود متميز، وقد يقف في وجه رغبته للاختلاء بنفسه عند الحاجة. و لا شك أن تعايش رغبة تدفعه نحو الظهور ورغبة تدعوه إلى الابتعاد يمثل وجها حساسا في حياته. وبانخراطه في المجتمع يسعى لإيجاد موقع بين الناس، ولن يكون استسلاما من قبله، لأنه في عمقه متشبث باستقلاليته، حريص على تحقيق ذاته. بعد ذلك تناولنا "*مثالية المراهق*" إحدى إفرازات التطور المعرفي، وهي مصدر إلهام له ودافعا لتوسيع جهده الاستكشافي. و لأن بسببها قد يحصل الاصطدام وتضطرب العلاقات، فتصبح مرافقته الواعية مع تطوير خبراته الحياتية هو اختيار أنسب قد ينقله إلى تفكير واقعي يتعايش مع تعدد الآراء و وجهات النظر. إلى جانب من يعشقون فضائل الأخلاق، هناك المراهقون الذين يتعاطون الرذيلة ويمارسون التدمير جهلا بالقواعد الاجتماعية أو هروبا من الروتين أو تأكيدا للذات أو طلبا لمتعة. وإن عدم التكفل بهم قد ينجم عنه ضرر يصيب الفرد والمجتمع. انتقلنا بعد ذلك إلى تقويم "*نظرة المراهق إلى الذات*" والتي لا تكون دائما مبنية على حقائق ثابتة وموضوعية وغالبا ما تعكس صورة أفراد المجتمع أو بعضهم، واتضح أن واقعه تدخلت لصياغته عوامل عديدة، بما يفرض عند التعامل معه تكييف البرامج والمقترحات مع خصوصيات كل مراهق ومراهقة.

الفصل الثامن:

المراهق والعلاقات الاجتماعية

صور نمطية حول المراهقة يجب مراجعتها أو تجاوزها

إن الحكم على المراهقة بأنها مرحلة نمو تتميز بالتوتر وبتراجع تأثير الأسرة على أطفالها الكبار وجنوح المراهقين نحو التحرر ولو بالتمرد على العرف والقانون ساد لعقود طويلة (Arnett,1999; Blos,1979; Hall,1904) رغم أنه لا يعبر بصدق عن واقع غالبية هذه الشريحة من المجتمع، و من سوء الحظ دفعت هذه القناعة إلى تهميش من برامج التنشئة الأسرية الاهتمام بتنمية الكفاءة الاجتماعية لدى المراهقين، باستثناء بحوث قليلة اختزلت هذا الموضوع الحساس في بعض الفقرات أو الفصول (Peterson & Leigh,1990). أما فيما يتعلق بالصراع بين الآباء والمراهقين الذي طالما روّجت له بعض المدارس وصاغت على أساسه مذاهبها ونظرياتها، وحاول بعضهم استغلاله من أجل تمرير سياسات تطالب بتهميش دور الأسرة والاستغناء عن بعض خدماتها، فإن نتائج الدراسات لم تؤكده بهذا الحجم وبهذه الدرجة حتى في المجتمعات التي يعيش فيها النظام الأسري في أزمة. فمن الملاحظ أن الوضع الداخلي للكيان الأسري عرف تحولات كبيرة أثرت على العلاقات بين أفراده والتي أصبحت تتسم ببعض التوتر وحتى الصراع أحيانا لكن دون أن يؤثر ذلك بعمق في وظيفة الأسرة. ففي تحقيق أجري مع عينة من الأطفال الأمريكيين يعيشون في أوج المرحلة الانتقالية بين الطفولة والمراهقة والذين تتراوح أعمارهم بين9 و12 سنة، تناول بالبحث العلاقة بين أفراد الأسرة ونوع الحياة الأسرية التي يعرفها كل طرف، وجاءت نتائجه تنفي بوضوح أن تكون مؤسسة الأسرة في العموم تحولت إلى معترك بين أفرادها واختفت بسببه كل مظاهر التناغم والتعاون والتكامل، فأصبحت العلاقة بينهم يطبعها الصراع الحاد الذي لا يرى وجود طرف إلا في عدم وجود الطرف الآخر والذي حرم الجميع من حياة الاستقرار. هذه القناعة التي عززتها بشاعة ما يحدث داخل بعض الأسر والذي، كما سبقت الإشارة، تشمئز له النفوس ويندى له الجبين، تبقى بعيدة عن الواقع و لا تستند بهذه الصورة الكارثية إلى دليل والجدول التالي يؤكد ذلك (Remmers H.H & Radler, D.H.,1957) .

الجدول1: يبين نتائج سبر آراء عينة من المراهقين

الجمل (توضح الوضع الذي يواجه المراهق)	% الذكور	الاناث	مجموع
أخاف أن أكلم الآباء فيما أخطأت فيه	**18**	**19**	**19**
متشددون في خروجي من البيت ليلا	**16**	**19**	**18**
متشددون في مسألة سيارة العائلة	**24**	**9**	**16**
يبدون دائما انزعاجا من موضوع الدراهم	**15**	**15**	**15**
يتدخل الأبوان في اختيار الأصدقاء	**10**	**15**	**13**
يكرهون القبول والاعتراف بأنني أحيانا أصيب	**13**	**13**	**13**

12	14	10	يرغبون في معاملتي مثل ما يعامل الطفل
11	7	15	يتدخلون في طريقة نفقة المال الذي أكسبه
10	12	8	التمييز

ومن قراءتنا للجدول نلاحظ بأن الإشارات على وجود الصراع قليلة نسبيا وليس هناك ما يدفع لإخراج هذا الصراع بين الأطفال وآبائهم عن إطاره الطبيعي المألوف، حتى مع وجود مظاهر التسيب والإهمال واللامبالاة التي تعرفها الأسر عامة. هذه النتائج غير قابلة للتعميم نظرا لطبيعة الدراسة ونوع العينة المعتمدة فيها والحقبة الزمنية التي أجريت فيها وأوجه القصور المنهجية الأخرى، لكنها مع ذلك، ولأنها مستخلصة من استجابات عشرات الآلاف من الأفراد، فإنها تعطي مؤشرا يجعل من دور الأبوين عاملا مستقلا يمكن أن يؤثر سلبا أو إيجابا في حياة الأطفال و لاحقا في حياة المراهقين حسب ما يُؤدى بحيث يتحول إلى مصدر ينمي الصراع داخل الأسرة أو يكون مصدر انتعاش للعلاقات بين الأولياء وأطفالهم. بعبارة أخرى، إن وجود هذا النوع من الصراع داخل الأسرة أو غيابه لا يدخل ضمن حتميات مرحلة المراهقة كما يحاول البعض تأكيده، وإنما هو مرتبط بنوع العلاقة الاجتماعية القائمة بين الأطراف وطبيعة الجسور الممدودة نحو بعضهم البعض، بدليل أن المشهد ليس واحدا في شكله بل يختلف من وضع إلى وضع آخر ومن جماعة إلى جماعة أخرى (Lerner, 2002)، و تقف عوامل كثيرة وراء هذا التنوع أو الاختلاف من أهمها مستوى نضج الأبوين ودرجة وعيهما بالدور المنوط بهما وكيفية تعاملهما مع حقائق الواقع. من ناحية أخرى، فإن كثيرا من الآباء لا يرفضون استقلالية اجتمعت لها عناصرها الداعمة مثل الوعي وحُسن التقدير والقدرة على ضبط النفس والتحكم فيها، وأن ما يُقلق غالبيتهم ويخشون عواقبه أن تُرفع القيود عن أطفالهم، حسب تقديرهم، قبل اكتمال نضجهم وقبل توفُّرهم على ما يُؤهلهم لاستغلال حريتهم بصورة إيجابية وبناءة، وهي المساحة التي يحصل فيها الاحتكاك مع المراهقين (Collins.,et al,1997)، علما بأن سعي المراهقين إلى الاستقلالية وإنهاء أو تقليل الرقابة الأبوية عليهم غالبا ما يكون أسرع من قدرتهم على تطوير مهارات ضبط النفس والتنظيم الذاتي. لكن حتى مع وجود صراع بين الآباء وأبنائهم لهذه الأسباب أو لغيرها، يمكن للمشاركة البناءة والتواصل في الاستجابة للصراع أن يعزز نتائج التكيف الإيجابية، وقد اعتبره بعضهم مناسبة لإعادة التفاوض على سلطة الوالدين وحاجة المراهقين المتزايدة للاستقلالية، ولذلك اقترنت إدارة النزاعات الأسرية وحلها بجوانب مهمة من التطور النفسي الاجتماعي للمراهق مثل تكوين الهوية، وتطوير المهارات الاجتماعية المعرفية، (Collins.,&

(Laursen.,1992, pp.216-217 ، بل إن بعض المراهقين ساعدتهم على أن يصبحوا أكثر استقلالية و اعتمادا على النفس (Pinquart, M., & Silbereisen, R. K.,2002).

لكن البحث حول علاقة الأسرة بالمراهقين تحوّل عن هذا المسار ولم يعد يتوقّف كثيرا عند الصراع بين المراهقين وآبائهم، ربما لأن الاضطراب في العلاقات الأسرية ليس حاضرا بالقوة التي رُوّج لها، وأن العدد الاكبر من المراهقين يعتقدون بأن والديهم يحبونهم ويهتمون بهم، وهم يدورهم يكنّون لهم كل الاحترام والتقدير، فوفقا لمسح وطني طولي حول الشباب الأمريكي أجراه المعهد الحضاري ومؤسسة تشايلد تريندز Urban Institute & Child Trends في أعوام1997 و1999و2002 كجزء من مشروع "تقييم الفيدرالية الجديدة"، وأشارت بعض البيانات التي أبلغ عنها المراهقون أنفسهم أن لديهم علاقات دافئة وداعمة مع والديهم وفي غالبيتهم يقدرون والديهم بشكل كبير ويستمتعون بقضاء الوقت معهم. وذكر أكثر من نصفهم أنهم يلجؤون أولاً إلى أحد الوالدين طلباً للمساعدة في حل المشاكل قبل التماسها من غيرهم (Moore,et al,2002)بل إن بعض الأبحاث أشارت إلى أن الاختلاف في الرأي بين المراهقين أكبر من اختلافهم مع وأولياء أمورهم ;Gecas,V,1990;Offer & Schonert-Reichi,1992) (Wyatt & Carlo,G,2002 . وكما يرى بعضهم فإن استقلالية المراهقين لا يمكن تأسيسها بسهولة على حساب علاقات التعلق بالوالدين، بل على خلفية العلاقات الآمنة معهم والتي من المرجح أن تستمر لفترة طويلة بعد مرحلة المراهقة(Allen.,& Land.,1999) . ولعل هذا ما جعل الكثير من الباحثين يؤكدون على الحاجة إلى مرافقة الأسرة ودعمها حتى تكون حاضنة قوية وفاعلة، فتصبح أقدر على التكيف مع أي تغيير يحصل أو أزمة تظهر، وعلى التغلب على المشاكل مع المحافظة على التماسك (Hetherington,E.M.et al.,1998)، وتتحقق في ظلها السعادة الزوجية، وتتعزز العلاقات المُرضية بين الوالدين وأطفالهم، ويتفاعل أفرادها على نحو يُفضي إلى تلبية احتياجات بعضهم البعض(Stinnett,N.,1979). ويبدو أن هذه الصورة هي النموذج السائد، فخلال العقود الثلاثة الماضية درس الباحثون الأسر في أنحاء العالم من منظور قائم على القوة، و لاحظوا أنها تتشابه بشكل مذهل، ومما ميزت قوتها إظهار التقدير والمودة والالتزام والتواصل الإيجابي والأوقات الممتعة معًا والرفاهية الروحية والقدرة على إدارة موجات التوتر والأزمات بشكل فعال (DeFrain.,& Asay.,2007). ومع ذلك فإن نجاحها لن يكون كاملا إذا فشلت في تأهيل أفرادها لأدوارهم المستقبلية، فبهذا الانجاز فقط تستطيع، على حد تعبير بعضهم، إعادة إنتاج نفسها من خلال تربية أطفال يؤسسون أسرًا مستقرة ومتناغمة بأنفسهم (Krysan, M.et al.,1990). وهكذا يمكن استنباط بأن نوعية العلاقة بين المراهقين وآبائهم وأمهاتهم تخضع للواقع الذي يصنعه الأفراد الفاعلين في

البيئة الأسرية وما يحيط بها، و لا ينبغي تحديدها بالاعتماد على أطروحات نظرية أثارها في الأصل عدد قليل من الباحثين وتناقلتها الأجيال كمسلمات دون أن يكون لها سند.

علاقة المراهق بالحياة

يحتاج المراهق في هذه المرحلة إلى مباشرة الأشياء الحقيقية وأن يقوم بالأعمال التي لها وزن وقيمة في حياة الأفراد والجماعات. فلا يمكن محاصرته في دائرة الحياة الساذجة والأعمال المتكررة الروتينية وعدم فسح المجال له لمباشرة الأنشطة ذات الآثار المصيرية ومعالجة المواقف الصعبة وتناول القضايا ذات الشأن في حياة الأسرة والمجتمع، بحجة أننا نحميه من المغامرة ونعفيه من مواجهة المشاكل والصعوبات. في مؤلفه "*آمنون جدًا لمصلحتهم: كيف تساعد المخاطر والمسؤولية المراهقين على الازدهار*" كتب *أنجار* Ungar "عندما يكونون صغارًا، نصطحبهم إلى مواعيد اللعب، ونملأ وقتهم بالأنشطة المنظمة، ونحميهم من كل خطر يمكن تخيله. نعتقد أننا نفعل ما هو الأفضل لهم. ولكن مع نموهم إلى مرحلة الشباب واستمرارنا في إدارة حياتهم، والتدخل في عمل المعلمين والمدربين، فإننا في الواقع نعمل على إعاقة نموهم عن غير قصد" (Ungar,M.,2007). حيث أن اهتمام الآباء والمربين الزائد بحماية الأطفال يحرم هؤلاء من اكتساب الخبرات التي يحتاجونها للنمو بشكل جيد، وبدون قصد يُنشؤون جيلا من الشباب غير مستعد للحياة، من خلال خسارتهم لميزة المجازفة وكل الفوائد التي تأتي من مواجهة مخاطر يمكن التحكم فيها. وقد يكون للوالدية المفرطة في الحماية في البيئات منخفضة المخاطر، كما يعلق *آنجار*، عواقب سلبية على النمو النفسي والاجتماعي للأطفال والشباب(Ungar, M.,2009) .

إنها مخاوف يحملها الكبار، لا يوجد بالضرورة ما يبررها في الواقع، وتتحول إلى هواجس قوية تدفعهم إلى قمع كل محاولة جادة من المراهق في تحقيق الذات والترجمة بالمواقف العملية عن اندماجه داخل الجماعة. وكم كان سهلا على المراهق أن يستفيد الدروس والعبر من الصور الحية التي يراها في واقع الناس ، وأن يصحح رأيا أو يراجع موقفا أو يزداد وعيا، إذ يكون باستطاعته عندئذ وضع كل ذلك على المحك واختباره من موقع داخل كيان الجماعة، فما وجده مفيدا احتفظ به و ما شعر بعدم جدواه تركه. بهذه الكيفية نسمح له أن يتعلم وأن يعمق تجربته بدلا من تركه يدور على هامش المجتمع الدينامي دون الولوج إليه. كذلك تتيح مثل هذه الجولات مع حقائق الواقع للمراهق أن يدرك الأشياء والقضايا في حجمها الصحيح، فيقتنع بضرورة مواصلة الاستعداد وطلب التكوين المؤهل. والانتهاء إلى هذه الاستراتيجية القوية في حياته سيساعده في لجم رغبته الجامحة في الدخول في المغامرات غير محسوبة العواقب، وترسيخ عنده القناعة الأكثر واقعية بأنه في حاجة إلى ربط أهدافه بما يملك من وسائل. ثم إن التألّق في الحياة و الطموح لما هو أفضل لا يأتي هكذا بل لا بد أن يعطي من نفسه و لا يدخر جهدا،

كما يحتاج أن يأخذ بكل الأسباب الموضوعية و ألا يركن في انطوائية قاتلة إلى أحلام اليقظة. و المعادلة التالية يمكن أن تنتظم العناصر الفاعلة في المشهد الذي وصفناه:

1- فعل الأشياء قبل عملية التعلم يدفعه إلى الاحتكاك بها.

2- الاحتكاك بها يجعله يقتنع بضرورة التعلم انطلاقا من مظاهر الاخفاق التي عاينها عندما نزل إلى الواقع و تعامل مع الحقائق.

3- سهولة الدخول في تعلم هادف و تكوين فعّال لأنه يعرف ما يحتاج إليه، و يقدّر جيدا مستوى العجز الذي يعاني منه.

إن عدم تقاسم المجتمع مع المراهق بعض المسؤوليات سيحول دون تمكُّنه من اكتساب المهارات الحياتية كمورد أساسي لتطوير المهارات النفسية و الاجتماعية و العاطفية و المعرفية والسلوكية للتعامل مع التحديات اليومية (WHO,1994;Galagali, P.M.,2011). وحتى لو أن قيام المراهق بهذه المسؤوليات يسبّب له انزعاجا و يثير حزنا وإحساسا بالخيبة و يعرّضه لنكسات وفشل، فإن إثارة هذه المشاعر من حين لآخر، حسب *و يكستروم* و *ليندهولم، تجربة* مفيدة له باعتبارها جزء من الحياة لا ينفع دائما تجنبها(Wickström.,& Lindholm.,2020)، و بإمكانه في ظلها تطوير استراتيجيات تكيّف مستقلة، وهو مكسب لا يُقدّر بثمن. ومن المهارات الحياتية التي انتهى البحث إلى تأكيد أهميتها: اتخاذ القرار، حل المشكلات، التفكير الإبداعي والتفكير النقدي، التواصل الفعال، الوعي الذاتي، التعاطف والتعامل مع العواطف والضغوط (WHO,1997). وهي مهارات لا يكتسبها المراهق إلا من خلال الاحتكاك المباشر بالاطار الاجتماعي الذي يتيح له تقديم المبادرة و اختبار القناعة و الرأي والقيام بالتبادل.

علاقة المراهق بالسلطة والاشراف

كثيرا ما تُقرن هذه المرحلة بمظهر التمرد من قبل المراهق على كل أنواع السلطة التي تمارس عليه (Renard, L.et al.,1988,pp.135-143)، و رغم أن وصف المراهقين بالمناهضين للسلطة شائع في الأدبيات العامة حول المراهقة، فإنه لم يحظى بإجماع الباحثين، و لم تقدم الدراسات سوى القليل من الدعم له خاصة تجاه سلطة كل من الآباء و المعلمين و الشرطة. وعلى العكس من ذلك، أشارت نتائجها إلى مواقف إيجابية تجاه أدوار السلطة الثلاثة، وبشكل خاص تجاه الشرطة وأولياء الأمور(Murray & Thompson.,1985; Levy.,2001) .هذا لا ينفي امتناع المراهق عن الاستجابة بالطاعة الانقيادية كقناعة ذاتية لما يرى فيها من إهانة وإذلال. فلم يعد الآن يقبل الخضوع لأية سلطة حتى سلطة الآباء، نظرا لما يشعر به من استقلالية تنبعث من أعماق كيانه. إنه مقتنع بأن لديه تصورا عن الحياة من حوله، و له من القدرات الذاتية ما يؤهله لصياغة وجهات نظر مستقلة و التعبير عنها بكل وضوح دون وصاية من أحد. كما اجتمعت له من الخبرة و التجربة ، إضافة إلى مستوى النضج الذي

أدركه، ما يسمح له باتخاذ القرارات المتعلقة به والقيام بكل اختياراته بنفسه بناء على ما يراه يحقق مصلحته و يجلب له الفوائد و المنافع. و من الأمثلة المجسدة لهذه القناعة الراسخة أن ينتقي الكتب التي يقرأ بمفرده و يختار الطريقة التي يتمتع بها بعيدا عن أي ضغط أو تأثير عليه و يحدد كيفية شحن أوقاته الفارغة و يقوم باختيار أصدقاءه و لا أحد يفرض عليه مع من يجب أن يتحدث أو مع من يلعب أو مع من يسافر، وما هو التخصص العلمي الذي يتابع فيه دراسته أو نوع التكوين المهني الذي يرغب في الالتحاق به... الخ. إن هذه الصور التي يستعرضها المراهق و المثيرة لقلق الراشدين لا تخرج عن كونها طريقة في التعبير عن وجوده، و لأن الكبار يعتبرونها أحيانا تمردا على سلطتهم و يوجّهون مواقفهم نحوه من هذا المنطلق، فإنها تأخذ أبعادا أخرى تُخرجها عن سياقها الطبيعي البريء. وحتى لو تجاوز المراهق أحيانا أدبه المعتاد معهم وأبدى امتعاضا أو غضبا، فإنه في الحقيقة، على حد تقدير *شابلون* و *فيسانت*، يلتمس منهم دون وعي مساعدة على تمييز نفسه عنهم Chapellon &) (Vicente,2019، وهو طلب لو تحقق لانعكس إيجابا على الطرفين. إن ما يُمنح من تسهيلات متواضعة لم تعد بالنسبة للمراهق كافية، فهو يبحث عن مكانة جديدة ومعاملة مختلفة وفُرص أكثر للتعبير واتخاذ القرارات داخل الأسرة وبين أفراد المجتمع. وليس نادرا أن ينشأ عن هذه المحاولة سوء فهم وتوتر في العلاقات. وإن استمرار قمع المراهقين ومحاصرتهم بهذه الطريقة قد يدفع فئة منهم إلى الاستسلام الذي يؤدي لاحقا إلى انسحاب مدمّر للنفس كلجوئهم إلى المخدرات هروبا من واقع غير مطمئن(منصوري،ع،2007، ص.149)، وقد يختار بعضهم وسائل أخرى أعنف لإثبات الذات والتعبير عن عدم الاستسلام، وفي هذه الحالة لا ينبغي أن يُوجّه الاتهامُ للمراهق دون ربط ردوده بالسياق الاجتماعي الذي تفاعلت فيه. و لعل هذا ما قصده عالم الاجتماع الفرنسي و المتخصص في قضايا الشباب، *ميشال فيز*،Fize في مقاله "المراهقون في الضواحي: من الإقصاء إلى العنف "، فقد كتب تحت عنوان فرعي" العنف كصرخة " ما يلي:

" المراهقون صعاب هم نتاج مجتمع صعب...مجتمع حوّل عددًا متزايدًا من الشباب إلى مستهلكين للإقصاء. الإقصاء من المدرسة، والعمل (بسبب نقص التدريب أو عدم كفايته)، والاقصاء الترفيهي (بسبب افتقار إلى وسائل مالية و/أو الأماكن المناسبة)، اقصاء يتفاقم بسبب اللامبالاة أو العجز الاجتماعي للأسر(التي هي أصلا غير مدرجة في النسيج المجتمعي، ومدفوعة إلى الهامش الاجتماعي). هكذا هو المجتمع الصعب الذي يستبعد قسما من أفراده من أي اندماج في المواطنة، مما يولد لدى هؤلاء المستبعدين مشاعر ممزوجة بالإحباط " الاقتصادي " و التهميش " الاجتماعي" وسرعان ما تولد الكراهي(Fize, M., 1993).

من بين رموز السلطة التي قد يجد المراهق نفسه في تماس معها واحتكاك " الوالدان" علما بإن علاقته بهما هي في غاية الأهمية والخطورة بالنسبة لبلورة شخصيته النامية وتحديد مستقبلها. فهو كله رغبة و أمل أن يكبر و ينضج من أجل أن يستقل و يتابع شؤونه الخاصة بنفسه، وبما أن والديه هما أقرب الناس إليه وأكثرهم استعدادا للوقوف بجانبه و رغبة في مساعدته على تحقيق استقلاليته المنشودة، و أن يكونا آخر من يتعمّد إعاقة مساره الموصل إلى هذه الغاية. و لكن تبدو الأمور في الواقع أكثر تعقيدا لا يستوعبها هذا المنطق، ذلك أن الانتقال إلى مرحلة المراهقة تحوُّل كبير ومُباغت له انعكاسات كثيرة قد لا تتمكن الأسرة من استيعابها والتكيف معها بالسرعة المطلوبة، إلى جانب قلة التحضير لمواجهتها استشرافيا. ومن جوانب تطور المراهقين التي شكلت تحديا للآباء، تكوين الهوية، عامل التطور المعرفي والأخلاقي، وتأثير الأقران (Spring,B.et al.,2002). كذلك يجد بعض الأولياء صعوبة كبيرة في ابتلاع فكرة أن طفلهم قد كبُر، لأن الإقرار بذلك يجعل إمكانية ابتعاده عنهما أمرا واردا وهو ما يثير قلقهما الذي قد يدفعهما إلى العمل على إبقاء طفلهما المراهق في المستوى المألوف لديهما، وكأنهما لا يرغبان في رؤيته فردا ناضجا ومستقلا. فرغم كل التحولات التي عرفها وأن معالم ما كان يسمى "طفل" اختفت و حلت محلها أخرى تُبرز شخصية راشد، فإنه يظل في أعينهما طفلا يجب إحاطة حياته بسياج آمن و لا زال في حاجة إلى رعايتهما كما أن تنشئته لم تكتمل بعد، و كأنهما لا يدركان أن عملية التأديب في هذا السن لا معنى لها لأن زمانها مر، و أنهما أمام وضع جديد، و أن التعامل مع هذا المراهق ينبغي أن ينطلق من الثقة في قدرته على التكفل بنفسه و رعاية شؤونه وعدم اعتماد الأساليب التي تُبنى على الشك وتعطي للخوف والاحتياط مساحة أوسع على حساب بعض أولويات المرحلة، وأنه بات من البديهي كذلك منحه حرية التصرف التي بواسطتها يستطيع أن يعبر عن وجوده و يفعّل استقلاليته، و عدم تسليط عليه المتابعة أو بالأحرى الملاحقة المحرجة. و إن عامل نضج الأبوين غالبا ما وجدناه يساعد في تجاوز هذا الوضع من حيث دفعهما بالخصوص لمراجعة نظرتهم للطفل بما يسمح لاستيعاب مؤشرات بلوغه و إدراك ضرورة التعامل معه على أنه أصبح يملك كل مؤهلات الاعتماد على النفس(Mendonça.,& Fontaine.,2014) . والأصل أن يُترك لنفسه يقوم بالأشياء لوحده و لا يتدخل الأبوان في شؤونه إلا لتقديم المساعدات في أوقاتها المناسبة، علما بأنه لا جدوى من محاولتهما ممارسة الضغط و فرض سلطتهما عليه، فهو كما سبق أن أشرنا يرفض الاستسلام، و أن نوازعه الطبيعية تأبى الخنوع و الخضوع. فالإنسان يكون في سلوكه عاديا، فإذا سلّطنا عليه الضوء، انتابه الريب، وخطواته الهادفة التي كانت طبيعية سرعان ما تبدأ في التعثر نتيجة حالة التردد التي طرأت عليه. فلا بأس أن ننصح ، لكن لا ينبغي أن يفاجئنا عدم تجاوب الشاب مع النصيحة أو نُبدي قلقا أكبر

إزاء هذا الموقف الرافض، وأن يرفض العمل بالنصيحة ويكتشف لاحقا أنه أخطأ حين اختار ألا يعمل بها أفضل من فرضها عليه ضد رغبته و ضد قرار شخصي بناه و أراد أن يعمل بموجبه. فالأخطاء خطوات عملاقة على طريق النجاح، وكما يقول *كوفيشيوس*(ت470 ق م) Confucius " الرجل الحكيم يتعلم من أخطائه، و الأوسع حكمة يتعلم من أخطاء الآخرين". فهي فرصة عظيمة للتعلم وبناء معرفته (de Peretti,A.,2009; Brière,M.,2018). وبالعودة إلى محاولة الوقوف في وجه المراهق، فينبغي أن يدرك الآباء عامة والمربون أنها لا تكسر رغبته الجامحة فحسب بل تستهدف ما هو أعمق 'إرادته في إثبات شخصيته المستقلة.' والحقيقة أنه لا توجد مصلحة في كسر حرصه على إثبات ذاته. والمنطق يدعو ذويه إلى مساندته لتنمية هذا الحرص و ترسيخ إيمانه بقدراته و زيادة الثقة بنفسه. فقد يأخذ الوجهة التي لا تخيب ظنهم و حتى إذا لم يوفق فيها فإنها تظل مناسبات غنية بالدروس والعبر التي لا يمكن للمدرسة أن تقدمها على الطريقة التي تقدم بها المعارف النظرية.

إن مقترحات المشرفين على المراهق حتى و لو توفرت على عناصر قوة تجعلها صالحة، فإن عدم اقتناع المراهق بذلك سوف يفقدها هذه الصلاحية. و حتى لو أُرغم على تبنّيها فإنه قد لا يحقق فيها النتيجة المرجوة. في المقابل فإن بعض اختيارات المراهق قد لا ترضي أسرته و لكن لأنها تمثل قناعته فقد يدرك بها نجاحا ملفتا لتوفّر الرغبة و الاستعداد للمثابرة وبذل الجهد. فعلى سبيل المثال مراهق ترك المدرسة في سن16 لكن رجع في سن22 وقد أصبح أستاذا في مادة الكيمياء. بالتحليل البسيط و المباشر نلاحظ هنا أن النتيجة الايجابية ما كانت لتتحقق لو لم يغادر مقاعد الدراسة، والصحوة التي غيّرت مجرى حياته ما كانت لتحدث في ظروف المدرسة و كأنه احتاج أن يبتعد ليتمكن من التأمل و التفكير في مصيره وتقليب الأمر، الشيء الذي لم يكن في السابق ممكنا في ظل أولويات المؤسسة التربوية التي لا تترك للمتعلم متسعا من الوقت و لا قسطا من الراحة للقيام بمثل هذه الوقفات التأملية التقييمية بسبب اكتظاظ برامجها و سوء هيكلة أنشطتها. فالأشغال بها متواصلة والواجبات لا تنتهي و الوقت ضيق لا يتسع لغير ما هو مقرر. وقليل هم الأفراد الذين يستطيعون التوفيق بنجاح بين مطالب المؤسسة التربوية و إمكانية الدخول في أعمال مفيدة أخرى. و من حسن حظ الأطفال و المراهقين أن المقررات التربوية تدرج الرياضة البدنية كمادة مما يحتم على المتعلم أن يمارسها داخل المدرسة. فلو بقي الأمر في الخيار لفضلت نسبة معتبرة من التلاميذ تسخير وقتها لتحضير دروسهم وإنجاز واجباتهم التي تستوعب كل أوقاتهم و زيادة.

وكثيرا ما تعوز المراهقين بعض المهارات الضرورية التي بإمكانهم اكتسابها، و لو فعلوا لتمكنوا من تحسين أوضاعهم، ولكن لأنهم الآن فقدوا الثقة في أنفسهم و في قدرتهم فإنهم لا يسعون لاكتسابها، علما بأن إيمان الآخرين فيهم و في إمكاناتهم يقوي عزيمتهم و يعزز

إيمانهم بأنفسهم إلا أن هذه الناحية نادرا ما تستلفت نظر المربين لأنها تمثل الوجه الخفي في المعادلة الذي يصعب تحسسه في ظل زخم الحركة الاجتماعية داخل المؤسسة التربوية.

و لا شك أن مفهوم الاستقلالية لدى الكائن البشري يأخذ لون الثقافة التي ينتمي إليها. فعلاقة الأبوين بالطفل أو المراهق وطبيعة ممارسة الحرية في هذا الجو الخاص هي عناصر مهمة في تحديد سهولة و صعوبة تحقيق الفرد لاستقلاليته. وهناك أنماط للأسر و العائلات، من دكتاتورية وديمقراطية ومهملة و إباحية، وكل نمط منها يستوعب مرحلة المراهقة ويتعامل معها على نحو خاص، كما تتباين في ظلها الفرص المتاحة للفرد كما و نوعا، فيتأثر بها سلبا أو إيجابا. و توجد فوارق جنسية ظاهرة في تجسيد الاستقلالية، و البنت على ما يبدو، خاصة في الثقافات الغربية، تحققها بسهولة أكبر مقارنة مع الولد على الأقل بمواجهة عدد أقل من الصراعات الضاغطة(Bardwick ,J.,1971) . و من التفسيرات المبررة لهذا التباين بين الجنسين أن البنت تكون أكثر استعدادا لاعتبار القواعد و الضوابط التي يدافع عنها الأولياء موضوعية و صالحة(Douvan., & Adelson.,1966). هذا التوجه لم يأتي هكذا و إنما هو كثمرة للتنشئة الاجتماعية التي حصلت عليها والتي ظلت طيلة السنوات التي سبقت مرحلة المراهقة تشجعها على الانقياد و الطاعة. و على العكس تدعو الولد إلى التحقق بالاستقلالية وعدم الانقياد السلبي في علاقته مع الناس عامة، مع تبرير له أحيانا درجات من العدوانية التي تؤكد ذكورته و تميزه عن الأنثى (Bardwick.,et al,1970;Schaeffer.,1971) . وهكذا تنتقل البنات من مستوى الخضوع لسلطة الآباء في مرحلة الطفولة إلى مستوى التطابق المستقل معها وتبنّيها بوعي، دون الشعور، كما يحصل مع الذكور، بأنها طرف نقيض لقناعتهن يتعارض مع نظرتهن للحياة (Douvan.,& Adelson.,1966) ، مع إضافة أن مجتمع الستينيات والسبعينيات التي تتحدث عنه هذه الدراسات تغيّر بصورة جدرية، ولم يعد مظهر الانقياد إزاء سلطة الآباء هو الغالب في أوساط الإناث، ويكفي أن نتابع تطور الجريمة في أوساط المراهقات في الولايات المتحدة الأمريكية وعدد السجون و دور إعادة التربية التي تفتح أبوابها لاستقطاب إناث في هذه السن لندرك بأن الحياة في المجتمعات الغربية تغيرت. أضيف هنا أن ما دفع الصغار إلى هذا النوع من التمرد لم يحدث تلقائيا و بدون مقدمات بل الراجح أن الأطفال و المراهقين الأبرياء داخل أسرهم بدأوا يتعرضون لمواقف و يواجهون ضغوطا تفوق طاقة احتمالهم وتتجاوز حدود ما هو إنساني. والكتابات الكثيرة حول العنف الممارس ضد الأطفال (Kaplan.,& Davidson.,1996;Lloyd.,2001) والإهمال الذي يتعرضون له نتيجة اضطراب العلاقات بين الأبوين (Starr.,& Wolfe.,1991) وانعكاسات الامراض النفسية التي تظهر مع الأبوين أحدهما أو كلاهما(Reupert.,et al,2015) وأوضاعهم الصعبة في ظل التفكك الأسري أثناء وبعد الطلاق (Ellis.,2000) تؤكد ذلك. وأما الصورة الأعنف التي طبعت

التغيير داخل الأسرة في المجتمعات الأكثر تطورا في العالم المعاصر فتتمثل في ظاهرة تعاطي الجنس بين المحارم و التي تعرفها عائلات من مختلف طبقات المجتمع و خاصة المترفة منها (Rosen.,& Etlin.,1996;Courtois.,1988). ولنا أن يتصور نفسية الأطفال في هذه الظروف ودرجة المعاناة التي تزيد نتيجة اضطرارهم- بحكم العلاقة المتميزة التي تربطهم بالفاعلين- لالتزام الصمت وعدم البوح بما يحدث لهم. وما يطفو على سطح الاعلام مما له علاقة بقصص الأطفال الذين انتُهكت حرمتهم من قبل ذويهم لا يمثل الظاهرة بحجمها الحقيقي و كل أبعادها وتداعياتها. و تعتبر الكاتبة *سيلفرمان* التي عاشت التجربة المُرّة حيث ظل والدها، الذي كان يحتل موقعا سياسيا متقدما منحه نفوذا كبيرا، يمارس معها الجنس منذ كان عمرها أربع سنوات حتى أدركت سن الثامنة عشر. و خلال هذه السنوات كان يُخضع ابنته لرغباته وهي لا تستطيع أن ترفض له ذلك. وانتظرت طويلا كي تقطع صمتها وتعرض قصتها في كتابها " *أتذكرك يا أبي لأنني أتذكر الرعب* " (Silverman.,2010) .

إن التغيير في المواقف الذي تدهورت بسببه العلاقات الأسرية، خاصة تلك التي تربط الاباء بالأبناء، بدأه الآباء الذين بالغوا في الاستهانة بأطفالهم وحرمانهم من حقوقهم، و ربما جاء ما عُرف به الأطفال و المراهقون لاحقا من تجاوزات ومظاهر العدوانية و صور التمرد المتنوعة بمثابة رد فعل لانتهاكات الكبار التي طالتهم فأهانتهم و داست كرامتهم وأصابتهم في أعماق شخصياتهم. وعندما نحاول أن نعالج انحراف الأطفال والأسباب التي تقف وراءه لا بد أن نحدد موقع الأسرة في كل ذلك والنصيب الذي ساهمت به.

المراهق وعلاقته مع أبويه

لا يتحول المراهق الى مشكلة بالنسبة لأبويه و المجتمع إلا حين يصبح مشكلة بالنسبة لنفسه. و مع ذلك تبقى الصورة التي يكون عليها المراهق و طبيعة الحياة التي يعيشها تعكس إلى حد بعيد نوع التربية التي تلقاها من أسرته و التنشئة الاجتماعية التي حصل عليها. إن عملية انتقال المراهق نحو المسؤولية و الحرية الكاملة و الاستقلالية لا تتوافق في المعدل والسرعة مع طبيعة المواقف التي سجلها الأبوان في السنوات السابقة لهذه المرحلة و كيفية احتضانهما له عندما كان صغيرا. فالآباء الذين كانوا يمارسون على طفلهم رقابة صارمة يحاولون مواصلة العمل بنفس الطريقة حتى بعد دخوله في مراحل متقدمة من العمر. والنتيجة المحتومة هي إبقاء المراهق تابعا لأبويه كما كان أثناء طفولته. وهذه وسيلة ناجعة لا شك ولكن تجعل من الراشد فيما بعد إنسانا غير ناضج يمارس الطاعة و الانقياد كآلية تحرك علاقة التابع للمتبوع و ليس كخُلق نبيل يسمو به الإنسان. في حين يصبح الآباء الذين يفسحون المجال أمام الطفل للتحرك و القيام بأنشطة حرة و تشجيعه على ذلك بزيادة توسيع الإطار و تنويع الفرص تدريجيا مع تنظيم تدخلاتهم و عقلنتها بما يساعد على تطوير

إمكاناته الذاتية دون التعرض لما قد يتحول إلى سبب لتثبيطه أو قهر عزيمته. في مثل هذه الظروف الأسرية يسهل على الطفل أن يشق الطريق في الاتجاه الذي يسمح بالتمرس على الاستقلالية الجزئية و اكتساب المزيد من المهارات التي يحتاج إليها حين يضطر إلى تحمل الأعباء كاملة في ظل استقلالية تامة.

في زاوية خاصة من هذا المحور، اهتم بعض الباحثين بدراسة علاقة المراهق بما أسموه "الأب المشكل " و" الأم المشكلة ". ويتحول الأب إلى مشكلة خاصة عندما يكون غير مؤهل نفسيا للقيام بواجباته كأب وكذلك الحال بالنسبة للأم التي تعجز عن أداء واجباتها إزاء طفلها إلى درجة أن مصالح الأطفال و استقرارهم النفسي في الحالات القصوى تتحقق بإبعادهم عن أسرهم وعزلهم عن الآباء و الأمهات (Wimperis.V.,1960) . و لا شك أن المراهق الذي عاش طفولته في أحضان أسرة من هذا النوع كان يمكن أن يعيش مرحلة المراهقة باستقرار أكبر لو تم فصله عن أسرته في سن مبكرة. و من الممكن بالنسبة للأسر التي تعرف أوضاعا داخلية صعبة و علاقات إنسانية مضطربة أن تستفيد من الخدمات الإرشادية فتحسّن من أوضاعها ومن واقع العلاقات بين أفرادها وتخفف من الاثار السلبية الناجمة عنها بما يجعلها أقدر على رعاية أطفالها و ضمان لهم الحد الأدنى من الاستقرار. و من الحقائق التي لا يمكن للآباء تجاهلها حين يتعاملون مع المراهقين:

1- *الأسرة مصدر التأثير الأكبر*:

رغم تعدد الموارد المؤثرة على المراهقين، يظل تأثير الوالدين عليهم هو الأكبر باعتبارهم العامل الأكثر أهمية في التنشئة الاجتماعية، لذلك يتعين عليهم تطوير مهارات اجتماعية أساسية مثل التعاطف و التعاون و القدرة على إقامة علاقات و الحفاظ عليها مع الأقران والبالغين(Riquelme,M.et al.,2018) حتى يتسنى لهم استغلال خصائص الأبوة والأمومة في أوقاتها المناسبة وعلى الوجه الأفضل، علما بأن التخلف عن أداء هذا الدور الفريد تكون له انعكاسات سلبية على المراهقين، وأن الاخفاقات والأخطاء المتعلقة بالتنشئة والتربية القاعدية إضافة إلى العجز عن التجاوب مع حاجات مرحلة المراهقة التي تعتبر فترة تحول تنموي، وجدناها غالبا ما تؤثر على توقعاتهم (McWhirter,E.H., & McWhirter,B.T.,2008;Sipsma. H.L.et al,,2012) وبالتالي على نوعية حياتهم والأدوار والمسؤوليات التي يمكنهم تحمّلها.

2- *مطالبة المراهق بزيادة في الاستقلالية تواكب مرحلة النمو*:

بما أن خصائص المراهقة تستلزم زيادة في استقلالية، فمن الطبيعي أن يبدأ المراهقون في المطالبة برفع القيود عليهم ومنحهم المزيد من حرية الحركة واتخاذ القرارات مع ضرورة تخلي أوليائهم عن الأساليب التي تعاملوا بها معهم حين كانوا أطفالا والتنازل عن جزء من سلطتهم وإيجاد طرق جديدة للتعامل معهم. وكما أظهرت نتائج الدراسات الميدانية فإن الاختلاف بين

الطرفين يكون حادا في مرحلة المراهقة المبكرة ربما بسبب تصلب موقف كل منهما تجاه الآخر ويشتد خاصة حول الوقت المناسب للاستقلالية الذي بات مطروحا بقوة، (Deković,M. et al., 1997) ثم تنخفض حدة المواجهة تدريجيا بعد ذلك، وتصبح العلاقة بينهما أكثر توازنا (Smetana,2011;Smetana et al.,2005).

3- *انخفاض دعم المراهق من الوالدين* :

معظم الدراسات الطولية التي أجريت حتى الآن حول تطور الدعم الأبوي خلال السنوات بين المراهقة المبكرة و المتوسطة كشفت عن انخفاض الدعم الذي يقدمه الآباء لأبنائهم المراهقين.(Hafen & Laursen,2009; McGue, et al.,2005) . كما كشفت دراسات مماثلة وبعدد أقل أن هذا الدعم يتناقص من مرحلة المراهقة المبكرة إلى المتوسطة، ويستقر خلال مرحلة المراهقة المتوسطة إلى المتأخرة، ويبدأ في الزيادة بعد مرحلة المراهقة المتأخرة (Helsen, M. et al.,2000;Shanahan,L.et al.,2007) . يحصل هذا لتقدير الآباء والأمهات بأن بعض أطفالهم كبروا في السن و لم يعودوا في حاجة إلى متابعتهم بصورة مكثفة أو ملازمتهم كما كانوا يفعلون قبل هذه المرحلة. إنهم يُقرّون، ربما لا شعوريا، أن أطفالهم الكبار باتوا يستطيعون حماية أنفسهم. وهذا لا شك يخفف من أعبائهم و يساعدهم في التفرّغ أكثر لأطفالهم الصغار. والمراهقون من جانبهم يشعرون بهذا التغيير في المعاملة، فلم يعد يصلهم الدعم كما في السابق، و أن إخوتهم وأخواتهم الأصغر منهم يحظون باهتمام أكبر و رعاية متميزة، وكأن الآباء دون قصد يدفعون المراهقين إلى بلورة طرق جديدة في التكيف مع الواقع الأسري، إذ أن أفعالهم تخاطبهم صراحة بأن مرحلة طفولتهم انتهت. لكن في الجانب الآخر نلاحظ مقاومتهم الشرسة لكل خطوة يخطوها المراهقون اتجاه التحرر من تبعيتهم لأسرتهم ويقفون في وجه أي موقف يؤكد استقلاليتهم من الاشراف المباشر لأوليائهم. إن هذا التناقض في توجّه الأبوين يربك المراهق، فهو يطالب بقوة باستقلاليته وفرديته، ولكنه يظل معتمدًا بشدة على البيئة الأسرية التي عاش فيها طفولته. فهي بمثابة الملاذ الذي يلجأ إليه حين يفقد بوصلته أثناء محاولته شق طريقه الخاص. فقد يتناقص وقته الذي يقضيه مع عائلته بشكل مطرد لصالح الوقت الذي يقضيه مع الأصدقاء كما سبقت الاشارة، لكن هذا لا يؤدي إلى تآكل المودة، بل يستمر النظر إلى الوالدين، كما يرى *كلايس*، على أنهما داعمين و دافئين (Claes,2014). وهذا لا يتعارض مع رغبة المراهق في تطلّعه لاستقلاليته الكاملة، ويمثل بالنسبة إليه سندا معنويا يقوي من عزيمته.

4- *شرعية الرقابة الأبوية*:

إن الرقابة الأبوية تصبح أقل " شرعية " خلال فترة المراهقة، (Smetana.,2011;Smetana, et al.,2005) خاصة الرقابة المباشرة والمكبّلة التي تتعارض مع حاجة المراهقين المتزايدة

للاستقلال (Bourdeau, B.,et al,2011)، فهي بالنسبة للمراهقين انتهاك لخصوصيتهم يؤدي عادة إلى زيادة الصراع ويدفع نحو السلوك السري الذي لا يمكن متابعته وإلى الانحراف وزيادة خطر الامتثال للأقران(Hawk,S.T.,et al,2009) . أما الإشراف المناسب فإنه يفتح المجال لانتعاش الثقة المتبادلة قد ينشأ عنه جوّ من الصدق بين الوالد والطفل. (Ying, L.,et al, 2015) علما بأن تطبيق القيود المنطقية و عدم فرض الآراء و احترام الخصوصية يوفر أرضية جيدة لتعزيز ثقة المراهق بنفسه واستقلاله (Wairimu, M.J. et al.,2016) . و يبدو أن اعتماد الصرامة وممارسة الضغط كأسلوب وقائي لحماية المراهق من الانغماس في الانحراف والادمان عليه أو لمنعه من تعاطي السلوك غير الاجتماعي جاءت نتائجه في غالب الأوقات مخيّبة و دون التوقعات، وعلى العكس تشير نتائج البحث إلى أن الدفء الأبوي و ليس صرامة الوالدين هو الذي تأكدت فعاليته في الحماية من تعاطي المخدرات وسوء التكيف النفسي الاجتماعي(Villarejo, S.,et al,2024) .

5- *استغلال الاختلاف في الخصائص بين الأمومة و الأبوة :*

من الطبيعي جدا وجود اختلافات في طريقة تجسيد كل من الأمومة والأبوة كآثار مباشرة للإعداد المسبق الذي يتلقاه الذكور والاناث والمتعلق بأدوارهم الاجتماعية المرتقبة. وهناك إشارات قوية عن وجود اختلاف غير واضح الاتجاه بين الأم والأب في التحكم السلوكي. (Shek, D.T.,2008.; Keijsers, L.,et al,2009) من جانب آخر كانت الأمهات أكثر دعمًا من الآباء أثناء فترة المراهقة (De Goede,Branje,.,& Meeus.,2009) ، كما اعتبرت مصدرًا مهمًا للرعاية ودعم استقلال أطفالها (Soenens B,et al,2018) . حيث أن أسلوب تربيتها يظل أكثر اتساقًا، وأقلّ تأثرًا بالظروف السياقية من أسلوب تربية الآباء للأطفال، ومردّ ذلك أن دور الأم يكون عادة أكثر تحديدًا اجتماعيًا من دور الأب، فتلتزم معهم الهدوء واللطف و لا تفاجئ باستجابتها أو تبتعد كثيرا عن توقعاتهم وهو ما يزيدهم نحوها اطمئنانا. من ناحية أخرى تعمل الأمهات على تعزيز ثقة المراهقين ونموهم الاجتماعي بالتعبير عن الحب والاحترام و غرس الشعور بالأمان فيهم (Asgari.,& Jazayeri,2021) . و إن بناء الثقة بين المراهقين على هذا النحو يمكن أن يزيد من احتمالية التزامهم بأمهاتهم أكثر والاقتراب منهن ويقلل من اعتمادهم على الأقران خاصة الذين تكون خبرتهم محدودة.

إذا تفاعلت خصائص الأب و الأم إيجابيا بإمكانهما تداول أدوارهما في تكامل يحقق الاستقرار لأسرتهما ويهيئ للأطفال والمراهقين بيئة آمنة وظروفا مناسبة ترتسم في ظلها الشخصية الانسانية الناضجة بهويتها المتميزة و المستقلة.

6- *توجيه المراهق نحو الأفضل دون قمع رغبته في الاستقلالية:*

إن عددا كبيرا من الآباء يشكّلون العقبة الرئيسية أمام وصول المراهقين إلى الاستقلالية، فبدلا من اعتماد مرافقة هادفة تعبّد لهم طريق تحقيقها يقومون بقمع مساعيهم المؤدية إليها. ويبررون ذلك بأن تأثر الشباب بالوالدين وأفراد أسرتهم الآخرين يعدّهم للانخراط في المجتمع والتجاوب مع التوقعات والمطالب المجتمعية (Parsons & Bales,1955) ويصبح الهدف الأسمى من تنشئة اجتماعية أحادية الاتجاه تحقُّقُ الفرد بالقالب الاجتماعي المطلوب باعتباره، كما وصفه *هارتأب*، الإطار الذي سيطر على التفكير حول العلاقات بين الوالدين والطفل قبل سبعينيات القرن العشرين(Hartup,1979) فيتحوّل المراهق إلى مجرد متلقي سلبي. إن جهد الوالدين في إعداد أطفالهم وتقديمهم إلى المجتمع لا يمكن إنكاره، لكن هذه العملية في حقيقة أمرها تفاعلية في طبيعتها وثنائية الاتجاه حيث يتأثر الأطفال والمراهقون بالعوامل الاجتماعية في بيئتهم الأسرية لكنهم من جانب آخر يؤثرون فيها ;Kuczynski,2003) (Peterson & Hann,1999 . ويكفيهم التأمل في واقع هؤلاء المراهقين وما بات في حوزتهم من إمكانات ليدركوا بسهولة أن زمن إخضاعهم لإرادتهم أو السيطرة عليهم ولّى و أن النهج الأنسب في التعامل معهم هو توعيتهم ومدّهم بالرأي الوجيه والنصيحة. يجب أن يدرك الآباء أن ميل المراهقين إلى الابتعاد عن سيطرة والديهم و تكثيف علاقاتهم مع الأقران هي طريقة لإظهار استقلاليتهم المتزايدة وبناء شعور بذواتهم (Markova & Nikitskaya.,2017) وهو سلوك طبيعي في هذه المرحلة العمرية يجب تفهّمه وعدم إبداء إزاءه أي تخوف أو قلق كأن يشعر الآباء بأنهم فقدوا الإشراف على أبنائهم. والبديل لعدم التجاوب معه بالتشجيع والتأييد هو التورّط في الإفراط في التربية والرعاية، (Luijk, M.P.,et al,2024) والذي حذّرت العديد من الدراسات من آثاره العكسية من أبرزها رهن الأداء المستقبلي للمراهقين، والفشل في التعامل مع الضغوط اليومية، وانحصار الكفاءة الذاتية(Van Ingen, D.J.,et al,2015) .

المراهق المنبوذ

لأسباب كثيرة يجد بعض المراهقين صعوبة في الاندماج داخل أية جماعة سواء برفضهم إياها أو رفض هذه الأخيرة لهم. وفي كل الأحوال يُحرمون من تعاطي النشاط الايجابي والمنظم في ظل تقاطع العلاقات الاجتماعية المثيرة. وباعتبار طبيعة المرحلة التي يمرون بها والحيوية التي يتمتعون بها، تنجرّ عن هذا الحرمان آثار خطيرة في حياتهم و حياة المجتمع الذي يعيشون فيه. فالمراهق الذي رُفض من قبل الجماعة أو لفظته هذه الأخيرة يعمل بشتى الطرق على كسب تقدير أفراد الجماعة و كسب حبهم له و ودهمّ. فإذا أخفق في الحصول على موقع بينهم لجأ الى التمرد والسرقة والعدوان واختراق القوانين والأعراف لتحقيق ما يريده. وهو في نظره مطلب شرعي لا يبتغي منه سوى الحصول على اعتراف من المجتمع و التبوّء بمكانة داخله. كما قد يختار اسلوبا آخر للتعبير عن هذه الحاجة من خلال

الابتعاد عن مخالطة الناس و الانعزال. و تتفاوت الاختيارات في ظل هذه الخلوة من حيث آثارها الايجابية أو السلبية. و الأمر في نهاية المطاف يعود إلى الذين يتعاملون مع المراهق و يشرفون على حياته بصورة مباشرة كالأولياء و المربين و غيرهم ممن تربطهم به علاقة خاصة. إذ باستطاعة هؤلاء أن يقدروا درجة الاخفاق في الاندماج داخل المجتمع والأسباب التي تقف وراءه ويقدموا الكثير مما قد يساعد المراهق على تخطي العقبات التي تواجهه في الجبهات العديدة، مع التمييز بين مساعدته على تجاوز الصعوبات الذي يكون في أمس الحاجة إليها ومحاولة إبقاءه تحت الوصاية الكاملة يستهلك الخدمات المقدمة في ظل تبعية تلغي وجوده (Drill, L.L.,1997, pp;104-118). هذا الوضع من المتوقع أن يرفضه ولا يتجاوب معه، و لا يحتاج سوى لدعم يتّسم بالإيجابية مثل تشجيعه على المبادرة وتذكيره بنتائج التجارب السابقة التي مرّت به أو عايشها غيره و لا يريد من الآخرين أن يكونوا بديلا عنه في النواحي التفكيرية والسلوكية كما أنه لا يتشرّف بموقف الإشفاق عليه أو حتى الخوف عليه، و لنتذكر جميعا أن عملية التعلم مستمرة وأن مدرسة الحياة المفتوحة بكل فرصها تستطيع أن تقدم للأطفال والشباب دروسا ليس في مقدور أية مؤسسة أخرى تقديمها. فلا ينبغي أن نحرمهم من هذه الفوائد بحجة أننا نريد حمايتهم أو نسعى لرعاية مصلحتهم. وبتفهّم الأطراف المنخرطة في هذه العملية لهذه الحاجات و تكييف مواقفهم لضمان إشباعها تتيسر خدمة المراهقة، وليس بمعارضتها والوقوف في طريقها وعدم السماح لها بالسير نحو بلوغ نضجها أو بالانشغال عنها وإهمالها وعدم الاهتمام بها.

إن دفع الشباب الى العزلة أو الانفصال عن المجتمع وعن الأشخاص المهمّين وإلى حالة الاغتراب في حياتهم قد يؤدي إلى زيادة في سلوكهم العدواني. وظلت الأسرة تُصنف بالاطار الاجتماعي الذي يمارس فيه التهميش أكثر، و كما أشارت نتائج الدراسات كان لهذا الوضع انعكاسات على أكثر من صعيد، نذكر من بيتها:

- إن المراهقين الذين يكبرون في أسر موجهة نحو الرفض يكونون في الواقع غير قادرين على تلبية احتياجاتهم النفسية الأساسية المتعلقة بالمرحلة العمرية، فيفشلون في تطوير الكفاءة الذاتية وتحقيق الاستقلال وبناء العلاقات الاجتماعية (Lan.,& Wang.,2023) .

-إن الرفض الوالدي ارتبط بشكل كبير وسلبي بانخفاض تحصيلهم الأكاديمي والتعليمي. ومن العوامل البارزة التي كانت تحول دون نجاح المراهق في عمله المدرسي، عدم استقراره النفسي والعاطفي نتيجة الحيرة التي أثارها موقف أسرته والذي أفقده توازنه (Mendo-Lázaro et al.,2019) ، كذلك عجزه عن التكيف النفسي داخل المدرسة لنفس هذه الأسباب و أسباب غيرها، وهذا حتما يؤدي إلى انخفاض دافع الانجاز لديه (Ralte & Fente,2018)، وبذلك

يعجز عن تحقيق إنجازات محفزة تستطيع أن تنقله إلى مرحلة جديدة يستقر فيها واقعه التربوي في اتجاه التألق وتنمية المهارات وإثراء رصيده من الخبرة والمعارف بصورة متواصلة.

-إن رفض الأقران للمراهق يكون أحيانا أقوى وأشد عليه حتى من رفض والديه له، وذلك راجع لنوع العلاقات التي تربطهم به، فهي بين الأقران فريدة من نوعها لأنها أكثر مساواة وأقل تقييدا لهم وتحكّما فيهم، ويكاد يغيب فيها إصدار الأحكام. فقد أظهرت النتائج المتسقة أن رفض الأقران يرتبط إيجابًا بالاضطراب المبكر والشعور بالوحدة (Woodhouse, et al., 2012;Betts & Stiller,2014;; Pedersen,S.,et al,2007) . ويتزايد في فترة المراهقة احتمال الإصابة بالاكتئاب، وقد ارتبط ارتفاع مستويات القلق والاكتئاب في هذه المرحلة بعلاقات سيئة مع الأقران و ضعف الصحة(De Matos,M.G.,et al,2003) . ويعد رفض الأقران خلالها أحد المصادر البارزة للتوتر، حيث أشارت بعض الدراسات إلى وجود علاقة ثنائية الاتجاه بين رفض الأقران و أعراض الاكتئاب لدى المراهقين، وأكدت أخرى على الارتباط الوثيق بينهما، وأن رفض الأقران فعلا يُنبئ بأعراض الاكتئاب(Platt,B.et al.,2013) . وعمليا أظهر كثير من المراهقين المنبوذين من أقرانهم مشكلات سلوكية حادة وصورا من الاكتئاب (French, D.C. et al.,1995). وفي المقابل توافق بشكل كبير تحسين جودة العلاقات بين الأقران مع انخفاض شدة أعراض الاكتئاب لدى الأولاد والبنات المراهقين (Adedeji, A. et al,2022) . ويُعد الرفض من قبل الأقران أشدّ وقعا على المراهقين و أكثر إثارة لعدوانيتهم الموجهة نحو أولئك الأقران(Reijntjes.,et al,2010) . وإن حصول الرفض الاجتماعي في هذا المستوى قد ولّد فعلا عندهم ردود أفعال عنيفة. ففي متابعة15حادثة إطلاق نار في المدارس الأمريكية بين عامي1995 و2001، كان الرفض الحاد أو المزمن و التنمر، و/أو الرفض الرومانسي حاضراً في كل الحوادث باستثناء حادثتين (Leary,M.R.,et al,2003) . وفضلا عن الاستجابة بالعدوانية، فإن التهميش الذي يتعرض له المراهقون، كما بيّنت نتائج بعض الدراسات، يدفعهم إلى للجنوح (Calabrese, R.,& Adams,J.,1990).

وهناك أدلة متزايدة على أن العلاقات بين الأقران تلعب دورًا حاسمًا في التكيف الأكاديمي (Buhs,E.S.et al.,2006;Gest, et al,2008; Kindermann, 2007; Wentzel, 2009) وأن الطلاب الذين يعانون من الرفض الاجتماعي في الفصل الدراسي يكونون أقل استعدادا للمشاركة وأكثر عرضة لإظهار سلوك عدواني و/أو خارج المهمة أثناء الفصل الدراسي (Buhs, et al., 2006) ، كما انعكس هذا الرفض سلبًا على العمل المدرسي حيث بات تأثير الأقران على تكيف المراهقين الأكاديمي والاجتماعي واضحا(Ryan,A.M.,2011)، فأطفال ما قبل المراهقة الذين يتعرضون للرفض من أقرانهم كانوا أكثر عرضة للتغيب أو الانقطاع عن الدراسة، وبتحصيل غبر مشجع (Cillessen & van den Berg,2012;Véronneau & Dishion,2011) ، بل

و صُنف هذا الرفض ضمن العوامل التي تقف وراء معدل التسرب المرتفع بين شريحة المراهقين المنبوذين (Calabrese.,& Poe.,1990) .

المراهق وجماعة الرفاق

إن مرحلة المراهقة تتميز بحساسية متزايدة للمثيرات الاجتماعية، وكما عبر عنها بعضهم فإن التفاعلات الاجتماعية هي حاجة إنسانية أساسية، مماثلة للحاجات الأساسية الأخرى مثل الطعام أو النوم (Baumeister,R.F.,& FLeary,M.R.,1995). ولذلك قد تكون تأثيرات الحرمان الاجتماعي على المراهقين عميقة وحادة (Sawyer,S.M.,et al,2018). و ترتبط حاجة المراهقين إلى العلاقات مع الأقران ارتباطًا وثيقًا بتطورهم الاجتماعي والإدراكي والنفسي العاطفي. فمثل هذه العلاقات توفر لهم مساحة لتجريب لعب أدوار تمكّنهم من رسم معالم هويتهم و ترسيخ قواعدها وفرصا لتنمية المهارات الاجتماعية وصقلها. ومع تزايد رغبتهم في الاستقلال خلال فترة المراهقة، فستشكل تلك العلاقات الأرضية الصالحة لتجسيد ذلك خاصة من حيث توفيرها منصة للتمرس على التعاون والقيادة باعتبارهما من الامور الحيوية لإدارة العلاقات مع الكبار. وبما أن مفهوم "جماعة الأقران" لا يستوعبه سياق واحد فلا ينبغي حصر علاقة المراهق بالأقران في زاوية ضيقة بلورتها تصورات نظرية لا يوجد حولها توافق عام، إضافة إلى أن طرق تجسيد هذه العلاقة تتنوّع بتنوُّع الثقافات الحاضنة لها، وقد تواترت الأدلّة التي تبرز التباين الكبير في علاقات المراهقين مع أقرانهم عبر السياقات الثقافية. فهذه الأخيرة يمارس بعضها التقييد على تفاعل المراهق مع الأقران والتضييق من مجالاته كما هو حاصل في غالبية الدول المحافظة، وبعضها، باتجاهات أكثر ليبرالية حتى تجاه المجالات الحساسة كممارسة الجنس خارج الزواج، يوسّع من نطاقه كما هو شأن أغلب الدول الغربية (Brown,B.B. et al.,2002). ومما يغذي التنوع في العلاقة مع الأقران ميل المراهقين بشكل انتقائي إلى مجموعات معينة بناءً على قيم و اهتمامات مشتركة، و إبداء التوافق مع توقعات الأقران في بعض المجالات ومخالفتهم في أخرى تأكيدا على استقلاليتهم. وقد يفضلون ممن يتحقق معهم الانتماء أولئك الذين يدعمون فرديتهم وتمايز هويتهم. ولعل أبرز ما تُصنف على أساسه هذه العلاقة، نوع التأثير الذي تُفرزه، حيث يمكن أن يكون تأثيرا إيجابيا كالتشجيع على متابعة الدراسة بجدية تحقيقا للنجاح الأكاديمي أو سلبيا كالتشجيع على السلوك المحفوف بالمخاطر مثل تعاطي المخدرات. ومن بين صور تأثّر المراهقين السلبي بأقرانهم اهتم الباحثون وعلى نطاق واسع بما يُعرف بـ"عدوى الأقران المنحرفة" والتي تشير إلى العملية التي يؤثر بها الأقران على بعضهم البعض في اعتماد السلوكيات المنحرفة ويحصل هذا بالخصوص مع المجموعات التي يغلب عليها طابع الانحراف والعدوان الذي أصبح منتشرا بين أعضائها وعنصرا مميزا لهم.وتنتقل عدوى الأقران المنحرفين إلى باقي

الأفراد بواسطة تعزيز إيجابي من الأقران للسلوك المنحرف أو تحت تأثير ميل المراهقين إلى تقليد سلوك أقرانهم المنحرف باعتبارهم قدوة ونموذج يُحتذى. وقد أظهرت الأبحاث أن آثار هذه العدوى السلبية يمكن أن تكون طويلة الأمد (Dishion.,& Tipsord.,2011;Poulin.,& Dishion.,2008; Dodge,K.A.et al.,2006). في الناحية المقابلة قد يغير تأثّر المراهقين إيجابيا بأقرانهم مجرى حياتهم فيوجّهها وجهة أكثر عطاء ومساهمة. مثلا إذا توقفنا عند النشاط المدرسي فمن السهولة ملاحظة، كما أكدت نتائج البحث، أن تواصل المراهقين المستمر مع أقران لهم دوافع أكاديمية وإنجازات عالية سيدفعهم إلى تعديل سلوكياتهم الأكاديمية لتتماشى مع أداء هؤلاء الأقران(Flashman,J.,2012)، فيساهم بذلك في رفع حافز التعلم عندهم وتحسين أداءهم المدرسي (Ryan.,2001; Kindermann.,2007).

إن دوافع الاجتماع مع الأخرين فطرية، ولذلك قد يجتمع المراهقون بدون هدف واضح ومحدد يريدونه. وفي كثير من الأحيان يقرر المراهق أن يترك مجلسا في البيت ظاهره يضمن له الراحة و يوفر له السكينة و إمكانية التحدث مع أحب الناس إليه أو متابعة شريط أو فيلم تلفزيوني مثير، و يخرج في جو متقلب (رياح، أمطار، رعود، ثلوج، حرارة شديدة) ويتكلف مشقة قطع المسافة وأحيانا في ظروف وأوقات خوف و رعب. يتحمل كل ذلك وأكثر من أجل أن يلتحق بجماعة الرفاق. هذا المظهر في حياة المراهق وخاصة الذكور يكاد يكون أصلا ثابتا بعد ما اتضح لنا كيف ومتى يفضل ترك الجماعة. وعليه لا بد من إدماج حاجة المراهق هذه والعمل على توفير إشباعها بما يحقق استقرار شخصيته وانخراطها الايجابي داخل المجتمع و في نفس الوقت حمايتها من الانحراف.

قد توجد وراء تجمع المراهقين مشكلة مشتركة يعيشونها في صورة متقاربة (مثال أفراد لفظتهم أسرهم أو منبوذون من المجتمع ويتحول اللقاء إلى فرصة للتعبير) عن المعاناة والمضايقات التي يجدونها في مختلف المواقع الاجتماعية وخاصة في حضور الآباء والأمهات، و وصف المشاهد والوقوف على جزئياتها بكل دقة والتي نادرا ما تستوقف الكبار لكثرة ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال يستحيل التوقف عندها جميعا ومراقبة وتحسس الآثار الناجمة عنها. وتتحقق متعة الجميع من خلال التخفيف الذي يحصل من جراء التحدث والإفصاح أو من خلال السماع و الإصغاء. و الفرد، بمنطق النظرية السلوكية الاجتماعية، يستوعب و يتحمل نيابة عن الآخرين ولمصلحته ومصلحتهم(Bandura,1977, pp.117-128) . وتوجد لدى المراهقين دوافع **وراء رغبتهم في الالتقاء في مجموعات** من أهمها تحقيق الحاجة إلى الانتماء (Erikson.,1968) ، مع توفير الدعم الاجتماعي (Brown,B.,1990) واستغلال الفرص المتاحة ضمنها للتنافس مع الأقران ومقارنة أنفسهم بهم وبالتالي قياس قدراتهم ومكانتهم ودورهم في المجتمع (Festinger.,1954)، وإمكانية استغلال هيكل اجتماعي بديل لتجسيد

الاستقلالية و ممارسة اتخاذ القرارات بعيدا عن إشراف البالغين و التحرر و لو بصفة مؤقتة من سيطرة الوالدين و قيود النظام الأسري. كذلك سهولة التحرك و العمل مع الجماعة من خلال الاهتمامات و الأنشطة المشتركة التي تعمق الروابط الاجتماعية بين الأفراد ضمن هذا التفاعل الجماعي المنتظم (Eccles, J.S.,et al,2003). وبعد تموقع المراهقين ضمن جماعات الأقران و التآلف مع أنشطتها و بدء قطف ثمار هذا الانضمام، يزداد تأثير الأقران و تزداد أهمية الحصول على موافقتهم(De Goede,I.H.et al,2009;Albert,D.et al.,2013) . يرتسم لديهم هدف يفرضه تطور العلاقة مع الجماعة وتمثل في تحقيق التوافق مع معاييرها والعمل على تجنب الإقصاء منها(Steinberg, L.,& Monahan, K.C.,2007). ولعل مثل هذه الآثار الإيجابية بالنسبة للمراهقين وما يصاحبها من روابط عاطفية هي التي تدفعهم إلى تجديد لقاءاتهم مع بعض وتجعلهم لا يطيقون فراق بعضهم.

من المظاهر التي توقّف عندها كثير من الباحثين " الاخلاص" أو " الولاء " للقيادة الذي يُعرف به المراهقون عامة، سواء كانت قيادة معلنة و معترف بها من قبل جميع أفراد الجماعة أو كانت مجرد مصدر إلهام وتلقي وإكبار وإجلال من قبل مراهق أو أكثر داخل الجماعة. وفي كل الأحوال يكون هذا القائد عنصر تأثير في حياة الأفراد الذين يتعامل معهم ولو بتفاوت في الدرجات حسب طبيعة التعلق الذي يبديه كل مراهق. يسبق إعلان الولاء عادة إعجاب المراهقين بقيادتهم التي يرونها قدوة لهم. ومن الصور الشائعة التي يُترجمون بها إعجابهم بهذه القيادة والاخلاص لها، تقليدها والتوافق مع المعايير التي تضعها (Brown, B.B. et al.,1986) والاعتماد عليها في تحديد الإشارات الاجتماعية حول السلوك المقبول (Brechwald, W.A., & Prinstein, M. J.,2011)، والتماس منها التوجيه في اتخاذ القرارات، خاصة قبل الانخراط في أنشطة تنطوي على المخاطرة (Steinberg, L.,2008; Gardner, M., & Steinberg, L.,2005) والانصياع لما تقوله أو توجّه إليه أو تأمر به، واعتماد آرائها والدفاع عنها و أحيانا بكثير من التعصب لها.

ومن العوامل التي تجعل القائد مؤثّرًا وموضوع احترام للمراهقين، تجسيده للصفات التي تقدرها المجموعة، مثل الكفاءة في الميدان والثقة. وحينها قد يتجاوب أعضاء المجموعة بالإعجاب به والإعلان عن الولاء والاخلاص له إلى حدود بعيدة، بحيث إذا أعطى الأولوية لأنشطة أو أبدى تفضيلا لمجالات يكون الأتباع أكثر ميلا إليها و تعصبا لها، وعلى العكس إذا أظهر ازدراءً من أمر ما يتبنى هؤلاء الأتباع تلقائيا هذا الموقف دون تردد. ومع الوقت يتابعون القائد في الصغيرة والكبيرة، ويعبرون عن ولائهم له حفاظا على مكانتهم داخل المجموعة أو لأجل تحسينها حتى و لو في قرارة أنفسهم لم يقتنعوا ببعض أقواله و أفعاله (Asch,S.E.,1951; Brown, B.B.et al.,1986) .

إن أهم صفة تشفع له عندهم أنه واحد منهم بكل ما تحمل الكلمة من معنى، لا يختلف عنهم في الهموم و المعاناة. لذلك فهو بفضل ما أوتي من خصائص ذاتية قادر على فهم وتمثيل رغباتهم و حاجاتهم و التعبير عنها أحسن تعبير(Duchense, R.,1997, pp.19-28). هذا هو الفرق بين القائد الحقيقي والقائد المستبد. إن هذا الأخير يقود من خارج المجموعة، يأمر و ينهى، في حين يعتبر الأول كفرد من بين أفراد المجموعة و يقود من داخلها. هذا المعنى ينسحب على كل مجموعة بشرية يتقاسم أفرادها العيش أو يشتركون تحت مظلتها في أنشطة يتوزعون فيها الأدوار. وحتى داخل المدرسة، فإن المعلم قد ينظر إليه تلامذته، فضلا عن أنه المربي و المرشد، باعتباره القائد الذي ينقادون إليه و يأتمرون بأوامره و يعملون بتوجيهاته عن حب و طواعية إذا استطاع أن يرفع معاناتهم و صعوباتهم و اهتماماتهم إلى سطح المناقشة. تتحول الممارسة التربوية على يديه إلى وسيلة ناجعة لتشخيص واقع المتعلمين وتسليط الضوء على الحقائق المتعلقة بهم. في المقابل قد يصبح المعلم في نظرهم مجرد إنسان مستبد بشخصيته منشغل عنهم وعن كل ما يخدمهم. في سياق ممارساته، يُتوقّع أن يفقد الصفات التي تؤهله للإشراف على المجموعة ويكون تأثيره عليهم بالتالي ضعيفا أو محدودا. وإذا كان المراهق يعطي ولاءه لقائده، فليس معنى هذا أنه يرفض قيادة الراشدين له. ففي منطقه لا يوجد ما يمنع أن يكون الراشد قائده بشرط أن يكون واحدا من المجموعة فهما و روحا، و أن يقود من داخل الجماعة وألاّ يملي أوامره من برج عالي و بمنطق وإحساس من هو خارجها.

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن حجم الجماعات، خاصة من حيث امتدادها البشري وكثافة أنشطتها، يؤثر في نوعية إدارتها وتسييرها، ذلك أن قيادة المجموعة الصغيرة، بحكم واقعها والتقارب الكبير بين أفرادها و تفاعل الصداقات الوثيقة فيها، تكون مختلفة عن قيادة التفاعلات الجماعية الأكبر. فقد كشفت الأبحاث أن الأدوار القيادية الأوسع في مجموعات أكبر من الأقران تغيب فيها كثير من الصفات الإيجابية و تطفو على المعاملة فيها عناصر الهيمنة و حتى السلوك العدواني(Parkhurst & Hopmeyer,1998) .

كذلك، فإن القيادة الشابة تمارس أدوارها بمقاربات وأهداف تختلف عن مقاربات وأهداف القادة الراشدين، فبينما وضع القادة المراهقون سمات النزاهة وحسن الاستماع والمعرفة والإبداع في المرتبة الأعلى، كما تشير نتائج الدراسات، أعطى القادة البالغون أهمية أكبر للشعور بالهدف والاتساق والمرونة (Morris,1991).

وكثيرا ما نحكم على المراهق، على أساس بعض سلوكه ومواقفه الظاهرة، بأنه متمرد على المجتمع وعلى أعرافه وتقاليده، والحقيقة أن المراهق متعصب ومتشدد في طاعته وانقياده، لكن فقط مع قائده الذي يطمئن إليه و سواء كان هذا الأخير طفلا أو راشدا، فالطاعة لا

التمرد هي القاعدة داخل الجماعة. لهذا السبب قد يرتقي إخلاص المراهق للقائد ليصل إلى درجة التطابق معه ومع خصائصه. ويحدث أن يتمرد على أبيه و لا يعترف له بأية سلطة أو وصاية عليه. وهذا يمثل في المجتمع الاسلامي الحالات الاستثنائية نظرا لمدلول العلاقات الرحيمية في منظوره العقائدي داخل هذا المجتمع. و شعار الشباب المسلم خاصة، قوله تعالى"... فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما وقل لهما قولا كريما و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا".(سورة الإسراء، الآيتان23،24)

من ناحية أخرى، عندما يقرر المراهق الانتماء الى مجموعة فإنه لا يعمل على إذابة شخصيته المتميزة داخل كيانها رغم صدق توجهه وإخلاصه في عمله من أجل تحقيق أهداف تلك الجماعة. ولن يكون في أي وقت من الأوقات متحمسا إلى فقدان حريته أو إلغاء مساهمته وإمكانية تطوير مبادراته الفردية. فهو بخصائص المراهقين يريد أن يتقدم وأن يظهر و يبرز وأن يحقق النجاح الملفت للانتباه والحصول على رضى الآخرين و قبولهم. ومن أجل كل ذلك قد يدخل في صراع مع من هم أوصياء عليه إذا اعترضوا طريقه في هذا الاتجاه. ولذلك فإن الولاء الذي يحرره لقائده يبقى قويا بقدر ما تكون القيادة في تعاملها معه صادقة في حمل انشغالاته ومنفتحة على ما يسجله من مبادرات ومواقف وما يعبر عنه من حاجات و رغبات. فهو صادق مع نفسه في تعامله مع الاخرين ونظرا للثقة التي وضعها في جهة ما فقد ينظر إلى الجماعات الأخرى والكيانات الموازية على أنها مناوئة ومعادية، حتى أنه قد يسجل أحكاما قاسية على أفرادها الذين بحكم انتمائهم الى هذه الجماعات يختلفون عنه في بعض مواقفهم أو في بعض قناعاتهم، وكأنه في لحظة تسجيل استجابته من موقعه و ضمن جماعته يكون على غير استعداد للتوفيق بين الرؤى المتباينة، حتى و لو أنها في طبيعتها متكاملة. إنه، كما أشرنا، صادق التوجه ومخلص في ولاءه، وهو العامل ذاته الذي سيجعله ينتقل من جماعة إلى أخرى عندما يشعر بالحاجة إلى ذلك دون أي تردد و دون محاولة اعتماد مواقف تلفيقية غير شفافة. وبمنطق *إيريكسون* فإن المراهق الذي يمر بأزمة الهوية (Erickson,E.H.,1950,1959) ، يبحث عن طريقه الذي يناسبه ويدرك من خلاله الأهداف التي يصبو إليها. وعندما ينضم إلى جماعة فمن أجل أن تمده بأجوبة شافية لمختلف ما يحمل من تساؤلات و من أجل أن تساعده على حل مشاكله وتجاوز عقباته. وعليه فإن ولاءه وإخلاصه لها مرهونان بما يتحقق له فيها من استقرار وطمأنينة وسعادة. إنها "الأنانية الإيجابية" التي تخدم الآخر من أجل ذاتها و تُقدم الغالي و النفيس للجماعة حتى تزداد قوة وتماسكا كي توفر لنفسها فرصا للتعبير والإبداع و تسجيل الحضور الشخصي المشرف. إنه الاستثمار الذي يشعر المراهق بأنه يذر عليه أرباحا ويعود عليه بفوائد هو وحده يعرف قيمتها. و ما دام الأمر على هذه الحال فهو مستمر في اندماجه داخل كيان الجماعة يعمل

كل ما في وسعه، في تفان ومتعة، ليحافظ على وجودها ويحميها من كل ما يمكن أن يصيبها أو يستهدفها.

الخلاصة

جاء محتوى الفصل متنوعا و لكن عناصر التركيز فيه تكاملت فظلت الجزئيات المتباعدة في الظاهر مشدودة إلى المحور الرئيسي الذي يتناول حياة المراهق الاجتماعية. بدأ الفصل بمناقشة الاعتبار السائد بأن المراهقة هي مرحلة توتر و صراع، يتراجع خلالها تأثير الأسرة على أطفالها الكبار و سعي هؤلاء لتجاوز العرف و القانون، كأنها حتمية لا يمكن الالتفاف عليها، وهي في حقيقتها صورة بعيدة عن تجسيد واقع غالبية هذه الشريحة من المجتمع. في فقرة تالية برزت أهمية حاجة المراهق إلى مباشرة الأعمال ذات القيمة و الوزن في حياة الأفراد والجماعات، وعدم محاصرته في دائرة الحياة الساذجة والأعمال الروتينية، وذلك حتى يكون لانخراطه في الحياة الاجتماعية دلالة ومعنى. تناولت الفقرة الموالية علاقة المراهق بالسلطة التي ظلت توصف بالتمرد والتحدي خاصة حين يتعلق الأمر بالآباء والمعلمين ورجال الأمن، رغم أن الدراسات لم تؤكد ذلك بل إن نتائجها وصفتها بالإيجابية وأن مواقف المراهقين المثيرة غالبا ما عُرضت في غير سياقها الطبيعي البريء وهي في جوهرها لا تخرج عن كونها طريقة في التعبير عن وجودهم. تناول الفصل علاقة المراهق بالأبوين والتي بدورها وُصفت بالمتوترة وغير المستقرة بتركيز أكبر على المراهق وأفعاله وأقواله و عدم الالتفات إلاّ نادرا إلى كيف تم احتضانه وطريقة المعاملة التي يتلقاها من أبويه، حيث أن كل الشواهد تؤكد أن الصورة التي يكون عليها المراهق وطبيعة الحياة التي يعيشها تعكس إلى حد بعيد نوع التربية التي تلقاها من أسرته والتنشئة الاجتماعية التي حصل عليها. يُضاف إلى ذلك عدم مواكبة مواقف الأبوين في المعدل والسرعة عملية انتقال المراهق نحو الاستقلالية والمسؤولية، وهذا بطبيعة الحال يتسبب في بعض التوتر بين الطرفين، فلا يوجد ما يبرر إبقاء المراهق تابعا كما كان أثناء طفولته. ويكفي هؤلاء الآباء التأمل فيما يجري أمامهم ليدركوا أن دورهم محوري وأنه ما زال بإمكانهم التأثير إيجابيا في أبنائهم، وأن ما يريده أطفالهم المراهقون من تحرر أكبر وممارسة الاستقلالية هو أمر طبيعي وأن مواصلة تعزيز الرقابة عليهم لا يوجد ما يبرره فضلا عن أنه لا يتناسب مع خصائص مرحلتهم العمرية. كذلك وبحكم الواقع لم يعودوا داعمين لهم كما في السابق فلا ينبغي الوقوف أمام محاولة تدبير شؤونهم بأنفسهم، و كل ما في وسعهم فعله الآن هو العمل على توجيههم نحو الأفضل. في فقرة أخرى تمت مناقشة بعض جوانب من حياة المراهق الذي يجد صعوبة في الاندماج داخل أية جماعة. وطبيعيا أن المراهق الذي رُفض من قبل الجماعة يعمل بشتى الطرق لكسب تقدير أفرادها و ودهمّ له. وفي حالة الإخفاق في الحصول على موقع بينهم

فقد يلجأ هذا المراهق المنبوذ الى أساليب غير اجتماعية لتحقيق ما يريد كالسرقة و العدوان والتمرد على السلطة والعرف والقانون، وهو بذلك في تقديره ينتزع اعترافا من المجتمع، أو قد يعبر عن هذه الحاجة بالابتعاد عن الناس واعتزالهم. هذا المراهق لا يريد غيره بديلا عنه ولا يتشرّف بالإشفاق عليه ويحتاج فقط دعما يتّسم بالإيجابية مثل تشجيعه على المبادرة وإتاحة الفرص له كي يوظّف قدراته ويفجر طاقاته الكامنة. ودارت آخر فقرة من هذا الفصل حول المراهق وجماعة الرفاق حيث تم التركيز فيها على أن التحاق المراهق بالرفاق سلوك طبيعي يتناسب مع متطلبات المرحلة العمرية، إذ لم يعد في مقدور أفراد العائلة التجاوب مع بعض حاجاته الملحة لأنها ببساطة تتجاوز أدوارهم وإمكاناتهم، ومن حقه أن يلتمس إشباعها من مصدرها، و يتعين على المشرفين رعاية هذه الرغبة وعدم قمعها، ومساعدة المراهق في إشباعها و حمايته من انحراف هذه النزعة به إلى ما يعود بالضرر عليه وعلى مجتمعه.

الفصل التاسع :

المراهق وعالم الشغل

المراهق واختيار المهنة

إن اتخاذ القرارات المتعلقة بالمهنة ليس أمرا سهلا و يواجه العديد من الناس صعوبات في هذا المجال(Amir,T.et al., 2008;Tinsley, 1992)، لأنها عملية تتداخل ضمنها عوامل عديدة ولها تأثيرات على كافة جوانب حياة الفرد، وهي بذلك مرهقة تتطلب استيعاب كمية كبيرة من المعلومات لاستعراض المسارات المهنية العديدة والمتشعبة (Gati,I.,et al.,2019)، وأن المعلومات المطلوبة في المعالجة فضفاضة في طبيعتها و غالبًا ما تتسم بالغموض والتناقض أحيانا (Xu & Tracey,2014). و ما يزيد الأمر تعقيدا أن أية مهنة رغم أن جانبها التقني والوظيفي يرتبط عادة بتخصص علمي أو أكثر إلاّ أن معناها الجوهري لا يمكن إدراكه وفهمه إلا في نطاق البيئة الاجتماعية (Collin & Young,1992;Herr & Cramer,1988). فالمهنة التي يختارها لا شك ستؤثر على حياته بأكملها، فتحدد مكانته في المجتمع، وأسلوب حياته، ودائرته الاجتماعية، وحتى شُركائه وأصدقائه. والاختيار في ذاته عملية معقدة تتفاعل فيها متغيرات كثيرة كقدراته العقلية ومستوياته التحصيلية ونوع الشخصية التي يتمتع بها والسياق الثقافي والاجتماعي لأسرته ومجتمعه، وهي بذلك لا تتأثر فقط بتطور الشباب بل كذلك بالسياق الذي يعيشون فيه (Chen,1997)، ويساهم هذا العنصر الأخير في إثراء ثقافتهم المهنية واهتماماتهم وفي تهيئتهم لتحمّل تبعات الاختيار المهني المصيري (Ferry.,2006). وضمن هذا السياق الاجتماعي تندرج قناعة الآباء واتجاهات ومواقف المعلمين، بل وحتى ما يتداوله الأقران في مجالسهم وطريقة تصنيفهم للوظائف والمهن (Bell.,1963;Day.,1966; Keller.,& Whiston.2008) . و لا بد من التنبيه إلى أن تخلّف الأسر و الهيئات الوصية الأخرى عن مرافقة الشباب في صياغة تصور ناضج لمهنة المستقبل يدفعهم حتما إلى تأجيل اتخاذ هذا القرار المهم الذي كان سينقلهم إلى واقع جديد من أبرز عناوينه الاستقلالية والاعتماد على النفس والدخول من الباب الواسع في مشاريع تحقيق الذات وتقديم المساهمة. وبالعودة إلى طريقة تفاعل الآباء مع المراهقين و علاقتهم بهم، فقد أشارت نتائج الدراسات إلى أن تأثيرها في اهتمامات هؤلاء و قراراتهم المهنية واضح و جلي (Ginevra et al.,2015; Kenny & Medvide,2013). ومن جانب آخر يلعب التقارب و التنسيق بين الأسرة والمدرسة دوراً حاسماً في تشكيل اختيارات الشباب المهنية و توسيع مجالاتها(Ferry.,2006) . باختيار مهنة تناسبه والالتحاق بها يدخل المراهق حيزا غنيا بالفرص لبلورة وتعزيز مفهوم الذات المستقلة والناضجة والقادرة(Caro.& Pihlblad.,1965;Super,et al,1963) وهي عناصر مفصلية يرتكز عليها مستقبله المهني من حيث أنها مستفزة لتفكيره النقدي ومساعدة في تعميق وعيه الذاتي وفي تعزيز ثقته بنفسه و تحريك التفاعل الايجابي مع الاخرين وحسن التواصل معهم، كما تدفعه لتطوير مهارات تؤهله للمشاركة في العمل الجماعي والتدرج في الاضطلاع ضمنه

بأدوار قيادية، وهي صفات بات القائمون على التوظيف يهتمون بها بنفس درجة اهتمامهم بالمهارات الفنية المتعلقة بخصائص الوظائف أو أكثر (Dixon et al.,2010).

وينبغي الاشارة إلى أن المراهقين، ولأسباب كثيرة من أهمها طبيعة البيئة التي احتضنتهم ونوع التربية التي تلقوها، يتفاوتون في مستويات الثقة في قدرتهم على اختيار المهنة التي يمكن على ضوئها تفسير نشكيك بعضهم في كفاءتهم الذاتية الذي يجعلهم يترددون في اتخاذ القرار المهني (Taylor & Betz 1983)، بالرغم من توفّر بيئته واكتمال شروط . و ربط بعضهم تردد هؤلاء بعدم توفّرهم على الاستعداد المهني الذي عُرّف أساسا بالقدرة على الانخراط بنجاح في عملية اتخاذ القرار المهني (Hirschi, 2012) ، بينما أكد آخرون على أن مزاولة عمل حتى لساعات قليلة يمكن أن تفعّل هذا الاستعداد وتعززه (Greene., & Staff., 2012;Mortimer.,et al,1996) .

في كل الأحوال، إذا استمر الآباء والمربون في مرافقة المراهقين بطريقة واعية خلال هذه الأوقات الحرجة التي يمرون بها و أمدّوهم بالدعم المعنوي والمساعدة المطلوبة فإن ذلك من شأنه أن يسهّل عليهم بلورة رؤية واقعية حول عالم الشغل ومجالات العمل التي تتوافق مع قدراتهم واهتماماتهم الخاصة، وكذلك رسم مسار ينتهي بهم إلى اندماج مهني مرورا بانتقاء موفق لمهنة وضبط خطوات الالتحاق بها والبدء في مزاولتها، وخاصة إعفاؤهم من الدخول في حالة التردد التي قد تفوّت عليهم فرصا ثمينة حين تدفعهم إلى تأخير أو تأجيل اتخاذ القرار المتعلق بمستقبلهم المهني.

المراهق والقيم المهنية والتغير الاجتماعي

ونظرا لأن عالم الشغل متقلب والقيم التي ارتبط بها غير مستقرة بحكم الواقع والظروف، كثيرا ما يجد المراهق نفسه في حيرة، هل يختار ما يرغب فيه فعلا وتميل إليه نفسه أم يواكب وتيرة الحياة و لا يلتفت إلى قناعاته وتطلعاته الراسخة والمتجذرة في أعماق ذاته. وما هو أحسن تكوين ينبغي الالتحاق به ليضمن التكيف مع هذه الحياة المتقلبة. و مما يزيد الوضع تأزما بالنسبة إليه أن مجتمعه لا يوفر له معلومات كافية لتحديد موقف مناسب وموضوعي. وإذا كانت الحياة الحاضرة، كما يدركها، يشوبها الغموض فلا أمل كبير لديه في استشراف ما سيكون عليه المستقبل. وقد يكون ذلك أحد العوامل التي تجعله أحيانا يفقد الشهية في هذه الحياة ليصبح تائها فيها لا هدف له و لا غاية.

في استطاعة غالبية الشباب، عندما يكون التغيير متدرجاً ومحدودا، إيجاد التوازن بين تجارب الماضي وما يتطلبه الوضع الجديد، ومشاكلهم تظهر مع التغييرات السريعة والشاملة. هذه الأخيرة حين تمس الأنظمة التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فإنها تفرض تحديات تكيفية كبرى من المتوقع أن تكون لها آثار على نمو المراهقين وتكيفهم (Crockett.,

(Silbereisen.,2000 & . فقد يحتاجون إلى مراجعة ما بنوه سابقا من تصورات لمشاريع حول المستقبل وما يقف خلفها من قناعات كما قد يضطرون لمسايرة الواقع الجديد إلى تغيير مساراتهم التربوية والمهنية.

وفي إبراز الأهمية العامة لقيم العمل، أظهر *شولينبيرج* و *فوندراك* و كيم أن دعم هذه القيم يمكن اعتباره توجهاً إيجابياً نحو العمل. وأفادوا بأن المراهقين في الولايات المتحدة لأمريكية الذين أظهروا تأييدًا لها كانوا أيضًا على أعلى درجة من التطور الوظيفي من حيث اتخاذ المزيد من القرارات المهنية الصائبة (Schulenberg, J.et al.,1993). وتستمد قيم العمل أهميتها في مرحلة المراهقة من علاقتها الوثيقة بمفهوم الذات، (Simpkins,S.D.,& Davis-Kean,P.E.,2005) ولعل هذا ما يبرر اهتمام المراهقين الزائد بقيم تحقيق الذات، فيستوقفهم العمل الابداعي ويستمتعون بتوظيف المعرفة المكتسبة، ويحفزهم التحسين في الأداءوالتطوير للمهارة والقدرة، و يغمرهم الشعور بالرضى عند القيام بالمسؤولية. و يشكل تفكير المراهقين في القيم جانباً حاسماً في تكوين الهوية (Erikson,1968;Knafo & Schwartz,2004) التي يريدونها جذابة تحظى بالقبول و الرضى و لا تكون عائقا في عملية اندماجهم الاجتماعي. وظل التطور المعرفي، على النحو الذي عرضه *جان بياجه*، يساهم في تعزيز تفكيرهم حول تلك القيم(Darmody,1991)، حيث يصبح بإمكانهم، نتيجة لذلك، تناول فرص الاختيار العديدة بالنظر و عرضها في ذات الوقت على معايير مستمدة من قيم تشبعوا بها، كما أن أهدافهم تأخذ شكلا جديدا يتوافق مع مستوى نموهم الفكري فيصبح الاستقلال المنشود يعني تحمل المسؤولية و يتحوّل امتلاك القدرة أو تطوير الكفاءة إلى وسيلة لتحقيق المشاركة و تقديم المساهمة الاجتماعية.

المراهق و فرص العمل

يبدو أن البطالة أصبحت السمة الخاصة التي تميز واقع المجتمعات المعاصرة. فليس هناك في العالم مجتمع لا يعرف هذه الظاهرة و لا يعاني من آثارها السلبية خاصة وأن نسبة العاطلين عن العمل تقدر بالملايين، وتتعقد المشكلة أكثر لأن نسبة كبيرة منهم تتشكل من فئة الشباب والمراهقين، والجدول الموالي يوضح ذلك.

جدول رقم : يبين معدل البطالة بين الشباب من سن 15 إلى 24 عامًا

البلد	نسبة% البطالة	السنة	البلد	نسبة % البطالة	السنة
الأردن	40.8	2023	جنوب أفريقيا	49.1	2023
الصومال	34.3	2023	تونس	37.5	2023
الجزائر	30.8	2023	سوريا	33.5	2023
أنجولا	28.2	2023	إسبانيا	28.7	2023

سريلانكا	25.3	2023	اليونان	26.6	2023
إيطاليا	22.7	2023	إيران	22.8	2023
رواندا	22	2023	المغرب	22.6	2023
السويد	21.6	2023	تشيلي	22	2023
نيبال	20.4	2023	رومانيا	21.3	2023
كولومبيا	19.3	2023	البرتغال	20.2	2023
مصر	19	2023	أوكرانيا	19.1	2021
السودان	18.2	2023	جنوب السودان	18.3	2023
الأرجنتين	18	2023	أفغانستان	18.1	2023
تركيا	17.6	2023	البرازيل	17.9	2023
طاجيكستان	16.9	2023	فرنسا	17.1	2023
بلجيكا	16.1	2023	المملكة العربية السعودية	16.3	2023
بنغلاديش	15.7	2023	الهند	15.8	2023
زيمبابوي	14.3	2023	الصين	15.7	2023
أذربيجان	13.5	2023	إندونيسيا	13.9	2023
المملكة المتحدة	12.5	2023	روسيا	12.7	2023
كينيا	12.2	2023	ماليزيا	12.5	2023
بولندا	11.6	2023	جمهورية الدومينيكان	11.8	2023
فنزويلا	10.8	2023	أوزبكستان	11	2023
كندا	10.6	2023	الإمارات العربية المتحدة	10.7	2023
بورما	9.7	2023	زامبيا	9.8	2023
هولندا	8.9	2023	باكستان	9.7	2023
أستراليا	8.6	2023	بيرو	8.8	2023
التشيك	8.3	2023	ج. الكونغو الديمقراطية	8.6	2023
الولايات المتحدة الأمريكية	7.9	2023	بوركينا فاسو	8	2023
غينيا	7.3	2023	موزمبيق	7.6	2023
كوريا الشمالية	7.1	2023	الإكوادور	7.2	2023
ملاوي	6.8	2023	الفلبين	6.9	2023
فيتنام	6.2	2023	الكاميرون	6.4	2023
ألمانيا	6	2023	المكسيك	6.1	2023

https://www.cia.gov/the-world-factbook/field/youth-unemployment-rate-ages-15-24/country-comparison/

إن البطالة هنا تكمن خصوصيتها وتزداد آثارها جسامة في أنها تظهر في وقت يتأهب فيه الشباب للدخول إلى الحياة العملية والقيام بخطوات يمكن أن تُتوّج بالتحاقهم بعمل ما وبالتالي تجسيد صورة أخرى من اندماجهم الاجتماعي من خلال مهنة أو وظيفة. وبما أن

هذه المحاولة حاسمة في رسم مستقبلهم المهني، وجدنا الشباب العاطلين عن العمل، مقارنة بالأكبر سناً، يبذلون جهودا مضاعفة من أجل الحصول على عمل(Windschuttle,1979).
ولنتصور النفسية التي يحملها هؤلاء الشباب نتيجة هذا الوضع في الوقت الذي يريدون فيه إثبات للكبار أن لديهم من الإمكانات الخاصة والقدرات ما يعفيهم من وصاية غيرهم عليهم وأنهم أصبحوا في مستوى تحمّل المسؤولية الكاملة. في ظل هذه الظروف يعيش المراهق حالة من القلق و يشعر بالاختناق حيث تتبخر تصوراته المحفزة و آماله الواعدة نظرا لأن الوسيلة التي تسمح بتفعيلها و تجسيدها مفقودة. و كأن مشروعه فجأة سقط و في لحظة واحدة تلاشت أهدافه وضاع منه الطريق. وفي ظل خيبة أمل جارفة قد يوقف عملية البحث عن العمل وينطوي على نفسه ويستسلم للعيش بلا عمل، و ربما يطور مع الوقت مواقف سلبية تجاه العمل، خاصة بعد تأكيد بعض الدراسات أن الشباب العاطلين بعد فقدانهم الثقة في أنفسهم وفي من حولهم يميلون إلى الانعزال عن العالم (Harris.,1980)، ويدخلون فيما سمّاه *ليفين* بمرحلة اليأس(Levine,1979)، وغالبا ما ينقلبون ساخطين على أنفسهم و ذويهم وعلى من أشرف على تعليمهم وتكوينهم، وليس بعيدا عن بعضهم اللجوء إلى التخريب أو غيرها من الأنشطة المعادية للمجتمع للتعبير عن غضبهم (Demers,M,1983)، فالمسألة مصيرية وخاصة في هذا المنعطف من حياتهم، لذلك لا بد من مواقف داعمة ترفع من معنوياتهم وتعزز رغبتهم في متابعة جهودهم في البحث عن عمل يسترجعون به كرامتهم ويحققون بعض طموحاتهم. و عندما نتحدث عن هذه المساندة فإننا نفترض أن تأتي مكملة لكل صور الدعم الأخرى في المراحل العمرية السابقة فيحصل الانتقال السلس إلى المرحلة الجديدة تلقائيا، ويأتي الدعم المتكيف مع تفاعلات هذه المرحلة التي تصاحبها انشغالات الشاب العديدة والتحديات المحيطة بهم من كل جانب لتمكينهم من بلوغ ذروة النضج و القدرة والكفاءة بما يؤهلهم لفك عديد من القيود المكبلة، و الانطلاق في تفعيل حرية اتخاذ قراراتهم خاصة من خلال اختيار عمل يملكون مؤهلات مزاولته أو لديهم الاستعداد لاكتسابها والذي سيُثبتون بالنجاح فيه أركان استقلاليتهم ويعززون إحساسهم بالهوية الشخصية على اعتبار أن مساهمتهم المهنية تتحوّل إلى إحدى مكونات هويتهم الاجتماعية البارزة. وإذا كان العمل مصدرا للدخل يمكّن صاحبه من مشاركة معايير الاستهلاك للمجتمع الذي ينتمي إليه، فهو كذلك يمنحه اعترافًا اجتماعيًا يعبّد له الطريق للاندماج وسهولة التفاعل مع الآخرين ومدّ الجسور نحوهم، إضافة إلى الحقوق والامتيازات العديدة والتي تعزز حمايته الاجتماعية وتزيد حياته جودة واستقرارا. في المقابل فإن وضع البطالة يطيل من عمر تبعيته المالية التي من المتوقع أن تثير مشاعر الدنيّة والنقص والإهانة فتُسهم في إضعاف تقديره للذات وتجعل استقلاليته التي طالما ناضل من أجلها فاقدة لكل معنى أو دلالة. إنها حالة شديدة من

الاحباط، وردّ الفعل متوقع، فإما أنه ينسحب من المجتمع بطريقة سلبية فيتظاهر بالشخصية المتنحية والمنقادة والخاضعة أو ينطوي على نفسه أو يلجأ إلى المخدرات وطرق الادمان الأخرى كوسيلة للهروب نفسيا من الواقع، أو يختار الخروج و التمرد على المجتمع و تبنّي أفكار غير صالحة و سلوك غير اجتماعي، كاعتماد الأساليب العدوانية أو ممارسة التخريب تعبيرا عن الاستياء والغضب والرغبة في الانتقام. وبما أن العلاقة بين مزاولة العمل والصحة النفسية أكدها تراكم نتائج الدراسات و أن البطالة تؤثر سلباً على الصحة البدنية (Moser,et al.,1986) والصحة العقلية (Paul & Moser.,2009).ودائما حسبما تشير النتائج المستخلصة يقترن التعرض المتزايد للبطالة في أوساط الشباب بالاستهلاك المفرط للمواد الكحولية (Montgomery,et al,1998;Virtanen.,et al,2016; Berg.,et al,2018) و تعاطي المخدرات (Henkel.,2011) وبزيادة مخاطر الإصابة باضطرابات نفسية كالاكتئاب والقلق (Fergusson, D.M.et al.,1997;Zhang.,& Bhavsar.,2013;Donovan,A.,& Oddy,M.,1982) . فلا خيار أمام المجتمعات سوى السعي لتوسيع و تنويع فرص العمل لاستيعاب طلب الشباب رعاية لصحتهم النفسية وتعزيزا لاندماجهم الاجتماعي و فسحا للمجال أمامهم لتفجير طاقتهم و ما يمكن أن ينجم عنه من إمكانية توجيهها و حسن استغلالها، إبعادا لكل احتمال تبديدها فيما يضر و لا ينفع كحصول اصطدام هؤلاء الشباب مع المجتمع أو تمرّدهم عليه .

المراهقات و العمل:

وقبل أن نختم هذه الفقرة لا بأس من وقفة مقتضبة حول بعض ما تتميز به مواقف الإناث المراهقات في مجال العمل و التمهين و التي في عمومها لا تختلف عن مواقف المراهقين إلا في الشكل والدرجة إضافة إلى أن مجال اختيارات الاناث المهنية لأسباب ثقافية اجتماعية تظل أضيق مما هو متاح للذكور. و رغم ذلك فإن حاليا أكثر من نصف القوى العاملة العالمية تقريبا تتشكل من الإناث(Rogers,V. L.N.,2015) ، إلا أن هناك عدم توازن في كيفية انتشار الجنسين على مختلف المجالات المهنية. و قد تناول الباحثون الاختلاف بين الجنسين في الاهتمامات المهنية، و الذي يمثل في رأيهم أكبر الاختلافات بينهما، والتي ظلت لفترة طويلة متسقة نسبيًا عبر الدول و خلال الفترات التاريخية (King,I.,1914; Su, R.,& Rounds,J.2015) ، خاصة من حيث التمثيل الجنسي الذي جاءت حصة الإناث في العديد من المهن ذات المكانة و الأجور العالية في مجالات العلوم و التكنولوجيا و الرياضيات أقل بكثير من حصة الذكور (Stoet.,& Geary,.2018). وعبر عقود من الزمن تراكمت النتائج التي تؤكد ميل الفتيات إلى الوظائف التي توفر التفاعل الشخصي المباشر مع الآخرين كالتدريس والعمل في الرعاية الاجتماعية، مقابل اهتمام الأولاد بالكهرباء والميكانيك ومجال الآلات وريادة الأعمال (King.,1914;Miner.,1922;Carter.,& Strong,.,Jr.,1933;Finch.,& Odoroff.,

(1939;Lippa,et al., 2014; Mozahem, et al,2020. وفي نفس السياق تُسجّل باستمرار، وفي جميع البلدان تقريبًا، مشاركة عدد أقل من الإناث في مجال صناعة تكنولوجيا المعلومات (Hyrynsalmi.,2019; Drury.,2011). تحصل هذه الفجوة بين الجنسين، حسب تقرير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، بسبب العقبات الكثيرة التي تحُدّ من قدرة الإناث على الاستفادة من الفرص التي يوفرها التحوّل الرقمي، و كذلك لانخفاض معدل التحاقهن بالتعليم في التخصصات التي تسمح لهن بالأداء الجيد في الفضاء الرقمي، مثل العلوم و الهندسة والرياضيات، و تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات (OECD.,2018) . وفي ظل هذه الظروف تفشل الكثيرات منهن في تطوير المهارات الرقمية و لا تتمكّن من الالتحاق بالمهن المتعلقة بتكنولوجيا المعلومات و الاتصالات.

لكن هذا الاستقرار عبر العقود في الفوارق بين الجنسين المتعلقة بالاهتمامات المهنية مسّه في السنوات الأخيرة بعض التغيير الذي مع ذلك لم يؤثر كثيرا في الفوارق الأساسية بينهما. وهكذا بدأت الإناث تُظهر ميولا مهنية جديدة، فعدد الطالبات في مجال العلوم والهندسة آخذ في الازدياد، مع بقاء التفوق في العدد للذكور. كذلك أصبحنا نعاين في عدد متزايد من الوحدات التربوية في الرياضيات والعلوم بمراحل التعليم الأساسية والثانوية تقاربا كبيرا في عدد الذكور والاناث مع توازن في النتائج بينهما، لكن بعد الالتحاق بالجامعة تظلّ الاناث في هذه التخصصات تشكل أقلية، وعدد الخرّيجين في آخر المطاف يفوق عدد الخريجات في كل مجال من مجالات العلوم و الهندسة، و يزداد تراجع تمثيلهن في هذه التخصصات بشكل أكبر على مستوى الدراسات العليا(Hill, C.et al.,2010) .

من ناحية أخرى تبدو اختيارات الجنسين المهنية في ظاهرها شخصية تتعلق بمسارات الأفراد، كل حسب تجربته السابقة و الفرص المتاحة له، و لكن عند تحليل مواقفهم و تناولها بالقراءة الشاملة ندرك أن العوامل الاجتماعية و الثقافية حاضرة بقوة و لها تأثير مباشر في تحديد مستقبل الشباب المهني. و من بين المسائل التي توقّف عندها الباحثون مشاركة المرأة في الأعمال أو الوظائف التي كانت حكرا على الرجال، وغالبا ما اقترن التحاق العنصر النسوي بها بالحاجة الملحة والفقر الشديد والعوز، و ليس برغبة تجاوز المعايير الثقافية، وهو ما قد يبرر ارتفاع نسبة مشاركة الاناث في الدول الأقل نمواً اقتصاديا(Lippa,et al.,2014).

و رغم الزيادة الملحوظة في عدد النساء المنخرطات في النشاط المهني التي عرفتها معظم دول العالم خلال العقود الأخيرة، لا يزال الموقف الذي يعتبر رعاية الأسرة و الأطفال هي مسؤوليتهن الأساسية يحظى بالتأييد حتى في الوسط النسوي ذاته و بنسب تختلف من مجتمع إلى آخر. وإذا كانت النظرة إلى عمل المرأة في علاقته بالأسرة تتسم على العموم بالسلبية خاصة لأنه يُبعد الأمّ لساعات طويلة عن صغارها فيحرمهم من عطفها وحنانها وقد

يتسبب في عدم استقرار حياتهم و اضطراب صحتهم النفسية. فهو بهذا المعنى، كما عبر عنه بعضهم، "عدو" للأسرة (Friedman & Greenhaus,2000) ، لكن عندما نقيّم بواقعية آثار هذا العمل و نحصي الفوائد التي يجلبها للأسرة و أفرادها و الإثراء النوعي لخبراتها فيصبح على العكس حليفا لها. و لذلك تفضل غالبية الإناث مباشرة العمل قبل الزواج، لأن العمل بعد الزواج يطرح لعدد كبير منهن مشاكل و صعوبات فتجد المرأة العاملة نفسها تختار بين المحافظة على الشغل أو المحافظة على بيت الزوجية، و إذا اختارت أن تترك العمل يكون من الصعب عليها الحصول عليه مرة أخرى في الظروف التي عمت فيها البطالة وتضاءلت فيها فرص إيجاد عمل. هذا الاقبال الواسع للفتيات على العمل اقترن بانتشار ظاهرة تأخير الزواج الذي لا يعني بالضرورة رفضه بالكامل. وحتى إذا اختارت الاناث العاملات عدم تأخير الزواج ، فإن مزاولتها للعمل ستتدخل في قرار إنجاب الأطفال ودفع الكثير منهن إلى تأجيل الأمومة (Camberis, A.L.et al.,2014). أما بالنسبة النساء للناجحات مهنيًا فقد وجدن من الصعب جدا، كما أوضحت *بلير لوي*، الاستثمار بشكل كامل وفي وقت واحد في الأمومة والمهنة (Blair–Loy, 2005).

لا بد أن نضيف أن المسألة في أبعادها المختلفة تغلّفها معطيات ثقافية لا يمكن أن نتجاهلها أو نلغي آثارها عند القيام بالعملية التحليلية(Bardwick,1971).

وعموما كانت المراهقات دوما تبدين خوفا من رفض المجتمع لهن وأظهرن انشغالا خاصا بمتطلبات الأنوثة. ويتعاملن مع ما أحرزنه من نجاح بنوع من الحذر والاحتياط ، ذلك أن هذا النجاح وخاصة في بعض الميادين كانت له قراءة خاصة من قبل المجتمع (Schaeffer, D.L.,1971). وإن ظهور مفهوم"الخوف من النجاح" الذي طرحته *مارينا هومر* (Horner,M.S., 1970,1972) والذي صار البحث فيه محور الاهتمام في العقود الأخيرة (Canavan,1989) يلخص بوضوح مشاكل الانجاز التي ظلت الاناث تواجهها وحجم التحدي الذي كان يقف في وجه طموحها و رغبتها في تحسين واقعها، مما جعلها في كثير من الأحيان تتجنب النجاح (Paludi,1984) ، حيث كانت تشعر بالقلق و الحرج عند تحقيق أي اختراق أو إنجاز خاصة في المجالات التي كان يهيمن عليها الذكور، وبالتالي تخشى أن تكون له عواقب سلبية عليها كفقدان الأنوثة وتقدير الذات الاجتماعي وحصول رفض اجتماعي (Peplau,L.A., 1976)، خاصة في ظل القناعة السائدة أن إنجاز المرأة يتعاظم في بيتها و أن السعي وراء تحقيق نجاح خارج هذا الاطار ليس من سمات الأنوثة. في نفس السياق وجد *ماكوسكي* أن النساء ذوات الخوف المرتفع من النجاح يعتبرن أنفسهن أكثر أنوثة من النساء ذوات الخوف المنخفض كما يعتبرن الحياة الأسرية أكثر أهمية من المهنة (Makosky,V.P.,1972) .

ويمكن تصور درجة الاحباط و التوتر التي ستعرفها الفتاة وهي تتعامل مع هذه المواقف الاجتماعية المقيدة و الأعراف الثقافية الخانقة والمحاصرة في مرحلة عمرية تتميز بالنمو السريع الجسدي و العقلي و النضج الجنسي و الوعي الذاتي الذي تصاحبه رغبة جامحة في التحرر والاستقلالية و تجسيد الطموح، كما أنها فترة يميزها التطور المعرفي مع بلورة اهتمامات جديدة و هوايات تتيح لها توسيع مجال تفاعلاتها مع أفراد المجتمع وكسب ثقتهم.

الخلاصة:

إن اتخاذ القرارات المتعلقة بالمهنة ليس أمرا سهلا. و إن اختيارها أصلا عملية معقدة تتفاعل ضمنها متغيرات عديدة من قدرة عقلية ومستوى علمي وملمح للشخصية وسياق ثقافي واجتماعي. و لا شك أن تأثير اختيار الشاب لمهنته سيمس كافة أبعاد حياته، بحيث ستحدد مكانته في المجتمع، و أسلوب حياته، و دائرته الاجتماعية. لكن في الجانب الآخر يدخل المراهق بمزاولة مهنة حيزا غنيا بالفرص لبلورة و تعزيز مفهوم الذات الناضجة. ولأهمية هذا الأمر و حتى لا يطول تردده في اتخاذ القرار المهني، تتأكد حاجة الشباب إلى مرافقة واعية تمدهم بالدعم المعنوي والمادي لتجاوز تحديات المرحلة و الوقوف بجانبهم حتى يتمكّنوا من صياغة تصور ناضج يحددون به مستقبلهم المهني. إذ بإمكان هذا النوع من المرافقة أن يختصر له الطريق التي تؤدي إلى اندماج مهني موفق. فيما يتعلق بالفروق الجنسية فهي في الشكل والدرجة، مع الاشارة إلى أن نصف القوى العاملة العالمية أو أكثر تتشكل من الإناث و رغم ذلك يظل انتشار الجنسين على مختلف المجالات المهنية، لأسباب ثقافية اجتماعية، غير متوازن. مع التحولات الحاصلة بدأت الإناث تُظهر ميولا مهنية جديدة، كاهتمامها المتزايد بمجال العلوم و الهندسة والرياضيات، ومشاركتها في الأعمال أو الوظائف التي كانت حكرا على الرجال. في المقابل لا يزال الموقف الذي يعتبر وظيفة المرأة الأساسية رعاية الأسرة والأطفال يحظى بالتأييد حتى في الوسط النسوي ذاته وبنسب تختلف من مجتمع إلى آخر. وكان لإقبال الاناث الواسع على العمل آثار لافتة من أبرزها تأخير الزواج الذي تحوّل إلى ظاهرة اجتماعية، وفي حالة قيام الزواج تأخير إنجاب الأطفال وتأجيل الأمومة. كذلك ظلت المرأة العاملة لفترة ليست بالقصيرة تتعامل مع ما تنجزه أو تبرز فيه بنوع من الحذر والاحتياط، لاقترانه بقراءة خاصة من قبل المجتمع إلى درجة أن تحقيق المرأة لأي اختراق أو إنجاز صار يثير قلقها ويسبب لها الحرج في المجتمع .

الفصل العاشر:

المراهقة و بعض المظاهر السلبية

المراهق والجنوح

إن عددا كبيرا من المراهقين يتعاطون السلوك غير الاجتماعي مما يجعل الجنوح مشكلة اجتماعية ضخمة. ولو استطعنا أن نحيط من ناحية المعلومات بالظروف التي أدت بالمراهق الى اتخاذ هذا المسلك فإننا بدون شك سوف نسلط الكثير من الضوء على هذه الظاهرة وبطريقة مباشرة على مشكل أعم يتعلق ربما بعملية النمو لدى هذا المراهق.

ومعروف عن مرحلة المراهقة أنها فترة حرجة في النمو بالنظر إلى كمية و شدة التغيرات المقترنة حتى وصفها الكثيرون بفترة العاصفة والتوتر أو العاصفة التنموية (Hall,G.S.,1904; Cloutier,R.,2005) والتي تجعل المراهقين أكثر استعدادا للانحراف، علما بأن عدد الجرائم في دول العالم بالأخص الالولايات المتحدة الأمريكية التي يرتكبها الأحداث مرتفع للغاية (Puzzanchera, et al.2010; Sickmund, 2010). و يحفز المراهق على تعاطي الجنوح السعي إلى اكتساب شهرة بين الأقران أو سمعة على الأقل بدرجة تحفظ ماء الوجه أولا وبما يحاكي طموحاته لاحقا. وكما يعتقد *إملر* و *ريشر*، يحتاج المراهق، باستخدام المفهوم الذي طوّراه، إلى" إدارة السمعة" وباستمرار تقدير المزايا و عوائد هذا الفعل (Emler.,& Reicher.,1995).

و رغم أن نظريات عديدة تعتبر الجانح فردًا محرومًا يخضع في سلوكه إلى قوى خارجة عن سيطرته، وأن انخفاض ضبط النفس أمام ضغط الحاجة كان دائما مصاحبا للسلوك المنحرف (Ezinga, M. A. J.,et al,2008) ، فإن استجابته بطريقة غير أخلاقية أو غير مقبولة اجتماعيا يتوقف أساسا على مدى استعداده للانحراف، علما بأن في معظم الحالات يرتبط الجنوح بالاستعداد المرتفع (Agnew, R.,1990) . وبعدها يتم تقدير الكفاءة المطلوبة والتكاليف المترتبة عنه إلى جانب الفوائد التي يمكن تحقيقها. بعبارة أخرى عندما يكون وازع المراهق الأخلاقي والديني قويا يستطيع مواجهة رغباته الجامحة ومقاومة الضغوط التي تنشأ عنها.

وحسب نتائج التحريات الميدانية في المجتمعات الغربية، فإن الجنوح أول ما يظهر في المدرسة. فالأطفال خاصة من العائلات الفقيرة عندما يشعرون بالإحباط والإهانة داخل المدرسة قد يعبّرون عن مشاعرهم تلك بسلوك عدواني (Chimwamurombe, M., 2017; Aute, D.A.et al,2020) تجاه تلاميذٍ آخرين. هذا لا يعني أن الانحراف أو السلوك غير الاجتماعي غائب في أوساط المراهقين من الطبقات الميسورة أو المترفة، فالاحتكاك بواقع كثير من العائلات الغنية أكد على انتشار هذه الظاهرة بنسبة معينة. ولعل هذا ما يبرر النتائج التي انتهت إليها عدة دراسات وإشارتها خاصة إلى وجود ميل نحو الانحراف والجنوح كطريقة عمل وامتهان، تبدأ في مرحلة مبكرة (Glueck,S.& Glueck,E.1964;Mc Cord,W.et al.,1959).

وتشير الأبحاث إلى أن البيئات المدرسية الإيجابية تساهم في خفض مستويات الاضطرابات المدرسية، لكن عندما يرى الطلاب أن مدارسهم أقل تماسكًا، فإنهم يكونون أكثر عرضة

للانخراط في سلوكيات منحرفة (O'Neill.,& Vogel.,2020) ولو أن هذا السلوك المنحرف في كثير من الأحيان يعود إلى التربية الأولى التي تلقاها الأفراد لتظهر بعد ذلك في مختلف البيئات المقتحمة. فقد استخلص *سنيدرو باترسون* من مراجعتهما لمائة دراسة حول الجنوح أن هذا الانحراف هو فعلا ثمرة طبيعية لتنشئة اجتماعية غير كفؤة في الأسرة و التي يمكن ملاحظة جذورها في مرحلة الطفولة(Snyder., & Patterson.,1987)، علما بأن الدور المركزي الذي تلعبه الأسرة في تحديد الجنوح أدركه خبراء الأحداث من عقود (Morrison.,1915; Geismar & Wood.,1986)

في السياق التفاعلي إضافة إلى عنصر الفقر، تدخّل عوامل أخرى كالطلاق في إنتاج السلوك الجانح في أوساط المراهقين. فكثيرا ما اقترن الانحراف السلوكي والجنوح بطلاق الوالدين (Burt,S.A.et al,2008;Kelly,J.B.,2000)، كذلك في ظل صراعاتهما المتكررة والشديدة، أو في حالات الغياب أو الإهمال لواجباتهما تجاه الأسرة تظهر على الأطفال والمراهقين أعراضً خارجية أكثر مثل الانحراف (Demuth & Brown,2004; Davies & Lindsay,2004; Gerard, J.M.et al.,2006) . فعندما تكون العلاقة بين الأبوين سلبية، يصبح المراهقون أقل استعدادا لاستيعاب القيم والمعايير الأبوية، وبعضهم قد يختار كطريقة للانتقام إصدار سلوكيات مستهجنة تتعارض مع تلك القيم، وبتكرار الوضعيات التي تستجر مثل هذه الردود قد يطوّرون، على حد تعبير *شيكيدانز*، هوية سلبية (Schickedanz et al.,2001). وأشارت دراسات عديدة إلى ارتفاع معدل الانحراف السلوكي بين أولاد الأسر المضطربة. (Juby., & Farrington.,2001; Krishnakumar, A.,et al.,2003)

كيف تمتص التنشئة الاجتماعية هذا الميل وتتعامل معه يختلف من بيئة إلى أخرى بغض النظر عن كونها بيئة يتوفر فيها الأفراد على كل ما يسمح بإشباع حاجاتهم أو أنها بيئة الفاقة والحرمان. ونتيجة لما هو موجود في الواقع فإن عددا لا يستهان به من الآباء والمربين يعتقدون أن مشاكلهم تتضاعف عندما يصبح أطفالهم مراهقين. تخوفات كثيرة يقويها ويؤكدها انتشارها في الأوساط العامة. فالمواقف متكررة واللغة المتداولة للتعبير عن هذه التخوفات متشابهة و أحيانا تشمل أكثر من جيل.

كما أوضحنا سابقا لا بد من تناول المراهقة كمرحلة من مراحل النمو يمر بها الانسان، وأن ما يحدث فيها لا يكون إلا امتدادا لما قبلها و أن بداية الخطأ أو التجاوز الذي يقع فيه الكبار يكون حين يركزون على المرحلة بصورة خاصة بمعزل عن مراحل النمو السابقة ومنفصلة عن المراحل اللاحقة(Schwartzman ,A.E.,et al,1988;Seifert, K.L.,1997) .

إن النظرة السائدة في الأوساط العامة والخاصة رسخت قناعة لدى العديد من فئات الراشدين الذين يتعاملون مع المراهقين ويكاد الجميع ينتظر في حالة من الخوف والاضطراب والقلق متى يبدأ الطفل الكبير إظهار العصيان والتمرد والتحدي. ومشكلة المراهق أن مثل

هذه السلوكيات قد تحدث، فهي متوقعة وهو ما يزيد في تعزيز تلك القناعة. (Bandura, A.& Walters,R.H.,1959;Elkin,F.& Westley,W.A.,1955) ويبقى الجميع في موقف الحذر والحيطة وفي حالة الترقب مما يمكن أن يفاجئ به المراهق المجتمع و كأنهم أمام إنسان سفيه أو مجنون لا عقل له وتصرفاته كلها تصرفات السفهاء والمجانين الذين لا يقدّرون عواقب أفعالهم وأقوالهم. وهذا كله تنسجه عقول الكبار ولا يوجد في واقع المراهقين ما يبرره. والحقيقة أن انحراف المراهق كاستقامته يتوقف على نوع التربية التي تلقاها وعلى نوع القيم ومبادئ الحياة التي استوعبها واستنبطها و لا يمكن أن نعتبره مظهرا ملازما لمرحلة المراهقة. وينبغي أن يتذكر الآباء والمربّون أن المراهقين لا يمرّون جميعهم بحالة التوتر المفرط والمزعج، وأن عددا كبيرا منهم تكون عملية الانتقال معهم عادية جدا و لا تستلفت أي انتباه، بل بالنسبة لبعضهم يكون التحول نحو الأحسن. فعلى مدار الخمسين عامًا الماضية، وثقت الدراسات التي أجريت في أمريكا الشمالية و أوروبا أن رُبع المراهقين فقط معرضون بشكل خاص لمواجهة مشاكل نفسية و مشاكل النمو مثل الفشل الأكاديمي والانقطاع عن الدراسة، وإدمان الكحول و المخدرات الأخرى، و الجنوح و المشاكل مع القانون، والعنف (Kipke MD, 1999.ed). واستنادًا إلى تقارير 1666 طالبًا فنلنديًا عن صحتهم النفسية أثناء الانتقال من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة الثانوية الإعدادية، فقد وجد *فيرتانين* وباقي أعضاء فريق البحث أن الملامح النفسية لهؤلاء الطلاب تغيرت في كثير من الأحيان من مستوى رفاهية أقل إلى مستوى رفاهية أعلى، وليس العكس (Virtanen,et al.,2019). وهو ما جعل علماء النفس المعاصرون يرفضون الرأي القائل بأن العواصف و التوتر لدى المراهقين أمر عالمي ولا مفر منه(Offer & Schonert-Reichl,1992;Eccles et al.,1993; Arnett, J.J.1999)

وحتى أولئك الذين يُعرفون ببعض الاضطرابات، فهذه الأخيرة لم تظهر بالضرورة في مرحلة المراهقة، بل من غير المستبعد أن تكون لها جذور وامتداد في مراحل الطفولة التي سبقتها. و كان من الممكن حل المشكلة بجهد أقل وفي مدة أقصر وبفاعلية أكبر لو انتبه لها الأولياء حين ظهرت. اما الآن أصبحنا أمام إنسان يرى نفسه و نراه نحن، مستقلا نوعا ما عن الوصاية المباشرة و لا يرغب في الخضوع في كل أمر الى ترتيبات الآخرين. لذلك نحتاج إلى مواقف حكيمة تُسهم في استيعاب وضع المراهق و كل التحديات التي تواجهه وعدم الحكم السريع على استجاباته و محاولة تحسس الدوافع وراءها بما يسمح لنا بقراءتها بشيء من الموضوعية. و عندما نتناول مسألة انحراف المراهقين ينبغي أن نفرّق بين تعاطي الانحراف كوسيلة لإشباع حاجات فطرية والانحراف كوسيلة للتعبير عن الوجود في وسط اجتماعي بعضه يمنح للانحراف قيمة ويصبح المنحرف بهذا المظهر حائزا على مكانة داخل الجماعة. و لا شك أن النوع الأول أخطر أثرا على المراهق والمجتمع من النوع الثاني.

والمهم أن طريقة التعامل يجب أن تختلف حسب ما نستشفه من دوافع خلف السلوك الذي يصدره، و لا نكتفي بالوقوف على ما يطفو على السطح فنضطر إلى وضع كل المراهقين في سلة واحدة وبذلك نبتعد عن الواقعية فنفشل في مساعدتهم وتوجيههم.

خلاصة القول بدلا أن ننطلق من سوء الظن بهؤلاء الأبرياء فنُخضع ممارستنا للمزيد من الاحتياطات والشك و الترقب، نُقبل عليهم فنصغي إليهم و نتعرف على طريقة تفكيرهم و نوع الانشغالات التي هي من أولوياتهم وعلى العقبات التي يجدونها في طريقهم و كيف يعتزمون مواجهتها. و على ضوء ذلك نُهيكل تدخلنا و ما يمكن أن نقدمه من دعم و مساعدة.

المراهق والمخدرات

يعتبر تعاطي المخدرات مشكلة عالمية، وحسب بعض المصادر فإن نسبة5.6% من سكان العالم الذين تتراوح أعمارهم بين15و64 عامًا تناولوا المخدرات مرة واحدة على الأقل خلال عام2016 (Nawi.,et al,2021). ومن بين مناطق العالم التي يُسجّل فيها تزايد في هذا الاتسلاك بلدان جنوب شرق آسيا، وخاصة بين شرائح المجتمع التي تتراوح أعمارهم بين 15 و30عامًا (Yi,S.,et al,2017). والمراهقون هم أكثر الفئات عرضة للإدمان (Luikinga,et al., 2018) ، فعلى سبيل المثال فإن13.1%من مستخدمي المخدرات في الهند تقل أعمارهم عن 20عامًا (Nguyen.,& Newhill.,2016). و ربما تكون فضوليتهم الكبيرة و ميلهم إلى التجريب والدخول في المغامرات وتفاعلهم الآلي مع ضغوط الأقران للمحافظة على الموقف المحترم بينهم، وعنادهم الشديد...من العوامل التي تساهم في تقريبهم من بيئة المخدرات (Degenhardt, et al,2016) . إن استهلاك المراهقين للمخدرات يؤثر سلبا و بمعدلات عالية على صحتهم البدنية و العقلية(Schulte.,& Hser.,2013) و مما كشفته دراسة *تشوانغ* و آخرون أن السمات الاندفاعية العالية عند المراهقين لها ارتباط إيجابي كبير بإدمان المخدرات (Chuang, et al., 2017). في نفس السياق وحسب نتائج دراسة *جوتمانوف* وآخرون فإن سمات التمرد ارتبطت عندهم إيجابيا بإساءة استخدام الماريخوانا، وأنها في ذات الوقت ظلت تعزز ميل الشباب إلى الانخراط في السلوك المحفوف بالمخاطر (Guttmannova,et al,2019) .

وعلى هذا الأساس يحتاج المجتمع المعاصر إلى توسيع الثقافة المتعلقة بالمخدرات وتعميقها بهدف التوعية لأن التزايد في تعاطي هذه المادة الذي أصبح يشمل شرائح المجتمع المختلفة اقترن بالزيادة في التقدم الحضاري و خاصة المادي و التكنولوجي منه. و يكفي أن نذكّر بأن ربع إلى ثلث الوصفات الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية يسجل الأطباء فيها لمرضاهم أنواعا من مهدئات الأعصاب(Conger,J.J.,1973) . و أشارت العديد من الدراسات إلى زيادة في معدلات وصف الأدوية القابلة للإساءة في الاستخدام بالولايات المتحدة

الأمريكية، من منشطات وأفيونيات وبنزوديازيبينات[6] ;Gilson.,et al,2004; Zito.,et al,2003) (McCabe.,et al,2006 ، وأثارت هذه الزيادة مخاوف الصحة العامة بسبب إمكانية إساءة استخدام هذه الأدوية (Zacny.,et al,2003)، خاصة مع تعاطيها الواسع من قبل الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18و24 عامًا(Johnston, L.D., et al.,2003;McCabe,et al.,2007) . وفي الأوساط الطلابية بلغت معدلات انتشار الاستخدام غير المشروع للمنشطات الموصوفة طبيًا في عام واحد حسب نتائج إحدى الدراسات نسبة5.9٪من عينة من269 طالبًا وكانت الدوافع الأكثر شيوعًا وراء هذا الاستخدام المساعدة في التركيز والمساعدة في الدراسة وزيادة اليقظة (Teter,C.J.,et al,2006). وفيما يتعلق باضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط، اهتم الباحثون بدراسة مدى مساهمة علاجه بالمنشطات في تعاطي المخدرات لاحقًا ;Wilens.et al.,2003) (Barkley,et al.,2003 و خلُص التحقيق إلى أن فقط الإدارة السليمة للأدوية المنشطة التي يمكن أن تحول دون حصول تطور في اتجاه تعاطي المخدرات.

لا بد من الإشارة إلى أن العملية الاعلامية لها دور مباشر في تقديم الاشهار الذي يُكرّس الاعتماد على المخدرات: السيجارة، البن أو القهوة والشاي، وأنواع الكحول والخمر. وإذا كانت مادة " الماريخوانة " قد استعملها217 مليون أمريكي ولجأ إلى مادة " الماراولا "8 ملايين منهم في سنة1972 كما أوضحها التقرير الوطني المشترك حول المبالغة في الاعتماد على المواد المخدرة(Farnsworth,D.L.,1972)، فماذا تكون عليه الحال اليوم و قد زاد الشعب الأمريكي تحررا من كل القيود الأخلاقية و من كل الممنوعات، كما أصبح معرضا أكثر لموجات القلق العنيفة نتيجة الضغوط النفسية المتزايدة عليه من جراء التطور الذي لا يعرف توقفا والذي يشمل كل مظهر من مظاهر حياة الناس، فصارت حالة عدم الاستقرار فيها هي الوجه الثابت، وهذا بطبيعة الحال وضع يعيش الناس فيه بشكل دائم على أعصابهم، وهو ما يبرر الارتفاع الكبير في نسبة تعاطي المهدئات في الولايات المتحدة الأمريكية وكثير من الدول المصنعة الأخرى. وأن عددا كبيرا ممن يتعاطون هذه المهدئات يتحولون تدريجيا إلى مدمنين عليها غير قادرين على الاستغناء عنها. بل مع الوقت تصبح هذه المهدئات غير كافية فيتحولون إلى استهلاك مواد أقوى تأثيرا، وهكذا إلى أن يصبحوا في مرحلة متقدمة من الإدمان على المخدرات التي تخرب أجسامهم وعقولهم.إن هذه الزيادة الخطيرة في الاستهلاك لمادة المخدرات تجعل الطلب على توفيرها يرتفع فتتحول إلى مصدر ربح يتعاظم على حساب تبعية المستهلكين لها. وبما أن القوانين عامة والأعراف والديانات تحرم تداولها وبيعها، فهذا يفسح المجال أمام عمليات التهريب الواسعة التي عرفت تطورات خطيرة. هذه العمليات تتم خارج الرقابة القانونية، و أصحابها لا يهمهم سوى المزيد من الربح الذي يتحقق

[6] – أدوية تعمل على إبطاء نشاط الدماغ. وتنتج تأثيرًا مريحًا أو نعسانًا يمكن استخدامه لعلاج الذين يعانون من اضطرابات النوم.

نتيجة الزيادة في استهلاك هذه المواد الضارة و لا يهممهم من يستهلكها صغارا كانوا أوكبارا. والمراهق الذي عرّفنا ببعض خصائصه يصبح عرضة لأن يُستغل ويُجرّ إلى البيئات التي تحبب إليه الدخول في عالم المخدرات استهلاكا و لاحقا تهريبا واتجارا. والناحيتان الأكثر إغراء له في تعاطي المخدرات تتمثلان بالأساس في:

1- النشوة التي يحققها حين يتناولها والتحليق نفسيا في عالم غريب يستهويه الهروب إليه والتمتع به بعيدا عن حياة الالتزام والمسؤولية والتحمل التي يفرضها واقعه سواء في الإطار الأسري الضيق أو في إطاره الاجتماعي العام.

2- الأموال الطائلة التي يمكن أن يكتسبها في وقت قياسي بعد أن يتحول إلى تاجر يسوّقها ويروج لها. هذه الأموال يستطيع أن يشبع بها كل حاجاته وما يتطلع إليه كمراهق (اللباس الأنيق، السيارة الفاخرة، القيام بالسفريات السياحية... إلخ).

لذلك تضعف إمكانية المقاومة عنده ويصبح في قابلية أكبر للاستغلال، فيوظف في أداء أدوار خطيرة يجد في نفسه الاستعداد الكامل للقيام بها لما يضمن به الاستقرار في إشباع كل ما يرغب في إشباعه. وبما أن ذلك يتم بصفة غير قانونية وخارج عن نطاق العرف والخلق، فبقدر ما يعاين المراهق من فوائد ويُجني من أرباح تشجعه على مواصلة هذا العمل، بقدر ما يعيش الخوف و القلق نتيجة ما يتصور أن يلحق به في حالة أن يُمسك به من قبل مصالح الأمن. إضافة إلى الضغط النفسي الذي يتولد عن تأنيب الضمير حين يشعر بأنه يكذب على والديه ويخادع الخلق ويعصي الخالق. وهذا بدون شك يؤثر عليه ويصيبه في صحته الجسمية والنفسية وفي استقرار حياته الاجتماعية. ولنا أن نتصور حياة الخائف كيف سيعيش مع ذويه و مع عامة الناس. وما قد يزيده اضطرابا صعوبة الخروج من هذه الحلقة المغلقة التي وجد نفسه بداخلها أمام قوة الإغراء التي أضعفت مقاومته وليس من السهل التخلي عن وضع يضمن إشباع الحاجات باستمرار، و العودة إلى حالة الحرمان و العوز والتبعية. و هنا تبرز أهمية التوعية و حاجة المراهق إلى السند المعنوي و الذي يمكن أن تتكاتف الجهود و تتكامل الأدوار لتوفيره في سياق مصاحبة الناشئة في حلها و ترحالها مع أفراد الأسرة و داخل المؤسسة التربوية، ومع البرامج الإعلامية الهادفة، وفي البيئات الترفيهية التي يتردد عليها.

خلاصة

إن نتائج متابعة وتقويم حياة المراهقين عرضت في واقع المجتمعات صورا متباينة وأنماطا مختلفة يتعذر حصرها بطريقة منهجية واضحة. و لا زالت البحوث الميدانية تستكشف الجديد من مميزات وخصائص مرحلة المراهقة. هذا الوضع يدفع الباحثين باستمرار إلى مراجعة قناعتهم السابقة و إعادة صياغة تصوراتهم لجعلها تواكب النتائج العلمية المستخلصة. ولما

شعر بعضهم بأن الجهود تراوح مكانها، عمدوا إلى تغيير منهجية العمل و طريقة تناول هذا الموضوع من الأساس و بصورة جدرية. وهو اختيار يعود إلى أكثر من أربعة عقود، ويمكن أن نعتبر ظهور كتاب "زوال المراهق" The Vanishing Adolescent في سنة1959 إحدى ثمراته حيث لاحظ *فريدنبارج*,.Friedenberg مؤلف الكتاب أن المراهقة فقدت ما يميزها (uniqueness) وبالتالي لا جدوى من الاهتمام بما هو غير موجود و متابعة أحوال الأشباح. ولو أن *كولمان*Coleman استدرك عليه بكتابه "مجتمع المراهقين" The Adolescent Society الذي نشره سنة1961حيث عاد وأكد أن المراهقين يكوّنون ثقافة تتميز عن حياة الراشدين وأن مرحلة المراهقة قائمة بذاتها و لها ما يميزها عن باقي المراحل. هذا التناقض في الاتجاه بقدر ما يعبر عن الصعوبة التي يواجهها الباحثون حين تعامُلهم مع العنصر البشري والتخبط الذي يعرفونه عند محاولة بناء نظرياتهم العامة انطلاقا مما يتوصلون إليه من نتائج، بقدر ما يؤكد أن الشخصية الانسانية تفلت من محاولة المحاصرة المنهجية التي تختزل ثراءها وتشوّه حقيقتها. و لا يفيدنا كثيرا، أمام تعدد الاتجاهات وتناقض بعضها مع بعض، البحث عن الرأي الصائب أو حتى الأصوب في الوقت الذي يمثل هذا الاختلاف في الطرح و في الرؤى عين الاتفاق الذي يحفظ للمراهقة حقيقتها في ظل سيرورة غنية بالتفاعلات المتنوعة في الأفعال وردود الأفعال. فلا يساعد على إدراك كُنهها والوقوف على جوهرها سوى التحرر من الأفكار المسبقة والقناعات الطارئة والتعامل بإيجابية مع كل ما توصل إليه البحث العلمي من نتائج موضوعية قديمة كانت أو حديثة دون انتقاء ذاتي متحيز. ومن أجل صياغة تصور مستوعب لكل التناقضات التي عرضها الباحثون حول مرحلة المراهقة فقد نضطر إلى الاستعانة بما يشبه منطق "أبعاد الشخصية" الذي عرضه من نصف قرن من الزمن الباحث *أيزنج*(Eysenck,H.J.,1947) بدلا من الهروب إلى الأمام والانغلاق على قناعات لم تتأكد مصداقيتها. ويصبح من اليسير على الآباء والمربين في مواقع مسؤوليهم، مع وجود هذه البدائل الكثيرة في حوزتهم، تسيير واقع هذه الشريحة من المجتمع من خلال مواقف ناضجة ومتوازنة من شأنها أن تعبّد لها الطريق نحو المزيد من التألق والتطور وتساعدها في اجتياز العقبات التي تعترضها.

الباب الثالث :

بعض المشكلات في مرحلتي الطفولة و المراهقة

الفصل الحادي عشر:

بعض المشكلات في مرحلة الطفولة

تمهيد حول الاضطرابات السلوكية:

إن اهتمام المختصين في علم النفس و علوم التربية بالاضطرابات السلوكية منذ ظهورها في مراحل حياة الانسان الأولى تبرره قناعتهم الثابتة بأن طفل اليوم هو الراشد المسؤول غدا، وأنه إذا كان التعامل مع المضطرب سلوكيا ممكنا في مراحل طفولته و بمردود أفضل وفعالية أكبر، فإنه مع تقدمه في السن سيصبح رقما صعبا يجعل من التكفل به عملية شاقة ونتائجها غير مضمونة.

فرط في الحركة ونقص الانتباه

ومن بين المشكلات السلوكية الشائعة في مختلف مراحل الطفولة: النشاط الزائد أو فرط الحركة ونقص الانتباه. وهو اضطراب في النمو العصبي، غالبا ما يظهر قبل سن 12عامًا (Faraone,S.V.,et al,2015). و من أعراضه قلة الانتباه و ضعف التركيز و زيادة النشاط مما يسبب ضعفًا و قصورا في جوانب عديدة من حياة الأطفال اليومية تنجم عنها مشاكل من أبرزها تلك المتعلقة بالدراسة. وقُدّرت نسبة انتشار" قصور الانتباه وفرط الحركة " في أوساط الأطفال في جميع أنحاء العالم بخمسة إلى سبعة في المائة، (Polanczyk,,et al,2007; Fayyad.et al,2017) و تراوحت بين الأطفال في سن المدرسة بين 2 و11 في المائة، (Zametkin & Ernst,1999) و أن انتشارها بين الأطفال الذكور، كما أوضحت نتائج بعض الدراسات، كان أعلى منه بين الاناث بنسبة تتراوح بين(1:3 إلى1:9)، مع التنويه بأن النسبة لدى الذكور و الاناث البالغين ظلت تُقارب(1:1) (Huang.et al,2016;Williamson & Johnston.,2015;Dalsgaard, et al, 2002; Larsson, et al, 2011)

وهناك جدل حول التشخيص لاضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه، فبينما رأى بعض الباحثين أن تشخيص الأطفال يفتقر إلى تقييم مهني مطمئن ومقنع خاصة في عدم اعتماده على مصادر متعددة(Santrock,2002)، اعتبر البعض الآخر وجود إفراط في التشخيص، وأن الاضطراب في جوهره ليس أكثر من مشكلة تكيفية (Jensen.,1997;Luk.,1996). ويُعد اضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط أكثر الاضطرابات شيوعًا بين الأطفال اليوم (Barkley, 1990) . وإذا كانت بعض التحقيقات المسحية أشارت إلى ظهور أعراضه مبكرا في مرحلة الطفولة بين ثلاث وأربع سنوات،(Barkley,R.A.,et al,1990;Barkley,R.A.,et al, 1988) فإن معظم حالات الاضطراب تتطور قبل سن السابعة. وقد أُدرج هذا الاضطراب في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية، في طبعته الرابعة والخامسة مع عامل "قصور الانتباه " تحت تسمية واحدة " قصور الانتباه و فرط الحركة " (D.S.M,5,pp.60,61). ودائما

حسب هذا التصنيف، يمكن اعتبار الطفل مصابا باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه إذا اجتمعت فيه ستة أو أكثر من الأعراض التالية واستمرت لمدة ستة أشهر على الأقل بحيث يصبح هذا السلوك غير متوافق مع المستوى التنموي للفرد ويؤثر سلبًا وبشكل مباشر على أنشطته الاجتماعية والأكاديمية والمهنية. بالنسبة للمراهقين الأكبر سنًا والبالغين ضرورة معاينة خمسة أعراض على الأقل. الأعراض في مجموعها هي كالتالي:

1- كثيرا ما يتململ الشخص أو ينقر على يديه أو قدميه أو يتلوى في مقعده.

2- غالبًا ما يترك المقعد في المواقف التي يتوقع فيها البقاء جالسًا (مثل ترك مكانه في الفصل الدراسي أو المكتب أو في المواقف الأخرى التي تتطلب البقاء في مكانه).

3- غالبًا ما يجري أو يتسلق في المواقف التي يكون فيها ذلك غير مناسب.

4- غالبًا ما يكون غير قادر على اللعب أو الانخراط في الأنشطة الترفيهية بهدوء.

5- غالبًا ما يكون " متنقلاً "، ويتصرف كما لو كان "مدفوعًا بمحرك" (كأن يكون غير قادر على الشعور بالراحة لوقت طويل، وقد يعتبره الآخرون مضطربا).

6- كثيرا ما يتحدث بشكل مفرط.

7- غالبًا ما يطمس الإجابة قبل الانتهاء من السؤال.

8- غالبًا ما يواجه صعوبة في انتظار دوره (مثل حاله أثناء الانتظار في الطابور).

9- غالبًا ما يقاطع أو يتطفل على الآخرين، مثل التعقيب والتشويش على المحادثات أو الألعاب أو الأنشطة؛ استخدام أشياء الآخرين دون طلب أو حصول إذن.

تعليقا على هذه المقترحات فقد لاحظ بعضهم بعد مراجعة للأدبيات وتحليل ما انتهت إليه 546 دراسة في تقييم صحة نموذج DSM-IV لاضطراب فرط الحركة و نقص الانتباه أن الأنواع الفرعية لـADHD DSM-IV توفر اختصارًا سريريًا مناسبًا لوصف الارتباطات الوظيفية والسلوكية للمستويات الحالية من أعراض عدم الانتباه والاندفاع المفرط النشاط، ولكن لا تحدد مجموعات فرعية متميزة ذات صلة كافية (Willcutt,et al.,2012) . كذلك سُجّل عدم الاستقرار في الأنواع الفرعية لاضطراب فرط الحركة و نقص الانتباه كما يعرضها التصنيف DSM-IV من مرحلة ما قبل المدرسة حتى المدرسة الابتدائية (Lahey,et al, 2005) .

أسباب فرط الحركة وتشتت الانتباه

يصعب تحديد العوامل التي تقف خلف هذا الاضطراب فهي عديدة أولا لأنها مستوحاة من المقاربات التي تناولته من طبية و تربوية و نفسية و غيرها، وثانيا لأنها تختلف من حيث عددها حضورا و حجم تأثير كل منها حسب الأفراد بما لا يسمح بتعميم وصفها على كل الأطفال الذين يستعرضون هذا السلوك المضطرب. و لغرض التحليل نحاول أن نعرّج

على بعض العوامل التي تؤكد بعض المؤشرات الواضحة على اقترانها بالظاهرة كما بينت ذلك نتائج العديد من الدراسات:

1- *عوامل وراثية*: تساهم هذه العوامل في انتقال الاضطراب أو بالأحرى في توفير البيئة المساعدة على ظهوره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كأن يرث الطفل صفات تؤدي إلى إضعاف أو إلى تلف بعض الخلايا العصبية فتتأثر عملية تنظيم الانتباه سلبا أو تنقل إليه بعض العيوب التكوينية وراثيا فتؤثر بدورها على مراكز الدماغ المسؤولة عن عملية الانتباه. و تأكدت هذه العلاقة خاصة مع عينات من التوائم المتماثلة و الأقارب من الدرجة الأولى التي كانت موضوع متابعة من قبل باحثين، فقد بلغ التوريث بين التوائم، استنادا إلى نتائج عشرين دراسة، حوالي نسبة 80٪ (Faraone,S.V,et al,2005;Chang Z,et al,2013). وبينت نتائج دراسات على التوائم الأحادية الزيجوت المتطابقة أنها أحيانا كثيرة تشترك في سمة "قصور الانتباه وفرط الحركة" أكثر من التوائم ثنائية الزيجوت أو من القرابة الأخوية (Greven,C.U.et al,2011)، كما لوحظ أن هذا الاضطراب يسري في العائلات بحيث أن احتمال إصابة الأقارب من الدرجة الأولى به يكون مضاعفا (Biederman, J.,et al,1992).

2- *الأسباب البيولوجية*: الاتجاه العام في تحديد أسباب تشتت الانتباه المصحوب بفرط الحركة يميل إلى اعتبار المصابين يعانون من خلل في الجهاز العصبي المركزي، سواءعلى مستوى وظائف المخ المسؤولة عن الانتباه أو في التوازن الكيميائي للناقلات العصبية، ويحصل ذلك كله نتيجة تأخر النضج العصبي أو كانعكاس لعدم التناسق بين نصفي المخ الأيمن و الأيسر. والمهم أن يكون هذا السلوك غير الطبيعي انعكاسا لحالة بيولوجية وليس نتيجة سوء تربية أو عملية إشراط ما. إن اقتران ظهوره بعديد من الظروف البيولوجية أكده الباحثون لكن نتائج دراساتهم لا ترى حصول تأثيرها إلاّ مرتبطة ببعضها وليس مستقلة عن بعضها البعض (Anastopoulos, A.D.,& Barkley,R.A.,1988)، وهو ما يعني نسبية التأثير، وإمكانية أن يكون سبب الاضطراب متعدد الأبعاد.

3- *الأسباب البيئية*: تلعب العوامل البيئية دورًا رئيسيًا في تطوير اضطراب نقص الانتباه وفرط النشاط، ولو أن الآثار طويلة المدى لهذه العوامل لا تزال غير واضحة. وتشير بعض الأبحاث إلى أن العوامل البيئية المحددة التي تساهم في اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه لها تأثير قصير العمر أو عابر بشكل عام (Greven, C.U, et al, 2011) . وأن تأثير السمات الشخصية الثابتة تأكد على الأقل مع نسبة بين 40٪ من إجمالي التباين البيئي الحقيقي في فرط النشاط وعدم الانتباه (Livingstone, L.T., et al, 2016) .

كيفية التعامل مع الأطفال مفرطي النشاط ؟

بالنسبة لبعض الأطفال، يكون هذا السلوك أكثر من مجرد مظهر من مظاهر مرحلة عرضية، بل اضطراب حقيقي له أسبابه إذا لم يتم تحييدها قد تساهم في استمراره ليتحول إلى حالة مزمنة فتنعكس آثارها على مناحي حياة الفرد المختلفة، كأن يصبح من الصعب عليه التركيز في عمله المدرسي أو تفضيل الانسحاب عن التفاعل الايجابي مع الآخرين.
أما الآباء فيجدون صعوبة في مواكبة وضع أطفالهم، بما يثير لدى كثير منهم حالة القلق الحاد الذي تتطور أحيانا إلى اضطراب نفسي. و رغم أن هذا السلوك المضطرب الذي لا يزال يُشخّصُ بوصف بعض أعراضه دون تحديد العامل أو العوامل المسؤولة مباشرة عن ظهوره يظل مستعصيا على الضبط الكامل والتوجيه الفعّال، فإن هذا لا يعني استحالة التعامل معه لمحاولة التخفيف من آثاره على الأطفال و نقلهم إلى مستوى من التوازن والتكيف يسمح لهم بالانخراط في عملية التعلم بشكل أكبر وتطوير قدراتهم وتحسين أدائهم، كما يوسع لهم من إمكانيات المشاركة في الحياة الاجتماعية والاستفادة من الفرص المتاحة فيها لتحقيق ذواتهم على نحو أفضل. وهذا لا يتطلب من المشرفين(أولياء، مربون...) في مرحلة أولى أكثر من اتخاذ بعض الاجراءات البسيطة تصاحبها استعدادات تغذي النفس الطويل وقناعات طموحة تتسم بالواقعية وتقوّي الرغبة في المثابرة ومواصلة بذل الجهد حتى مع عدم ملامسة النتائج المشجعة وتدفع بالتالي نحو رفع التحدي.

يجب التنبيه على أن الاجراءات المطلوبة ليست واحدة مع جميع الأطفال الذين يعانون من تشتت الانتباه وفرط الحركة بل ينبغي تكييفها مع ما تمليه متطلبات التكفل بكل حالة حتى تؤتي أكلها. وفيما يلي عرض مقتضب لبعض الاجراءات المساعدة في التعامل مع هذا الاضطراب السلوكي في محاولة امتصاص بعض آثاره:

1- *حاجة الطفل إلى فرص كثيرة للمشاركة في أنشطة*:

إن أطفال النشاط الزائد لديهم الكثير من الطاقة، وهذا ليس بالضرورة أمرًا سيئًا. فلا بد للسماح لتلك الطاقة أن توظف بصورة بناءة ومن خلال أنشطة مفيدة وممتعة لأصحابها تساعدهم، فضلا عن صرف الطاقة الزائدة، على اختبار مستوى ضبطه للحركة حين تفاعله مع الآخرين، وعلى تطوير مهارات جديدة تفتح أمامه آفاق في تحسين علاقته مع أفراد المجتمع، إلى غير ذلك من فوائد قد يجلبها الاحتكاك المكثف بالجماعة. وغالبًا ما توفّر البيئات الاجتماعية لمثل هؤلاء لأطفال فرصا للتحرك على مدار اليوم، وفسح المجال للحركة هو علاج مساعد وآمن لاضطراب فرط الحركة(Christiansen,L.,et al,2019) خاصة إذا كان هادفا ويخضع لمتابعة إيجابية لا تشوّش على تلقائية الحركة . ويُعدّ النشاط البدني تدخلاً مفيدًا بالنسبة للأطفال والمراهقين المصابين باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه، وتدعم

الدراسات قصيرة الأمد وطويلة الأمد الفوائد السريرية لهذا النشاط ومن آثاره المسجلة تخفيف الأعراض المعرفية والسلوكية والجسدية لدى المصابين بهذا الاضطراب في معظم الحالات (Ng, Q.X.et al., 2017). في مقابل الذين يستثمرون في النشاط الزائد باعتباره طاقة موجودة وقابلة للاستغلال والذين يهتمون أكثر بإيجاد طرق لتوجيه الأطفال لاستغلالها بأفضل عائد، هناك من يضيق صدرهم بهذا الاجراء و لا يرون طائلا وراءه وكل همّهم محاصرة حركة الأطفال المزعجة. في كل الأحوال يجب أن يتذكروا أن منع الطفل ذوي النشاط الزائد من الحركة بالأساليب القمعية، فضلا عن أنه موقف يُعاقب على سلوك لا يستطيع صاحبه السيطرة عليه، فهو من حيث المردود جهد ضائع ونتائجه غير مشجعة إن لم يتطوّر وضع الأطفال إلى ما هو أسوأ. وأهم من ذلك، فإن العديد من الدراسات التي تتبعت أحوال هذه الفئة من الأطفال ما فتئت نتائجها تؤكد أهمية الحركة بالنسية إليهم، فأظهرت إمكانية تقليل نقص الانتباه لديهم وأن خلال حركتهم النشطة والكثيفة يكونون أكثر انتباها ودقة في الاستجابة (Medina,J.A.et al.,2010)، كما ارتبط عندهم ارتفاع معدل الحركة الجسدية بأداء أفضل للتحكم الإدراكي (Hartanto,T.A.et al.,2016) ، وأن حركتهم في جوهرها، كما استقر عليه رأي العديد من الباحثين، هي آلية تعويضية يستخدمونها لمساعدة أنفسهم على الانتباه أثناء الدراسة أو العمل (Sarver,D.E.et al.,2015)، وقد تكون حسب البعض استجابة وظيفية لمطالب تتعلق بوظائف تنفيذية محددة أو مطالب معرفية بشكل عام Soto,E.F.et) (al.,2024، فيصبح التقييد منها في حق هؤلاء الأطفال أو محاولة توقيفها، حسب هذه القناعة، سلوكا غير بيداغوجي.

2- *إدخال الطفل في روتين مستوعب لحالته:*

إن إدخال الطفل الذي يعاني من فرط الحركة ونقص الانتباه في سياق استجابات روتينية تنتظم جوانب من حياته (مثل لعبه و أعماله الترفيهية و واجباته المدرسية، وتناوله وجباته الغذائية و صور الضبط لنظافته و أوقات نومه...الخ) يفترض أن ينعكس عليه بالاستقرار والشعور بالسيطرة و التحكم في حياته، بما يُنعش لديه حالة من الارتياح النفسي والاطمئنان خاصة بعد أن يتمكن من فهم قواعد المنزل المتسقة والتوقعات المعلنة والعواقب التي تقترن بالأفعال و الأقوال. إن إخضاع الطفل لروتين يومي مع تقييده بجدولة زمنية محددة ومستقرة تغطي أهم أنشطته اليومية سوف يؤدي بعد فترة إلى استيعاب مظاهر حياته البارزة وهيكلتها ويساهم في الحفاظ على بيئة يمكن التنبؤ بكثير من تفاعلاتها(Fiese,et al,2002). و إن إخضاع الطفل الذي يعاني من اضطراب فرط الحركة و نقض الانتباه إلى ترتيبات روتينية مستوعبة من شأنه:

-*أن يوفر دعما خارجيا يساعده في تجاوز صعوباته حتى لا يستسلم لعجزه*: إن اللجوء إلى هذه الاستراتيجية بتقديم إسعاف خارجي أولي هو في الحقيقة إجراء مؤقت يهدف إلى تعزيز شعور الطفل بالكفاءة الذاتية وبالثقة في مواجهة التحديات والاستعداد لتحمل المسؤولية عن أفعاله بدلا من إلقاء اللوم على غيره ، و تقوية عنده ما يسمى بمركز التحكم الداخلي، (Carton,J.S.,et al.,2021) حتى لا يستسلم لحالة العجز ويستعيد المبادرة فيتمكّن من تجاوز مشاكل ضبط نفسه والسيطرة على أحوالها.

- *أن يخفف من التوتر و القلق*، ويحدّ من الصدام خاصة بين الطفل المصاب والأولياء. فانخراط الطفل بصورة شبه آلية في الأنشطة المهيكلة لا يترك له مجالا للاستجابة بطرق مستفزة أو مثيرة أو غير متوقعة تخرج عن السيطرة وتنشر في محيطه القلق والخوف وينشأ عنها الصدام أو الصراع. وفي ظل هذه الأجواء المنتعشة و الهدوء، من المتوقع أن يتحسن أداء الأطراف المتفاعلة في المشهد وتنزل الخلافات بينهم إلى حدها الأدنى، علما بأنه تأكّد، حسب نتائج بعض الدراسات، أن التمسك بالروتين والاستمرار في الانخراط فيه يساعد الأشخاص في التعامل مع التوتر والقلق (Eilam,D.et al.,2011).

- *أن يسمح لهذه الفئة من الأطفال باكتساب مهارات وبناء عادات حسنة*: إن هذا الحد من الاستقرار الذي توفره هيكلة حياة ذوي النشاط الزائد ضمن عمل روتيني هادف يهيئ لهم جوا مساعدا على التركيز الأكبر والانتباه الأطول يسمح لهم بمباشرة عملية التعلم بأريحية وباكتساب عادات جيدة و تطوير قدرات ومهارات تمكنهم على المدى المتوسط من تحقيق انخراط اجتماعي أوسع. مع مراعاة واقع هؤلاء الأطفال الذي لا نتوقع أن يعرف تغيرا نحو الأفضل إلا تدريجيا وبخطى بطيئة ومتواضعة والتي ينبغي تثمينها وتشجيع أصحابها. فصياغة الشخصية و تغيير واقعها يأخذ وقته المطلوب، و لا يمكن تسريع وتيرة التغيير على حساب إمكاناتهم الفعلية. والمهم ألاّ نقتصر فقط على رعايتهم وتقديم لهم مستلزمات الحياة دون مساعدهم على الانتقال حتى بهذه الوثيرة البطيئة نحو استقلالية ولو جزئية تتجسد في القيام ببعض الأشياء والمهام بمفردهم وتوجيههم خلالها لتحقيق النجاح الذي يحفزهم وينمي ثقتهم بأنفسهم، و لاحقا- بتقييم لحصيلتهم- إثارة شعورهم بالمسؤولية تجاه أقوالهم وأفعالهم. ومن الوسائل التي يمكن أن تساعد في تحقيق ذلك عدم محاسبة الأطفال على النتائج وتقدير بذلهم الجهد وقيامهم بالمحاولة. علما بأن جل الدراسات أكدت على أن العملية ليست سهلة بل تكتنفها صعوبات عديدة بحيث أن الأولياء وجدوا صعوبة كبيرة في ضبط حياة أطفالهم وإدارة الروتين اليومي في المنزل والمدرسة (الرعاية الذاتية، وقت الوجبة، وقت النوم، وجدول الدراسة)، وظلوا وأطفالهم يواجهون تحديات على مدار الساعة (Coghill,D. et al.,2008). وحتى تحقق الجهود المبذولة ثمارها ينبغي تقدير بواقعية وموضوعية نوع

المهارات التي يتم تطويرها(Kellegrew,D.H.2000) ، بهدف إخراج المصابين من ضيق العجز الذي يعانون منه. وهذا بالتأكيد سيسهل كثيرا عملية احتضانهم والتكفل بحاجاتهم الأساسية بما يهيئ لهم الظروف النفسية والاجتماعية المواتية لتنشئة اجتماعية سليمة.

– *أن يوفر جوا آمنا تنعم به كل الأطراف*: إن بيئة منتظمة على هذا النحو تبعث في نفوس الآباء و أطفالهم إحساسا بالأمان تعززه المراعاة التلقائية للإجراءات و الالتزام بالقواعد والضوابط و التناغم في أداء الأدوار بمعرفة كل طرف ما هو متوقع منه.

– *أن تساعد في تنظيم حياة الطفل*، و إلى حد ما في التنبؤ بها و أخذ الاحتياطات تجاه تحولاتها المستقبلية. يمكن ربط هذا التوقع بنتائج الدراسات التي خلصت إلى أن الأطفال ، بغض النظر عن أعمارهم، هم أكثر قدرة على تنظيم سلوكهم عندما ينتظم الحياة الأسرية روتين يمكن التنبؤ به(Fiese, B.H, et al, 2002) . ومثل هذا التفاعل الجماعي المهيكل يحول دون شعور ذوي النشاط الزائد بالانفراد.

– *أن توفر إطارا يضم استجابات كانت تفلت من السيطرة و التحكم* و الدفع بها ضمن تيار يتحرك آليا نحو تحقيق بعض النجاح يجعل الطفل أكثر تقديرا و احتراما لذاته.

هذه النسقية المقترحة لا يمكن فرضها بالقوة، و لكن تكرار المحاولة مع الالتزام بالجدول الزمني بمرونة سيصنع الفرق حتى مع وجود مقاومة من الطفل و رفضه الانخراط ضمن الخطة، و لكن بشرط عدم الاستسلام لموقف الطفل بسرعة.

3- *التحلي بالصبر وبعد النظر*:

إذا كانت تربية الأطفال هي عملية مرهقة أصلا فمن المرجح أن تكون أكثر تحديا وإرهاقا حين تتعلق بالأطفال ذوي النشاط الزائد وضعف الانتباه. فالإشراف الناجح على هذه الفئة عملية طويلة و شاقة و نتائجها المحفزة بطيئة الظهور، والتحسن المرتقب لا نراه سوى في إسقاطات مستقبلية من خلال ربطه ببعض المؤشرات التي تظهر من حين لآخر. ولذلك لقطع أشواط هذه العملية بسلام يحتاج المربي أن يتحلى بالصبر وأن يبني توقعاته ضمن سياق زمني يتناسب مع خصائص هؤلاء وطبيعة الصعوبات التي يعانون منها حتى لا تتكرر خيبة أمله. و رغم أن علاقته بطفله الدائم الحركة لا تخلو من التوتر ولكنها تكون أفضل لكليهما مع وجود الصبر والتقدير المتأني وتزداد تدهورا حين يفقد المربي أعصابه. بالنسبة للآباء لا يوجد خيار آخر لأن حالة الطفل المزعجة هي خارجة عن إرادته، وإن تحلّيهم بالصبر سيساهم في التخفيف من آثار إخفاقاتهم و إحباطاتهم المتتالية خلال تعاملهم معها. وبما أن جل ما يقوم به الأطفال لا يخلو من استفزاز واختبار للصبر، فإن الآباء مضطرون لمقاومة دافع الإنزعاج من الأمور البسيطة التي يقوم بها الأطفال– وهي كثيرة قد يأخذ الالتفات إليها كل وقتهم– وبذلك يحتفظون بتوازنهم النفسي ويستطيعون فهم كيفية

التواصل مع أبنائهم وإيجاد طريقة التعامل التي يتجاوبون معها، فيسخّرون كامل قواهم لتوجيه جهود الرعاية نحو أهدافها المرسومة. يجب أن نذكّر بان آباء وأمهات أطفال فرط الحركة يتعرضون باستمرار لضغوط كبيرة مصدرها نشاط أطفالهم الذي لا يتوقف وعجزهم عن التحكم فيه وضبطه، وهو وضع قد ينقلهم إلى حالة من العصبية تجعلهم يتخبطون في تعاملهم مع أطفالهم و لا يحسنون التصرف معهم. وليس من قبيل الصدفة شيوع بين أولياء الأطفال المصابين باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه، خاصة مع الأمهات، حالات الاضطراب النفسي والإكتئاب والضغوط (Chronis, A.M., et al, 2003;Fischer,M.,1990) . ومن انعكاسات هذه الضغوط فشل الأولياء في التركيز على السلوكيات الإيجابية التي يصدرها الأطفال ذوو النشاط الزائد والبناء عليها، وتوجيه متابعتهم للسلوك السلبي الطاغي الذي يعجزون عن ضبطه بعد محاولاتهم المتكررة فيختار بعضهم الانسحاب و التوقف عن أي محاولة لإدارة سلوك أطفالهم باعتباره لا يخضع لإرادتهم (Freeman,W.S.et al.,1997).

من العناصر التي تساعد على تعزيز التفاؤل وتقوية الشعور بالأمل وعلى مقاومة الطبيعة المزمنة للمشكلة التي تكاد تسيطر على أذهان الأولياء وتستثير انفعالاتهم الحادة:

-*أن حالة هؤلاء الأطفال ليست بالضرورة دائمة*، و لا يوجد ما يؤكد أن تجاوزها أمر متعذر، وإن كل ما تستند إليه مشاعر الأولياء السلبية متعلق أساسا بفشلهم في تحقيق أي تحسن في حياة أطفالهم، وقد يكون السبب قصور هذه المحاولات في الإحاطة بما يعاني منه الأطفال وليس الأطفال ذاتهم.

-*إن حالة توتر الأولياء و التشنج قد توحي لأطفالهم بأنهم لا يحبونهم*، في الوقت الذي يكونون في حاجة إلى مزيد من الانتباه والاستماع إليهم والإهتمام بهم، وأن مثل هذا الشعور أو الاحساس قد يتسبب في انهيار العلاقة معهم من أساسها، و تصبح السلطة المعنوية أو بالأحرى سلطة التأثير للأب و الأم من الماضي.

– *ألا يتم التركيز فقط على السلوك المزعج* . إن التعامل مع الطفل الضعيف الانتباه المفرط في النشاط لا يكون بالتركيز على السلوك غير المرغوب فيه وإظهار الانزعاج منه والعمل على تصحيحه أو معاقبة صاحبه فحسب، بل يجب كذلك الاهتمام بالسلوك المرغوب فيه كبديل و تشجيع الطفل وإثابته على كل سلوك اتسم بشيء من الايجابية. ومما يُسجل في واقع التعامل مع ذوي النشاط الزائد أنهم يتعرضون للعتاب والتوبيخ أو حتى العقاب أكثر مما يتلقون التكريم والمدح. وقد خلصت إحدى الدراسات لباحثين من جامعة ولاية *أوهايو* إلى أن تقليل الآباء من استخدام الأساليب القاسية كالنقد والصراخ والعقاب الجسدي..، كان لها تأثير قوي في تهدئة الأطفال الذين يعانون من ضعف الانتباه وفرط الحركة (Bell,Z.,et al,2018)، كما توصل العديد من الباحثين إلى أن أسلوب التعزيز الايجابي كان له أثر فعال في

التخفيض من حدة اضطراب ذوي فرط الحركة وتشتت الانتباه (يوبي نبيلة،2015.، يوسف كريم المرسومي ليلى،2011.، عامر طارق عبد الرؤوف ومحمد ربيع، 2008.، علا عبد الباقي إبراهيم،2007)، لان الضغط عليهم بهذه الكيفية أو معاقبتهم على سلوكيات لا يسيطرون عليها هو أمر غير فعال، فضلا عن أنه غير أخلاقي، وسوف يؤدي في الغالب إلى نتائج عكسية كإثارة الشعور بالذنب أو تعزيز حالة الخجل والانطواء عندهم، في الوقت الذي تؤكد فيه الدراسات أن هذه الفئة من الأطفال هي أقل قبولا وشعبية. ومن العوامل التي عززت هذا الرفض الاجتماعي اقترانها بمشاكل سلوكية، وعجزها عن ضبط النفس (Flicek, M.,1992) و بمعدلات عالية من الاستجابات العدوانية (Pelham & Bender,1982). و وصفها الأقران بأنها مزعجة وصاخبة ومتطفلة(Whalen & Henker,1985) مع قلة انخراطها وتعاونها أثناء الأنشطة الجماعية (Alessandri,S.M.,1992)، ربما بسبب فقرها في جانب المهارات الاجتماعية (Merrell & Wolfe.,1998) . فلا ينبغي أن ندفع بهم أكثر نحو الانطواء على النفس والابتعاد عن الحياة الاجتماعية، لأن ذلك يجعل اندماجهم داخل المجتمع لاحقا أمرا في غاية الصعوبة.

– *أن يُفسح المجال للنشاط غير المقيد*. فمن باب تعزيز الأطر الاستيعابية ضرورة توسيع من مجال النشاط الحر الذي يخلو من الضغوط والمراقبة الشديدة ومن الحرص الزائد على التقيد بالقواعد المثبطة. يسمح هذا النوع من النشاط للطفل أن يفجّر مستمتعا جزءا من طاقته. وعندما نرغب في التدخل لحاجة أمنية أو غيرها أملتها الظروف فينبغي توقيت المطالب الموجهة للطفل حتى تصادف حالة انتباهه القصوى واستغلال ذلك لتحقيق خطوات إيجابية في عملية تحسين واقعه، وأن لا نُقدّمها له حين يكون شارد الذهن.

– *أن يشرك الأولياء في التكفل والرعاية الأطراف المؤهلة كاختيار إنساني*. من التقديرات غير المتوازنة، اعتبار أن أفراد الأسرة هم الأقدر على إدارة حالة الطفل ذوي النشاط الزائد، رغم أهمية دور كل من الأب والأم في المتابعة المستمرة و رغم صعوبة الاستغناء عن الخدمات التي في وسعهما تقديمها، ذلك أن طبيعة صعوبات ومشاكل هذا الطفل تتجاوز في نواحي كثيرة إمكاناتهما، كما أن تحديات قصوى يعكسها الاضطراب لا تستطيع الأسرة التعامل معها. فلا بد من إشراك في التكفل به كل من يستطيع أن يقدم مساهمة حتى نوسّع من فرص استيعاب الحالة ومن إمكانيات نقلها إلى مستويات مُرضية واعتبار ذلك إجراء إنساني بالدرجة الأولى. وإن عدم إشراك آخرين من منطلق الأهلية والتجربة والواقعية(مثل الروضة، المدرسة، جماعة الرفاق،..) واعتبار حالته أمرا يخص أسرته وحدها، سوف يحرمه من تلك الفرص مع ملاحظة أن مجرد إدماج الطفل في علاقات أخرى قد يؤدي إلى انتعاش حياته فتتجه نحو التعافي وتجاوز الأوضاع الصعبة.

– *أن تؤخذ حالة المتكفل بعين الاعتبار لضمان الاستمرار في توفير الرعاية.* فلا يجب أن يكون الارهاق الذي ينشأ عن تربية الطفل المفرط في النشاط يتجاوز ما يُطاق، فالتمادي في استهلاك الذات فوق هذا الحد يؤثر بقوة على صحة المشرف ويفقده توازنه النفسي بحيث يصبح غير قادر على أداء دوره إن لم يتحوّل إلى مصدر خطر على الطفل. علما بأن الطفل إذا مُنح وقتا كافيا فإنه يتعلم من تحلّي أفراد عائلته بالصبر الطريقة المناسبة للتصرف ويسهل عليه محاكاة النماذج الصحيحة لكيفية الاستجابة لمشاعر الاحباط التي تُعرض أمامه، ولكن بشرط أن يظل الطرف المتكفل قويا ومحافظا على معنوياته وقادرا على مواصلة احتضان الطفل وتوفير له الرعاية المطلوبة.

4- مرونة في تحديد الاختيارات وفي بناء البرامج و الاستراتيجيات:

لا بد أن تتصف الخطط الموجهة للأطفال ذوي النشاط الزائد بالمرونة و أن يعمل المشرفون دوما على تكييف مختلف أهدافهم و وسائلهم على حقائق هؤلاء الأفراد حتى ولو اضطرتهم هذه العملية باستمرار لمراجعة الجدول الزمني المقرر بناء على احتياجات كل فرد. ومن هذا المنطلق لا ينبغي إدخال الأطفال المصابين باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه في برامج صارمة والتعامل معهم باستراتيجيات فقيرة من حيث البدائل التي يمكن أن تنبثق عنها، علما بأن توفّر البدائل الكثيرة سوف يعطي للمربين و للأولياء والمعلمين مساحة أوسع لإعادة توجيه محاولاتهم بحيث تتلاءم مع الاحتياجات الفردية. إن التنويع في أساليب التعامل معهم وعدم اعتماد التصلب في المواقف تفرضها حقائق تتعلق بهم، كقابليتهم المحدودة للتحفيز والحساسية الخاصة بالإثابة والعقاب (Dovis,S.et al,2012)، وتشتت الانتباه الذي يؤثر على عملية الادراك وبالتالي على كيفية التجاوب مع الخطط والبرامج الموجهة فيحدث خللا في التنفيذ مثل تأخر أو تغير في وقت رد الفعل وعدم الاهتمام (Sjöwall. et al., 2013;Sonuga-Barke,E. et al.,2010) ، كونهم أقل قدرة على فهم ما هو متوقع منهم مع ما يجدون من صعوبة في اتباع التعليمات التفصيلية حتى يظن من يتعامل معهم أحيانا أنهم لا يستمعون عندما يتحدثون إليهم، وأكثر تأثرا بالمنبهات العرضية في بيئتهم كالمكافآت والتي قد تزيد من احتمالية تعزيز السلوكيات الخاطئة و غير المقصودة، وأسرعهم استسلاما لوجود الصعوبات وأكثرهم تجنبا للأنشطة التي تتطلب المثابرة، وغيرها من الخصائص والصفات التي تميّز أطفال فرط الحركة عن غيرهم، والتي إذا فهمها الأولياء والمعلمون وكل من يتعامل معهم، فإن ذلك، حسب *فان دار أورد وتريب،* سيقلل من درجة إحباط المشرفين ويعزز رغبتهم في الاستمرار في بذل الجهد (Van der Oord,S.,& Tripp,G.,2020).

ومن الأخطاء الشائعة في تعامل الآباء مع أطفالهم المصابين بفرط الحكرة وضعف الانتباه اعتقادهم أن ضعف النتائج المدرسية يعود إلى عدم اهتمامهم بالدراسة، وهذا التقدير

في حقيقة الأمر غير منصف وغير واقعي، وسيساعد التمسك به على إطالة عمر معاناة الأطفال الذين يحتاجون إلى تكفل بهم للخروج من حالتهم بدلا من تحميلهم مسؤولية ما يحصل معهم و توبيخهم والتشدد عليهم، علما بأن صعوبة حفاظ الأطفال على تركيزهم ربما يكون عاملا حاسما في تفسير مردودهم التربوي المتدني، وقد يستفيدون بطريقة أفضل من جلسات الدراسة القصيرة التي تواكب حالة الانتباه عندهم و تتخللها فترات من الراحة، ويشكّل العمل المتواصل عبئا لا يتحمّله كثير من الذين يعانون من اضطرابات سلوكية.

الخلاصة:

فرط الحركة و نقص الانتباه مشكلة سلوكية. من أعراضها قلة الانتباه وضعف التركيز وزيادة النشاط. ويُعد من أكثر الاضطرابات شيوعًا بين الأطفال اليوم. ويظهر نتيجة وراثة الفرد لصفات تُضعف بعض الخلايا العصبية فتتأثر عملية تنظيم الانتباه سلبا. وحسب معاينة الواقع فإن احتمال إصابة الأقارب من الدرجة الأولى به يكون مضاعفا. كما أن عوامل بيئية قد تتسبب في ظهوره، ولو أن بعض الأبحاث تشير إلى تأثيرها العابر أو قصير العمر. و لأن هذا السلوك المضطرب لا يزال يُشخّصُ بوصف أعراضه فهو بذلك يظل مستعصيا على الضبط و التوجيه الفعّال. و مع ذلك يمكن التخفيف من آثاره و تحقيق مع الأطفال المصابين مستوى من التوازن يسمح لهم بالتكيف والانخراط إيجابيا في عملية التعلم وتوسيع من إمكانية اندماجهم في الحياة الاجتماعية والاستفادة من الفرص المتاحة. و لا شك أن دخولهم في أنشطة مفيدة و ممتعة، إذا هُمّشت الأساليب القمعية، سيسمح لهم بتوظيف طاقتهم الزائدة بصورة بناءة بما يمكّنهم من اكتساب مهارات تساعد في تحسين علاقتهم بأفراد المجتمع. مع التذكير بأن إخضاعهم لروتين يومي تستوعبه جدولة زمنية محددة و مستقرة تغطي أبرز الأنشطة سيؤدي عمليا إلى هيكلة مظاهر حياتهم. وهو وضع مريح ينتعش فيه جو آمن يبدد التوتر و القلق، كما يوفّر دعما يعزز من إمكانية تجاوز الصعوبات الناجمة عن العجز و يفسح المجال أمام هؤلاء الأطفال لاكتساب مهارات و بناء عادات طيبة تساعد في تنظيم حياتهم و تحقيق المزيد من التحكم في أنفسهم و السيطرة على استجاباتهم. كل هذا يمكن تجسيده في الواقع و أكثر بشرط أن تكون الخطط و الوسائل المعتمدة مكيفة مع الحقائق المتعلقة بهم، و متنوعة بما فيه الكفاية لاستيعاب مختلف الفروق الفردية مع توفير البدائل التي تعطي مساحة أوسع لإمكانية إعادة توجيه المحاولات حتى تتلاءم مع احتياجات الأفراد.

الخجل عند الأطفال

تمهيد

إن الخجل الذي غالبا ما يصاحب التعبير عنه تفاعل عدة عوامل مثل الشعور بالضيق والانزعاج وبالتهديد والخوف والقلق وبالتردد و الحرج في وجود الآخرين، وبالاضطراب وسوء التكيف مع الحياة الاجتماعية، كما أن الظروف التي يظهر فيها لا يمكن تحديدها بصورة نهائية، بل إن بعضهم اعتبر الخجل كعامل أو بالأحرى كبُعد من أبعاد الشخصية قد يرتبط بكل من الانطوائية والعصابية ولكنه قابل للانفصال عنهما (Crozier,W.R.,1979)، وهذا ما جعل علماء النفس وعلماء التربية يتناولون هذه الظاهرة من وجهات نظر متباينة، ومن زوايا وأبعاد مختلفة ولو أنهم يتفقون على أن الخجل يجسد حالة من عدم الارتياح الشديدة والمعاناة والضغوط الخانقة التي تستبد بصاحبها وتتمكّن منه فتدفعه إلى اختيار الانطواء على الذات والانسحاب من الحياة الاجتماعية والامتناع عن مخالطة الناس والميل إلى تجنّبهم كوسيلة عملية تعفيه من تحمّل تبعات الانخراط في المجتمع والتعامل مع ردود فعل الآخرين تجاهه.
هذا الاختيار سيؤدي حتما إلى تضييق آفاق الفرد الخجول و شلّ حركته و تعطيل قدراته ومواهبه، وستكون له انعكاسات سلبية على كافة مظاهر حياته فتحرمه من الفرص المتاحة التي يمكن استغلالها و تمنعه من متابعة دراسته بصورة طبيعية ومن إدراك المستوى المؤهل من الإعداد و التكوين كما تحول بينه و بين تحقيق التكيف المهني و النجاح في أداء دور يُكسبه مكانة اجتماعية و موقعا بين أفراد المجتمع يجلب له فوائد مادية و معنوية. وبما أن مساهماته في ظل هذه الظروف النفسية من المرجح أن تكون محدودة أو منعدمة فإن تبعيته لغيره تتأكد بل و تزداد. و نظرا لما للخجل من آثار سلبية بهذا الحجم فإن قناعة الجميع متجهة نحو البحث عن وسيلة ناجعة للتكفل به و تحرير العنصر البشري من المحاصرة التي يفرضها عليه. و لا يتحقق ذلك إلا بعد فهم طبيعة الخجل والعوامل المباشرة وغير المباشرة التي تقف وراءه، و الوقوف على حاجات كل فرد خجول لتحديد أولويات التعامل معه وصياغة البرنامج الارشادي أو العلاجي الأنسب لحالته.

الخجل شعور مركب

نتيجة اهتمامه الزائد بذاته و انشغاله المفرط بها، فإن الفرد الخجول مستغرق في محاصرة نفسه بميل مزمن لتقويمها سلبيا و إطالة التأمل في نقائصها، و يكاد يلازمه القلق و التوتر، كما أن رغبته في الابتعاد عن الناس و اعتزالهم دون تكلّف تكون شديدة باعتباره المخرج الذي يحسم به حواره المفتوح مع الذات بكل تفاعلاته المتضاربة، و هو ما يشير بوضوح إلى

أن الخجل تركيبة معقدة يحسُن تناولها في شمولية و عدم تفكيكها إلى مكوناتها الظاهرة، إذ أن الجزء الأكبر من تفاعلاتها لا يطفو على السطح وأن معاناة الخجول الفائقة لا تعبر عنها بصدق تلك المظاهر السلوكية أو الانفعالية التي يستعرضها. نعم هو شعور بالخوف أو عدم الراحة يقترن بوجود الآخرين، خاصة في المواقف الجديدة أو غير المألوفة أو وسط غرباء أو بين من لا يعرفهم، و قد يحول هذا الشعور بينه و بين فعل أو قول ما يريد، و يمنعه من تكوين علاقات صحية طبيعية. وهذا ما يوحي به ظاهر سلوك الفرد الخجول. لكن عند الاقتراب أكثر من الظاهرة و متابعتها في جوانبها المختلفة يتّضح أنه شعور مركب و هو حصيلة تفاعل عدة أبعاد من شخصية الفرد في ظرف زمني و مكاني محدد، و من أبرزها:

1- ***البعد الانفعالي***: إن الطفل أو المراهق حين يعبّر بالخجل يكون في حالة انفعال تختلف درجتها حسب خصائص كل فرد و حسب الظروف المحيطة به، و طريقة استجابة الخجول تكون بالتحرّك بعيدا عن شيء ما أو بالانصراف من مكان ما أو بتجنب مشاركة أفراد أو الجلوس معهم، وكثيرا ما تصاحب حالة الانفعال تلك إشارات مادية مثل احمرار الوجه وزيادة ضربات القلب السريعة والارتباك الشديد الذي يقترن بالخوف من الانتقادأو من الظهور أمام الآخرين بمظهر الفشل. و حسب نتائج بعض الدراسات، فإن مستويات القلق الاجتماعي والشعور بالذنب ودرجات الاستياء والاكتئاب لدى العملاء الخجولين كانت أعلى بكثير مما هو حال غير الخجولين(Henderson,L.et al.,2014) .

2- ***البعد المعرفي***: يُظهر الأطفال الخجولون الحذر في المواقف الاجتماعية غير المألوفة و غالبًا ما يعانون من مشاعر القلق الاجتماعي. ففي دراسة حول الدور الوسيط المحتمل للتحيزات المعرفية في الصلة بين الخجل و القلق الاجتماعي، على عينة من686 مراهقًا تراوحت أعمارهم بين10 و14 عامًا أكملوا مقاييس الخجل و التحيز في الحكم و القلق الاجتماعي. ومن بين النتائج المستخلصة، كان الخجل و تحيز الحكم والقلق الاجتماعي مرتبطين بشكل إيجابي، كما أن الخجل و تحيزات الحكم كانت بشكل كبير مُنبئة بالقلق الاجتماعي(Weeks,M.et al.,2016) . وأثبتت بعض التحقيقات أن هناك علاقة بين الخجل عند الأطفال وضعف السيطرة المعرفية(Ludwig, R.P.,& Lazarus,P.J.,1983) ، بينما أظهرت بعض الدراسات بالرجوع إلى الأدبيات الخاصة بالأطفال والبالغين ارتباطات معتدلة ولكنها متسقة نسبيا بين الأداء المعرفي والخجل (Wolfe,C.D.,et al,2014). من ناحية أخرى، أظهرت بعض الدراسات شيوع لدى عينات من الذين تابعوا علاجا عن الخجل صفات اللوم الذاتي ومعتقدات سلبية عن الذات ومواقف وأفكار غير إيجابية عن الآخرين. و لعل تكرار هذا ما دفع الباحثين *هندرسون* و*هورويتز* لتطوير مقياس The Estimations of Others Scale الذي يساعد خاصة في تقييم تقديرات الآخرين ومثل هذه الأفكار والمعتقدات السلبية تجاه الذات

(Henderson, L.,& Horowitz, L.M.1998) . إن تقييم الفرد الخجول لنفسه وللبيئة المحيطة به وللآخرين وطبيعة ونوع الخبرة التي اقتنع بها و غذّى بها طريقة تفكيره، من شأن ذلك كله أن يؤثر في حالة انفعاله المشار إليها في العنصر السابق بالزيادة أو النقصان. وبما أن الخجول معروف بالتفاته الزائد إلى نفسه فمن المتوقع ألا يختار التواصل مع الغير والانخراط في أنشطتهم بإرادته ويكون أميل للابتعاد والانسحاب(Rubin, & Coplan,(Eds).,2010) والذي يعتبره الموقف الأقل كلفة لتجنب الحرج و مظاهر الإخفاق المحبطة.

3- ***البعد السلوكي***: أبرز ما يطغى على سلوك الفرد الخجول التجنب الاجتماعي. و إن الفقر الذي يعانيه في مهارات التواصل مع الآخرين وفي أساليب بناء العلاقات معهم و مدّ الجسور نحوهم لا شك يساعد في تعزيز حالة النفور والابتعاد عن أفراد المجتمع أكثر فأكثر والخوف من حضور مجالسهم ومشاركتهم أنشطتهم. فهو بذلك لا يحسن فنّ التعامل مع الغير والتقرب الايجابي منهم واكتساب ثقتهم و ودّهم، وبالتالي يكون مرتاحا حين ينسحب بعيدا عنهم (منصوري ع، محاضرات في الارشاد، ص.2). ومما يطغى على مواقف كثير من الأفراد الخجولين سلوك "التجنب" والغرض منه عدم التعرض لهزيمة يخشون الوقوع فيها أو الظهور بالعجز والقصور أمام الآخرين. تتعدد صور التجنب من تغيّب في المناسبات الاجتماعية دون مبررات، و رفض الدخول في المنافسات حتى ولو كلّفهم ذلك فقدان وظائف مرموقة ودرجات عليا في فصول المناقشة، وجوائز مخصصة للمتفوقين ربما يكونون في أمس الحاجة إليها(Zimbardo,P.G.,et al,1974) . كذلك لا ينفتحون على الصدقات إلا مع عدد قليل جدا من الناس، ويتعمدون القيام بأنشطة لا يتواصلون فيها مع الناس كاستخدام مفرط للكمبيوتر. إن الذين عُرفوا بالخجل المزمن تشابهت بعض سلوكياتهم بما يستعرضه الذين يعانون من القلق الاجتماعي والرهاب الاجتماعي، حيث يتميزون بالسلوك العصبي وهم كذلك قليلو الحديث في البيئات الاجتماعية وكثير التجنب لنُظراتهم، وناذرا ما يكونون سبّاقين في فتح نقاش حول موضوع ما بصورة تلقائية (Leary & Kowalski,1995;Turner & Biddle,1989). ومن آثار تجنب الاحتكاك بالناس وعدم التحدث إليهم كثيرا وعدم تحمّل معهم أي دور أو مسؤولية وجدنا نسبة معتبرة من الخجولين لا يظهرون طلاقة لفظية كما أن مهاراتهم القيادية شبه منعدمة. و رغم أن الخجل ارتبط إيجابًا بالحساسية الجمالية، لكن علاقته بالخيال الإبداعي كانت سالبة وبشكل عام، يميل الأشخاص الخجولون إلى أداء إبداع أقل من غير الخجولين(Cheek,J.M.,& Stahl,S.S.1986). من انعكاسات عدم الانخراط المتواصل في الحياة الاجتماعية وتجنب التعايش مع الناس والتحدث إليهم يتحوّل الخجول إلى الظل بحيث لا سياق و لا امتداد لوجوده، و لعل هذا ما يجعله أقل إفصاحا عن نفسه

حتى و لو كان ذلك يساهم في حل مشكلة تواجهه وحاجة ماسة لتجاوزها (Zimbardo,P.G.,& Piccione,C.,1985).

4- ***البعد الوجداني***: الخجل غالبا ما تصاحبه عدم ثقة الفرد الخجول بنفسه، حيث في كثير من الأحيان يشعر بالنقص مقارنة بالآخرين فيحتقر نفسه وينظر إليها بالدونية، وهو ما يعزز عنده الخوف من الدخول في المنافسة وكذلك عدم الرغبة في تقديم المبادرة أو إبداء الرغبة في المشاركة أو في تحمّل مسؤولية ما، ويفضّل بدلا من ذلك أن يبقى بعيدا عن الأنظار (منصوري.ع ، محاضرات في الارشاد والتوجيه، ص.2) .

صور من الخجل

رغم أن هذا الاضطراب النفسي المركب يمكن أن يظهر في بيئات مختلفة و يأخذ أوجها عديدة و صورا مختلفة إلا أن جوهر ما يعبر عنه وجود حالة قلق وخوف وعدم ارتياح بدرجة تجعل الانسان الذي هو بفطرته اجتماعي لكن وفي ظروف معينة لا يُقبل على الحياة الاجتماعية (العامة أو الخاصة) إلا متكلّفا أو مُكرها متوجسا غير راغب، و لا يجد طمأنينته و راحته النفسية إلا حين يبتعد عنها. ومن بين صوره الشائعة وأشكاله التي أشارت إليها *النيال* (1999، ص.16):

1- ***الخجل العام***: حيث قد يظهر خجل الطفل والمراهق بمجرد دخوله أماكن عامة يتردد عليها الناس أو حضور جلسة بها أشخاص مجهولون أو إثر توجيه المعلم له السؤال وباقي التلاميذ يتابعون ردة فعله وكيف سيكون جوابه. وكما هو متوقع مع غالبيتهم، في مثل هذه الظروف، حصول ارتباك في الاستجابة وتردد ينجم عنه سوء تكيف و وقوع في الخطأ حتى مع توفّر بعضهم على مؤهلات عالية.

2- ***الخجل الخاص***: كخجل الفرد من مواجهة فتاة تكلّمه، أو من رؤية إنسان يعرف عنه أمرا لا يرغب أن يطلع عليه غيره، أو من التماس يُطلب منه فيه ذكر اسم أبيه وهو أصلا لا يعرفه (باعتباره مجهول الأب)، أو من مفاجأة شخص يُطلب منه خدمة يخشى ألا يقوم بها على الوجه المتوقع. و رغم أن الفرد الخجول يكون في ظروف خاصة وربما مع عدد محدود من الناس ولكن مع ذلك ينفعل ويشعر بالحرج لأنه يواجه اختبارا حقيقيا و لأن ثقته بنفسه مهزوزة وتجربته في المواجهة والتصدي محدودة فإنه لا يطمئن إلى قدراته وإمكاناته، وبدون استناد إلى حقائق ثابتة أو تقييم موضوعي يقوم بترجيح احتمال الفشل في المحاولة، وهو تقدير من شأنه أن يزيد الوضع تشويشا ويدفع إلى مزيد من الارتباك والتعثر.

3- ***الخجل المزمن***: عرفه بعضهم على أنه خوف من التقييم السلبي مصحوب بضيق أو تثبيط عاطفي يتعارض بشكل كبير مع المشاركة في الأنشطة المرغوبة والسعي لتحقيق الأهداف الشخصية و المهنية (Henderson,1994). يمثل هذا النوع من الخجل مصدر إزعاج

دائم. يلازم هذا الاضطراب صاحبه في أوقات أو ظروف معينة أو في كل الأحوال، وتصاحبه في الغالب أعراض كالخوف من الناس غير الطبيعي، وخفقان القلب، والتعرّق، واحمرار الوجه... ويمكن أن يؤثر سلبا في جودة حياة الفرد فتتقلص بسببه فرص تطوير نفسه أو ممارسة المهارات الاجتماعية، مع سعي دائم لتحاشي الناس وتجنب التفاعل معهم، وعدم حضور معهم حتى الأنشطة المفيدة له كمراجعة الدروس جماعيا والرياضة، مفضلا العيش في عزلة بعيدا عن الأنظار.

4- ***الخجل الموقفي أو الظرفي***: يظهر هذا النوع من الخجل في مواقف محددة مثل التواجد وسط أشخاص غرباء أو مواجهة مواقف جديدة غير مألوفة، أو عند ترك البيت أول مرة للذهاب إلى المدرسة، أو عند حضور مناسبة عائلية كحفل زفاف. مثل هذه الظروف يمكن أن تولّد مشاعر خجولة. من المتوقع أن تتلاشى هذه المشاعر بعد زوال أو اختفاء المواقف التي تسببت أصلا في ظهور الخجل، أو إذا حصل خلال تلك المواقف المحرجة ما يبعث على الطمأنينة من جديد، كأن يحل محل الحرج جو جماعي يشعر الفرد فيه بالارتياح والسكينة وبالرغبة في البقاء مع الناس و مشاركتهم المناسبة.

5- ***الخجل من الذات***: وهو خجل الفرد من نفسه حتى في غياب أي حضور، خاصة عندما يقوم بأفعال يدوس بها مبادئه أو معتقداته كارتكاب محرمات أو القيام بأفعال يندى لها جبينه أو تأباها فطرته البشرية، بحيث كلما تذكر شعر بالخجل من فعله ذلك بل سيجد نفسه سجين تلك الذكريات غير المريحة حيث على حد تعبير *زمباردو* وأعضاء فريقه، يصبح الشخص لاعبا لدور الحارس الذي يفرض باستمرار القواعد المقيدة، وأما السجين الذي يخضع لتلك القيود ويتبعها فيستجيب بالخجل الذي يأتي على كثير من تصرفاته العفوية (Zimbardo, P. G. et al.,1974)، و هي استراتيجية قد تقلل من صدور السلوك غير المتوقع أو من حدوث المفاجئات و تساعد الفرد في القفز على عملية تقييم الذات وبالتالي تجنب كل التهديدات التي تستهدفها، و لكن كلفتها بالنسبة لنمو الفرد و رصيد تعلمه ومكتسباته باهضه سوف تحاصر حياته من كل جانب و ترهن مستقبله.

عوامل تقف وراء الخجل

إن ظاهرة الخجل المعقدة لا يوجد سبب محدد يقف وراءها بل مجموعة من العوامل المختلفة و المتفاعلة، ونظرا لتداخلها لا يمكن تحديد بدقة كيفية تأثير كل واحد منها كما يصعب تقدير نسبة التأثير. ولغرض التحليل والتوضيح سوف نذكر بعض العوامل التي أشارت نتائج العديد من الدراسات إلى اقترانها بهذه الظاهرة.

1- ***فقدان الطمأنينة والأمن:*** إن هذا الشعور في حالة اقترانه بعدم الثقة بالنفس يفرض على الأطفال والمراهقين زيادة في الحذر وأخذ الاحتياط وعدم التورط في أي نشاط واعتبار

ذلك مغامرة مرجح أن تنعكس سلبا عليهم، وبذلك يفرضون على أنفسهم طوقا يمنع الاحتكاك بالآخرين ويقلص إمكانية معرفة ما يدور حولهم، كما يحرمهم من اختبار على أرض الواقع ما تعلموه سابقا من معارف وخبرات واكتسبوه من مهارات اجتماعية. واختيارهم البقاء بعيدا عن حياة الناس لن يخفف من شعورهم بالخجل بل ربما سيؤكده لأن الطريقة الناجعة للتخلص منه تكون في مواجهة المصادر التي تولّده وليس في تجنبها و الابتعاد عنها. ولعل أهم مصدر يبعث على الطمأنينة التي تُبعد شبح الخجل والانطواء على الذات عند الأطفال التواصل الاجتماعي بين الوالدين المشحون بالمودة و التفاهم و التعاون (Engfer,A.,2014) .

2- ***الحماية الزائدة***: الأطفال الذين يتلقون هذا النوع من الحماية يقل نشاطهم الذاتي ونادرا ما يقومون بمبادرات خاصة لأنهم لم يتعوّدوا عليها ولم تتح لهم فرص كافية لتجريب أنفسهم واختبار قدراتهم، وإنما كانوا دائما و لا زالوا يعتمدون على الآخرين لأنهم غير واثقين من أنفسهم ومن قدرتهم على حل مشكالهم بأنفسهم. ويكفي من التأثير لأسلوب الافراط في الحماية على الأطفال أن يصبح هؤلاء يتجنبون المخاطر و لاحقا كل أنواع العقبات حتى البسيطة منها، و تكون النتيجة المحتومة عجزهم الواضح في التعامل بشكل مناسب مع إحباطات الحياة وتحدياتها. وهذا الإحجام المتكرر والخوف من مواجهة الواقع والتعاطي مع حقائقه سوف يقوّي شكوكهم الذاتية ويضعف عزيمتهم فيجدون صعوبة في اتخاذ القرارات المناسبة في وقتها.

3- ***التحكم بإفراط في حياة الأطفال يرهن استقلاليتهم المستقبلية***: إن إشراف الأولياء الملازم لأطفالهم باستمرار وإدارتهم الدقيقة لشؤونهم يحاصر فرص هؤلاء الأطفال في تعاطي أنشطة خارج قيود الاشراف والتي قد يميلون إليها ويتعلمون منها، بل ولتوفر الرغبة والميل قد يبدعون أثناء مباشرتها. إن تدخل الآباء الواسع في حياة أطفالهم برغبة التحكم فيهم وترويضهم لا يساير متطلبات إعدادهم للتّحقق بالاستقلالية والاعتماد على النفس (Burgess, K.B.,et al.,2001) ، وإذا ظلوا يحرصون بشدة على ربط أطفالهم بهم وتوسيع حضورهم المتسلط على حياتهم، فيقومون بتنظيم جداولهم ويخبرونهم بما يفعلون وبطريقة فعله كما يحضُرون عليهم الدخول في تجارب جديدة أو في التعرف على مواقع وبيئات غير مألوفة، فالنتيجة ستكون مخيبة للآمال وأن ثمرة جهود التنشئة المخلصة التي بُذلت لن تكون أكثر من "عناصر بشرية تابعة" لا تتوفر على أدنى مقومات التكفل بالذات والعيش الكريم مع أفراد المجتمع.إن هذه الأساليب لا تشجع على المخاطرة والاستكشاف النشط و لا تولي أي اهتمام لتطوير الكفاءة الذاتية التي تحقق الاستقلالية فضلا عن توفيرها بيئة صالحة لاحتضان الخمول و الانطواء على الذات و الرغبة في اعتزال الحياة الاجتماعية و تعبّد بذلك الطريق لخجل الأطفال (Rubin, K.H. et al.,2002). و باعتماد هذه الاستراتيجية سوف يُحرم الأطفال

من التمرس على تحمل المسؤولية، رغبة من أوليائهم في جعل طفولتهم خالية من الهموم والمشاكل. ولنفس الغرض يسعون للتحكم في المجال الاجتماعي لأطفالهم وتضييق من مساحاته التي يسمحون لهم بولوجها، الأمر الذي لا يسهل عليهم تطوير المهارات الاجتماعية الأساسية فيصبحوا غير قادرين على التكيف مع العالم الحقيقي. هذه الملاحقة الأسرية المفرطة للأطفال، والمشحونة بالخوف والحذر والتي تحاصر كل حركاتهم التلقائية وتقمع ميولهم و رغباتهم وتتوجس من كل مبادرة تصدر منهم، من شأنها أن تُفقدهم كل شعور بذواتهم و فرديتهم وتمنعهم بالتالي من تشكيل هويتهم الخاصة. وبما أنها تحول بينهم وبين التصدي لمختلف المشاكل التي تواجههم وتعلُّم حلّها بأنفسهم، فهذا يعني إبقاء الأطفال في حالتهم الطفولية وإلغاء وجودهم إلا في ارتباطهم و تبعيتهم للآخرين. أما عن الاستجابة المتوقعة من أطفال الحماية الزائدة، فسوف يطغى عليها تجنب الاحتكاك بالآخرين حتى الأطفال من أقرانهم لانهم تعوّدوا الاعتماد على الغير و لا يحسنون أداء أي دور بمفردهم، ونتيجة ضعفهم الظاهر وافتقارهم للمهارات الاجتماعية ونقص وعيهم بالإضافة إلى ثقتهم بالنفس المعدومة أو المتدنية، قد ينجذب بعضهم، طلبا للأمان، إلى علاقات يكون فيها شريكهم اقوى وأكثر هيمنة مما هم عليه، كما يتحوّل كثير منهم إلى هدف تنمر. فقد أكدت نتائج بحوث أجريت خلال ربع القرن الأخير أن احتمالية تعرض الطفل للتنمر تزداد إذا كان طفلا خجولا(Sudermann,M.et al.,1996) . وفي دراسة حول التنمر الذي مورس على عينة من المراهقين عُرفوا بخجلهم، أشارت نتائجها أن المراهقين كانوا يرون أن بيئة الفصل الدراسي غير الداعمة هي التفسير الأساسي لسبب تعرضهم للتنمر (Lund, I. et al., 2010) . ولأن الخجول يتميز عادة بالانطوائية و ضعف مهارات المحادثة والانسحاب الاجتماعي، فقد ساد الاعتقاد بأنه لا يرتبط بالعدوان أو تكون العلاقة بينهما سلبية إلاّ أن في بعض الدراسات أظهر الأفراد الخجولون مستويات عالية من العدوانية خاصة عندما تعرضوا للتنمر والإحباط، فقد يصبحون أكثر عدوانية(Zhao,et al.,2020) . وإن زيادة الإهانة التي يتعرضون لها في الوقت الذي يشعرون بالعجز عن الرد لحماية أنفسهم قد تجعل صحتهم النفسية تتطور في المستقبل نحو الأسوأ (Copeland, et al.,2013) ، أو يدفعه واقعه إلى اختيارات خطيرة مثل التفكير في الانتحار (Bonanno & Hymel.,2010) . وهكذا فإن الحماية الزائدة والإفراط في العناية تصنع فردا اتّكاليا وتحوّله تدريجيا إلى طفل خجول يخاف من المجتمع وغير قادر على القيام بأي دور ينتفع منه و يعود بالفائدة على مجتمعه.

4- ***عدم الاهتمام مع الإهمال***: ينشأ عن عدم إظهار الآباء الاهتمام الكافي بأطفالهم شعور بالنقص والدونية وعدم القيمة، وهي الأرضية التي ينبُت فيها الخجل والخوف من الآخر. والمتابعة الميدانية أكدت أن إهمال الوالدين لا يؤثر على الناحية الجسدية (كالنقص

في الوزن وتأخر في النمو الناتج عن سوء التغذية) فحسب(Ahn & Kang.,2003) ولكنه يؤدي كذلك إلى مشاكل سلوكية ونفسية وعاطفية. فقد نجم عنه قصور معرفي ولغوي (Ruiz,2018) و وجد *يو* و *تشونغ* من خلال تحليلهما التجريبي لتأثيرات الإهمال أنه كلما ارتفعت درجة هذا الأخير زادت مشكلة الاكتئاب والعدوانية لدى الطفل(Yoo.,& Chung 2014) . كما عاين *شونق* و *بارك* إشارات تأثير الاهمال وسوء المعاملة من قبل الوالدين مجسدة في سلوك المراهقين المنحرف، حيث لاحظا أنه كلما زاد الإهمال أو طالت الإساءة الشديدة، ارتفع احتمال إصدارهم مثل هذا السلوك(Song., & Park,2017). بالنسبة للتواصل الاجتماعي خلال مراحل التعليم الأولى، لاحظ *يو* و *تشونغ* أن الأطفال موضوع لامبالاة وإهمال الولدين واجهوا صعوبات في حياتهم المدرسية وفي علاقتهم بأقرانهم نتيجة سوء توافقهم الناجم عن ضعف نموهم المعرفي وافتقارهم إلى المهارات الاجتماعية (Yoo.,& Chung,2014) . وتأكد كذلك أن المراهقين الذين عاشوا تجربة أبوّة سلبية يميلون إلى الشعور المتزايد بالانسحاب من الحياة الاجتماعية (Cho, Y.J.et al., 2015) .

5- ***النقد غير التربوي***: يتحوّل النقد إلى وسيلة غير تربوية عندما لا يُستخدم بشروطه ومتطلباته، و يوصف بغير التربوي حين يتأخر عن وقته المناسب وكذلك حين يُقدم بطريقة غير صحيحة ولغير أهدافه التي ينفع فيها، كأن يتحوّل النقد إلى وسيلة للانتقام وتفجير الغضب أو للاستهزاء والسخرية. إن مثل هذا السلوك يُفقد عملية النقد فعاليتها ويجعل منها أداة قوية لتثبيط عزيمة الأطفال وإضعاف رغبتهم في المشاركة، بل وتعزيز الخوف من المشاركة، وهذه المضايقات إذا تكررت فإنها على المدى المتوسط تولّد خجلا. و يمكن أن يكون لانتقاد الأطفال باستمرار آثار ضارة طويلة الأمد على نموهم ويعتبره الأطباء النفسيون أحد أكثر الطرق ضررًا لتأديب الأطفال. ويخلّف النقد القاسي آثارا سلبية على الأطفال قد تستمر بعضها مدى الحياة. ومن الآثار الناجمة عن الاستخدام غير المدروس للنقد:

- *أن النقد القاسي والمتكرر يجعل الطفل يشك في صدق عواطف أبويه نحوه* وقد يقتنع بأنه لا قيمة له أو أنه غير مرغوب فيه. وشعوره بالنقص في الدفء والحب يدفعه للبحث عن العطف خارج أسرته، كما أن انخفاض الدعم الأسري مع الضغوط التي تفرزها أجواء العتاب والانتقاد واللوم من المحتمل أن يقرأه الأطفال "رفضا أبويا"، وإن إدراك الموقف على هذا النحو يعزز الرغبة لدى بعضهم في التحدي عندما يحملون نظرة إيجابية عن الذات والرغبة في الانسحاب وهجر المجتمع عندما تكون نظرتهم إلى الذات سلبية (Harris & Howard,1984). وهي معادلة لا يملك الأطفال آليات التعامل معها بموضوعية وليس مستغربا أن تشكل خلفية ستساعد في ظهور معهم اضطرابات نفسية مثل القلق والاكتئاب (Barrera & Garrison-Jones.,1992) . والملاحظ أن الاكتئاب ليس فقط أكثر شيوعًا بين

الأطفال الذين لديهم آباء يمارسون الانتقاد باستمرار ولكن، كما تشير بعض الدراسات، يصعب أيضا علاجه (Brewin,C.R.et al.,1996;Peris.,& Miklowitz.,2015) .

– *تطوير عقدة الاحساس بالعار*: يساهم التدفق المستمر لانتقاد الأطفال في إضعاف رغبتهم في القيام بأي مبادرة و تشجيعهم على الانسحاب من المواقف الاجتماعية، فينمو عندهم خجل مركّب، من تجلياته الاقتناع بوجود خلل أو شيء غير طبيعي في شخصيتهم وهو شعور سيدفعهم أكثر نحو الاعتزال و اختيار عدم مخالطة الناس كأسلوب حياة.

- *اهتزاز الثقة بالنفس*: هو أقل ما يمكن أن ينجم عن النقد القاسي في هذه السن. وبفقدان الطفل الثقة في نفسه تتلاشى معالم هويته، وبدون هذه الأخيرة سيفقد تكوين صداقات مع الآخرين معناه، لأنها غالبا ما يستغلها الأطفال كمساحة لإثبات الذات.

- *ضعف الدافعية*: إن مبالغة الآباء الناقدين في التركيز بقساوة على نقائص وعيوب أطفالهم دون التنويه بإنجازاتهم تجعلهم يعتقدون في وجود عجز طبيعي معهم ويشعرون أنهم غير قادرين على فعل أي شيء بشكل صحيح، فيضعف بالتالي الدافع بمواصلة بذل الجهود وتحقيق المكاسب المحفزة والمشجعة (Keegan, R.J.,et al.,2009) .

6- ***عدم الثبات في المواقف والتأرجح في أساليب التربية***: لقد أظهرت نتائج عدد كبير من الدراسات في مختلف البيئات ومع عينات بشرية متباينة أن الأساليب التربوية الخاطئة وغير المستقرة تؤدي إلى اضطرابات نفسية و سلوكية وكانت في كثير من الأحيان تقف وراء حالات الخجل (ربيعة شيخة عبد الله،2004; السبعاويي فضيلة عرقات،2010; نبهاني يحيى،2008). في ظل المعاملة المتذبذبة و أحيانا المتناقضة وغير المستقرة للطفل (كالحزم الشديد أو التساهل المفرط والإهمال الواضح أو اللامبالاة...)، لا يستطيع هذا الطفل ضبط توقعات الآخرين منه و تنظيم سلوكه على أساسها، كما يجد صعوبة في تحديد مساره ووجهته، ويصبح التردد في تحديد الخطوة المقبلة سيد الموقف، وبذلك يطغى على حياته التوقف والتعثر والإحجام وتصاحبه الحيرة والارتباك خاصة عندما يتعذر عليه تفسير و فهم مواقف الاخرين تجاهه (الأبوان والمعلمون خاصة). وإذا كانت ظروفه تلك لا تشجع على الاقبال على الحياة الاجتماعية والانخراط في أنشطتها والتنافس فيها، يصبح الخيار الأقرب إليه والذي يكون في متناوله هو تجنب أفراد المجتمع، ومع مرور الوقت يزداد حساسية منهم وينشأ عنده خوف من الاقتراب منهم ومن مخالطتهم وهي كلها عوامل حاضنة للخجل.

7- ***التهديد***: اعتماد التهديد لضبط سلوك الأطفال هي وسيلة غير ناجعة في دفع عجلة التنشئة الاجتماعية نحو أهدافها الطبيعية، فهي تخيف الطفل بحيث لا يكون أمامه سوى التركيز على كيفية تجنب تنفيد التهديد كبديل. إن كثرة التهديدات الموجّهة إليه مع الوقت تؤدي إلى الخجل والانطواء. وبما أن عدم القيام بأي شيء يكون أفضل له من إظهار سلوك

يجر له تهديدا وبعده عقابا، فمن المرجح أن يختار مسالمة البيئة الأسرية والمدرسية والبقاء بعيدا عن الأنظار لا يرفع صوتا و لا يحرك ساكنا ولا ينافس أحدا حتى لا يُلتفت إليه وحتى لا تُسلّط عليه الأضواء. وهو في الظاهر هدوء مُغري يجلب للطفل راحته ولكنه من حيث آثاره ومخلفاته فهو يحول بينه وبين اكتساب الخبرة الاجتماعية وكيفية التعامل مع الناس وتحمّل واجباته ومسؤولياته الجماعية. فقد اقترن الاهتمام المتزايد بالتهديد بسلوك الطفل غير التكيفي مثل الخجل(Pérez-Edgar,et al,2010,2011;Hummel,A.C.et al.,2017) .

8- ***النموذج والقدوة السيئة***: الآباء الخجولون غالباً ما يصبح أطفالهم خجولين كذلك (Piguo,H.et al., 2015)، ذلك أن الخجل حينئذ يكون هو النموذج الذي يُعرض على الأطفال صباحا ومساء من أقرب الناس إليهم، فيسهل عليهم تقمص شخصية أوليائهم واعتماد نفس أساليب تعاملهم التي صارت مبررة بحكم الواقع و لها في نظرهم شرعية و قبول. وحتى في حالة ما حاول هؤلاء الآباء تقديم خطابا لأطفالهم يغاير سلوكهم ومواقفهم فإن ذلك لن يجدي نفعا لأن الصورة المعروضة أقوى تأثيرا عليهم.

9- ***ظروف أخرى***: مثل الإعاقات الأخرى ومظاهر العجز حتى المكتسبة منها إذا لم يحظى أصحابها بمرافقة مادية ومعنوية وتكفُّل بحاجاتهم ومساعدتهم على تجاوز العقبات، فإن ظروفهم تلك من السهل أن ينتعش فيها الخجل. وقد ثبت بشكل مستمر وجود علاقة إيجابية بين المرض الجسدي والاكتئاب أو الضائقة النفسية (Aneshensel.et al., 1984;Kathol & Petty.,1981) كما أظهرت المقارنة بين المعاقين وغير المعاقين أن المعاقين كانوا بشكل عام أكثر اكتئابًا أو أكثر معاناة من الضيق النفسي (Berkman,L.F.et al.,1986; Rosenbaum, M.,& Raz, D.,1977) . فالإعاقة عموما هي حالة تُضعف قدرة الفرد على أداء أنشطة الحياة اليومية وتجعل من الصعب عليه التفاعل مع البيئة المحيطة. وسيكلّفه الكثير من الجهد المرهق إذا حاول الانخراط في تلك الأنشطة من أجل الحفاظ على العلاقات الاجتماعية والتظاهر بالعيش بشكل مستقل. وبالتأكيد، إذا تُرك لحاله دون مرافقة ودعم وتقديم المساعدة التي لا غنى عنها، فإن الصعوبات سوف تقهره وتضطره إلى الاستسلام وإلى الانسحاب من الحياة الاجتماعية و ترك التفكير في تحقيق الاستقلالية، فيصبح عرضة للاضطراب النفسي والاكتئاب (Turner & Noh.,1988;Yang.,2006)، وتلقائيا ينزل مستوى رضاه عن الحياة كما يزداد احترامه للذات تقهقرا. من ناحية أخرى، فإن ذوي الاعاقات رغم ما يبديه عامة أفراد المجتمع من إشفاق عليهم وتعاطف معهم لكن عندما يتعلق الأمر بإشراكهم في النشاط الاجتماعي فإن التحفظ هو الموقف الغالب و لا يتم قبول الأطفال ذوي الإعاقات حتى من أقرانهم. وحسب ما أشارت إليه العديد من الدراسات، يواجه هؤلاء الأطفال إهانات و تمييزا

واستبعادا اجتماعيا وعزلة (Laws & Kelly.,2005;Odom.,et al,2006;Gannon & McGilloway., 2009;Pijl & Frostad.,2010)

كيف نتعامل مع الخجل؟

إن تدخل الآباء والمربين في الظروف الطبيعية والعادية يكون الهدف منه وقاية الأطفال من هذا الاضطراب النفسي أو محاولة التخلص منه إذا كان في بداية ظهوره، لكن عندما يزداد الخجل حدة و تستفحل أحوال الفرد الخجول ينبغي عرض هذا الأخير على أهل الخبرة من مرشدين و نفسانيين و إخضاعه للبرنامج الإرشادي أو العلاجي المناسب.

أ- **الوقاية من الخجل:**

تتحقق الوقاية من الخجل تلقائيا حين نسمح للأطفال بالاختلاط بمن هم في سنهم خلال مختلف مراحل الطفولة والمراهقة ومتابعتهم بالطريقة المناسبة لكل مرحلة. ومن العوامل التي تساهم في حماية الأطفال من الخجل:

1- *تشجيع على السلوك الاجتماعي*: ضرورة تشجيع الأطفال على الخروج لمشاركة الأطفال الآخرين في أنشطتهم والقيام معهم بأعمال مفيدة تربوية ترفيهية وإبداء المشرفين عليهم مواقف محفزة ومشجعة إزاء كل ما من شأنه أن ينمي عندهم المهارة الاجتماعية. وأما مخاوف الأولياء على أطفالهم، المبرّرة أحيانا، لا ينبغي أن تعطّل برنامج التنشئة الاجتماعية الذي يرتكز عليه مصير الأطفال ويكون السعي بواسطته لتهيئتهم وإعدادهم للانخراط مستقبلا في المجتمع. ولا بأس من تقديم مكافآت بهدف تعزيز السلوك الاجتماعي المرغوب. ويستطيع الآباء توفير لأطفالهم الذين أبدوا نوعا من الخجل والانطواء على الذات ظروفا يختلطون فيها بأطفال آخرين أكثر اجتماعية وأكثر إقبالا على أقرانهم كنموذج يمكن أن يؤثر إيجابا عليهم. ومن المؤكد أن الجرأة الاجتماعية تنمو نتيجة تعاطي الأنشطة مع أفراد المجتمع حيث أن الاحتكاك المستمر بهم سوف يساعد تدريجيا على امتصاص المشاعر السلبية والحساسية التي ارتبطت سابقا بالتفاعل الاجتماعي كما يفسح المجال لتطوير مهارات تمكّن من تحقيق المزيد من الاختراق.

2- *تنمية الثقة بالنفس*:لا تنشأ الثقة بالنفس لدى الأطفال بصورة تلقائية. فهي تنمو في ظل النشاط والقيام بالمبادرات ولعب الأدوار وتحمُّل المسؤوليات بما يتناسب مع متطلبات كل مرحلة عمرية، ومصاحبة ذلك كله بالتشجيع والتزكية وعدم التدخل بالقمع والنقد السلبي غير البناء الذي من شأنه أن يحرم الأطفال من الاستمتاع بما أنجزوه وتحقيق الرضا عن الذات. والثابث ميدانيا أن الفرد الواثق من نفسه لا يكون خجولا، لأن لديه استعدادا نفسيا لمواجهة التحدي. فالتربية التي تنجح في تعزيز الثقة في نفوس الأطفال وتجعلهم يطمئنون إلى كفاءتهم تكون كذلك قد نجحت في حمايتهم من الاضطراب النفسي ومن الخجل

والانطواء على الذات، علما بأن الخطر يكمن في أن يستمر الخجل كآلية للهروب من التفاعل الضروري مع الآخرين، فيتحول إلى عادة قبل أن يصبح ظاهرة مرضية (Cordier,R., et al,2021). فالأطفال الذين يعانون من انخفاض احترام الذات يرون أنفسهم غير واثقين في المواقف الاجتماعية، ويعتقدون أن الآخرين ينظرون إليهم بشكل سلبي. هذا الخوف كما لاحظ *شان* و *وانج* يؤثر على تواصلهم مع المجتمع المحلي(Chan.,& Wong.,2013). وقد أظهرت دراسات سابقة وجود ارتباط بين خجل الفرد وتقديره لذاته (Kerr.,2000;Koydemir & Demir.,2008) . فبقدر ما تكون النظرة إلى الذات إيجابية بقدر ما تنتعش الثقة بالنفس فتتلاشى المخاوف تدريجيا وتختفي مظاهر الخجل.

3- *توفير جو مطمئن و مشحون بالمودة:* خاصة داخل الأسرة و المدرسة و باقي المؤسسات الاجتماعية التي تتعامل مع الأطفال. فالطبيعة البشرية تنفر من البيئات القاسية التي تحرص على الالتزام و الانضباط و تفرضه بشتى الوسائل أكثر من حرصها على تعلم الأطفال واكتسابهم المعارف والخبرة، علما بأن منح الطفل حرية تجسيد استقلاليته و التعبير عن نفسه وحاجاته يؤسس لنشاطه الإبداعي المستقبلي. فخلوّ هذه البيئات من الحب والعطف والحنان و المواقف اللينة يجعلها عاجزة عن استثارة رغبة الأطفال في الإقبال و المشاركة وتقديم المبادرة. فبيئات عقيمة من هذا النوع من شأنها أن تدفعهم إلى حالة الإنطواء لتتطور لاحقا إلى خجل.

4- *توجيه الانتقادات بصورة هادفة ومتوازنة:* كآباء و كأمهات، نريد الأفضل لأطفالنا، و لا نتردد أحيانا في توجيه انتقادات لهم و إظهار عدم موافقتنا على بعض سلوكياتهم أو مواقفهم بنية تصويبهم نحو الأفضل. لكن عندما يطغى سلوك الانتقاد على تعاملنا معهم، وخاصة عندما نهمش كل الطرق المساعدة في بناء احترام الذات لديهم، اعتقادا منا أن تشديد الموقف والتشهير سيحفزهم على القيام بعمل أفضل، فقد يولّد استياء يدفع بعضهم إلى التعبير عنه بالتمرد و العدوانية المدمرة لهم و لغيرهم. فهم مثل البالغين يحرصون على عدم خدش كرامتهم وكبريائهم، كما تدفع هذه الردود المحبطة آخرين إلى الانطواء على الذات والهروب من الناس خوفا من ردود أفعالهم. وقد أظهرت المتابعة الميدانية أن الآباء الذين يستخدمون الأساليب الصارمة والاستبدادية منشغلون بفرض السلطة أكثر من تقييم ضبط النفس و تعليم أطفالهم إدارة سلوكياتهم، و بدلاً من مكافأة السلوك الإيجابي قصد تثبيته، فإن التغذية الراجعة التي يقدمون غالبا ما تنحصر في عقوبات على السلوك غير المقبول (Power,T.G.,2013) . وبذلك ينتجون أطفالًا أقل احترامًا للذات برصيد سلوكي فقير مقارنة بالأطفال الأقل ممارسة السلطة عليهم والذين لا يتعرّضون لانتقادات بشكل متكرر. وحتما فإن التدني في النظرة إلى الذات سيكون طريقا سالكا نحو حالة الخجل. وبالرغم من

أن اتجاه ارتباطهما غير واضح، فقد أشارت العديد من الدراسات إلى وجود علاقة جوهرية بين انخفاض احترام الذات والعواطف السلبية، مثل الشعور بالذنب والخجل (Garofalo,et al.,2016;Crozier.,1995). ويتسم الخجول بالخوف وعدم الراحة والاطمئنان، والشعور بالحرج عندما يكون على مقربة من أشخاص آخرين، وخاصة في المواقف الجديدة أو مع غير المألوفين منهم، إلى جانب مشاعر الدونية واليأس والعجز والحرص على إخفاء العيوب الشخصية(Andrews,et al.,2002). أما الذي يقدّر ذاته و يحترمها ويثق بنفسه ويؤمن بها فيمكنه بسهولة التعايش مع نقاط القوة والضعف في شخصيته دونما حاجة إلى انتقاد ذاتي مفرط (Gocmen.,2012)، بل إن تقديره لذاته يكون،على حد وصف بعضهم، " لقاحا اجتماعيا" ضد الجريمة والعنف وإدمان المخدرات والأمراض الثقافية الأخرى(Kohn,1994). إن تعزيز قيمة الطفل الذاتية وتكريمها بالمواقف الداعمة والمشجعة وعدم الطعن فيها لإهانتها حتى حين تُوجّه له الانتقادات، من شأن ذلك أن يزيده قوة وعزيمة وأن يحفزه على الاقبال على الحياة بإيجابية وأن يكون أكثر ثقة في قدرته على التعامل مع التحديات التي قد تواجهه وأكثر استعدادا لبذل الجهد المناسب لرفعها وتحقيق أهدافه.

ب- طرق التعامل مع الخجل:

عند المعاينة الفعلية لحالة خجل الطفل وظهور مؤشرات تؤكد ذلك كأن يتكرّر معه تجنب المواقف الاجتماعية بصورة ملفتة للانتباه وقضاء الأوقات الطويلة منفردا مع وجود ما يبرر حاجته إلى الاختلاط ومحدودية نشاطه الاجتماعي مقارنة مع من هم في سنه مع عدم ملاحظة أي تغيير إيجابي أو تحسن في حالته، فينبغي الشروع في التكفل به دون تأخر. إن التغلب على الخجل أو التخفيف من حدته باستعادة الفرد للثقة بالنفس أمر ضروري لا ينبغي الاستخفاف بهذا الاضطراب والتهاون في مواجهته والتصدي له بمجرد ظهوره، ذلك أنه قد يخلّف آثارا مدمرة لحياة الكائن البشري وتنشأ عنه صعوبات على مستويات عديدة. ويحتاج المصاب به إلى تكفل واعي يساعده ليس على التأقلم مع الخجل لتثبيته بل لفهم وإدراك واقعه وطبيعة معاناته مع محاولة تحسس ما يقف خلفها من عوامل. ومن الآليات المساعدة على محاصرة الخجل وامتصاص آثاره:

1- *مواجهة ما يثير الخجل بدلا من تجنبه:* إن التغيير الذي يمكن أن يحقق الاستقرار لا يمكن إدراكه من خلال تجنب المصادر المثيرة للخجل، بل إن هذه الاستراتيجية بدلا من ذلك تُبقي الشعور بالخجل حيا ومؤثرا وتطيل من معاناة الفرد الخجول. ويحتاج الطفل أن يتعلم كيفية مواجهة نفسه وعدم الاعتماد فقط على أسلوب تجنب الظروف التي تثير خجله. إن التصدي لحالة الخجل بالنسبة إليه أمر صعب ولكنه يساهم بشكل فعال في القضاء على

مسببات التوتر (Endler & Parker.,1993)، والبديل لهذه المواجهة أن يعيش باقي مراحل حياته تحت سيطرة الهواجس والمخاوف.

2- *التخلص التدريجي من الحساسية للخجل*: إن الأماكن والمواقف التي تثير خجل الأطفال ويمنعهم دخولها من التصرف بصورة طبيعية، يمكن تحييد تأثيرها أو التخفيف منها من خلال عملية التخلص التدريجي للحساسية إزاءها سواء بالاقتراب منها خطوة خطوة وتعزيز كل خطوة ناجحة حتى ولو كان نجاحا نسبيا إلى غاية أن يتحرر الفرد من خجله ويصبح مرتادا لهذه الأماكن دون حرج، أو بواسطة تسليط الضوء عليها والتعريف بها وتقديم حولها المعلومات الكافية التي تظهر بأنها آمنة وليس فيها ما يبعث على الخوف والقلق. بما أن الأطفال قد يفضلون تجنب الأحوال و الأماكن والأشخاص التي تثير لديهم الخجل، فعلى الآباء و المربين أن يدركوا بأن هذه الاستراتيجية تؤدى بالضرورة إلى تضييق في مساحة النشاط الاجتماعي، فإذا استأنس الأطفال بالعزلة وتآلفوا معها فقد يصعب عليهم لاحقا الانخراط بصورة طبيعية في الحياة الاجتماعية. ولذلك يتعين على المربين مساعدة هؤلاء الأطفال في اكتساب طرق أخرى للتعامل مع الخجل وعدم تركهم يعتمدون فقط على تجنب ما يثيره. وإن محاولة تحييد المصادر المثيرة للخجل بإزالة الحساسية عنها لتقليل سلوك الطفل التجنبي (Davison,G.C.,1968) سوف يفعّل اندماجه الاجتماعي .

3- *تعزيز النظرة الايجابية إلى الذات*:إن انخفاض احترام الذات هو أحد المظاهر الجوهرية المرتبطة بالخجل (Carducci,B.J.,2009; Amirazodi,F.& Amirazodi, M.,2011)، ويميل الأشخاص الخجولون إلى أن يكون لديهم تصور أقل لقيمة الذات وعادةً ما يكون تقييمهم لأنفسهم وقدراتهم سلبيا. ومن مواقفهم المعهودة ميلهم لاستخدام أنماط دفاعية لتقديم الذات. فجهدهم المبذول على سبيل المثال لا يُستثمر في إبراز مواطن قوتهم وإمكاناتهم التنافسية وإنما يُسخّر في إخفاء مظاهر عجزهم وقصورهم وفي عدم كشف معلومات غير مواتية عن أنفسهم، وأيسر الطرق لتحقيق ذلك الابتعاد عن الناس وعدم مخالطتهم. وإذا كان ارتباط الخجل سلبًا بتقدير الذات موضوع توافق(Bober, A.et al.,2021) فإن النتائج التجريبية أظهرت أن هذه العلاقة الارتباطية تأكدت حتى بين الأطفال في سن ما قبل المدرسة (Kemple,K.M.,1995) وأطفال المدارس(Lazarus,P.J.,1982). أمام هذه الحقائق يتعين على من يشرف على الطفل الخجول مساعدته من ناحية في الوقوف على ما لديه من قدرات وكفاءات بما يدفعه لإعادة بناء صورة أكثر إيجابية عن نفسه تساعده على التغلب على مخاوفه التي أفقدته طمأنينته، ومن ناحية ثانية معاينة أوجه القصور والضعف وما يمكّنه من تداركها. بهذه الكيفية العملية يمكن تقوية عزيمة الطفل وشحذ إرادته واستعادة ثقته بنفسه، والعودة به إلى الحياة الاجتماعية ومشاركة الآخرين في أنشطتهم بصورة طبيعية.

4- *دفع الخجول لتغيير النظرة والموقف والاستراتيجية:* إن إتاحة الفرصة للخجول اكتشاف ما يستطيع فعله وذلك بمرافقته في تدريبات وتمارين وتنقلات يكون فيها مضطرا لإبداع الوسيلة أو إيجاد الحل للمشكلة أو البحث عن طريقة للخروج من مأزق من شأنه أن يدفعه إلى مراجعة مواقفه وكيفية تعامله مع واقعه الاجتماعي. إن مثل هذه التجارب، إذا عرفنا كيف "نورّط" الخجول فيها، وكان تنظيمها محكما واستغلالها جيدا ومساراتها واضحة، تستطيع أن تحرر الفرد من الشعور بالخجل بصورة نهائية، لأن خروجه منها المكلل بالتوفيق والنجاح سوف يغيّر من قناعاته بصورة جذرية وكأنها ولادة ثانية له. بالنسبة لغالبية الحالات لا نتوقّع منها القيام بمبادرة جريئة تسمح بتجاوز أسوار الخجل وكسر مغاليق أبوابه، ولكن يمكن للمساندة المدروسة والدعم الموجه نحو أهداف دقيقة مقرونه بأولية أن تدفع الفرد الخجول نحو بناء نظرة أخرى تستوعب عوائقه التفسية التي خلفها الاضطراب لينطلق من جديد في استعادة المبادرة ومواصلة السير نحو إثبات الذات وممارسة الاستقلالية والخروج من حالة التخفي والانطواء.

5- *تزويده بمهارات اجتماعية مساعدة*: إن كثيرا من أفراد المجتمع الخجولين بسبب فقرهم في المهارات الاجتماعية لا يحسنون التعامل مع الناس وهذا يسبب لهم مشاكل ويدخلهم في نزاعات وصراعات. وإن تكرار هذه التجارب يدفعهم أكثر فأكثر إلى اعتزال الناس وعدم الاختلاط بهم تجنبا لما يمكن أن يحدث أثناء هذا الاحتكاك. وبدلا أن نترك هذا الفرد يستأنس بالابتعاد عن الجماعة لأن ذلك يعفيه من بعض المشاكل ولكن ليتحول إلى شخص خجول، فنستطيع أن نساعده على اكتساب بعض المهارات الاجتماعية التي تؤهله للدخول إلى المجتمع من جديد وإعادة تفعيل العلاقات مع أفراده ومشاركتهم والتعاون معهم. وإن التحكم الجيد في المهارات التالية على سبيل المثال سوف يسمح له بتنظيم حياته على نحو يدفعه باستمرار للإقبال الايجابي على الحياة الاجتماعية ومواجهة تحدياتها فيصبح أقدر على تحييد العوامل التي تعزز مشاعر اليأس والقنوط أو تتفاعل في اتجاه دعم التفكير في الانطواء والانزواء واعتزال الآخرين خجلا:

أ- *استيعاب التغيير والتموقع السريع ضمنه* وحسن استغلال ما يتيحه من فرص، علما بأن الحياة من حولنا دائمة التحوّل والتغيير والمطلوب مواكبة ذلك حتى لا يحصل تأخر عن الركب يتسبّب في تقهقر وتردّي حياة الفرد قد تجعل منه فريسة سهلة لموجة الخوف واليأس. ومن التجارب الحياتية التي تخلّف آثارا سلبية تمس خاصة مردود الأطفال الدراسي وحجم انخراطهم الاجتماعي وتكون أحيانا في غياب مرافقة واعية سببا لترك بعضهم المدرسة بصورة نهائية: تغيير السكن والانتقال من مدرسة إلى أخرى والدخول الاضطراري إلى مؤسسات كالمؤسسة الاستشفائية الذي يبعده عن أسرته وعن رفاقه (Whalen & Fried.,1973;

(Fields,B.,1997; Astone & McLanahan.,1994;Bonn.,1994 . فحين يغيّر الطفل أو المراهق مدرسته فإنه يبتعد عن جماعته التي طالما استأنس بها ويغادر بيئة كان يعرف فيها معظم أقرانه و ربما تربطه علاقات قوية للغاية ببعضهم. ولأنه ينتقل إلى بيئة جديدة لا يعرف فيها أي شخص قد يشعر في البداية بعزلة خانقة في الوقت الذي يحتاج إلى التكيف بسرعة مع الوضع الجديد لكي ينخرط بسرعة في الأنشطة المدرسية المختلفة. إن مثل هذه التجارب المشحونة بالانفعال والتوتر قد تتحوّل إلى منعطف تتغير بعده حياة الأفراد رأسا على عقب، لعل من أخطر انعكاساتها بعث الرغبة لدى بعضهم في اعتزال الحياة الاجتماعية، في الوقت الذي يكون الارتباط الاجتماعي أمرا أساسيا لصحتنا العقلية والعاطفية.

ب- *التزوّد بالأخلاق والآداب*: إن الأخلاق، فضلا عن أنها الدعامة الأولى في بناء الفرد والمجتمع، فهي وسيلة الاختراق الفاعلة كما هي وسيلة لكسب قلوب الناس والتآلف معهم واستثارة تغذية راجعة محفزة من قبلهم. والانسان الذي يكسب ودّ الناس و قبولا اجتماعيا خاصة بما يستعرضه من صفات حميدة وانضباط و سلوك قويم و تعامل بطريقة تتوافق مع المعايير وإقبال كبير على المجتمع وأنشطته... لن يختار الوحدة بديلا و لن يفكر في اعتزال الناس، بل إن هذا التشجيع سيدفعه إلى توسيع دائرة تعاطيه الحياة الاجتماعية وتكثيف حضوره مع أفراد المجتمع وتنويع علاقاته معهم وتحقيق المزيد من الانجازات المحفزة والتي ستعزز نظرته الايجابية إلى ذاته، علما بأن ردود الفعل الاجتماعية الموافقة أو الرافضة عامة لها تأثير على طبيعة تقدير الفرد لذاته(Orth.,2018) ، فضلا عن طريقة تعامل الوالدين وغيرهم من الأشخاص المهمّين في حياته (Gecas,V.,& Schwalbe,M.L.,1986) ، مع ملاحظة أن تقصير الأولياء في القيام بالاحتضان المطمئن له قد يعوّضه رضا الأقران وقبولُهم الذي أكدت بعض التحقيقات مساهمته في تقوية الاعتزاز بالذات وحمايته من الآثار السلبية التي نخلفها العلاقته المضطربة مع ذويه(Birkeland,M.S.et al.,2014;Kistner,J.et al.,2007) في مقابل، حسب نتائج دراسات أخرى، اقتران تدني احترام الذات بحالة الخجل (Carducci, B.J.2009) ، وفي صوره الحادة يؤدي هذا الأخير أحيانا إلى حالة الاكتئاب (Sowislo,J.F.,& Orth,U.,2013) ، كما قد يكون للخجل تأثير أقوى على الإحساس بقيمة الذات لدى المصابين خاصة عندما يعتبرون أنفسهم عاجزين وفاقدين للكفاءة (Bober,A et al., 2021) . إن السلوك الاجتماعي الذي هو إحدى واجهات المجتمع الرئيسية ومن عناوينه البارزة يسترشد بالمعايير الأخلاقية التي اختارها المجتمع، وإن توافق هذه الأخلاق مع قيم وآداب هذا الأخير من شأنه أن يعزز ثقة متبادلة بين الأفراد أنفسهم ويقربهم إلى بعضهم كما يمثل جسرا تلتقى فيه الفئات والطوائف ومختلف الهيئات على رؤى مشتركة وسياسات حاضنة وجامعة تستوعب التباين والاختلاف وتمتص من حدة الصراعات الاجتماعية.

ج- *ضبط النفس والتحكم في الانفعالات*: إن تمكّن الفرد من بسط إرادته على أفكاره وأفعاله والسيطرة على مشاعره يحول دون حصول أي تجاوز منه ينعكس سلبا عليه وعلى علاقته بالآخرين. ولهذا التحكم في النفس وضبط أحوالها انعكاسات إيجابية عديدة، منها:

- اقتران وجوده بانتعاش العلاقات بين الأفراد ومساهمته في تحقيق التأقلم الجيد والتكيف الناضج الذي يتميز صاحبه بزيادة احترام الذات وخلوّ شخصيته من أعراض الاضطراب النفسي (Tangney,J.et al.,2004) .

- ارتباط إيجابي بين ضبط النفس العالي والعلاقات الاجتماعية الملتزمة القوية وبالسعادة والمشاعر الإيجابية والرضا عن الحياة، وكثمرة لذلك، بالنجاح خاصة المجسّد في الانجازات المثيرة، كما أظهر الأفراد الذين يتمتعون بضبط النفس قدرة فائقة في التصرف بالطريقة التي لا تتسبب في أي مضايقة للآخرين أو إثارة صراع معهم، علاوة على قدرتهم على الثبات في وجه الاغراءات وتطوير مهارات في تجاوزها دون التأثر بها (De Ridder,D,et al.,2012; Hofmann,W.,et al,2014) . إن تفعيل هذا النوع من المهارات يساهم في بناء علاقات مستقرة مع أفراد المجتمع ويساعد الأطفال والمراهقين خاصة على الشعور بالارتياح بين أقرانهم والرغبة الشديدة في اللقاء بهم، وهو مؤشر قوي على استعدادهم للانخراط في المجتمع.

6- *اللجوء بانتظام إلى تقنية الاسترخاء* : والتي تأكد عمليا أنها تساعد في التخلص من القلق الاجتماعي أو التخفيف منه وتعطي الفرد قوة وشجاعة تمكّنه من مواجهة بأريحية وسهولة أكبر حتى تلك المواقع الاجتماعية التي كان يُحرجُه اقتحامُها وأن يحافظ على هدوءه في المواقف الشديدة الضغط.

7- *اعتماد العلاج الجماعي*: ثبت تجريبيا أنه يُسرّع من عملية التعافي من هذا الاضطراب لدى الأطفال و الراشدين على حد سواء، و ربما كانت هذه المشاركة خاصة بالنسبة للذين يعانون من خجل شديد، حتى كمستمعين أو مجرد ملاحظين، تمثل أول تفاعل اجتماعي مطمئن حتى يكون حافزا لتفاعلات اجتماعية أخرى تتبع. والعلاج الجماعي يساعد الفرد الخجول في تحسين مهارات الاتصال و بناء العلاقات الناضجة و الصحية، كما يتعلم من متابعته سلوك و استجابات الآخرين التعبير عن نفسه.

الخلاصة

إن خجل الأطفال الذي يدفعهم إلى تجنب الآخرين تعززه النظرة الدونية للذات وعدم الثقة بالنفس، وأهم ما يخشاه أن يظهر ضعفه وعجزه أمام الاخرين، لذلك لا يجد كحل قريب يعفيه من هكذا تحدي سوى عدم مواجهة المواقف الاجتماعية والابتعاد عنها، وهو اختيار صعب له تبعات غير طبيعية على اعتبار أن الانسان مفطور على أن يعيش في المجتمع، فإذا اختار الابتعاد عن الناس اصطدم بهذه الفطرة وأصابته من ذلك معاناة شديدة تنغص حياته.

وكان بإمكاننا التكفل به على نحو يجنبه هذه المعاناة و يفتح له فرص الحياة المستقرة وذلك بتحريره من النظرة السلبية إلى الذات واستبدالها بأخرى أكثر واقعية تسمح له بإجراء تقويم عقلاني لما يملك من قدرات ومؤهلات وكيفية استغلالها والاستفادة منها وكذلك الوقوف على أوجه الضعف والعجز التي يعاني منها بهدف استيعابها وتداركها. من ناحية أخرى يحتاج إلى تزويده بالمهارات التي تساعده على بناء علاقات قوية مع الاخرين يتجنب بواسطتها الاصطدام معهم، وبهذه الكيفية يتم تحييد المصادر المعززة للانطواء على الذات فتختفي بذلك مبررات الابتعاد عن المجتمع وأفراده، ويختفي معها الشعور بالخجل.

كذب اطفال

تمهيد:

الكذب مشكلة سلوكية اجتماعية، لها انعكاسات خطيرة على الحياة خاصة أنها تفسد المجتمعات وتضر بالعلاقات بين الناس وتنشر في أوساطهم الريب والشك وتعزز بالتالي حالة عدم الاستقرار التي يمكن أن تنشب عنها خلافات ونزاعات وصراعات. و لأن مخلفات هذه الآفة جسيمة على أكثر من صعيد وقد تتجاوز كل التوقعات، فقد توافقت عبر العصور والأزمنة الديانات والثقافات والأعراف والتقاليد والمنظومات القانونية على رفضها ونبذ اصحابها. وربما لبشاعة هذا السلوك وآثاره الخطيرة أحيانا ذهب بعضهم إلى المطالبة بتجريم من يكذب(Druzin & Li.,2011) . ومن ناحية أخرى ظلت المجتمعات بمؤسساتها التربوية تعمل على محاصرة انتشارها وتفعيل العملية البديلة المتمثلة في إعداد العنصر البشري الصادق الذي تعاف نفسه الكذب وتشمئز منه.

وإن موقف الدين الاسلامي من ظاهرة الكذب جاء واضحا وشفافا لا لبس فيه و لا مجال للتأويل. وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحذر من الكذب وتنفي الايمان عن من يتعاطاه، كما جاءت السنة النبوية صريحة في الدعوة إلى التزام الصدق و ترك الكذب. ومن الآيات القرآنية التي تناولت في سياقها افتراء الكذب، قوله تعلى " إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وأولئك هُمُ الْكَاذِبُونَ" (سورة النحل:الآية 105)، وقوله سبحانه " إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب" (سورة غافر:الآية 28) وقوله جل شأنه "هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" (سورة الشعراء: الآيات 220-222). ومن الأحاديث النبوية التي حذرت من الكذب وعواقبه قول الرسول ﷺ "آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإ ذا وعد أخلف، و إذا ائتُمن خان" (رواه البخاري، رقم33، ومسلم، رقم59) وقوله ﷺ "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" (الترمذي، رقم1971 ومسلم، رقم2607) . وقوله ﷺ في حديث آخر" أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"(رواه البخاري،أرقام33 و34، 2536،5744،3007 ورواه مسلم، رقم58). وفي رواية أخرى لمسلم أضاف" وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم" (مسلم، رقم59). وفي رواية أحمد بن حنبل " ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى و زعم أنه مسلم: من إذا

حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"(مسند أحمد، رقم 10925). وعن أبي محمد، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله ﷺ: " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإنَّ الصدق طمأنينة، والكذب ريبة " (رواه الترمذي، رقم 2518، و رواه أحمد في مسنده، رقم1723) عن وعبد الله بن عامر أنه قال دعتْني أُمي يومًا ورسولُ اللهِ ﷺ قاعدٌ في بيتِنا فقالتْ:ها تعالَ أُعطيكَ، فقال لها رسولُ اللهِ ﷺ وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أُعطيهِ تمرًا، فقال لها رسولُ اللهِ ﷺ: أما إنك لو لمْ تُعطيهِ شيئًا كُتبتْ عليكِ كَذِبةٌ (رواه أبو داود، رقم 4991). وعن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ "من قال لصبي: تعال هناك أعطك، ثم لم يعطه فهي كذبة."(أخرجه أحمد في مسنده، رقم9836) وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: " أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب و إن كان مازحا و ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" (رواه أبو داود، رقم 4800)

رغم أن في الظاهر غالبية الناس من مختلف الثقافات والمعتقدات تعارض الكذب، إلا أن الكذب حاضر و بقوة في كل المجتمعات الانسانية، و إن نتائج بعض الأبحاث و التحقيقات الميدانية تشير بوضوح إلى أن معظم الناس يكذبون أكثر مما يعتقدون(DePaulo,et al,1996). ومن الاشارات القوية على تفشي الكذب في المجتمعات انتقاله إلى الأطفال الأبرياء الذين أصبحوا في سن مبكرة جدا يكذبون حيث أن هناك أدلة تشير أنهم يفعلون ذلك حتى وأعمارهم لا تزيد عن42 شهرا (Evans,A.D.et al.,2011; Polak, A.,& Harris,1999). و لاحظ *ويلسون* و *سميث* و *روس* أن نسبة 65٪ من الأطفال بعمر عامين، ونسبة94٪منهم بعمر 4 سنوات كذبوا مرة واحدة على الأقل(Wilson,A.E.et al., 2003) . وأظهرت نتائج الدراسات الميدانية أن كذب الأطفال يتطور، ومع تقدم العمر يزداد حجما وتتنوع وظائفه والأغراض من وراء استخدامه. وهناك دليل قوي على أن قدرة الأطفال على الكذب ارتبطت بشكل إيجابي بتنمية المهارات المعرفية. (Talwar,Gordon, & Lee,2007;Talwar & Lee,2008) ويتطور سلوك الكذب من سن الثالثة ويزداد مع تقدم العمر (Bureau & Mageau,2014; Dykstra,et al.,2020;Hays & Carver,2014) . والملاحظ أن اعتماد بعض الوالدين على الزجر والعقاب بهدف دفع أطفالهم إلى ترك الكذب يعطي في كثير من الأحيان نتائج عكسية، فيشجعهم على مواصلة التعامل بالكذب ولا يتحقق الزجر المرتقب (Lavoie,et al.,2018) . كذلك بات واضحا أن دفء العلاقات بين الوالدين والطفل يرتبط بالإخلاص في حين أن الرفض العاطفي من قبل الوالدين يزيد في حجم الكذب ويوسع دائرته (Stouthamer-Loeber,M.& Loeber,R.,1986;Cumsille,P.et al., 2010) .

لماذا يلجأ الطفل إلى الكذب؟

إن المرافقة الواعية والمتابعة المكثفة لعينات من الأطفال من كل الثقافات ومن كل المراحل العمرية وعبر عقود من الزمن ظلت تؤكد على براءة الطفولة وأن ما تعرفه من خروج على طبيعتها تلك إنما هو انعكاس فعل البيئة المحيطة بها، وعليه فإن كل ما توصف به أحيانا من انحرافات غير أخلاقية أو تجاوزات غير عُرفية وغير قانونية، فهي في الحقيقة آثار مباشرة للتربية و لنوعية الاشراف المعتمدة و نماذج القدوة المقدّمة، وتحميل هذه الطفولة مسؤولية تلك الأفعال هو اختزال للحقيقة يهمش عناصر مهمة في المشهد و لا يساعد في ببناء تصور موضوعي حول هذه الظواهر الاجتماعية و لا في بلورة على ضوءه استراتيجية للتعامل معها. ومن سلوك الأطفال السلبي الذي حظي باهتمام خاص للباحثين والمربين، الكذب. هذا السلوك الذي ترفضه ظاهريا كل الشعوب لكنه يمارس في الواقع لا بد أنه انتقل إلى الأطفال من البيئة الاجتماعية المحيطة وأنهم في الواقع يلجؤون إليه مضطرين عند عدم وجود بديل عنه. و لا شك أن كذب الأطفال مسخر لتحقيق بعض الأهداف نذكر من بينها:

1- *تقليد الآخرين:* خاصة الأقربين من أفراد العائلة، إذ معروف عن الأطفال أنهم يقلدون الكبار في الايجابي والسلبي من سلوكهم على حد سواء. وقد يستجيبون بهذه الطريقة لإثبات الانتماء والانضمام إلى الأخرين(Nielsen,M.,& Blank,C.,2011) . وكما أكدت الدراسات، ففي الجو الأسري الذي يحصل فيه تساهل مع سلوك الكذب، بالخصوص إذا كان الراشدون من أفرادها أنفسهم يكذبون و أن الجميع يغض الطرف عن هذا السلوك الهجين، فإن الأطفال من ناحيتهم لا يقلدون الكبار فحسب بل سيعتبرون الكذب سلوكا طبيعيا لا ينشأ عنه أي حرج (Heyman,G.D.et al.,2009; Hays,C.& Carver,L.J.,2014).

2- *حماية أنفسهم من الاحراج الاجتماعي:* ومحاولة الهروب من العواقب الحتمية لأفعال صدرت عنهم، خاصة في البيئات المدرسية والأسرية الصارمة والقاسية. وحسب بعض الدراسات فإن احتمالية الكذب تكون أكبر عند الأطفال الذين يتوقعون عقوبات قاسية مثل الضرب (Talwar,V.,Arruda,C.,& Yachison,S.,2015) .

3- *حماية الآخرين*: من الذين تربطهم بهم علاقات قرابة أو صداقة قوية مثل الآباء والأقران. فمن المؤكد أنهم لن يسمحوا أن يتعرض هؤلاء الأفراد إلى عقاب أو أذى وبإمكانهم منع ذلك. فهم أصلا على استعداد لتقديم التضحيات الجسيمة من أجل ذلك و يصبح اللجوء إلى الأكاذيب الإيثارية لحماية الآخرين أمرا مستساغا، بل اعتبره *هامبر* أحد الأصناف الأربعة للدوافع على الكذب (Hample,D.,1980).

4- *حفظ ماء الوجه و كرامة الذات،* مع تخفيف الضغط أمام توقعات الكبار العالية ومطالبهم الكثيرة التي يتعذر على الأطفال الالتزام بها. و بدلا أن يخيّبوا ظن أوليائهم

وإحباطهم بتأكيد فشلهم بعدم الرد على الانتقادات الموجهة إليهم واعترافهم الضمني بأنهم غير جديرين باي تقديريفضل بعضهم "إنقاذ" الموقف عن طريق اختلاق ما يمكن أن يساعد على تبرير إخفاقهم ونزولهم عن المستوى المتوقع دون الافصاح عن الحقيقة. ولعل هذا ما أكدته الدراسة الميدانية حيث لوحظ أنه إذا اعتقد الأطفال أن اعترافهم بالخطأ يجعل أولياءهم يشعرون بخيبة أمل فيهم، فقد يكذبون لإخفاء الحقيقة(Talwar.,Murphy. & Lee., 2007) .

5- *تعزيز ثقة الآخرين بهم*. فقد يصنع كذب طفل الفارق بين قبوله و رفضه من قبل أفراد جماعته، كما قد يمنحه موقع تقدير بينهم مع تحسين مكانته الاجتماعية.

6- *التخفيف من الحرمان الشديد و من الشعور بالخوف وفقدان الأمن*، علما بأن الطفل الذي يحظى بالمودة الجالبة للسكينة و الطمأنينة و يحصل على الدعم و التشجيع بما يمكّنه من تحقيق النجاح لا تكون لديه حاجة كبيرة للكذب.

7- جذب *انتباه الآخرين*: يلجأ الأطفال إلى الكذب على الآباء أحيانا قصد استفزازهم وإثارتهم بما يضطرهم إلى الاقتراب منهم والالتفات إليهم. وهذا يحصل خاصة مع الأسر المهملة حيث لا تكون فيها العلاقات مع الأطفال طبيعية كما تنتعش في ظلها مشاعر الاحباط والميز والحرمان العاطفي. فالأطفال ربما يعرفون حساسية هؤلاء الآباء تجاه الكذب فيتعمّدون اللجوء إليه لجلب انتباههم نحوهم.

في هذه الحالات التي تم عرضها ومثيلاتها يكون كذب الأطفال مقرونا بهدف أو أكثر يسعون لتحقيقه، وتنسحب على كثير منها مواصفات ما سُمّي بـ" أكاذيب بيضاء" خاصة عندما يصبح الكذب وسيلة تُسخر لنهاية نبيلة. وعادة ما يتخلى الطفل العادي عن هذا الأسلوب بمجرد ما يستعيد الثقة في النفس ويشعر ببعض القوة. لكن توجد حالات أخرى يستمر الأفراد في الكذب رغم عدم وجود هدف. وهنا قد نكون أمام ما يسمى بالكذب غير الطبيعي، الذي يستدعي وقفة تأمل التماسا لمؤشر يساعد على فهم ما يجري ومعرفة سبب حاجة هؤلاء الأطفال إلى الكذب. هذه المظاهر السلوكية قد تندرج ضمن الحالات التي لا يمكن ملامسة مؤشرات خضوع سلوك الكذب فيها لتخطيط مسبق أو ربطه بأهداف واضحة على النحو الذي أسلفنا. وفيما يلي صور أخرى للكذب تحتاج إلى مقاربة مغايرة لفهمها والتعامل معها:

1- *كذب غير مقصود يفرزه الخيال الزائد*: بما أن الطفولة هي فترة خصوبة الخيال، وتعرف سنوات ما قبل المدرسة ظهور، وبنسبة تتراوح بين25 و50٪، رفقاء لعب وهميين – حيوانات أو بشر– يتعاملون لفترة من الوقت معهم كعناصر حقيقيين، وقد لا يختفي هؤلاء الرفقاء غير المرئيين من حياة الأطفال إلا بعد بلوغهم سن العاشرة (Majors & Baines.,2017; Taylor,2001;Bouldin & Pratt,1999). إن خيال الأطفال النشط إذا وجد البيئة المساعدة

والتوجيه المناسب، يمكن أن يساهم بشكل فعال في تعبيد طريق التعلم (Heath.,2008; Karwowski,M.et al., 2016) وتطوير القدرات الابداعية (Hsu.,et al,2014) خاصة من خلال اللعب الافتراضي (Russ.,2014). وبالتأكيد لا نتوقع أن يكون سعي الآباء والمربين من أجل تجفيف منابع الخيال عند أطفالهم. لكن مع تداخل الحقيقة والخيال في حياة هؤلاء الأطفال، دون وجود حد فاصل بينهما، فقد تصدر عنهم استجابات و مواقف غير مفهومة تبعث على الشك و الريب لدى من يتابعها خاصة الآباء الذين غالبًا ما يشعرون بالقلق بشأن تصرفات أطفالهم الغامضة التي قد تتراءى لهم غير مناسبة أو غير اجتماعية أو أنها تخالف المبادئ الأخلاقية، ولو أن فهم مثل هذه الأحوال المعقدة والإحاطة بعناصرها الفاعلة ليس أمرا بديهيا كما أن الاستعجال في إصدار أحكام قيمية بهذا الحجم لا يساعد في تشخيصها وعلاجها. والاقتراب أكثر من أطفالهم في ظل علاقة جيدة ربما يمكنهم من فهم سلوكهم و التأكد من القصد الذي يرمي إليه، وفي حالة اقتران واضح للسلوك بادعاء أو افتراء أو كذب، أن يسعوا لتحسس الدافع خلفه. بهذه الكيفية يستطيعون تحديد نوع الكذب وأهم العوامل التي ارتبط بها، فيسهل عليهم بناء موقف أو اتخاذ قرار حول طريقة التعامل معها.

2- *الكذب المرضي*: قد يكذب الأطفال الذين يعانون من اضطرابات شخصية، مع ما يُطرح في سياق هذا الاقتران من إشكالية الكذب باعتباره مجرد عرض للمرض النفسي أو هو ذاته الاضطراب المرضي (Dike.,2008;Curtis.,& Hart.,2020) ، ولو أن بعض الباحثين ينفون وجود شيء اسمه الكذب المرضي أو القهري، و أقل ما يمكن أن يستند إليه رأي كهذا أن الكذب لم يتم التعرف عليه كاضطراب نفسي في أنظمة تصنيف الأمراض الرئيسية، فهو على سبيل المثال غير مصنف ضمن الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM-5)، و لا ضمن تصنيف الاضطرابات العقلية والسلوكية (ICD-10). لقد اهتمت بعض الدراسات بالجوانب الطبيعية للكذب (Serota, et al.,2010; Vrij.,2008; DePaulo. et al.,1996) وأهملت الأبعاد المرضية لهذا السلوك، لكن دراسات أخرى أشارت نتائجها، بالاعتماد على تعريفات ومعايير من نماذج الاضطراب العقلي وعلم النفس المرضي، إلى وجود مجموعات مميزة من الأفراد الذين يكذبون بشكل مفرط ولفترات طويلة فضلا عن وجود معاناة أخرى مصاحبة كضعف الأداء والشعور بالضيق الشديد(Curtis & Hart.,2020;Muzinic,etal.,2016).

رغم أن الكذب المرضي لا زال موضوع أخذ و رد حتى في أساسياته، ولعل ذلك هو أحد الأسباب الرئيسية وراء عدم إدراجه ضمن تصنيفات الاضطراب النفسي، لكن وانطلاقا مما تثيره الأدبيات من نقاش حوله وما تعرضه نتائج البحوث الميدانية من صور عنه، يمكن أن نستخلص عينة من أوصاف تتعلق بهذا الاضطراب حصل حولها بعض التوافق والتي تُخرج

هذا السلوك ضمنيا من صوره الاعتيادية التي غالبا ما ترتبط بالبيئة الاجتماعية المحيطة إلى مرض نفسي يتطلب تشخيصا أعمق ومرافقة خاصة:

- سبب كذب الطفل غير واضح، بحيث يصعب ربطه بعوامل موضوعية.

- إن السياق الذي يظهر فيه الكذب لا يوحي في الظاهر بوجود تخطيط هادف مسبق أو حتى دافع بعينه أو أكثر يحرّكه.

- يكذب الطفل بشكل متكرر مع شعور بإكراه على القيام بذلك إذ لا يستطيع التوقف حتى و لو تسبب له بضائقة نفسية، أو عرّضه لخطر أو أفسد عليه علاقات مع أقرب الناس إليه. وهو ثمن عادة لا يضحي به الأطفال العاديون.

- يشعر بالضيق بسبب أكاذيبه، ويظل في حالة خوف وخشية من أن يكتشف حاله.

- يكون الكذب سمة فيه وليس دافعًا فقط، لدرجة أنه في كثير من الأحيان لا يستطيع التحكم في سلوكه الكاذب.

- أكاذيبه مباشرة يمكن بسهولة التحقق من أنها غير صحيحة، ولكن ما يبعث على القلق مع ذلك أن الاحتمال الراجح لاكتشاف كذبه في أي لحظة لا يخيفه.

كيف نتعامل مع كذب الأطفال؟

نظرا لتعدد صور الكذب و طرق التعبير عنه وتعدد الأسباب والدوافع الكامنة وراءه، لا يمكن التعامل معه بنمطية، وتكون الاستراتيجية الأنسب أمام هذا التنوع بتكييف الطرق والأساليب المسخرة لذلك مع الحالات بحسب طبيعتها حتى تتم الاحاطة بكل جوانب هذا السلوك لدى كل حالة وبالتالي سهولة التعامل معها. ومن الجوانب التي ينبغي التوقف عندها لأهميتها في عملية التشخيص والعلاج:

1-*معرفة الأسباب والدوافع* التي تقف خلف كذب الطفل موضوع الاهتمام، حيث أنه منالضروري التعرف على المرتكزات التي يستند إليها ومختلف المصادر المعززة له، واستغلال نتائج هذه الخطوة، إذا تكللت بنجاح، في بلورة الخطة المناسبة للتعامل مع هذا الانحراف السلوكي و كيفية إحلال خُلُق الصدق بدلا منه.

2-عدم *الانفعال في وجه الأطفال قبل معرفة الأسباب و الدوافع* التي تقف وراء هذا السلوك غير الاجتماعي، ذلك أن ضبط النفس سيساعد الأولياء و المربين على الإبقاء على علاقة طبيعية بالأطفال ملؤها المودة و الدفء و الثقة المتبادلة واستغلالها في تركيز وتوجيه الملاحظة و تنظيم عملية التقويم و المتابعة.

3-*تجنُّب العقاب* لأن مساهمته في الحد من الكذب لم تؤكدها نتائج الدراسة، بل في بعض التجارب تبيّن أن الأطفال الذين جاءوا من بيئة عقابية تعاطوا الكذب أكثر من الذين جاءوا من بيئة غير عقابية (Talwar,V., & Lee,K.,2011) ، كما أنه ليس أسلوبا أمثل لتطوير

الدافع الداخلي لدى الأطفال لقول الحقيقة، بل إن الإفراط فيه حتى لو لم يدفعهم إلى الكذب أكثر في اللحظة، فإنهم لن يختاروا الصدق سوى لتجنب هذا العقاب.

4- *توفير الأجواء الدافئة والخالية من الضغوط في البيوت والمؤسسات التربوية* وفي باقي البيئات التي يلجها الأطفال حتى يظل هؤلاء يتصرفون بصورة طبيعية ويتواصلون مع من يتعامل معهم بسهولة دون تكلّف ودون حاجة إلى سلوك طرق ملتوية أو لجوء إلى حيل للتعبير عن حاجاتهم أو التكيف مع الواقع القائم،علما بأنه قد ارتبط كذب الأطفال إيجابيا بعدم تعاطف الأم والأب معهم وبإبدائهما الرفض لهم والاستياء منهم (Stouthamer-Loeber & Loeber.,1986). وبالرجوع إلى أدبيات هذه المسألة فقد تأكد أن الدفء الأسري الذي يحظى به الأطفال يضاعف من احتمال التزامهم الصدق(Burton,1976) .

5- *معرفة مدى توفّر القدوة الحسنة:* على اعتبار أن خلق الصدق لا يمكن غرسه كمُكوّن ثابت في شخصية الأطفال عن طريق الخطاب وحده مهما كان بليغا ومؤثرا أو بتوجيه أوامر شفهية ونواهي من حين لآخر، بل إن وجود قدوة نموذجية تجسد هذا الخلق في بيئتهم خاصة الأسرية والمدرسية يمثل وسيلة فعالة لتحقيق ذلك كما أن تأثير القدوة السيئة قوي في الاتجاه المعاكس إذ يستطيع الأطفال اكتساب الكذب من مجرد مشاهدة والديهم وهم يكذبون. (Heyman,G.D,,2009;Hays,C,Carver,L.J.,2014)

6- *الرفع من شأن الأطفال والاهتمام* بهم ومنحهم كل التقدير والاحترام وإتاحة لهم كل الفرص لتطوير إمكاناتهم الذاتية واكتساب أهمّ المهارات التي تمكّنهم من الانخراط الاجتماعي البناء ومساعدتهم على تجاوز جوانب ضعفهم وعجزهم وتحسين مؤهلاتهم حتى يطمئنوا إلى قدراتهم الذاتية فيشعرون عندئذ بقيمتهم بين أفراد المجتمع، وحتى لا تغزوهم أفكار سلبية نتيجة نظرة متدنية عن الذات والتي قد تدفع بعضهم إلى اعتماد أساليب التعويض غير الصحية مثل التظاهر بما لا يملكون أو الادعاءات الكاذبة محاولة منهم لتعويم شعورهم بالنقص الذي يؤرقهم، وتصبح رغبتهم قوية في مقارنة أنفسهم بالآخرين ليشعروا هم كذلك بتفوق يُحسب لهم.

7- عدم *التجاوب مع كذب الأطفال باللامبالاة* لأن هذا الموقف لا يحسم موضوع الكذب بالنسبة إليهم و لا ينقل لهم بوضوح رسالة المجتمع أنه غير مقبول في كل الظروف، بل سيشجعهم على مواصلة الكذب في المستقبل. والمطلوب في المقابل إظهار الرفض لهذا السلوك مع تقديم الشروح المساعدة على إقناعهم بأهمية الصدق وضرورة التخلي نهائيا عن الكذب لما يترتب عنه من أضرار هو أول ضحيتها. في نفس الوقت إبداء الرضا والارتياح بصورة معلنة حين يلتزمون الصدق في أقوالهم وأفعالهم حتى يرتسم في أذهانهم بوضوح الفرق بين الصدق والكذب، وتشجيعهم على الاستمرار في تجنب الكذب واعتماد الصدق.

الخلاصة:

الكذب حاضر في المجتمعات، ومن أقوى الاشارات على تفشيه انتقاله إلى الأطفال الذين باتوا يكذبون في سن مبكرة جدا. ويقترن كذبهم عادة بأهداف يسعون لتحقيقها، ويتخلى عنه العاديون منهم بمجرد ما يستعيدون بعض ثقتهم بالنفس. ومن هذه الأهداف:

3- تقليد الآخرين مثل أفراد العائلة وهم يتوقعون أن كذبهم لا ينشأ عنه أي حرج.

4- حماية أنفسهم من الاحراج الاجتماعي وهروب من عواقب بعض أفعالهم.

5- حفظ ماء الوجه وتخفيف الضغط خاصة أمام توقعات عالية يتعذر الالتزام بها.

6- تعزيز ثقة الآخرين بهم ومنحهم موقع تقدير بينهم.

7- التخفيف من الحرمان ومن الشعور بفقدان الأمن. ولو كانوا محاطين بمودة جالبة للسكينة والطمأنينة لما احتاجوا إلى جذب انتباه الآخرين ولما لجأوا إلى الكذب.

هناك حالات يستمر فيها كذب الأطفال رغم عدم وجود أهداف، وقد تدخل ضمن ما سُمّي بالكذب غير الطبيعي أو الكذب المرضي. هذا الأخير لم يُدرج بعد ضمن تصنيفات الاضطراب النفسي، لكن بعض أوصافه تُخرجه من دائرة الكذب المألوف إلى مرض نفسي يتطلب تشخيصا أعمق ومرافقة خاصة. أما بالنسبة للتعامل مع كذب الأطفال، فالمنطلق الرئيسي يتمثل في الإحاطة بالأسباب والدوافع التي تقف خلف الكذب. من بين التوجيهات التي تساعد في تعبيد مسالك استيعابه:

1- عدم الانفعال في وجه الطفل قبل معرفة الأسباب والدوافع التي تقف وراء كذبه.

2- تجنُّب العقاب لأن مساهمة هذا الأخير في الحد من الكذب لم تؤكدها نتائج الدراسة.

3- توفير الجو الدافئ والخالي من الضغوط، لأنه يضاعف من فرص انتعاش الصدق.

4- توفير القدوة الحسنة التي تجسد الخلق لأن الصدق كبديل لا يُكتسب بالخطاب وحده.

5- منح الطفل التقدير و الرفع من شأنه بحيث لا يلجأ إلى الكذب لتعويض شعوره بالنقص.

6- في ظل تداخل الحقيقة والخيال لدى الأطفال لا ينبغي أن تؤدي مواجهة الكذب إلى تجفيف منابع الخيال عندهم.

الفصل الحادي عشر:

بعض المشكلات في مرحلة المراهقة

تمهيد:

إن المراهقة في الأساس هي فترة تحول طبيعية، على حد تعبير *جاك* و *كيري كيلي نوفيك* (Novick, J.,& Novick,K.K.,2012)، تهدف إلى تحقيق التناغم بين مبادئ المتعة والواقع. في الأدبيات، تم تصوير المراهقة في كثير من الأحيان على أنها فترة من العواصف والتوتر (Arnett,1999) . و لأن طبيعة المراهقة ترتبط ارتباطا وثيقا بالنمط الحضاري السائد في المجتمع الذي يعيش فيه المراهق، فإنها تتجسد في صور وأنماط تختلف من مجتمع لآخر حسب الثقافات الموجودة والأعراف والتقاليد السائدة والعادات المتبعة. و رغم طولها وكثرة ما يحصل خلالها من تحولات، تكاد تكون مجرد فترة انتقالية بين الطفولة و النضج (10و19سنة)، نظرا لحالة عدم الاستقرار التي تلازمها. وغالبا ما تتعلق مشاكل المراهقين الشائعة بالجوانب التالية:

1- *الاهتمام الزائد بالجسد*: باعتباره الواجهة الأولى التي تنقل صورة عن الذات، علما بأن إثبات الهوية المتميزة والمستقلة لدى المراهق لها أولوية خاصة لتأكيد وجوده الفعلي والمحترم.

2- *مواجهة الضغوط*: و المصادر التي تنشأ عنها الضغوط كثيرة منها الأسرة والمدرسية والأقران والتنافس لتسجيل الحضور.

3- *التأرجح بين المثالية الاجتماعية و شهوة الاشباع*: حيث يحاول المراهق التوفيق بين المثالية الأخلاقية التي تجسدها الشخصية النبيلة من جهة والإقبال المندفع على أنواع الاشباع للحاجات البدنية و النفسية و الاجتماعية في كثير من الأحيان بطرق غير صحيحة أو غير أخلاقية يتجاوز فيها المبادئ والآداب التي اقتنع بها، وكل ذلك على حساب الصورة النموذجية للشخصية الكاملة التي يحبها ويحلم بها.

4- *الرغبة الجامحة في إثبات الذات والتمايز* بكل وسيلة ولو على حساب بعض علاقاته أو مبادئه أو انتمائه الاجتماعي أو صحته.

5- *النضج الجنسي* وانعكاساته على حياة المراهق وما ينجر عنها من مشاكل نفسية وسلوكية اجتماعية.

6- *التأرجح المزاجي و التقلب في الانخراط الاجتماعي*: يعتبر المراهق نفسه أحيانا بالغا وقادرا على القيام بكل شيء، وأحياناً أخرى يرى نفسه مجرد طفل يعتمد على الآخرين. وتنشأ عن هذا الوضع صعوبة في التكيف.

7-*عدم وجود سقف لتطلعات المراهق*: مع إدراكه سن البلوغ تزداد تطلعاته وحاجاته بصورة مطردة و لا تبدو هناك حدود واضحة لطموحاته.

8- *الرغبة في التحرر من سيطرة الأسرة والمدرسة والمجتمع*. المشكلة المطروحة عند إعطاء الحرية الكاملة للمراهق تتمثل في احتمال إساءة استخدامها أو في إمكانية أن يدفع حرمانه منها إلى الثوران.

9- *مشاعر احترام الذات وعزة النفس شديدة لدى المراهق*. فهو يشعر بالملموس أنه لم يعد صغيرا و تزداد حساسيته لأي أذى بسيط يخدش كرامته أو يمس مكانته، ويصبح تعزيز الهوية المستقلة والذات المتميزة عنده مطلبا له أولوية.

10- *استغراق في التفكير والتأمل* : نتيجة تطور ملكاته الفكرية وتوسع خياله يتحوّل المراهق إلى فيلسوف صغير يتناول بالتأمل والتحليل قضايا تهمه كما أن انشغالات عديدة تفرض نفسها عليه يصاحبها التوتر والقلق مثل التفكير في المستقبل، ومحاولة تحديد معالم المهن التي تتلاءم شخصيته معها، وكيفية البحث عن شريك الحياة بهدف بناء أسرة...إلخ

أمام تحديات هذه المرحلة، وحتى يتمكن المراهق من رفعها أو تجاوزها تحقيقا لذاته وإثباتا لوجوده وتكيفا مع واقعه، يحتاج إلى استقرار نفسي وأن يظل واثقا من نفسه مطمئنا إلى إمكاناته وقدراته، يتحرّك بتفاؤل يبدد به الخوف والشكوك ويخترق الحواجز والصعوبات. ومن الصفات التي تؤهله لاجتياز هذه المرحلة بسلام فضلا عن المكتسبات المستفادة خلالها:

1-*نظرة إيجابية إلى الذات*: يعتبر هذا العنصر من بين أقوى المصادر التي يعوّل عليها المراهق لاعتباره يؤشر على قوة ذاتية غير مشروطة خارجيا. فنظرة المراهق الايجابية إلى ذاته تجعله أكثر استعدادا للمشاركة في الحياة الاجتماعية. و إذا كانت الهوية تفقد معانيها خارج السياق الاجتماعي فإن صورة الذات، كما يرى *سورين فينتيجودت* و *جواف ميريك*، تظل صالحة و مؤثرة حتى لو كان الشخص يعيش معزولاً تماماً. وهذا يعني أن جودة صورة الذات تحدد نفسياً جودة الهوية الاجتماعية وباقي العلاقات الإنسانية (Søren Ventegodt, M.D. & Joav Merrick,M.D.,2014) ولا ينبغي أن ترتكز هذه النظرة الايجابية على التمنيات الفارغة وأحلام اليقظة، بل على السعي الجاد وتسجيل الحضور بالأفعال التي ترفع التحديات وتتجاوز العقبات. والنظرة إلى الذات ليست ثابتة وإنما تغذيها انجازاته ورصيده من المهارات والكفاءات وما يحققه على أرض الواقع، إذ بهذه الأخيرة سيكبر في عينيه ويشعر بقيمة نفسه ويزداد اعتزازه بها، فإذا فقدها يكون قد فقد مصدر دعم حقيقي.

2- *تعزيز الثقة بالنفس: وهو* أمر بالغ الأهمية يحتاج إليه المراهق في كل الأحوال خاصة في مساره الذي لا تنتهي فيه ملاحقة الصعوبات والمشاكل. فالثقة بالنفس هي أرضه الصلبة يقف عليها التفكير الايجابي، و يغمر صاحبها شعور بالاستعداد لخوض تجارب الحياة والمضي قدماً في التعامل مع الناس والفرص . وبالتأكيد سوف تساعد في امتصاص كثيرا من الردود غير المشجعة والتعليقات السلبية التي تتحوّل مع الكثيرين إلى معوّقات في

طريق تحقيق الأهداف وتجسيد الطموحات. وأظهرت البحوث أن المستوى العالي من الثقة بالنفس يحفز الناس ليكونوا أكثر اجتماعية(Chemers,et al.,2000) ويساهم في بناء الشخصية القيادية المؤثرة، كما تعزز الثقة بالنفس قدرة الفرد على التفاعل في المواقف الاجتماعية لبناء الروابط الشخصية أو الحفاظ عليها. وفي المقابل فإن الذين يعانون من انخفاض في هده الثقة يصبحون أكثر عرضة لتأثير الآخرين (Bandura,1993;Gecas,1989).

3- *المحافظة على مستوى الطموح كاختيار* حتمي *تفرضه المرحلة*: بما أن المجتمعات دائمة التحول والتطور، يحتاج المراهق باستمرار إلى تطوير امكاناته الذاتية والتطلع إلى اكتساب المزيد من المعارف والخبرات والمهارات حتى يستطيع مواكبة الحياة من حوله، خاصة في جوانبها التكنولوجية الحاضرة بقوة في العقود الأخيرة. والأصل أن طبيعة المراهقة تأبى الجمود والركود والحياة الروتينية، و لا يمكن تصورها بدون خاصية الطموح والرغبة في التألق والشعور بمتعة مواجهة الصعوبات و حتى المفاجآت. وعلى عكس ما ظلّت توحي به النظرة السائدة حول شباب اليوم، فإن هذا الأخير يمثل جيلا أكثر طموحًا ويستطيع تحقيق إنجازات كبرى ولكن، كما يعلّق *شنايدر* و *ستيفنسون* " لأن المدارس والآباء لا يقومون بعمل جيد في توجيههم، فإن العديد منهم يأخذون الدورات الخاطئة، ويختارون الكليات الخاطئة، وغالبًا ما ينهون دراستهم الجامعية دون مهارات وظيفية أو أهداف مهنية محددة" (Schneider & Stevenson.,1999) وبالتالي بفشلون في إظهار ما في مقدورهم القيام به. وقد نجد في الواقع من يفضل الانسحاب أمام التحديات ويرتاح لما اعتاد عليه ويقلق عندما يواجه الظروف الجديدة وغير المألوفة لديه. وإن التطلعات المنخفضة لأولائك الشباب ما هي إلاّ مؤشر على افتقارهم إلى الطموح، وإن فشلهم في تحديد أهداف نبيلة لأنفسهم وغياب الدافع وفقدان الثقة بالنفس هي انعكاسات طبيعية للتصور العام الذي يحملونه. ويُظهر الشباب الذين لديهم تطلعات غير متوافقة أو غير مؤكدة عجزاً طويل الأمد يتجلى خاصة في جوانب حساسة في حياتهم كالمسار المهني والتحصيل الدراسي (Sabates.,Harris.,& Staff.,2011)، وهي بالأساس ثمرة تربية تلقّوها ونماذج تأطير خضعوا لها وكان من الممكن لو وجدوا نماذج بشرية ناجحة و محترمة قدوة لهم لاستلهموا منها الأفكار و المواقف و كيفية التعامل مع المشاكل و مواجهة التحديات و موجات اليأس التي حالت بينهم و بين الوصول إلى أهدافهم. ومن مسؤولية الاشراف التربوي تقديم التوجيه المناسب في وقته قبل أن يتورّط الشباب في تجارب مؤلمة تصدمهم نتائجها أو اختيارات غير مدروسة ينشأ عنها شعور ممتزج بخيبة الأمل و اليأس و تنتهي بهم إلى طرق مسدود. و إن كلّ غض بصر على مواقف المراهقين البعيدة عن الواقع أو استخفاف بها فضلا عن تشجيعهم على اعتمادها سوف لن يساعد في تحقيق استقرارهم المنشود و انخراطهم الطبيعي و السلس في الحياة الاجتماعية. و قد أشارت

بعض الأبحاث إلى أن تمسكهم بالخطط غير الواقعية والأحلام التي لا تتحقق ينعكس بالضرر النفسي عليهم (Wrosch,et al.,2007) وأن هروبهم إلى الأمام دون توقف لتقييم ومراجعة خططهم وإعادة توجيه جهودهم نحو أهداف أكثر واقعية سينتهي حتما إلى الصدمة أو النكسة.

4-*مهارة اتخاذ القرار*: تتخلل حياة كل إنسان منعطفات وظروف غير عادية يحتاج للتعامل معها شخصية تجرؤ على اتخاذ القرارات (Worell & Danner,1989). وبالتأكيد سيكون لبعض هذه القرارات تأثير سلبي أو إيجابي على العديد من جوانب مستقبل المراهق. وإذا انطلقنا من الواقع سنلاحظ أن عددا كبيرا من المراهقين لا يملكون المهارات اللازمة لاتخاذ القرارات الفعّالة. من هنا أهمية تطوير مهارة اتخاذ القرار لديهم (Ross.,1981; Mann.,1989; Baron & Brown.,2012;Beyth-Marom.,et al,2012;Dansereau.,et al,2013) ذلك أن اكتساب هذا النوع من المهارات سيساعدهم بقوة في التكيف مع الظروف والبيئات المختلفة ويسمح لهم باستغلال الفرص المتاحة التي يجدوها وتسخيرها لتحقيق أهدافهم. ولو تتبعنا مسارات كثير من الناجحين في هذه الحياة لوجدنا أن قصتهم صنعتها قرارات ناضجة جاءت في وقت مناسب فغيرت من أحوال أصحابها على هذا النحو.

5- *مواكبة سرعة تطور الحياة المعاصرة والتكيف معها* وعدم الوقوف اليائس في وجه أي تغيير حضرت ساعته، فمقاومة التغيير المحتوم تمردا وعنادا قد تنجم عنه خيبات أمل حادة تدفع بعض المراهقين إلى حافة الانهزامية والاستسلام. وهنا أيضا يتحمل الاشراف التربوي مسؤولية فيما يحصل لهم لأن اختيارات هؤلاء المراهقين هي ثمرة نوع التأهيل الذي تلقّوه وحجم الإعداد لاقتحام الحياة الاجتماعية الذي لا مفر منه.

6- *المجازفة والمغامرة في حياة المراهق*: إن معدل حدوث المجازفة في مرحلة المراهقة يشير إلى أن هذا السلوك يشكل جانباً شائعاً من تجربة المراهقة، وأن بعض المجازفات تعتبر مناسبة من الناحية التنموية. و رغم أن المراهقين يخوضون عدداً غير متناسب منها مقارنة بالفئات العمرية الأخرى، لا يوجد ما يشير إلى أنهم يحاولون عمداً إيذاء أنفسهم أو الآخرين، أو أن سلوكهم الذي يبدو متهوّرا هو غير عقلاني (Furby & Beyth-Marom, 1992) .

التدخين و استعمال المنشطات

يعد إدمان المخدرات مشكلة صحية عقلية معقدة كثيرا ما ترتبط بصعوبات في مجالات الحياة المختلفة مثل البطالة والتشرد والصراعات العلائقية وغيرها. وغالبًا ما تبدأ السلوكيات غير الصحية مثل التدخين وشرب الخمر وتعاطي المخدرات خلال فترة المراهقة، في الظاهر كرد فعل لشعور المراهقين بالتهميش والحرمان من إشباع بعض حاجاتهم الصحية والتنموية مقارنة بما يحظى به الأطفال والبالغون من متابعة وتسليط الضوء.

شهدت غالبية دول العالم خلال السنوات الأخيرة انتشار ظاهرة تعاطي المواد المنشطة والمخدرات بين المراهقين والتي أصبحت بآثارها السلبية العنيفة تؤرق الاباء والمربين. و لا شك أنه تطوُّر خطير تزامن مع مرحلة عمرية حاسمة تحتضن في الأصل الحلقات الأخيرة لاكتمال عملية النمو لدى الفرد و تهيئته للخروج إلى المجتمع والانخراط المسؤول مع باقي افراده ومشاركتهم في تحمّل الأعباء وتقاسم الأدوار .هذا الانحراف عن المسار الطبيعي بدايته تجربة " تدخين السجائر" التي كانت بالنسبة لعدد كبير من المراهقين بمثابة بوابة لاستخدام المنشطات علما بانه، كما تؤكد نتائج البحوث، أنه كلما بدأ التدخين مبكرًا، ضعف احتمال التوقف عن استخدام منتجات التبغ والأرجح أن يستمر الاستخدام بكميات أكبر. (Nat Center for Chronic Disease Prev, & Health Promotion.Office on Smoking., 2012 ;Bach,L.,2017) وإن نسبة عالية من الذين يدخنون مبكرا يصبحون مدخنين منتظمين(Chassin,L.et al.,1990) من ناحية أخرى تشير الدراسات إلى أن التعرض المبكر للنيكوتين قد يزيد من قابلية الادمان على المنشطات (Kandel,D.B.,& Logan,J.A.,1984; Chen,K & Kandel,D.B.,1995; Lindsay, G.B & Rainey, J.,1997) ، بل إن جرعة حادة من هذه المادة قد تعزز عندهم الرغبة الشديدة في تعاطي الكوكايين(Reid, M. S.,et al, 1998) . وهكذا يتضح لنا أن عملية الادمان على المخدرات ظهرت في مرحلة متأخرة سبقتها مراحل أخرى كان فيها متسعا لتنظيم تدخلات هادفة تمنع ظهورها. فضعف الأطفال وقصورهم يجرهم أحيانا إلى اختيارات خاطئة مثل التدخين وشرب الخمر وتناول المخدرات لا يقدّرون عواقبها وذلك إما تأثُّرا بضغوط الأقران أو بقدوة سيئة في محيطهم خاصة إذا توفرت مثل هذه المواد أو سهولة الحصول عليها.

توجد عدة عوامل يمكن أن تزيد من خطر البدء أو الاستمرار في تعاطي المخدرات بما في ذلك الوضع الاجتماعي والاقتصادي، ونوعية الأبوة والأمومة، وتأثير مجموعة الأقران. وأشارت الدراسات إلى أن وجود اضطرابات تعاطي المخدرات بين الوالدين أو أفراد الأسرة الآخرين يشكّل مخاطر وراثية واجتماعية على الأطفال (Bry,1994;Van Hasselt,et al, 1993) ، كما أن تعاطي الوالدين أو الأشقاء للكحول و التبغ و المخدرات، و إظهار المواقف

الإيجابية تجاه تعاطيها و قبولها، و سوء إدارة الأسرة، هي كذلك عوامل تشجع الأطفال والمراهقين على تعاطي المنشطات.

كيفية التعامل مع ظاهرة ادمان المراهقين:

التعامل مع سلوك التدخين والادمان على المنشطات نوعان، نوع وقائي في طبيعته يهدف إلى منع انتقال الأفراد الطبيعيين إلى مدمنين، ونوع علاجي يهدف إلى تحرير المدمنين من تبعيتهم للمواد المخدرة أو التخفيف منها.

أ- الاستراتيجية الوقائية:

تهدف هذه الاستراتيجية لتعزيز وتفعيل عوامل حماية الأطفال والمراهقين من التدخين وتعاطي المنشطات، كما أنها ترمي إلى محاصرة عوامل خطر تحوّل هؤلاء إلى مدمنين على هذه المواد في حالة ما إذا أصبحت مصادر الخطر أكثر حضورا في حياتهم وأقوى تأثيرا من جهود الحماية. هذه الأخيرة ينبغي تكييف محتواها وحجمه ونوعه بما يتناسب مع التأثير المحتمل لعوامل الخطر المستهدفة، ذلك أن زيادة تأثير مصادر الخطر تتغير خلال المراحل العمرية وحسب البيئات الاجتماعية التي يتحرك فيها الأفراد، مما يستدعي مراعاة مثل هذه المتغيرات في توجيه جهود الحماية والوقاية، بحيث أن البيئة الأسرية قد تأخذ أولوية ضمن برامج الوقاية مع الأطفال الصغار نظرا لأن عوامل الخطر بها تستطيع أن تؤثر بشكل أكبر، في حين يُوجّهُ العمل الوقائي إلى بيئات خارج الأسرة (النادي، المدرسة، الأماكن الترفيهية، مكان العمل،الشارع) بالتركيز مثلا على أنشطة الأقران وتفاعلاتهم باعتبارها تشكل مصدرا أكثر تأثيرا على المراهقين(Kumpfer,K.L.,et al.,1998;Gerstein,D.R.,& Green,L.W.,1993) .
وبينما يُنتظر من البرامج الوقائية الأسرية تعزيز العلاقات وتقوية الروابط بين أفراد الأسرة خاصة بين الآباء والأمهات وأطفالهم باعتبار الترابط الأسري حجر الأساس في العلاقة بين الوالدين والأبناء، وفي تفعيل طرق التواصل بينهم ومساعدة الأولياء في تطوير المهارات التي تؤهلهم للإشراف بطريقة أفضل على شؤون أسرهم وتحسين مشاركتهم ورعاية ودعم أطفالهم (Kosterman,et al.,1997)، وتحسين كفاءتهم في إدارة الحوار الهادئ والمناقشة الصريحة مع صغارهم حول ما يشغل الأسرة من قضايا كالتدخين وتناول الكحول وتعاطي المنشطات، فإن البرامج الوقائية داخل المؤسسات التربوية تتجه عموما نحو تعزيز انخراط التلاميذ في متابعة دروسهم وتحسين تحصيلهم الأكاديمي ورفع رصيدهم من المهارات. وهذا الجهد فضلا عن آثاره المحفزة والمشجعة فإنه كفيل بأن يشحن جل أوقاتهم ولا يترك فراغا كبيرا في حياتهم المدرسية. لكن عندما نراعي سن المتمدرسين والمرحلة التعليمية فهناك تفاصيل أخرى مكملة عرضها الباحثون. ففيما يتعلق بتلاميذ المرحلة الابتدائية لا ينبغي أن يدفع الفشل الأكاديمي بعضهم إلى التسرب من المدرسة، فالمتسرب في هذه السن يخرج بدون زاد وبدون مؤهلات

كافية لمواجهة تحديات الحياة، ولذلك نصح بعضهم بضرورة تركيز التعليم في هذه المرحلة على: التحكم في الذات، الوعي العاطفي، التواصل، حل المشكلات الاجتماعية، الدعم الأكاديمي وخاصة إتقان القراءة(Ialongo,et al.,2001) . أما خلال مرحلتي التعليم الاعدادي والثانوي فينبغي التركيز على زيادة الكفاءة الأكاديمية والاجتماعية وذلك بإكساب الطلاب مهارات مثل عادات الدراسة والدعم الأكاديمي، التواصل، العلاقات مع الأقران، الكفاءة الذاتية والحزم، القدرة على مقاومة الأدوية، تعزيز المواقف المناهضة للمخدرات والالتزامات الشخصية ضد تعاطي المخدرات(Botvin, et al.,1995) . فيما يخص البرامج الوقائية التي يكون فيها الدور المتميز للأسرة يمكن ملاحظة التالي:

1- تشمل عوامل الحماية في الأسرة الانضباط المستمر والطارئ، التأكيد على الرابطة القوية بين الوالدين والطفل، المحافظة على مستويات عالية من الإشراف والمراقبة، والدفء الأبوي، المودة والدعم العاطفي (Ge et al,1996;Hawkins et al,1992).

2- أشارت نتائج الدراسات بوضوح إلى أن العوامل العائلية الوقائية يمكن أن تخفف من آثار عوامل الخطر التي قد تدفع المراهقين إلى تعاطي المخدرات (Brooks, et al,1990) .

وحول برامج الوقاية التي تتعلق بالمدرسة يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

1- تمثل المدرسة السياق الاجتماعي الرئيسي الذي يتعامل بكثافة أكبر مع برامج الوقاية من المخدرات(Gorman,1997)، ربما للتسهيلات التي تقدمها هذه المؤسسة مثل التواجد المنتظم للعنصر البشري بالعدد والفئات العمرية المختلفة والمستويات العلمية المساعدة.

2- إن التدخلات الوقائية التي تجمع بين برنامجين فعالين أو أكثر، مثل البرامج المرتكزة على الأسرة والبرامج المرتكزة على المدرسة، كانت أكثر فعالية من الاعتماد على برنامج واحد(Battistich et al.1997) ، على اعتبار أن كل البرامج المقترحة لها بعض النقائص، وعندما نستخدم أكثر من برنامج في توافق يحصل تكامل بينها في صالح الفرد المعالج.

3- إن برامج الوقاية الموجهة للأفراد والجماعات في البيئات المتعددة التي يلتحقون بها مثل المدارس والنوادي والمنظمات الاجتماعية والدينية، تكون أكثر فعالية عندما تقدم رسائل متسقة على مستوى المجتمع المحلي في كل بيئة ، بحيث تلاحق هذه المتابعة المُدمن خلال معظم الأوقات ولا تترك له مساحات يجد فيها ما يشجعه للعودة إلى المنشطات والمخدرات.

تعزيزا لما تحقق من أهداف الوقاية سابقا ينبغي أن تكون البرامج طويلة الأمد مع تدخلات متكررة. وعلى سبيل المثال أظهرت نتائج الدراسات أن فوائد برامج الوقاية في المدارس المتوسطة تتضاءل دون برامج المتابعة في المدرسة الثانوية، علما بأن عملية الانتقال خلال مراحل التعليم وحدها تعتبر من بين أكثر الأحداث إرهاقًا للشباب حيث تظهر خلالها مخاوف حول العلاقات مع الأقران والشعور بالضياع والقلق والتوتر بشأن التعامل مع الوضع الجديد

والزيادة في الأعباء (Zeedyk et al.,2003;Chung.,et al,1998;Coelho.,& Romao.,2016; Rice.,et al,2011) إضافة إلى تأثيرها السلبي على تحصيلهم الدراسي (Alspaugh.,& Harting, 1995; Alspaugh,J.W. 1998) . ويمكن أن تؤدي موجات القلق والمخاوف التي تلازمهم في بيئتهم المدرسية إلى اضطرابات نفسية أكبر مع إمكانية دخول بعضهم في حالة الاكتئاب التي قد تقوي الرغبة عندهم في الانتحار، حيث أفادت التقارير أن أكثر من نصف ضحايا الانتحار بين المراهقين يعانون من اضطراب الاكتئاب وقت الوفاة(Zhao,L.,et al,2024) مرورا بتعاطي السجارة المكثف لأن الذين يعانون من الاكتئاب هم أكثر عرضة للتدخين ويواجهون صعوبة أكبر في الإقلاع عنه(Weinbergeret al,2017) ، وهناك أدلة تشير إلى أن المدخنين المصابين بالاكتئاب لديهم دافع أكبر للتدخين من أجل تخفيف المشاعر السلبية مثل القلق والغضب والخوف والحزن والخجل(Covey.,et al,1998; Niaura.,et al,2001) . كل هذا يؤكد على الحاجة لتكثيف جهود المتابعة وتنظيم التدخلات الوقائية من الادمان وجعل الحصص المبرمجة متسلسلة ومتقاربة بما يسمح لها أن تُحدث التغيير المنشود بتدرج مناسب وفي مدة زمنية يمكن تحملها.

4- حتى تكون المؤسسة التربوية بيئة مناسبة تعزز سلوك الطلاب الايجابي، وتبعدهم عن السلوك غير الاجتماعي، لا بد من تفعيل دور المعلمين خاصة بتدريبهم على الإدارة الجيدة للفصل الدراسي لتحسين الدافع الأكاديمي وتشجيع الطلاب على الإقبال الكبير على العملية التربوية وتحقيق الانجاز المشجع (Ialongo, et al.2001) .

5- إن فعالية برامج الوقاية اقترنت كذلك باستخدام التقنيات التفاعلية (مثل: مجموعات المناقشة، ولعب الأدوار،...) والتي تُكسب الطلاب مهارات كما تسمح لهم بالمشاركة النشطة في عملية التعلم فتشحن أوقات وجودهم بالمدرسة و لا تُبقي لهم مجالا للتفكير في تناول المخدرات(Botvin et al. 1995) .

وينبغي الاشارة هنا إلى ضرورة أخذ بعين الاعتبار عوامل الجنس و البعد الثقافي والخصائص المميزة للمجتمع تحسينا لفعالية تلك البرنامج الوقائية(Oetting.,et al.1997) ، مع ملاحظة أن التدخلات المبكرة قبل استحكام العادات السيئة على الأفراد تساعد في محاصرة الخطر وإبعاده بسهولة أكبر. كذلك الحاجة ماسة إلى تكييف هذه البرامج على حقائق فردية واعتبار كل عنصر يشكل حالة قائمة بذاتها.

ب-الاستراتيجية العلاجية

أشارت الأبحاث بشكل عام إلى أن برامج علاج تعاطي المخدرات لدى المراهقين يمكن أن تكون فعالة في الحد من تعاطي هذه المواد (Bettmann & Jasperson,2009;Deas,2008) ، كما أن التدخلات النفسية والاجتماعية مع المدمنين ساهمت في تغيير سلوكهم نحو الأفضل

(Hubbard.,et al,1997;Hubbard, Craddock, & Anderson,2003) والتغيير المستهدف غالبا ما يأتي متدرجا، والانتقال من التبعية والادمان إلى التحرر النسبي أو الكامل يمكن أن توضحه مراحل التغيير الستة المقترحة من *بروشاسكا* و*ديكليمينتي* على ضوء فحص ثمانية عشر نظرية نفسية وسلوكية، والتي ينتظمها تسلسل متدرج (Prochaska.,& DiClemente,1984) حيث أن العميل في بداية العلاج وبصورة تلقائية لا يفكر في تغيير سلوكه و أن محاولة توعيته لا تستلفت اهتمامه نظرا لأن أفكاره المسبقة صاغت تصوره و قناعته و لا زالت توجه سلوكه. لكن تكرار المحاولات مع تنويع الأساليب والطرق والاستراتيجيات يدفع العميل إلى بداية التفكير في التقليل من تعاطي المخدرات أو التوقف عنها، وبعد أن يدرك في وقت من الأوقات مزايا الاقلاع عن التدخين واستهلاك المخدرات وعواقب الاستمرار في تعاطيها، يعتزم في قرارة نفسه التوقف عنه، وبالمساعدة و المرافقة يشرع في التخطيط للتغيير، و بدعم وتوجيه من الأخصائي أو المرشد، يحدد استراتيجية التوقف عن تعاطي المخدرات والبدء في إجراء التغيرات اللازمة لتنفيذ الخطة المتوافق عليها. ومن الاثار الايجابية للتغيرات التي عرفتها حياة المدمنين المتابعين فإن بعضهم قد يختار أن يتوقف عن تناول المخدرات بشكل دائم، علما بأن الاستمرار في الامتناع ليس بديهيا و أن الانتكاس المتكرر وارد، لذلك لا بد من مواصلة مرافقتهم وتشجيعهم على المضي في هذا المسار الجديد و إطالة عمر" الحياة الخالية من المخدرات" إلى غاية أن تنشأ عادات صحية تؤطر نمط عيشهم الجديد، علما بأن الاستفادة من تجارب الاخفاق السابقة التي تراكمت خلالها أخطاء و حالات سوء تقدير واعتماد أهداف غير واقعية إلى غير ذلك من أسباب الفشل، قد تمكّنهم من بناء تصورات ورؤى أكثر نضجا وأكثر واقعية تساعدهم في حل المشاكل التي فشلوا في تستيعابها وتحييد آثارها خلال المحاولات السابقة، وبالتالي سوف يمرون بسرعة أكبر عبر مراحل التغيير.

بعض طرق التعامل مع التدخين وتعاطي المخدرات

لمواجهة ظاهرة الادمان على المخدرات في أوساط المراهقين تم استخدام كثير من الطرق واعتماد العديد من البرامج بهدف التقليل من حدة الادمان على المخدرات أو علاجه، وتُدرج التدخلات العلاجية من حيث الشكل ضمن نوعين رئيسيين: علاج فردي وعلاج جماعي.

1- *العلاج الفردي*: والذي لا يزال لعدة اعتبارات(كسهولة التطبيق) هو الشكل الأكثر استخدامًا لعلاج اضطرابات تعاطي المخدرات.

2- *العلاج ضمن جماعة*: وهو علاج يستغرق عادة وقتا أطول، يوفر بيئات اجتماعية يلتحق بها عدد من لأفراد المدمنين على المنشطات أو المخدرات بهدف تلقي علاج جماعي يحررهم من التبعية لهذه المواد ويسّهل إعادة اندماجهم الطبيعي في الحياة الاجتماعية.

وبما أن نتائج الدراسات التي قارنت بين تأثير كل من العلاجين الجماعي والفردي لم تؤكد افضلية أي منهما على الآخر (Weiss,R.D.,et al,2004) ، وأظهرت أن معظم الأساليب الشائعة للعلاج ناجحة بنفس القدر وأن الذين خضعوا لأي نوع من أنواع العلاج النفسي كانوا أفضل حالا من الذين لم يستفيدوا من أي علاج نفسي، وأن الأمر يُترك للمرشدين والأخصائيين المشرفين على العلاج لتقدير حسب حالات الأفراد و ظروفهم أي العلاجين يكون مساعدا أكثر، مع إمكانية الاستعانة بهما معا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وأن المعيار الرئيسي المباشر لتقدير فعالية الأسلوب العلاجي هو أن يؤدي إلى تقليل في تعاطي المراهق للمخدرات أو إلى الامتناع الكامل عن استهلاكها، و الذي سينجم عنه تحسن في صحته البدنية و النفسية مما سينعكس إيجابا خاصة على أداءه المدرسي و الاجتماعي.

وفيما يلي عرض مقتضب لعدد من الطرق التي استُخدمت فرديا أو جماعيا وبنجاح نسبي على الأقل للتعامل مع الادمان على المخدرات خاصة في أوساط الشباب والمراهقين:

1- العلاج السلوكي المعرفي: يتم التركيز فيه على تعليم المراهقين مهارات التأقلم والتكيف ومهارات حل المشكلات وإعادة الهيكلة المعرفية لديهم بما يسمح لهم بالتعامل الناضج والواعي مع المحفزات التي تثير الرغبة الشديدة في تعاطي المخدرات أو تؤدي إلى تعاطي المخدرات.

2- العلاج النفسي التربوي، علاج يعتمد على أساليب تعليمية ينقل بواسطتها المعلومات والتعليم حول أضرار و عواقب التدخين و تعاطي المخدرات.

3- العلاج على أساس مبادئ تعديل السلوك، الذي يقوم بتعزيز إيجابي لكل تقدم للمدمن نحو هدف العلاج مهما كان بسيطا. فالابتعاد عن مكان المخدرات أو اعتزال الأفراد الذين يتعاطونها أو الامتناع عن تعاطيها، كلها تسير في اتجاه هدف العلاج و لذلك يتم تعزيزها بطريقة إيجابية(كالحصول على امتيازات أو جوائز أو حوافز أخرى مادية أو معنوية)، وعلى العكس من ذلك تقديم تعزيزات سلبية لكل سلوك أو موقف يساهم في تثبيت حالة الادمان على المخدرات (كحضور مجالس المدمنين أو كالإسراف في التدخين).

4- العلاج الأسري: علاج يرتكز على المشاركة القوية و الفعالة للأسرة ويشمل العمل على تحسين أداء هذه الخلية خاصة فيما يتعلق بمهارات الأبوة و التواصل العائلي. فمثلما يمكن للمشاكل داخل الأسرة أن تدفع بعض أفرادها و خاصة المراهقين إلى اختيار طريق المخدرات و الادمان عليها، يمكن للبيئة الأسرية الداعمة إذا تهيئت لها الظروف المواتية أن تلعب دوراً مهماً في عملية التعافي من تعاطي هذه المواد المضرة.

5- العلاج الدوائي: تُستخدم فيه أدوية صيدلانية مصممة بهدف إضعاف رغبة تعاطي المخدرات. وحتى لا يُستبدل الادمان على المخدرات بالتبعية القوية لاستهلاك الأدوية ينبغي

عدم الاسراف في تناولها وتقليص مدة استخدماها قدر الامكان من ناحية، ومن ناحية أخرى الاستعانة بتقنيات علاجية أخرى بالموازاة مع تناول الأدوية.

6- *العلاج ضمن المجتمعات العلاجية*: يهدف إلى إعادة تأهيل أعضاء مجموعة يشتركون في مشكلة الادمان و ذلك بمساعدتهم على تطوير المهارات والمواقف اللازمة لإجراء تغييرات مطلوبة تهيئهم للدخول في حياة خالية من المنشطات والمخدرات.

7- *العلاج ببدائل النيكوتين* Nicotine replacement : هو أحد الأساليب التي جُربت للتخفيف من تعاطي مادة النيكوتين لدى الشباب. هذا العلاج يستخدم للمساعدة في الاقلاع عن التدخين عن طريق أخذ كمية صغيرة من النيكوتين يمكن التحكم فيها، ويبدو أن بعض الفعالية لهذه التقنية ظهرت في تحقيق الامتناع المستمر عن التدخين بالنسبة للمدخنين الذين ليس لديهم أي نية أو غير قادرين على محاولة الإقلاع المفاجئ. كذلك أشارت بعض النتائج إلى أن نصف أفراد عينات الدراسة الذين استمروا في الامتناع عن التدخين لمدة ستة أشهر نتيجة العلاج ببدائل النيكوتين سيحافظون عليه لبقية حياتهم (Stapleton J.,1998; Etter,J.F., & Stapleton, J.A.,2006) . ولأن نتائج هذا الاستخدام كانت في العموم نسبية وأكثر تواضعا، فعادة ما يتم تدعيمها بتقنيات سلوكية أخرى، مع الاشارة إلى عدم وجود دليل على ضرر جسيم ترتب عن استخدام العلاج ببدائل النيكوتين لدى المراهقين الذين تقل أعمارهم عن18 عامًا (US Preventive Services Task Force,.2018,2019) .

كما سبقت الاشارة فإن مختلف الطرق التي استخدمت في التعامل مع ادمان المراهقين كانت لها بعض الاثار الايجابية و لو أن هذه الأخيرة تفاوتت على أرض الواقع حسب العينات البشرية وظروف التعامل معها المكانية والزمانية وحسب نوع التقييم ومعايير المقارنة بحيث أظهرت خلالها بعض الطرق والأساليب نوعا من التقدم في النجاعة والفعالية مثل برامج العلاج الأسري والعلاج السلوكي والسلوكي المعرفي (Deas, & Thomas,2001; Hogue & Liddle,2009; Tanner-Smith,Wilson,& Lipsey.,2013;Waldron & Turner,2008) .

نماذج من المجموعات العلاجية وتعاطي المخدرات.

لا بأس قبل أن نختم هذا الفصل أن نعود مرة أخرى إلى العلاج الجماعي على اعتبار أنه إذا كانت نتائجه في التعامل مع الادمان لا تختلف كثيرا عن تلك التي حققها العلاج الفردي، فإن هناك بعض الآثار الإيجابية ربما غير مقصودة اقترنت بهذا النوع من العلاج مثل:

1- تعزيز انخراط المدمن في الجماعة وعدم تركه ينسحب أو ينطوي على ذاته ويعتزل الناس، وبقاؤه مشدود إلى جماعته يساعد على التعافي السريع والمحافظة عليه.

2-تحولّ الاطار الجماعي الجديد تدريجيا إلى البديل الصحي للبيئة التي كانت حاضنة للإدمان والتي طالما ظلت تسهّل التفاعل مع الأقران المدمنين وتشجع على الاستمرار في التدخين وتعاطي المخدرات(Mennis & Mason.,2012;Galea.,Rudenstine & Vlahov.,2005) .

3-الشروع في ترقية الأداء الاجتماعي وتهذيب الاستجابات والمواقف بما يتطابق مع التقاليد والأعراف كحتمية يفرضها التعامل مع الناس.

4-انخراط المراهقين في البيئة الجديدة سيخرجهم من ضيق الأفق الذي فرضوه على أنفسهم حين كانوا سجناء الإدمان، وينقلهم إلى عوالم أخرى من الحياة الاجتماعية بكل فرصها المتاحة فيكون بمقدورهم اختبار إمكاناتهم بواقعية وموضوعية ومراجعة تصوراتهم وقناعاتهم وانطلاقا من الحقيقة المجسدة أمامهم أن مصيرهم يظل بأيديهم يقررون ماذا يفعلون بمستقبلهم.

بما أن العلاج الجماعي يفرز مثل هذه الانعكاسات الايجابية فلا بأس أن نعرض صورا منه قد تفتح المجال أوسع لمزيد من الفوائد الأخرى التي تساعد المراهق في الخروج من تبعيته للمخدرات وتمنحه فرص تطوير قدراته واستغلالها في تحقيق ذاته وتحسين حياته:

1-*المجموعات التثقيفية النفسية*: تهدف المجموعات التثقيفية النفسية إلى توسيع وعي المراهقين بالعواقب السلوكية والطبية والنفسية لتعاطي المخدرات، فضلا عن تحفيزهم للدخول في مرحلة الاستعداد للتعافي. من ناحية أخرى تشمل العملية العائلات خاصة في مساعدتهم على فهم حالة الادمان بما يمكّنهم من تقديم ما يدعم مراهقيهم في الخروج من التبعية للمخدرات و في مرافقتهم نحو التعافي.

2-*مجموعات تنمية المهارات*: تنمية المهارات التي يحتاجها الأشخاص لتحقيق الامتناع عن استهلاك المخدرات والاستمرار فيه. فهي الوسيلة التي يمكن الاستعانة بها للولوج إلى عالم آخر بتأهيل واستعداد وتحقيق اختراق ما يغير مسار حياتهم.

3- *المجموعات المعرفية السلوكية*: الادمان بالنسبة لهذا التوجّه هو مجرد سلوك مُتعلّم وجد في بيئة الشخص المدمن ما يعززه (حصول على نشوة أو تخفيف ظاهري لألم أو حدّ من القلق والتوتر). فمثل هذه التأثيرات المعززة يمكن أن تسبب الإدمان وتؤدي إلى استمرار التعاطي للمادة المؤثرة(McAuliffe & Gordon,1980). وأن التعافي من الإدمان ومنع الانتكاس يتطلب إزالة تلك المحفزات وتلاشي الاستجابات المشروطة بها. وتعمل مجموعات العلاج السلوكي المعرفي على تغيير هذا السلوك المكتسب عن طريق تغيير أنماط التفكير والمعتقدات والتصورات التي تقف خلفه (McAuliffe & Ch'ien, 1986).

4- *مجموعات الدعم:* أثناء تعافيهم من تعاطي المخدرات، يحتاج المراهقون إلى مساندة ودعم خاصة في تحسين احترام الذات وتعزيز ثقتهم بأنفسهم ومساعدتهم على تجنب العزلة،

وتطوير قدرتهم على إدارة تفكيرهم وعواطفهم واكتساب مهارات في التعامل مع الآخرين، تجنبا لحدوث الانتكاس وعودتهم إلى الادمان.

5- *المجموعة الثقافية:* إن الشعور بالاغتراب كثيرا ما دفع الشباب إلى المخدرات كأقرب وسيلة لإبعاد آثاره المباشرة عنهم. ولذلك فإن تفعيل الروابط الثقافية وإعادة بعث الشعور بالانتماء الثقافي تتحوّل إلى وسيلة فعالة في علاج تعاطي المخدرات، خاصة إذا انطلقنا من تراكم نتائج الدراسات التي نظهر أن المخدرات والكحول توفر للشباب المهمشين هواية غير مكلفة نسبيًا لمشاركتها مع الأصدقاء، وتقدم فرصًا للحميمية يصعب تحقيقها في ظروفهم الاجتماعية المألوفة(Foster & Spencer.,2013) ، كما يعززون خلال علاقات مبنية على تعاطي الكحول والمخدرات شعورا بالانتماء طالما فقدوه داخل أسرهم وفي مدارسهم.

مشكلات المراهقين الجنسية

إن التغيرات الهرمونية لدى المراهقين قد تجعلهم أكثر اندفاعا في سلوكهم يصعب ضبطه. وأشارت بعض الاحصائيات إلى أن20٪ من حالات الاغتصاب وأن بين 30 إلى50٪ من الاعتداءات الجنسية على الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية يرتكبها المراهقون، وأن 17٪ من المتهمين بالاعتداء الجنسي في *كيبيك* عمرهم دون18سنة. ومن الصفات التي عُرف بها العديد من المعتدين جنسيا قصورهم في المهارات الاجتماعية، وتعود جذور هذا العجز إلى العلاقات غير الملائمة التي نشأت مع الوالدين حيث أن75٪ منهم نشأوا في أسر تتميز بالصراعات الكبيرة وصعوبة التواصل بين أفرادها(Jacob,M.,2000) . ولوحظ خاصة في المجتمعات الغربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه أخص ارتفاع عدد مرتكبي الجرائم الجنسية. ففي تسعينيات القرن الماضي زادت عدد الجرائم الجنسية التي مثُل أصحابها أمام المحاكم بنسبة 50٪ (Snyder & Sickmund,1995) . وأشارت نتائج الدراسات أن ما بين 40 إلى 80٪ من مرتكبي الجرائم الجنسية تعرضوا أنفسهم للإيذاء الجنسي (Hunter Jr,J.A.et al.,1994;Ryan,G.et al.,2010) ، كما تدعم نتائج البحث فكرة أن الشباب الذين يقعون ضحية أو يرون الآخرين ضحايا قد يستمرون في تكرار هذا السلوك (Burton, 1999,2008;Burton & Meezan,2004) .

من العلامات التي يمكن أن تثير شكوك الأولياء أو المربين بأن المراهق يشتبه فيه بأن يمارس الجنس:أنه دائم المراقبة لمن حوله من أفراد عائلته، ملازم للانسحاب مع انفتاح محدود على الآخرين، اهتمام زائد بالمظهر(تنويع في اللباس المثير)، تقلب مزاجي سريع يصاحبه الابتهاج والتهيج، تهميش معظم الاهتمامات وإهمال كثير من الواجبات والمسؤوليات وقد يظهر ذلك في نتائجه الدراسية الضعيفة أو ضعف شهيته في تناول الطعام، واضطراب في النوم، وفي تقليص من لقاء الأصدقاء الاعتياديين. وقد تنعكس آثار هكذا تصرفات سلبا على حياتهم. وغالبا ما تستثير أفكار وأحاسيس المراهقين الجنسية غير الصحية الشعور بالذنب خاصة في أوساط العائلات المحافظة. ويخلف هذا الاندفاع أحيانا آثارا تفتح عليهم باب تلاحُق المشاكل مثل الانخراط المدمن في الشذوذ الجنسي أو الاصابة بأمراض تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، أو حصول الحمل غير المرغوب فيه مع الفتيات المراهقات. وفيما يلي عرض مقتضب لبعض ما ينجم عن اندفاع المراهق الجنسي من مخلفات وآثار تفرض حالة من عدم الاستقرار في حياته تتعطّل في ظلّها كثير من مشاريعه المستقبلية.

السلوك الجنسي المنحرف:

في سن المراهقة، يزداد اهتمام الأفراد بالجنس، وهو أمر طبيعي وصحي يؤشر على النضج والبلوغ كما يعبر وبصورة إيجابية على عملية النمو. ونضيف في نفس هذا السياق

أن بعض الفضولية والاهتمام بالجنس من قبل هذه الفئة العمرية متوقعة. ويشير مصطلح "الانحراف الجنسي" إلى الممارسات الجنسية أو التصورات المرتبطة بالجنس والتي تعتبر غير صحية أو غير طبيعية أو معارضة لثقافة وأعراف ومعتقدات المجتمع. ومن سلوكيات المراهقين المنحرفة جنسيًا: ممارسة الشذوذ الجنسي، التحرش الجنسي، استخدام المواد الإباحية، عرض وإرسال محتويات جنسية، طلب ممارسة الجنس أو عرض ممارسة الجنس. وفي كثير من الأحيان يحصل مع المراهقين الأقل استعدادا وتحصينا عجز في إدارة رغباتهم الجنسية (Glowacz.,2009)، ينشأ عنه تخبط ومزيد من التورط. وبما أن السلوك يوصف بالمنحرف فإن رد فعل عامة أفراد المجتمع يكون بطبيعة الحال الرفض والاستنكار، مما يجعل المراهق بعد ذلك يعيش في حذر شديد و ترقب ويعمل على إخفاء أفعاله غير المرحب بها في محيطه الاجتماعي مع تحاشي الاختلاط بالأفراد وتفضيله البقاء بعيدا عنهم، يحرّكه في ذلك شعوره بالذنب الذي تستثيره وتغذيه موجات اللوم والعتاب والمعاملة السيئة التي يتلقاها. وقد توصلت دراسات سابقة إلى أن ممارسة الجنس قبل سن السادسة عشرة غالباً ما يكون أمراً يثير الندم.(Dickson,N.,et al.,1998;Ashton,J.,1994) والملاحظ أن غالبية الذين مارسوا الجنس قبل الزواج من الشباب شعروا بالندم مرة واحدة على الأقل. وشملت الأسباب الأكثر ذكرًا للندم (من قبل عية تتكون من270 طلابا نشطين جنسيا) أن ذلك الفعل في رأي37٪ منهم يتعارض مع أخلاقهم، وأن الكحول، حسب اعتراف31.7٪ منهم، أثر على قرارهم، وأنهم كانوا بنسبة 15.4٪ يرغبون في الانتظار حتى الزواج لممارسة الجنس (Oswalt,S.B.,et al,2005).

وضمن محور الانحراف الجنسي عند الشباب اهتم كثير من الباحثين بسلوك المراهقين المسيء أو الضار جنسيًا كالاعتداء الجنسي أو التحرش بالأطفال أو الاغتصاب. و رغم تحفظ بعضهم في وصف المراهقين الذين مارسوا الاعتداء الجنسي بالمجرمين لما لهذا الوصف من انعكاسات نفسية قد تعيق العملية الارشادية وتنسف الجهود المبذولة لإعادة تأهيل الشباب، لكن حقائق الواقع وما ينجر عنها من تفاعلات تفرض تحميل هؤلاء الشباب مسؤولية أفعالهم التي تسببت في أذى الآخرين. وحين نواجه الحقيقة نجد أن الآلاف من المراهقين يستوفون معايير مرتكبي الجرائم الجنسية، وبعدها لا تفاجئنا التقديرات التي تشير إلى أن الأحداث في الولايات المتحدة مثلا يشكلون ما يصل إلى خُمس حالات الاغتصاب (Karkošková,S.,2013)، وأن ما يقرب من20٪ من الجرائم الجنسية يرتكبها أفراد تقل أعمارهم عن18عاماً، وما يقرب من60٪ من الجرائم الجنسية ضد الأطفال الذين تقل أعمارهم عن12عاماً يرتكبها قاصرون(Bourke & Donohue.,1996). ومن بين الحالات المعروفة لدى الشرطة، ارتكاب الأحداث35.6٪ من الجرائم الجنسية ضد القُصَّر(Finkelhor, et al,2009) .

ومما يؤكد توسُّع انتشار هذه الممارسات انشغال الباحثين الخاص بها واهتمامهم الكبير بتسليط الضوء عليها وإظهار الحاجة إلى الجهود الوقائية لمنع حدوثها أو لامتصاص آثارها (Barth.,et al,1991;Camp & Thyer.,1993;Lakey.,1994).

ويستطيع الآباء حماية أبنائهم من المخاطر الجنسية التي يتعرضون لها أثناء فترة المراهقة ولا شك أن عرض النموذج المناسب يمكن أن يساعد في توجيه سلوك المراهقين إيجابيا. من ناحية أخرى يلعب المعتقد الديني دورا وقائيا في حياة المراهقين ومن آثاره المباشرة التقليل من احتمال انخراطهم في السلوكيات السلبية والعالية الخطورة (Benson,2004). هذه المشاركة المرتكزة على قناعة المراهقين الدينية بات يُنظر إليها كمصدر قوي يجلب الرضا النفسي ويساعد على ضبط النفس من المخاطرة وعلى التعامل الايجابي وتعاطي السلوك الاجتماعي (Chamberlain.,1992;Pargament.,&Park.,1995;Wagener,et al., 2003) ، وإن دخول المراهق مرحلة البلوغ الجنسي تصاحبه تحديات أقواها الرغبة الملحة في إشباع حاجته الجنسية. ولأن طريقة الاشباع المقبولة لدى تقريبا كل شعوب المعمورة تتم في إطار الزواج، يجد المراهق نفسه لأسباب موضوعية مضطرا إلى تأجيل هذا الاشباع الأمر الذي يتسبب له في حالة من التوتر خاصة إذا تأخر موعد الزواج كثيرا. كيف يكون موقف المراهقين إزاء هذا التحدي يتوقف على الخصائص التي تميز شخصية كل واحد منهم وعلى رصيدهم الثقافي ونوع التربية التي تلقّوها. فمنهم من سيحاول تأجيل الاشباع الجنسي إلى فترة الزواج توافقا مع قناعتهم الأخلاقية والدينية فيتحملون الضغط المترتب عن ذلك، ومنهم من تضعُف نفوسهم أمام شدة الرغبة وقوة الاغراء فسيتعجلون الإشباع قبل الزواج، الذي من المتوقّع أن يُعرّضهم لتأنيب ضمائرهم بما يثير شعورهم بالندم خاصة إذا كانوا متديّنين. و لا بد أن نشير إلى أن موضوع الاشباع الجنسي في واقع الشعوب تُوجّهه أبعاد ثقافية مختلفة والمعيار الذي تبنّته المجتمعات المهيمنة اليوم في تحديد الفعل الجنسي غير المناسب وتحاول أن تعمم اعتماده من منطلق قانون دولي أن يتم ارتكاب الفعل ضد إرادة الشخص ودون موافقته، سواء بطريقة عدوانية أو استغلالية أو تهديدية. في الوقت الذي يعتبر المسلمون ممارسة الجنس خارج الزواج من الكبائر المحرمة. وبحسب هذه الاعتبارات وقوة تأثيرها على المراهقين يتحدد سلوكهم و كيفية انعكاسه عليهم.

وفيما يتعلق بالاطار المساعد على الانحراف الجنسي، فإن كثيرا من الباحثين لفتوا الانتباه إلى عوامل الخطر الأسرية التي تهيئ الظروف المشجعة وتقدم، منذ الصغر، بقصد أو بدونه الخبرات والنماذج الأبوية التي يمكن أن تساهم في تنمية الحياة الجنسية المنحرفة (Monastersky & Smith,1985; Ryan,G.,1991). لكن مع ذلك يوجد توافق عام على أن الآباء بسبب حضورهم الدائم ومرافقتهم المستمرة لأبنائهم يمثلون مصدرا فعالا في الإشراف والمراقبة

عن كثب للحيلولة دون تورط أبنائهم في السلوك المنحرف (Zankman & Bonomo, 2004; Lord & Barnes, 1996) .

ويلجأ الآباء والمربون لوقاية الأبناء من الانحرافات والاضطرابات والأمراض الجنسية إلى التربية الجنسية وفقًا للخصائص الاجتماعية والثقافية. وهو استثمار على مدى متوسط ولكن بنتائج غير مخيبة.

الحمل غير الشرعي و ما ينجم عنه:

من الوضعيات الحرجة والضاغطة بقوة على المراهقين والتي تزلزل حياة غالبيتهم بل وتقلبها رأسا على عقب حصول الحمل عقب ممارسة جنسية غير شرعية. وهي مشكلة تعاني منها بلدان العالم المعاصر. و يترتب عن هذه الوضعية ترك الفتاة الحامل المدرسة اختيارا أو قسرا و ربما بصورة نهائية بسب تعاقب الأحداث التي لا تترك لها مجالا للاهتمام من جديد بالدراسة، وبدون مؤهلات مع ضياع كثير من الفرص لتحسين مستويات حياتهن. ولأن خبر الحمل غالبا ما يفاجئ المراهقات وهن على غير استعداد جسدي ونفسي مسبق للتعامل معه، فإن ما يتبع خاصة "الولادة" يعرّضهن لمضاعفات تنجم عنها أحيانا كثيرة عواقب صحية مدمرة. وما يبعث على القلق أن11%من جميع الولادات العالمية تحدث خلال سن المراهقة. ويشمل ذلك ما يقرب من16مليون فتاة تتراوح أعمارهن بين15و19عامًا ومليوني فتاة تحت سن15عامًا. و95%من ولادات المراهقات(الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين 15و19عامًا) تحصل في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل (Ghose,S.,& John, L.B.2017). ومن الآثار الخطيرة الناجمة عن الحمل حصول حالات الإجهاض غير الآمنة بالملايين، كما يموت عشرات الآلاف من المراهقات سنوياً لأسباب تتعلق بالحمل والولادة. حتى أنها صُنفت عالميا ضمن الأسباب الرئيسية الثانية للوفاة بين المراهقات اللاتي تتراوح أعمارهن بين15و19عامًا. (WHO,2012) تُضاف إليها معدلات الاكتئاب العالية قبل الولادة وبعدها بين الأمهات المراهقات والتي كانت أعلى بكثير مما هو الحال مع الأمهات البالغات وأقرانهن غير الحوامل. (Hodgkinson,et al, 2010)، وتتعرض هذه الأمهات أيضًا لخطر الإصابة بأعراض اضطراب ما بعد الصدمة، ويرجع ذلك أساسًا إلى ارتفاع خطر تعرضهن للعنف المجتمعي والعنف بين الأشخاص بما في ذلك الاعتداءات الجسدية من قبل الشريك، والإهمال وسوء المعاملة من قبل أحد الوالدين (Kennedy.,& Bennett.,2006) . كما تتعرض لمشاكل نفسية متعددة تتراوح بين تدني احترام الذات والاكتئاب الشديد. وتساعد في تفاقمها عوامل كالفقر والعنف المنزلي والعلاقات الأسرية المختلة والاضطرابات النفسية الأساسية (Dahmen,B., et al,2013). وكما أشرنا سابقا تضطر الأمهات الصغيرات إلى ترك المدرسة مبكرا بدون مؤهلات مع ضياع عليهن كثير من الفرص لتحسين مستويات حياتهن (Ghose

(John.,2017,p.4199 & . نضيف في الأخير وجود توافق في نتائج الأبحاث على أن التقارب أو الترابط بين الوالدين والطفل، والإشراف الأبوي أو تنظيم أنشطة الأطفال، يقلل من خطر حمل المراهقات (Miller,B.C.et al.,2001)

حول التعامل مع انحراف المراهقين الجنسي:

إن تردد الآباء في إجراء حوار صريح مع أطفالهم عن الجنس وتجنبهم الخوض في هذا الموضوع لما يثيره من شعور بالحرج للطرفين هو موقف لا يساعد في استيعاب المشكلة. ورغم أن المناقشة الصريحة إلى جانب عملية التثقيف والتوعية حول هذه المسألة الحساسة تهيئ الأرضية الصالحة المساعدة على اكتساب العادات الصحية وإنتاج المواقف الناضجة، خاصة إذا رافقت هؤلاء المراهقين تربية جنسية وأخلاقية مناسبة. هذه الأخيرة هي وسيلة فعالة تساعد المراهق على مقاومة كل الضغوط التي تدفعه إلى ممارسة الجنس خارج إطاره الانساني والاجتماعي كما تحول بينه وبين الاستجابة السريعة لنزواته. وبالتدخل والتوجيه المبكرين يمكن تصحيح سلوك المراهق ومواقفه تجاه الجنس قبل أن يخرج الأمر عن السيطرة ومنع بذلك حدوث ضرر جسيم يمس جانبا حساسا في حياة المراهق والمجتمع.

في المقابل لا بد من التذكير بأن حرص الآباء على إبقاء الأبناء المراهقين جاهلين لشأن الجنس لا يمكن أن يمتص فضولهم الجنسي الذي سيجدون له طريقة للإشباع بعيدا عن مراقبة الأسرة. من ناحية أخرى قد يساعد تدخل الأخصائي النفسي الماهر في تعليم المراهق السيطرة على نفسه ونزواتها وتغيير اتجاهه نحو أي سلوك جنسي منحرف، والعمل على تعديل هذا الأخير إذا ظهر بسلوك بديل بواسطة تفعيل تقنيات التعلم وتعديل السلوك.

ومما يساعد المراهقين المنحرفين جنسيا على تغيير سلوكهم غير الصحي:

1- إعادة تقييم المراهق لذاته على أسس واقعية تسهل عليه امتصاص مشاعر عدم القيمة تجاهها، والعودة إلى احترام نفسه بباعث ذاتي دون الحاجة إلى عوامل خارجية يعزز بها ثقته بذاته. والجنس هي مساحة يعتقد بعض المراهقين خطأ أن "الاختراقات" فيها و"الانجازات" المرتبطة بإشباع النزوات مؤشر قوة تُحسب لهم.

2- بما أن الانجذاب إلى الجنس الآخر فطري، و حتى لا يطغى عامل الجنس على اهتمام المراهق فتضطرب حياته و تختل موازينها يحتاج إلى التآلف مع طرق للتعامل مع المشاعر التي تدفع إلى الانشغال الزائد بالجنس فيتحرر من قيده لتستعيد باقي اهتماماته حضورها و ربما توسيع دائرتها من حيث العمق و كذلك النوع. و من أبرز مؤشرات هذا التحوّل الايجابي الانخراط الجاد في الدراسة الذي يمكن أن يشحن الجزء الأكبر من الفراغ في حياة المراهق الذي كان سابقا يخصّصه للانشغال بالجنس وحسب.

3- لا ينبغي الاقتصار على تقييم سطحي لحقيقة معاناة هؤلاء المراهقين، بل الحاجة تدعو إلى البحث في عمق ما يجري للوصول إلى جذور المشكلات التي يعانون منها ومساعدتهم على إحداث التغيير المحفز، مع أخذ بالاعتبار أن بعضهم لا يستغني عن مساعدة الأخصائي النفسي أو المرشد الذي يمكن أن يختصر لهم الطريق و يرافقهم في التعامل مع التحديات الكثيرة التي سوف تقف في وجوههم.

4- نظرا لحساسية قضايا الجنس فإن المراهق لا يشعر بالراحة في الحديث عنها خاصة مع والديه، وحتى لا يصبح التعامل مع هذا الأمر أكثر صعوبة فمن الحكمة عدم إدخال في المشهد عوامل أخرى تزيد الوضع تعقيدا كالتشكيك في أقوال المراهق و اتهامه أو التضييق عليه و محاصرة نشاطه و تحركاته أو ممارسة رقابة شديدة عليه أو تسليط ضغط متزايد عليه...، ويفضل أن يكون التركيز في هذه الظروف على وعي المراهقين بدلا من اعتماد الموقف المثير و المستفز الذي يجعل كسب ثقتهم بعيد المنال ويدفع بالتالي نحو الاصطدام بهم. و لا بأس من إشراك أشخاص آخرين حتى من خارج العائلة بحد أدنى يكون المراهق في حضورهم مرتاحا وأكثر انفتاحا بغرض إثراء الحوار مع المراهق قصد مساعدته للخروج من الظروف التي سجن فيها نفسه.

مشكلات المراهقين النفسية

الأمراض العقلية والنفسية:

تعتبر المراهقة مرحلة نمو تتميز بتغيرات عديدة وسريعة، كما تشكل منعرجا في حياة الفرد يحمل كثيرا من التحديات. ومن أبرز أحداثه، رغبته الشديدة في التحرر من ضيق آفاق البيئة الأسرية والتوجه نحو المجتمع الأوسع بفرصه الأكثر. كذلك ونتيجة الاحتكاك بالآخرين داخل المؤسسات التربوية والتكوينية وفي مختلف البيئات الاجتماعية وما يتعرف عليه من خلال وسائل الاعلام المتنوعة. كل ذلك يجعله باستمرار يراجع نظرته إلى العالم، إضافة إلى الطبيعة الانتقالية التي تجليها خصائص مرحلة المراهقة، والتي تترافق فيها الخطوات التنموية الحاسمة جنبًا إلى جنب مع عملية إعادة تنظيم أساسية للدماغ (Giedd,J.N.et al.,1999; Konrad,K.et al.,2013) . ويبدو أن عملية إعادة التنظيم الأساسية هذه في مجالات مختلفة، في تقدير بعضهم، تمهد الطريق لزيادة التعرض للإصابة بالأمراض العقلية (Costello,E.J.et al.,2003). وكما توثق الاحصائيات لمعظم دول العالم، فإن الاضطرابات العقلية والنفسية هي شائعة بشكل متزايد بين المراهقين. والتجارب اليومية التي تعاينها الأسر والمؤسسات التربوية تؤكد أن المراهقين في هذه المرحلة هم أكثر عرضة لاضطرابات الصحة العقلية مقارنة بفترات الحياة الأخرى، والقلق وتقلب المزاج من أكثر هذه الأمراض شيوعًا بينهم. وحسب بعض التقديرات لعام2019 فإن واحدا من كل سبعة مراهقين يعاني من اضطرابات عقلية، ليبلغ العدد الاجمالي عالميا نحو 166 مليون مراهق (89مليون فتى و77مليون فتاة). و نحاول فيما يلي عرض الخطوط العريضة لبعض الاضطرابات العقلية الأكثر انتشارا بين الشباب.

اضطراب القلق:

قبل الدخول في تفاصيل حول اضطراب القلق عند المراهقين لا بأس أن نبدأ بملاحظات أولية تحظى في جوانب منها أحيانا ببعض التوافق البحثي حولها:

1- نسبة غير قليلة من المراهقين يُثار قلقهم نتيجة تقديرات يُجرونها واحتمالات يرجحونها كالفشل في التعامل مع الموقف موضوع الاختبار والتحدي، وكأنهم يغيّبون من تصورهم إمكانية تحقيق النجاح وفي المقابل يقرّبون احتمال الاخفاق وحدوث الأمر السيء ويتعاملون معه وكأنه وقع فعلا، وهو ما يبرر حالة الارتباك المصاحبة.

2- إن كثيرا من مظاهر الاضطراب النفسي لدى المراهقين كالرهاب والقلق لها جذور في مراحلهم العمرية السابقة، ولو أنهم تلقوا خلال مراحل طفولتهم إعدادا نفسيا واجتماعيا مؤهلا، حتى بالاستعانة بالأخصائي النفسي والمستشار الاجتماعي والتربوي، وخاصة في كيفية

التعامل مع مصادر القلق التي لا تغيب من بيئتهم لما تطورت حالتهم على النحو الذي تظهر فيه خلال مرحلة المراهقة.

3-توجد قناعة عامة في أوساط الأولياء والمربين والباحثين ولدى غالبية من يتعامل مع الشباب أن القلق في سن المراهقة من المتوقع أن يؤثر على الرفاهية العامة للفرد و نوعية حياته في مختلف مناحيها، وأن يشوّش على أداءه الأكاديمي، ويعطّل عملية اكتساب وتطوير كثير من المهارات الأساسية وخاصة الاجتماعية منها التي تساعده في عملية الاحتكاك بالناس والتفاعل إيجابيا معهم. وكتحصيل حاصل فإن الأداء الضعيف في المدرسة مثلا الذي تسبب فيه قلق الموقف التربوي يولّد قلقا أكبر والذي بدوره يؤدي إلى إضعاف الثقة بالنفس وتدني احترام الذات علما بأن هذا الأخير يتأثر عند المراهق بأنواع الأداء التي يحققها في الواقع كالأداء المهني (Judge,T.A.et al.,1998) ، والأداء المدرسي ومستوى التحصيل فيه (Choi, 2005;Valentine & DuBois,2005) .

4- لا يعتبر القلق في سن المراهقة استجابة لسمة شخصية يتميز بها المراهق كما رأى بعضهم وإنما هي تجربة توفرت عواملها في بيئته الحاضنة، والتي يمكن تجنبها أو تحييدها برفع القيود الجائرة عن المراهق وتوفير له الحب الداعم والأمان المطمئن.

5-التجربة الحياتية أظهرت أن المراهقين الذين يعانون من اضطراب القلق والذين لم يتم التكفل بهم ومعالجتهم كانوا أكثر عرضة من غيرهم لخطر الأداء الضعيف في المدرسة، وانخفاض القدرة على العمل، وتفويت تجارب اجتماعية مهمة، والانخراط في تعاطي المخدرات، وارتفاع خطر الانتحار (Kasper,S.,2006).

وعموما فإن المراهقين غالبا ما يشعرون بالقلق، وهو في الظروف الطبيعية مؤشر إيجابي يبعث على الاطمئنان بأن المراهق يتجاوب مع الواقع القائم بطريقة صحية مناسبة، فيبدي القلق عندما ينبغي إظهاره بحيث يعد غياب الحد الأدنى من هذا الانفعال في مثل هذه الظروف مؤشر على الاضطراب النفسي. فهو أساسا رد فعل طبيعي في وجه تحديات هذه المرحلة، ويمثل أحد أنظمة الإنذار الداخلية التي تنبه الكائن البشري إلى خطر ما أو تهديدات أخرى وفي ذات الوقت تهيء الجسم والعقل للرد أو للابتعاد عن دائرة الخطير. والقلق يُبقي المراهق منتبها و يقظا فضلا عن أنه يحفزه على إتمام المهام و الاستعداد على سبيل المثال لإجراء اختباراته المدرسية الدورية، ويكون طبيعيا وعاديا ما ظل مقترنا بموقف أو مشكلة معينة ومتناسبا معها بحيث ينتهي مع اختفائها، و لا يتحوّل إلى مشكلة إلا عندما يصبح مُرهقا لا يمكن السيطرة عليه و حين يظهر بشكل غير متوقع، في هذا المستوى نكون أمام اضطراب حقيقي. ويُعد اضطراب القلق من بين أكثر أشكال الأمراض النفسية شيوعًا بين الشباب حيث تتراوح تقديرات انتشاره من 5٪ إلى25٪ في جميع أنحاء العالم;Boyd,C.P.et al.,2000)

(Essau,C.A.et al.,2000، وكما توضحه تقارير منظمة الصحة العالمية، فإن5٪ من الذين تتراوح أعمارهم بين15 و19عامًا يعانون من اضطراب القلق، و الذي يقترن ظهوره بمواقف و وضعيات لا تمثل بالضرورة تهديدًا، كما تصاحبه مشاعر مستمرة من الخوف المفرط وغير المتناسب و لكنه حقيقي إذ يعبّر عنه تسارُع ضربات القلب وضيق التنفس واضطراب في المعدة، ومظاهر أخرى كالتهيج والإثارة والأرق ومشاكل النوم. و وفقًا لإحصائيات علاج المراهقين، فإن أكثر من7٪ أو4.4 مليون طفل تتراوح أعمارهم بين3 و17عامًا يعانون من اضطراب القلق المشخص وفقًا لمراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها. ويرى الباحثون والأطباء أن القلق بين الأطفال والمراهقين اليوم يتزايد لعدة أسباب، منها الضغط المتزايد لتحقيق النجاح في المدرسة بسبب توقعات الأولياء العالية وغير الواقعية، والخلافات اليومية الحادة داخل الأسر التي تستنفد طاقة الوالدين فينجم عنها إهمال للأبناء أطفالا ومراهقين، والنمو في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، والعيش في عالم متوتر يتأرجح فيه الأمن وتطغى فيه حوادث العنف وإطلاق النار، وعلى مستوى أوسع وأشمل نشوب نزاعات وحروب بين الدول و التي كثيرا ما تكون غالبية ضحاياها من الأطفال والمراهقين. وفي كل هذه الظروف وشبيهتها ينتعش القلق والاضطراب.

عوامل تقف خلف قلق المراهقين:

إن الخصائص التي تتميز بها مرحلة المراهقة كالتغيرات الجسدية والنفسية والاجتماعية (Kilford,E.J.et al.,2016;Adolphs.,2009)حيث يخضع دماغ المراهق لتغيرات هيكلية ووظيفية كما يتميز الفرد خلالها بزيادة الوعي الذاتي(Elkind.,1967;Schwartz,P.D.et al.,2008) والتطور المستمر لمفهوم الذات، مع وجود تأثير متزايد للتفاعلات الاجتماعية على صحته النفسية،(Rubia.,et al,2006; Platt,B.et al.,2013) وقوة هذا التفاعل في خضم التحولات المتدافعة والمتسارعة، كلها عوامل تجعل من الطبيعي أن يشعر الفرد خلالها بالقلق خاصة مع وجود العقبات التي تقف أمام رغبته في التحرر من القيود الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تكبله وتضيق من مجال نشاطه الاستكشافي وانخراطه في تجارب جديدة بحيث يرى نفسه كأنه سجين داخل مجتمعه. فالمناخ العام الذي يتفاعل فيه مستفز للغاية وبالتالي يثير قلقه. وفيما يلي عرض لعوامل تجعل المراهقين أحيانا كثيرة يشعرون بالخوف والقلق:

1- *المجتمع المُجهد*: إذا كان القلق سمة تميز حياة المجتمعات المعاصرة بحيث أصبحت مجتمعات مُجهدة، فمن الطبيعي أن يُعرف أفرادها عامة وشبابها خاصة بالقلق. ويشير تقرير منظمة الصحة العالمية لعام2017حول الاكتئاب والاضطرابات العقلية الشائعة إلى أن أمريكا لديها معدل انتشار عالي لبعض اضطرابات القلق، وتعد هذه الأخيرة أكثر مشاكل الصحة العقلية شيوعًا في الولايات المتحدة، حيث يعاني أكثر من40 مليون بالغ (19.1%)

من اضطراب القلق وأن معدله وسط شبابها هو من بين المعدلات الأكبر (Xiang.,etal,2024) . وتعتبر الأسرة من بين أهم القنوات التي تسرب القلق إلى الأجيال، مع وجود أدلة تظهر أن أطفال الآباء الذين يعانون من القلق هم أكثر عرضة لإظهار القلق. (Palmer,E.,et al,2023)

2- *المدرسة*: يمكن أن تسبب المدرسة التوتر لبعض المراهقين، ومنشأه ضغط كثافة مناهجها وعقم برامجها التربوية والمقارنات بين التلاميذ الحاضرة في كل وقت خلال مسارهم التربوي، مع حاجتهم إلى الشعور بالنجاح وتحقيق التوقعات. والمواقف المدرسية اليومية مثل تقديم العروض الشفوية، وطرح الأسئلة والتماس الإجابة عليها في الفصل، والمشاركة في مجموعات لا شك تسبب التوتر. ويبلّغ معظم طلاب الكليات عن معاناتهم من القلق في المواقف الاجتماعية (Purdon,C.et al.,2001) . وفي تقرير نشرته جمعية الصحة الجامعية الأمريكية في عام2017، أفاد61%من الطلاب الذين شملهم الاستطلاع أنهم يشعرون "بقلق شديد" خلال العام الدراسي. وقد استطلع هذا التقرير آراء أكثر من63000 طالب من92 مدرسة في جميع أنحاء الولايات المتحدة (Mardirosian.,2018.p.6) ومن العوامل الضاغطة عليهم التوقعات الملقاة عليهم، التركيز الكبير على تحقيق النجاح في الدراسة (Vye,C.et al., 2007;Luminita Sandu, et al, 2017).

3- *الأسرة*: تعتبر الأسرة من بين أهم القنوات التي تسرب القلق إلى الأجيال، مع وجود أدلة تظهر أن أطفال الآباء الذين يعانون من القلق هم أكثر عرضة لإظهار القلق (Palmer, E.,et al,2023) . وتعد مواقف وسلوكيات الأبوة والأمومة المفرطة في الحماية والتدخل من العوامل المساهمة في إثارة القلق لدى هؤلاء الأطفال والمراهقين (Wood,J.J.,2006;Wood,et al.,2003). لهذا السبب ينبغي أن نستحضر أن المراهق الذي نتعامل معه الآن له تاريخ من المعاملات داخل أسرته وخارجها وقد يكون في مراحل طفولته تلقى رعاية اتسمت بمبالغة والديه في مساعدته وحمايته حتى منعوه من تعاطي السلوكيات والأنشطة التي تتناسب مع مرحلته العمرية فحال ذلك بينه وبين تطوير قدرات خاصة وبناء شخصية مستقلة وصارت تبعيته لتدخلات والديه المباشرة واعتماد كلي عليهما هو الواقع الذي يلازمه، دون أي تأهيل لإدارة شؤونه بنفسه وهذا كله يزيد من حدة قلقه وتوتره.

4- *التوقعات العالية وغير الواقعية من الآباء والمعلمين*: يواجه المراهق بسبب فشله في التحقق بهذا المستوى من التوقعات انتقادات قاسية تثير فيه بتكرارها شكوكًا ذاتية حول قدراته وإمكانات، ينشأ عنها قلق شديد يجعل من الصعب تحقيق النجاح المحفز. وبزيادة مستويات التوتر بسبب التوقعات العالية إلى جانب الضغط الأكاديمي يصبح طلاب المدارس عرضة للاكتئاب الشديد والميول الانتحارية. وفي دراسة أجريت على عينة من190طالبًا من3مدارس خاصة و3 مدارس مدعومة من الحكومة مدينة *كولكاتا* الهندية، تبين أن ما يقرب من ثلثي

الطلاب الذين شملهم التحقيق تعرضوا لضغوط من أولياء أمورهم لأداء أكاديمي أفضل.(Deb., Strodl., & Sun.,2015, pp.26–34) وبما أن المجتمعات عامة تقيّم عاليا التميز الأكاديمي، وفي ظل تنافسية شديدة، يُدفع الطلاب باستمرار إلى الحافة من قبل آبائهم لبناء مستقبل مشرق والنجاح في الحياة، فيُمارس عليهم ضغط هائل لا يعيق نموهم وتعلمهم فحسب، بل يؤدي إلى زيادة التوتر والقلق.

5- *الحاجة إلى الإنجاز المتزايدة*: إن الدافع إلى الانجاز كما عرفه *ماكليلاند*، هو الرغبة في التحقق بمعايير التميز والتفوق على الآخرين وإنجاز المهام الصعبة (McClelland,1971). وهي وسيلة عملية يحقق بها المراهق ذاته ويُقنع نفسه بقيمته، مع ما يمكن أن يكسب من احترام الآخرين له. و رغم أن الأشخاص الذين لديهم حاجة كبيرة إلى الإنجاز لا يتتضايقون عادة من التحديات بل كثيرا ما يستمتعون بها ويتلذذون بمواجهتها لما تعرضه من فرص لتقدير إمكاناتهم الفعلية وإظهار قدراتهم (Puca & Schmalt,1999) ، لكن بالنسبة للمراهق واستجابة لمتطلبات المرحلة العمرية ومواكبة لمستويات طموحه الذي لا سقف له وتماشيا مع تطلعات المجتمع فإن رغبته في التألق وإثبات الذات تكون شديدة وتوقعاته عالية، لذلك إذا كانت الانجازات تمتعه وتتعزز بها نظرته إلى نفسه ويتحسن بصداها موقعه بين الناس، فإن هذه الآثار الايجابية سرعان ما يتلاشى بريقها أمام انعكاسات الجهود التي يبذلها بشكل متواصل وما يصاحبها من آلام التضحيات والحرمان دون آفاق محددة، فيحل محلها الارهاق النفسي نتيجة الضغوط المتزايدة وتضارب الأهداف وعدم ضوح الغايات. وكلما كانت حاجته إلى الانجاز كبيرة كلما زادت توتراته ودرجات القلق عنده(Firose, M.M.,2020). وفي غمرة هروبه إلى الأمام نحو المجهول طلبا لمزيد من الانجازات لا يستطيع توفير وقتا كافيا للتأمل في حالته ومراجعة مساره بما يسمح له بتحييد مصادر التوتر والضغط، فإذا أضفنا الحرمان من النوم الذي يكاد يلازمه تكون هياكل البيئة المناسبة لانتعاش القنوط واليأس و لاحقا الاضطراب النفسي قد اكتملت.

6- *البيئة*: تساهم البيئة بكل أبعادها المادية والمعنوية داخل الأسرة (العلاقات الأبوية السلبية، والطلاق والفقر والإهمال وسوء المعاملة) أو داخل المدرسة(الامتحانات الضاغطة، حالات الابتزاز المتكررة، العلاقات المتوترة وغير الطبيعية مع المعلم، ومع الأقران) أو خلال التواجد في فضاءات النشاط الحر، او غيرها في إثارة قلق المراهق. فقد أظهرت نتائج بعض الدراسات أن المراهقين الذين لديهم بيئة أسرية غير صحية يعانون من اضطراب القلق الاجتماعي بشكل أكبر، وأن درجة هذا القلق ترتفع لدى المراهقين الذين ينتمون إلى أسر مطلقة مقارنة بالمراهقين من الأسر السليمة،(Tahirović, S., & Demir, G., 2017) كما كشفت عن علاقة ارتباطية سلبية بين اضطراب القلق الاجتماعي والبيئة المدرسية، وأن الطلاب

الذين يشعرون بالرفض على مستوى المدرسة هم أكثر عرضة للإصابة بمشاكل القلق الاجتماعي(Gómez–Ortiz, O.,et al, 2019; Kapoor, I.,et al, 2021) .

7- *صعوبات التعلم*: تعتبر صعوبات التعلم التي تواجه المراهقين في مدارسهم إحدى مصادر القلق ينشأ عنها الإحباط المستمر والتوتر والشعور بالنقص والتي بدورها تتحوّل إلى مصادر إضافية تغذي القلق. فالطالب الذي يجد صعوبة في القراءة لديه قلق أعلى تجاه القراءة مقارنة بالطالب الذي لا يواجه مثل هذه الصعوبة (Sainio,P.J.,et al,2019; Francis, D.A.,et al,2022).. مع الاشارة إلى أن القلق أحيانا يتسبب في ظهور صعوبات التعلم وليس العكس. فالقلق الرياضي، على سبيل المثال، يظهر عادة نتيجة عدم ثقة الطالب في قدرته على تعلم الرياضيات وحلّ المسائل الرياضية، ولا ينجم بالضرورة عن وجود مشاكل في التعلم.(García Planas, M.I., & García–Camba Vives, M.V.,2022) مع التنبيه إلى أن أوجه الصعوبة في المناهج التربوية تكون أحيانا مقصودة ومن وراء إدراجها أهداف يراد الوصول إليها، إضافة إلى ما أثبتته نتائج بعض الدراسات أن برمجة الصعوبات تفرز مشاكل إضافية وتحديات ينشأ عن معالجتها تعلم وتطور في الخبرة (Bjork, E.L.,& Bjork, R.A.2011) .

8- رغم ما يميز علاقة المراهق بوالديه من توتر خاصة بسبب تباين في التقديرات والرؤى وملاحقته بالمطالب التي لا تتوقف خوفا عليه وتوجسا من وقوعه في مشكلة تضطرب لها حياته وخاصة المدرسية منها، فإننا نجده يعمل جاهدا، إلى درجة الاصابة بالقلق ومكابدة أوقات حرج وخوف، من أجل الوصول إلى إنجاز يُدخل به السرور عليهما ويجعلهما فخورين به، علما بأن ما يُقلق المراهق ويُحبطه يحبط كذلك والديه و ربما بدرجة أكبر، ولأن المراهق يلمس آثار ذلك يوميا، فهو دائم السعي لتطعيم البيئة الأسرية بعناصر تبعث على الفرح والبهجة كتحقيق نجاح ملفت و لكن ثمنه الطبيعي مزيد من القلق.

9- جماعة الأقران: تتميز جماعة الأقران في ظاهرها بالتماسك الذي يرتكز على استعداد كل مراهق ضمنها بالتحقق بالانسجام معها، وتحقق المراهق بهذا التناغم مع جماعته يتطلب تضحيات كبيرة وتعايشا مع تناقضات كثيرة و ربما يضطره للدخول في نزاع أو حتى صراع مع أفراد عائلته. إنهم يجعلون تأقلمهم مع الجماعة وتوافقهم مع توجهاتها فوق كل اعتبار حتى لو تجسد الولاء لجماعتهم بفعل أشياء يعرفون أنها غير صحيحة. هذه الظروف والأحوال هي غير طبيعية وتكون في الغالب مشحونة بالخوف والقلق. كذلك فإن شعور المراهق بانه غير متلائم مع باقي أفرادها يسبب له حالة من عدم الاستقرار ينشأ عنها مزيد من التوتر والقلق. وهكذا فإن علاقة المراهق بأقرانه تشكل في بعض أطوارها مصدر ضغط إضافي، فهو يتأثر بهم (Sebastian.,Burnett.,& Blakemore.,2008) ، ويحرص على المحافظة على موقع مريح بينهم مما يدفعه إلى مجاراتهم والتنازل لهم والتكيف مع مطالبهم حتى مع

حصول كثير من الحرج، وهي وضعية يمكن أن تنتج مزيدا من القلق زيادة على القلق الذي تثيره عملية التنافس الحاضرة بقوة في تفاعلات أفراد جماعة الأقران والتي يسعى كل واحد منهم خلالها لإبراز شخصيته وما يستطيع فعله.

أنواع القلق:

القلق أنواع وأعراضه مختلفة والإلمام بهذه الأنواع والوقوف على خصائصها خطوة أساسية تساعد في تحديد كيفية التكفل بالأشخاص الذين يعانون من القلق، آخذين بعين الاعتبار مواصفات هذا الأخير. وفيما يلي بعض هذه الأنواع من القلق:

1- ***القلق العام***: اضطراب يتميز بالاستمرار والإفراط، لا يقف خلفه سبب بعينه و يؤشر حسب تجلياته على حالة نفسية غير مستقرة شاركت في إنتاجها عدة عوامل وتفاعلات.

2- ***القلق الاجتماعي***: سمته المميزة أنه قلق شديد يصاحبه خوف المراهق من حكم المجتمع عليه بطريقة سلبية إزاء استجاباته أو كل أداء يقوم به. وهو تقويم يحطّ من قيمته ويهز ثقته بنفسه، فيصبح المراهق أكثر تعثرا و ترددا في تصرفاته والتي لا يستطيع خلالها إخفاء قلقه. ومع تكرار هذه التجربة المحرجة سيجد اطمئنانه المنشود و ارتياحه النفسي حين يتجنب المواقف الاجتماعية.

3- ***نوبات هلع***: تحدث بصورة متكررة وغالبًا ما تأتي فجأة في أي وقت ودون سابق إنذار. وبينما يعاني أقل من0.5٪من الأطفال دون سن الثانية عشر من اضطراب الهلع (A.P.A., 2013;Cartwright-Hatton.,McNicol.,& Doubleday.,2006)، فإن نسبة انتشار هذا الاضطراب بين المراهقين بلغت حوالي1 إلى3٪ (Essau,C.A.et al.,2000;Vizard,T.et al., 2020)، مع ذروة ظهوره بين 15 و19 عامًا من العمر (Von Korff., Eaton.,& Keyl.,1985). أما الأعراض الأكثر شيوعًا بين المراهقين المصابين بنوبات الهلع تتمثل في زيادة معدل ضربات القلب، ارتباك وخوف من فقدان السيطرة، خوف من الموت، (Diler,et al.,2004; Last.,& Strauss.,1989;Masi.,et al, 2000) ضيق في التنفس و شعور بالاختناق (Achiam-Montal,M.et al.,2013) ، ترقب غريب لحدوث أمر فظيع في أية لحظة أو خطر وشيك. وبعد أن تهدأ النوبة قد يشعر المراهق المصاب بالتعب والإرهاق.

4- ***قلق الانفصال***: يعد اضطراب قلق الانفصال من أكثر اضطرابات القلق التي يتم تشخيصها في مرحلة الطفولة والمراهقة وما قبلها. يشعر هؤلاء بالحزن الشديد عند الانفصال عن أسرهم ومنازلهم أو عن أشخاص لهم علاقة قوية بهم (عادةً أحد الوالدين) لمرض حلّ أو وفاة أو انفصال الوالدين أو طلاق أو انتقال إلى منزل أو مدرسة جديدة أو لأسباب أخرى (APA,2000). وهو قلق غير متناسب يسبب حالة من الذعر والضيق المفرط والترقب لحدوث أشياء فظيعة كإصابته أو أحد أقربائه بالأذى أو مغادرة الأب دون عودة. وغالبا ما

تصاحب قلق الانفصال كوابيس متكررة تتعلق بموضوع الانفصال وكثرة الشكاوى من الأعراض الجسدية، مثل آلام البطن أو صداع بالرأس.

5- ***الوسواس القهري***: يبدأ اضطراب الوسواس القهري عادةً في مرحلة المراهقة. يعاني الأشخاص المصابون به من مخاوف وهواجس وأفعال قهرية متكررة كما تغزو عقولهم أفكار سلبية مزعجة يشعرون بعدم القدرة على صرفها والسيطرة عليها. ومن صور الوسواس القهري لدى المراهق تعاطيه النظافة بنوع من الافراط نتيجة الخوف من التلوّث، اللجوء إلى الفحص الطبي في فترات متقاربة نتيجة طغيان الشك المرضي عليه رغم كل التطمين الذي يتلقاه من الأطباء (Rasmussen, S.A. & Eisen, J.L.,1992) .

6- ***اضطراب ما بعد الصدمة***: تظهر عادة بعد أن يمر المراهق بتجربة عنيفة وصعبة لم يتحمّل آثارها كمعاينته كارثة طبيعية (زلزال، فيضانات،حريق مهول)أو كموت مفاجئ لقريب أو صديق خلّف غيابه فراغا في حياته لم يتمكن من سدّه أو كاعتداء على جسده(هجوم، اغتصاب) خلف بصمات مادية وذكريات يصعب نسيانها. ومن بين أعراضه مواجهة المراهق صعوبة في التركيز وصعوبة في النوم أو الاستمرار فيه، شعوره بالانفعال والغضب. ويمكن أن تخلّف اضطرابات ما بعد الصدمة لدى المراهقين آثارا نفسية سلبية كبيرة وبعضها قد تستمر لمدة طويلة (Bolton,D.,et al, 2000) .

كيف نتعامل مع قلق ومخاوف المراهقين

نحن لسنا بصدد عرض وصفات إرشادية علاجية مفصلة وتأطيرها بالخلفيات النظرية الداعمة لها، فقلق المراهقين لا يمكن التعامل معه باعتماد نموذج علاج واحد أو حتى عدد من النماذج نظرا لتعدد صوره وتباين مظاهره وتصبح الطريقة الأفضل استيعابا لقلق المراهقين هو التشخيص الذي لا يهمش عامل الفروق الفردية بينهم. وبدلا من استعجال إدراج الحالات ضمن سلالم فئوية فلنعتبر كل واحدة منها قائمة بذاتها، فتأتي بذلك مقترحات العلاج متماشية مع تلك الحقائق المتعلقة بالحالة و مراعية ما يميزها عن الحالات الأخرى، وفيما يلي عرض لبعض العناصر المساعدة في عملية التكفل الفردي:

1- مساعدة المراهق على إدارة مشاعر القلق، إذ يُعد تعلُّم كيفية إدارة القلق مهارة حياتية مهمة يمكن أن يوفر للمراهقين مزيدًا من التحكم في حياتهم.

2- تطوير الرعاية الذاتية: حتى لا يظل المراهق معتمدا على الدعم الخارجي كليا فلا ينمي قدراته و لا يكتسب مهارات تؤهله للتكفل بنفسه وإدارة شؤونه وتنظيم حياته، ينبغي السماح له مبكرا بالقيام بالمبادرات الشخصية وتشجيعه عليها حتى ولو جاءت دون المستوى الذي برضي والديه.

3- مساعدته على تطوير استراتيجيات التعامل مع القلق (مثل زيادة المشاركة الاجتماعية، الاتصال مع أقرانهم، ممارسة الرياضة البدنية)، خاصة و أن تجنب مواجهة الوضع المثير للقلق يزيد الفرد توترا و لا يخفف من حالة القلق وحدّتها.

4- رفع مستوى استقرار الأسرة وتعزيز الصحة النفسية لأفرادها بحل المشكلات العالقة داخلها ومعالجة الخلافات والنزاعات بالحوار الهادئ والهادف، مع توعية أولياء المراهقين وتعميق فهمهم لسلوك هؤلاء ومخاوفهم، وتنمية مهاراتهم في التعامل بفعالية معها.

5- تخفيف وتبسيط بروتكول وآداب الاتصال ضمانا لاستمرار سلاسة عملية التواصل التي يحتاج إليها كل فرد، علما بأن المراهق الذي يعاني من القلق يكون في أمس الحاجة إلى التواصل مع الأشخاص المحبين الذين يطمئن إليهم من أسرته ومن خارجها وإلى مرافقتهم ودعمهم له حتى يتمكن من تجاوز أزمته النفسية.

6- دفع المراهق لمواجهة الموقف الذي ينشأ عنه القلق بدلا من البقاء في حالة انتظار سلبي، لان من المتوقع إذا اختار عدم التصدي والمواجهة أن يلازمه القلق وفقط بمثل هذه المواجهة يستطيع خفض قلقه ومع الوقت امتصاصه.

7- تشجيع المراهق على التحدث عن مخاوفه و ما يقلقه، بما يسهل على من يتعاملون معه فهم ما يحدث له ومساعدته على إدارة مخاوفه وتجاوز ما ترتب عنها من مشاكل وعلى تخفيف الضغوط التي يتعرض لها، مع إبداء تجاه هذا الإفصاح كل الاهتمام والتفهم.

8- لا بد أن تتاح للمراهقين فرص لمعاينة تجربة التعامل الصحيح مع الظروف والأحداث والمواقف التي تثير القلق والتعرف على نماذج من الأساليب والطرق التي تساعد في السيطرة على الشعور بالقلق والتحكم فيه، وأفضل وسيلة لتحقيق ذلك أن نعرض عليهم النموذج الصالح والقدوة الجيدة التي تجسد أمامهم التعامل الناجح مع اقلق. وأقرب الناس إليهم الذين بوسعهم أن يكونوا قدوة لهم في إدارة الغضب والشعور بالقلق هم الآباء والمعلمون لأن الاحتكاك بهم مستمر ومدته كافية تسمح لهم بالتأثير فيهم على النحو المرغوب.

9- ضرورة أن يشعر المراهق بالأمن والأمان حتى يكون أكثر قدرة على التعامل مع التحديات اليومية. ومن أيسر الطرق لتحقيق ذلك إظهار الاهتمام الفعلي به وقضاء وقت كاف معه والوجود بجانبه في الأوقات التي يحتاج فيها إلى سند و دعم و تحسس أحواله عن قرب والوقوف على الصعوبات والمشاكل التي تواجهه. بهذه الكيفية يدرك المراهق أنه محاط برعاية فيستأنس و يطمئن.

10- كلما تم علاج اضطرابات القلق في وقت مبكر، كلما قل احتمال تأثيرها على الصحة العقلية للشباب و نموهم على المدى المتوسط و المدى الطويل.

11- ليس استثناء أن تزداد حدة قلق المراهق حين ينقطع عن الحياة الاجتماعية ويلازم البيت في خلوة مع نفسه أو داخل مقاهي الانترنت بإدمان على مشاهدة أفلام أو متابعة عروض مواقع تشبع له بعض نزواته. وإن مثل هذه الظروف المغلقة التي يسجن فيها نفسه لا تتيح له إمكانية كبيرة للمناورة و إحداث أي تغيير يكسر الروتين الذي يخضع له. ويصبح ضروريا مساعدته على الخروج من هذه الحلقة الضيقة بهدف توسيع من اهتماماته والانفصال لفترة من الوقت عن أجهزة التلفزيون و الكمبيوتر و النقال و الخروج إلى هدوء الطبيعة و نقاء هوائها و كذلك الاستمتاع بصور أخرى من الحياة الاجتماعية و فرص بناء علاقات مع أفراد من المجتمع قد تنقله إلى واقع أفضل يستطيع من خلاله تحقيق ذاته مع بقاءه في تواصل مع الحياة من حوله في راحة وطمأنينة دون توتر وقلق.

12- بما أن الأفكار السلبية التي يحملها بعض المراهقين تؤثر على ما يتخذونه من مواقف ويعتمدونه من اختيارات لا تساعد في تبديد قلقهم ومخاوفهم، فمن المنطقي العمل على تحريرهم من هذه التصورات السوداوية والأفكار المزعجة و استبدالها بأخرى تبعث أكثر على التفاؤل بدء بتقويم واقعي لما يحدث لهم وبلورة قناعات أكثر إيجابية أقل ما توحي به وجود إمكانية مواجهة ما يقلقهم و الأخذ بالأسباب التي تساعد على التحكم فيه والسيطرة عليه، وخاصة إذا أدركوا أن متاعب اليوم في سياق تاريخهم هي أحداث استثنائية وأن تجاربهم الماضية لم تكن دائما على هذا النحو. ومن الطرائق العلاجية التي استخدمت بنجاح في مساعدة المراهقين على مراجعة أفكارهم التي تعرقل انخراطهم الطبيعي في المجتمع وتثير قلقهم باستمرار طريقة العلاج السلوكي المعرفي والتي يتعلم المراهق بواسطتها تحديد أنماط التفكير غير المفيدة، وتقدير العلاقة بينها وبين واقعه المضطرب، وفي الوقت نفسه السماح بإعادة صياغتها و هيكلتها على نحو يثمر مواقف أكثر نضجا و واقعية.

13- عندما يصبح القلق أكثر وضوحًا، يبدأ بعض المراهقين في رفض الذهاب إلى المدرسة، نظرا لأن هناك قدرا كبيرا من التوتر والقلق يصاحب الذهاب إليها، وسلوك الرفض هو مشكلة لها علاقة بالحضور إلى المدرسة، فلا ينبغي في البحث عن أسبابها أن نبتعد كثيرا عن هذه المؤسسة وما يصيب روّادها بداخلها من احراج وتوتر واضطراب عاطفي. (Berg,I.,1997; Heyne,D.,et al,2019). وتتراوح نسبة الذين يرفضون الذهاب إلى المدرسة من المراهقين حسب بعض إحصائيات بأمريكا الشمالية وأوروبا بين 1و15٪ (Egger.,Costello & Angold.,2003;Heyne & King.,2004). وقد توفر المؤسسة التربوية لهذا الرفض بعض الأسباب مثل شعور المراهق فيها بالإرهاق نتيجة كثرة الواجبات المدرسية التي تلاحقه و لا تترك له وقتا كافيا للراحة واستعادة قواه، ارتفاع مستوى الضغط الناشئ عن حدة المنافسة

الحاضرة باستمرار ضمن المسار التربوي، الخوف نتيجة الابتزاز والتهديد الذي يطبع بعض العلاقات بين المراهقين(Lingenfelter & Hartung.,2015; Kearney & Albano.,2004) .

فيما يتعلق بمساهمة أهل الخبرة كالأخصائيين النفسانيين والمرشدين وعلماء الصحة النفسية في التخفيف من قلق المراهقين، فإن الحاجة إلى تدخلاتهم تكبر عندما تتفاقم حالة المصابين و تزداد سوءا وتفشل محاولات غير المتخصصين في التحكم فيها وتظهر مؤشرات عن هذا التحوّل غير الطبيعي مثل الاستجابة بسلوكيات وسواسية وقهريةأو التغيرات المفاجئة في سلوك المراهق وتصرفاته وفي بعض عاداته، أو اعتزاله أنشطة طالما أحبّها وتعاطها بشغف و رغبة أو أماكن كان مواظبا على زيارتها أو أشخاص ظل يبدي تعلّقه بهم، أو التزام الصمت و رفض التحدث مع الآخرين، وخاصة إذا استمرت هذه المواقف الطارئة لوقت طويل نسبيا وباتت تؤثر على حياة المراهق الطبيعية وتُضعف بشدة أداء وظائفه في المدرسة والعمل وفي تعامله مع أفراد مجتمعه.

وما دام تناولنا في عنصر سابق القلق الذي يعتري الشباب في المؤسسات التربوية خاصة وأن مشروع مستقبل هؤلاء أصبح يرتكز على حصيلة إنجازاتهم التربوية التي تحدد وجهته، ولأن هذا الأمر يشغلهم ويدفع بعضهم إلى بذل جهود أحيانا فوق ما يطيقون، ولأن المدرسة كباقي مؤسسات المجتمع لا تخلو من نقائص وعقبات وتحديات تقف أحيانا في وجه طموحاتهم، وأن توقعات الأولياء مرتفعة ومطالب المؤسسة متزايدة إضافة إلى الوقت الطويل الذي يقضونه في الفصول الدراسية، كل هذه العوامل تتفاعل لتجعل هذه المدرسة بيئة مُولّدة للتوتر والقلق. وأظهرت دراسات عديدة أن أسباب قلق المراهقين في المدارس ترتبط بعلاقاتهم مع الأصدقاء وبنتائجهم الدراسية ومخاوفهم بشأن صحتهم وكذلك نتيجة الأفكار التي تراودهم بكثرة حول مستقبلهم (Henker,B.et al.,1995;Silverman & Maris.,1995; Weems,C.F.et al., 2000). وبما أن الزيادة في القلق، كما بيّنّاه سابقا، تحول دون تحقيق الأهداف التربوية المرجوة، يصبح من الأهمية بمكان اعتماد آليات تساعد في التخفيف من قلق الطلاب والتي ينبغي تكييفها مع حاجات كل واحد منهم بما يسمح بالوقوف عمليا على ما يعترضه من صعوبات وخاصة المصادر التي ينشأ عنها قلقه. وفيما يلي بعض التوجيهات المساعدة:

1- ليس المقصود محاصرة كل مظاهر القلق لدى المتعلم لأنه مطلب غير واقعي وأن بدون أي قلق سيفتقر الأفراد إلى الدافع لفعل أي شيء في الحياة، والمستهدف هو القلق الذي يعطل مسار العملية التربوية ويربك صاحبه و لا يسمح له بالتركيز الذي يثمر استيعابا وفهما وتعلُّما. ويوجد توافق كبير بين الباحثين على أن القلق الأكاديمي ليس سيئًا دائمًا، حيث تبيّن أن المستوى المعتدل منه ضروري لتحفيز الطلاب على الدراسة و قد دفع كثيرا

منهم إلى تحقيق إنجازات أفضل، بينما أثّر المستوى العالي منه سلبا على قوة تركيزهم وتحوّل إلى أحد معوقات تحصيلهم الأكاديمي(Shakir, M.,2014) .

2- مرافقة الطالب وتوجيهه تحو ما يكفل إمكانية تحقيقه بعض النجاح الذي لا يؤدي فقط إلى التقليل من القلق، بل يبقيه متحفزا وأكثر استعدادا لإنجاز أعماله فيما بعد. وتؤكد الدراسات أن بإمكان توفير بيئة التعلم النشط وتحسين مشاركة الطالب بعد توضيح ما هو متوقع منه وتخطيط الأنشطة بعناية وشرح الغرض من تناوله وإقناعه بأن المشاركة لها قيمة وتوعيته بأهمية إدارة وقته التي من شأنها أن تقلل من توتراته، ومساعدته على تنظيم جهوده مع عدم ترك الخطأ أو الفشل الوارد أن يتحوّل إلى مصدر إحباط له بل استغلاله في تحسين تعلّمه المستقبلي (Finelli. et al.,2018;Nguyen.,et al,2021;Tharayil.,et al,2018). وبذلك نضمن المشاركة المثمرة التي تعزز الحافز الذاتي فتمتص متعة الانجاز والنجاح القلق الذي ينجم عن عملية التعلم وما تفرزه.

3- مراجعة الدروس التي يتلقاها الطالب وطريقة تقديمها في محاولة لجعلها أكثر جاذبية وأكثر إنتاجية للفهم والتعلم الحقيقي والفعال وتجنب شحن المناهج التربوية بالمعارف السطحية والمعلومات الجزئية التي لا تنمي فكرا و لا تساعد في تطوير قدرة أو اكتساب مهارة. وهي أوضاع تسمح باقتحام الملل نفوس الطلاب قد ينشأ عنه إرهاق نفسي يضعف رغبتهم في الانخراط في الدراسة فيؤدي إلى انخفاض مستويات تحصيلهم الدراسي ويفقدون بذلك كل حافز أو تشجيع على مواصلة بذل الجهد (Nett,U.E.et al.,2011;Tze,V.M.et al., 2014;Schwartze.,et al,2020) . ومن نتائج استمرار سلبية المراهقين إزاء الدروس والانفصال المعنوي عنها، كما بينت دراسات سابقة، ارتفاع مستويات التسرب المدرسي (Weybright,et al., 2017)، مع ما تسبب فيه الارهاق المتزايد لدى المراهقين من ارتفاع معدل الاضطرابات العقلية بينهم. (Walburg,V., 2014;Salmela-Aro,K.et al.,2008) وإن العامل الرئيسي الذي يمكن أن يساهم في خفض وتيرة ترك الشباب المدرسة هو شعور هؤلاء داخل المؤسسة بالارتياح مع إجاد متعة في متابعة الدروس والشعور بالسعادة التي هي ترياق للقلق.

4- ضرورة التعامل بإيجابية مع عيوب الطالب وأخطائه وعدم تركها تتحوّل إلى مصدر إحباط مثير للخوف الذي يدفعه إلى تجنب فرص التعلم وتمنعه من الأخذ بالأسباب الموضوعية. بل يجب إعادة قراءة وتقويم هذه الاخفاقات والاستفادة منها كعوامل محفزة على التحسن في الأداء والتطور (Smith,S.,2015) . كذلك عدم الاستجابة لحالة الفشل بما يفاقمها ويرسخها فيعتقد الفرد أنها من قدره فيستمر في إنتاج مثيلتها دون شعور بأدنى حرج. وبدلا من ذلك محاولة النظر إليها على أنها تجربة يمكن الانطلاق منها لتحقيق النجاح. من ناحية أخرى لابد من الالتفات الواعي والهادف إلى ما يحققه الطالب من إنجازات ونجاحات

والتجاوب معها بالتنويه والتشجيع حتى لا يتم تهميشها عند أي تقويم للذات. و لا شك أن المكان المثالي لارتكاب الأخطاء والتعلم منها هي الصفوف الدراسية التي يديرها مربون لهم من المؤهلات ما يسمح لهم باستغلال أخطاء طلابهم لتوجيه دروسهم. وفيما يلي بعض التوجيهات حول الأخطاء وكيفية تسييرها والتعامل معها:

1- لا ينبغي أن يتحوّل" تجنب الخطأ " إلى موقف ثابت حتى لا يصبح الخطأ هدفا للاصطياد فيكون المعلم مساهما في إخراجه من المشهد التربوي والاقتصار على التعامل مع الطلاب الذين يعرف أنهم سيقدمون الإجابة الصحيحة وإسكات من كان يمكن أن يعزز التعلم بوقوعه في الخطأ.

2- لا ينبغي أن تأخذ الأخطاء وزنا فوق حجمها في أي تقويم حتى لا تهمش العناصر الايجابية الحاضرة في مشهد المراهقين التربوي، مع ضرورة أن يعقُب ظهورها دعم من المعلم وألا يستجيب هذا الأخير و زملاء الدراسة لها بردود فعل سلبية. ومن المفيد أن تكون لدى الطلاب نظرة متوازنة حول الأخطاء وأنه بإمكان تحويلها إلى سياقات مهمة للتعلم (Steuer & Dresel, 2015).

3- التربية الحديثة لا تضيق صدرا بالأخطاء وتنظر إليها على أنها عنصر طبيعي في البيئة التربوية يجب التعامل معه، بل ويتحدث بعضهم عن نظرية ثقافة الخطأ (Steuer,G & Dresel, M.,2015) وتعززت لدى العديد منهم قناعة بأن الأخطاء هي تجارب يمكن أن تمثل فرصا للتعلم (Heinze,A & Reiss,K.,2007;Borasi,R.,1996) .

4- الخطأ بشري و مظهر دائم الحضور لا يخلو واقع الناس منه، و له آثار سلبية كثيرة على أكثر من صعيد، و مع ذلك يمكن تجاوز تلك الانعكاسات و تحويل الأخطاء إلى أرضية لاكتساب المعرفة و توسيع الخبرة، و بالتالي إدماجها كعناصر طبيعية لعمليات التعلم والتفكير (e.g.,Käfer,J.,2019). ومن التطورات اللافتة خلال العقدين الأخيرين تأكيد العديد من العلماء و الباحثين على القيمة التربوية للفشل حتى أصبح بعضهم يتحدث عن" الفشل المثمر والمنتج"(Kapur,M.,2008;Kapur,M.,2014) و"الأخطاء المحبذة والصعوبات المرغوبة" (Bjork,R.A & Bjork,E.L.2020) ، وبعضهم ظل يركز على ما سُمّي بـ "مناخ الخطأ البناء" وإدراجه ضمن عناصر بيئات التعلم الفعالة(Steuer,G.,& Dresel, M.,2015) . وبعضهم الآخر ينطلق من الأخطاء لإنشاء بيئة تعليمية داعمة للسؤال و البحث و الاستقصاء (Borasi,R., 1996) ، بل إن بعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث اهتم ببلورة استراتيجيات تساعد في التعلم من الفشل والاخفاق (Edmondson, A.C.,2011) . وفي خضم هذه الحركة الواسعة التي تستهجن تهميش إخراج تجربة الفشل من دائرة اهتمام المربين، فقد أثبت بعضهم أن وضعية الفشل تقدم من المعلومات والمعطيات أكثر مما تقدمه وضعية النجاح (Sobel, A.,2014) .

وبما أن أخطاء المتعلمين من المرجح أن تثير مشاعر سلبية مثل الخجل، مما قد يعيق عملية التعلم، فالمعوّل عليه أن ثقافة صفية متسامحة مع الأخطاء قد تفسح المجال أمام إمكانية تعلم الطلاب من أخطائهم، وليس فقط تلقّي آثارها المحبطة.

5- نتائج البحث الميداني أشارت بوضوح إلى أن المستوى المعتدل من القلق يفيد في عملية التعلم لأنه يدفع الطالب إلى القيام بالعمل المؤدي للنجاح في المدرسة. في حين أن المستوى العالي منه الذي يظل ثابتًا بمرور الوقت يمكن أن يعيق التعلم ويجعل من الصعب على الطالب استيعاب المعلومات ومعالجتها واسترجاعها.

خاتمة

بعد هذه الجولات المثيرة في عالمي الأطفال والمراهقين اتضح لنا أن واقع الناس الملموس سواء كان مطمئنا أو كان يبعث على القلق، يشكل الآثار المباشرة لعمليتي التأثير والتأثر التي تحتضنها علاقات أفراد المجتمع بعضهم ببعض. وأقوى العلاقات التأثيرية التأثّرية التي تعرفها المجتمعات البشرية هي تلك التي تقوم بين الأطفال والشباب من جهة وعالم الراشدين والكبار من جهة أخرى. وكل محاولة لفهم واقع الأفراد أو تقويم أداءهم أو معالجة مظاهر الخلل والاضطراب في أوساطهم أو بناء ما يتناسب معهم من برامج اجتماعية تربوية خارج هذا الإطار لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة لأن محورية الفرد لا تأخذ دلالتها إلا في ظل الجسور الاجتماعية التي تربطه بالآخرين وطبيعة التفاعل الذي يحدث في هذا السياق.

إن الأطفال والمراهقين يحتاجون إلى حماية مسؤولة وناضجة تتدخل في حياتهم استثناء أو عند الحاجة من أجل تطوير قدراتهم الذاتية وتعزيز ثقتهم بأنفسهم وتكريس استقلاليتهم في الاتجاه الذي تمليه الحقائق المتعلقة بشخصيتهم. وإذا كانت الطبيعة الانسانية مقصودة بالخدمة والتوجيه فهي التي ينبغي أن تحدد للتربية هدفها ومضمونها. هذا لا يعني أن الانسانية وراثة طبيعية بل الانسان، على حد قول الفيلسوف الألماني *كانط Kant*، لا يستطيع أن يصبح إنسانا إلا بالتربية. ويتوقف فهمنا للعملية التربوية وتحديدنا لأهدافها وتعييننا لوسائلها وأدواتها على فهمنا لهذه الطبيعة البشرية. وما حاولنا أن نبرزه في سياق فقرات هذا الكتاب حول معاملة الأطفال والمراهقين يؤكد أساسا على ضرورة تكييف المربين ممارساتهم مع حقائق هذه الطبيعة البشرية التي يتعاملون معها لأن هذه الأخيرة لا تتجاوب إلا مع ما يستجيب لحاجاتها ويلبي نداء فطرتها.

وبما أن التعامل مع الأطفال والمراهقين لا يأتي دائما بالنتائج المرجوة لأن الاستراتيجيات المعتمدة لا تخلو من ثغرات وغالبا ما تعجز عن استيعاب أوجه التباين والاختلاف بين الأفراد، فيصبح من المفيد التخفيف من التبعية والخضوع للطرق والأساليب المختارة حتى نضمن إمكانية إعادة تصحيح مسار المبادرة متى تطلب الأمر ذلك. ويستحسن في عملية

رعاية الأطفال والمراهقين تعزيز قوتهم الذاتية وتحرير ثمرات هذه الرعاية قدر المستطاع من الإشراط الخارجي حتى تتحول إلى خصال ثابتة في أعماق شخصيتهم. ومما يساعد على تحقيق ذلك:

أ- إن واجبات البالغين تجاه الأطفال لا تضفي الشرعية على علاقات السلطة التي من شأنها أن تحرمهم من الحريات التي تعتبر ضرورية لتنميتهم الشخصية وتحقيقها.

ب- أن مرافقة الأطفال والمراهقين لا ينبغي أن تكون مرافقة صورية وفي الأوقات المتاحة فقط بل يجب أن تطبعها روح الجدية والحرص وأن تؤدى في أجمل الأوقات وأحسنها، وأن تشمل الاهتمام بمشاكلهم والولوج إلى عالمهم من بابه الطبيعي للتعامل معها بفعالية.

ج- الاهتمام بأوقات فراغهم ومتابعة أنشطتهم خلالها، فهي ليست مجرد أوقات التخلي عن الأنشطة المفيدة كما يعتقد الكثيرون، بل بالدعم والتوجيه واستغلال إمكانات الترفيه والتسلية التي يوفرها مجتمع المعلومات والاتصالات، يمكن تحويلها إلى فرصة لاستيعاب النشئ قيم جديدة واكتساب معارف مفيدة وتطوير مهارات وقدرات تفتح أمامه آفاق واسعة.

د-تشجيع الأطفال في مرحلة مبكرة على سلوك الطريق المؤدي إلى الاستقلالية وعدم الانتظار بطريقة سلبية حصول النضج الكامل. وهذا التشجيع سيهيئهم لتحمل المسؤولية والتكفل بشؤونهم خلال المراحل الأولى من حياتهم.

ه- دعم ما يتخذه المراهق من قرارات هي طريقة عملية تساعده في تفعيل استقلاليته وتوسيع مجالها فضلا عن أنها تعزز ثقته بنفسه وبقدراته.

و- تبادل الثقة مع الأطفال والمراهقين من شأنه أن يسهل التواصل معهم. فالثقة المتبادلة معهم تصبح عاملا يحقق التوازن بين حاجة هؤلاء الشباب إلى الخصوصية ونهج الأولياء والمربين في المراقبة.

قائمة المصادر والمراجع

I – المصادر

2- القرآن الكريم

3- السنة النبوية

- أبو داود، سليمان بن الأشعث (275هـ). سنن أبي داود. كتاب الأدب . بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع .1419هـ/ 1998م.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت458هـ). الجامع لشعب الايمان. الجزء السابع. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع , الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م.

- بن حنبل، أحمد بن محمد (ت241هـ). مسند الامام أحمد بن حنبل.الأجزاء:14،11،3، 15 و16 . مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى 1997.

- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت 256هـ) صحيح البخاري ،الأجزاء : 3،2،1و5. اليمامة للطبع والنشر والتوزيع ودار ابن كثير: دمشق وبيروت، ط. 5، 1414هـ/1993م.

- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت 256هـ). صحيح الأدب المفرد. باب فضل الكبير. مكتبة الدليل، الطبعة الرابعة 1998، المملكة العربية السعودية. لفظ البخاري.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360هـ). المعجم الأوسط.. الجزء الثامن. دار الحرمين للطباعة و النشر والتوزيع، 1995. ISBN : 977- 5632- 00-5

- الألباني، محمد ناصر الدين(1988). صحيح الجامع الصغير زيادة (الفتح الكبير). المكتب الاسلامي.، بيروت ، دمشق. الطبعة الثالثة.

- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج (ت 261هـ) صحيح مسلم، كتاب الايمان، كتاب النكاح، كتاب البر والصلة والآداب. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع .1419هـ/ 1998م.

- الترمذي، محمد أبو عيسى (ت279هـ). جامع الترمذي. كتاب البر والصلة. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.

II – المراجع

- أبو شماله، فرج إبراهيم حسن، و رحاب يوسف(2020) . الكشف المبكر لذوي صعوبات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة ، مجلة الباحث في العلوم، المجلد 12 العدد 2، الصفحات571-584 . الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

- بورقيق، حليمة ودحام سمية (2020)استراتيجية اللعب التربوي ودوره في تنمية القدرات المعرفية عند الأطفال. أطروحة دكتوراه ، جامعة بن خلدون تيارت، الجزائر

http://dspace.univ-tiaret.dz:8080/jspui/handle/123456789/1236

- بياجه،جان. سيكولوجيا الذكاء. ترجمة يولاند عمانوئيل(1988) منشورات عويدات بيروت، باريس وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى.

- بن عيسى، رابح (2016) عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب المدرسي، دراسة ميدانية لعينة من الأطفال العاملين المتسربين بمدينة قريب الوادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، بسكره، الجزائر.

- جمالي, محمد فاضل(1968).آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية.الدار التونسية للنشر.

- حسن رمضان، فحلة (2009) ظاهرة العنوسة وآثارها في المجتمع أسبابها، مخاطرها، علاجها. مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، المجلد 11، العدد 1، الرقم التسلسلي للعدد 13، الص. 94-99. ISSN :1112-4350

http://dspace.univ-batna.dz/xmlui/handle/123456789/4895

- يوبي نبيلة (2015) فعالية العلاج السلوكي للأطفال المتمدرسين مفرطي الحركة ومتشتتي الانتباه ما بين6-12 سنة: تقنية التدعيم الايجابي(تكلفة الاستجابة- جدولة المهام). رسالة ماجستير، قدمت بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة وهران2 في سنة 2015

- يحياوي مريم و قرزيز محمود(2011) . تطور ظاهرة العنوسة في الجزائر، الأسباب والآثار .حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية. المجلد 6، العدد 1، الصفحات 251-277. ISSN : 1112 -7880 .

- https://www.asjp.cerist.dz/en/article/27924

- كركوش، فتيحة و شرادي، نادية (2014). دراسة تحليلية لواقع تأخر سن الزواج في الوطن العربي-الجزائر أنموذجا- مجلة الحكمة للدراسات التربوية النفسة، المجلد 2 ، العدد 3، الصفحات: 253-281، ISSN:2353-0502 EISSN:2602-5248

- منصوري، عبدالحق(2005). حقوق الطفل الأساسية في ظل الشريعة الإسلامية. دار قرطبة، الطبعة الأولى.

- منصوري، عبدالحق(2007). الطفولة والمراهقة. دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، الجزائر. ردمك: 0-796-54-9961 -978 .

- منصوري، عبدالحق(2020).محاضرات في الارشاد والتوجيه. جامعة. وهران2، الجزائر.

- منظمة العمل الدولية (1994). عمل الأطفال إساءة لكرامة الإنسان وتبديد هائل للموارد البشرية، مجلة عالم العمل، العدد ،4 ص20.

- مقدم، خديجة .(2005). الأبعاد النفسية والاجتماعية لدى شخصية المراهق الجانح – دراسة وصفية بالسجن الاحتياطي،قديل (ولاية وهران). *Insaniyat إنسانيات*، العدد 29-30،ص.ص.95-106. https://journals.openedition.org/insaniyat/4498

- المرسومي ليلي يوسف كريم .(2011). فاعلية برنامج سلوكي في تعديل أطفال الروضة المضطربينٍ بتشتت الانتباه و فرط النشاط الحركي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

- نبهاني يحيى. (2008) الأساليب التربوية الخاطئة وأثرها في تنشئة الطفل. عمان: مكتبة اليازوري العلمية.

- النجيحي، لبيب محمد (1981). في الفكر التربوي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية.

- النيال، مايسة أحمد.(1999). الخجل وبعض أبعاد الشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى.

- النوبي محمد, ف. (2024). اللعب الموجه مع الأطفال. *المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية-أسوان, 5*(1), 1-12.

- السبعاوي فضيلة عرفات (2010) الخجل الاجتماعي وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

- عامر طارق عبد الرؤوف ومحمد ربيع.(2008) تدريب الأطفال ذوي الاضطرابات السلوكية، دار اليازوري، عمان، الأردن

- العامري، فؤاد عبده مقبل غالب.,الشرجبي، غيلان عبد القادر., السياغي، خديجة أحمد أحمد (2018). فعالية استخدام برنامج في اللعب على تنمية التفكير الابتكاري لدى أطفال الروضة بمدينة تعز. *المجلة العربية لإعلام وثقافة الطفل, 1*(2), 101-120.

- علا عبد الباقي، إبراهيم.(2007) علاج النشاط الزائد لدى الأطفال باستخدام برامج تعديل السلوك .سلسلة التوجيه والإرشاد في مجالات إعاقات الطفولة، الطبعة الثانية، مصر.

- القرضاوي، يوسف(1973). الحلال والحرام في الإسلام. المكتب الإسلامي، ط.7 .

- ربيعة شيخة عبدالله(2004). الخجل وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية كما تدركها طالبات المرحلة الثانوية المتفوقات وغير المتفوقات. مجلة مركز البحوث التربوية 13 (26): 283-291

- شاهين, أ. ر. م., & أمل رياض محمد. (2017). أثر استخدام استراتيجية اللعب في الكشف المبكر عن مواهب الأطفال وتوجيهها (مرحلة رياض الأطفال). *مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية, 29*(1).

- الغزالي،أبو حامد(ت505هـ). إحياء علوم الدين. الجزء الثالث، دار إحياء الكتب العربية.

-Abbeduto, L.,& Elliott, S.N.(1998). *Guide to human development for future educators*. McGraw-Hill.

-Achiam-Montal, M., Tibi, L., & Lipsitz, J.D. (2013). Panic disorder in children and adolescents with noncardiac chest pain. *Child Psychiatry & Human* Development, 44, (6)742-750.

-Adedeji, A., Otto, C., Kaman, A., Reiss, F., Devine, J., & Ravens-Sieberer, U. (2022). Peer relationships and depressive symptoms among adolescents: Results from the German BELLA study. *Frontiers in psychology*, *12*, 767922.

-Adler, A. (1956). The individual psychology of Alfred Adler (HL Ansbacher & RR Ansbacher, Eds.). *New York, NY: Basic*.

-Adolphs, R.(2009).The social brain: neural basis of social knowledge. *Annual review of psychology*, *60*, 693-716.

-Agnew,R.(1990). Adolescent resources and delinquency,*Criminology*, *28*(4), 535-566.

-Ahn, D.H.,& Kang, J.Y. (2003). Child abuse and neglect. Department of Psychiatry, College of Medicine, Hanyang University, Seoul, Korea. Journal of Korean Neuropsychiatry Association, 42(1),14-33.

-Aiken, L.R. (1999). Human differences. *Taylor & Francis eBooks DRM Free Collection*.

-Albert,D., Chein,J.,& Steinberg, L.(2013). The teenage brain: Peer influences on adolescent decision making. *Current directions in psychological science*, *22*(2), 114-120.

-Alessandri, S. M. (1992). Attention, play, and social behavior in ADHD preschoolers. *Journal of abnormal child psychology*, *20*(3),289–302. https://doi.org/10.1007/BF00916693

-Allen, J.P., & Land, D.(1999). Attachment in adolescence. In J. Cassidy & P.R. Shaver (Eds.), *Handbook of attachment: Theory, research, and clinical applications* (pp. 319–335). The Guilford Press.

-Alspaugh, J. W., & Harting, R. D. (1995). Transition effects of school grade-level organization on student achievement. *Journal of Research & Development in Education, 28*(3), 145–149.

-Alspaugh, J. W. (1998). Achievement loss associated with the transition to middle school and high school. *The Journal of educational research*, *92*(1), 20-25.

-Alwi, S.K. & Rauf, M.B. (2019). Role of education in economic development of Pakistan. *Jr of Economics and Sustainable Development.* 10(10), 149-154.

-Amirazodi, F.,& Amirazodi, M.(2011). Personality traits and self-esteem. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, *29*, 713-716.

-Amir, T., Gati, I., & Kleiman, T. (2008). Understanding and interpreting career decision-making difficulties. *J. Career Assess.* 16, 281–309.
doi: 10.1177/1069072708317367

-Anastopoulos, A. D., & Barkley, R. A. (1988). Biological factors in attention deficit-hyperactivity disorder. *Behavior Therapist*, *11*(3), 47-53.

-Andrews,B., Qian,M., & Valentine,J.D.(2002). Predicting depressive symptoms with a new measure of shame: The Experience of Shame Scale. *British Journal of Clinical Psychology*, *41*(1), 29-42.

-Aneshensel,C.S., Frerichs, R.R., & Huba, G.J.(1984). Depression and physical illness: A multiwave, nonrecursive causal model. *Journal of Health and Social Behavior, 25*(4), 350–371. https://doi.org/10.2307/2136376

-Anwer, F.(2019). Activity-Based Teaching, Student Motivation and Academic Achievement. *Jr of Education and Educational Development*, *6*(1), 154-170.

-A.P.A.(2000). Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders Fourth Edition Text Revision (DSM-IV-TR). Washington DC: American Psychiatric Association. https://doi.org/10.1176/appi.books.9780890423349

-A.P.A (2013) Diagnostic And Statistical Manual Of Mental Disorders, 5th Edition,. New School Library. W ashington, DC London, England. ISBN 978-0-89042-554-1 (Hardcover) ISBN 978-0-89042-555-8 (Paperback)

-Arnett, J.J.(1999). Adolescent storm and stress, reconsidered. *American Psychologist, 54*(5), 317–326.

-Arnsten, A.F. (2009), 'Stress signalling pathways that impair prefrontal cortex structure and function', *Nature Reviews Neuroscience*, 10(6), 410–422.

-Asch,S.E.(1951). *Effects of Group Pressure upon the Modification and Distortion of Judgments.* In H. Guetzkow (Ed.), *Groups, Leadership, and Men* (pp. 177-190). Carnegie Press.

-Asgari, Z.,& Jazayeri, R.A.(2021). The parent-child relationship in high school girl students' academic achievement in mother-headed families: A qualitative research. *Journal of Family Psychology*, *5*(2), 3-14.

-Ashton, J.(1994). Sexual Attitudes and Lifestyles. *Journal of Epidemiology and Community Health*, *48*(5), 527.

-Astone, N. & McLanahan,S.(1994).Family structure, residential mobility, and school dropout: A research note. Demography, 31(4), 575–584.

-Aute, D.A., Poipoi, M.W.U.,& Khasakhala, O.E. (2020). Family Socioeconomic Status and Deviant Behaviour Among Secondary School Students in Homabay County, Kenya. *Science Journal of Education*, *8*(1), 14.

-Bacchini, D., & Magliulo, F. (2003). Self-image and perceived self-efficacy during adolescence. *Journal of youth and adolescence*, *32*, 337-349.

-Bach,L.(2017). The path to tobacco addiction starts at very young ages. *Campaign for Tobacco Free Kids*.

-Backscheider, A. G., & Gelman, S. A. (1995). Children's understanding of homonyms. *Journal of Child language*, *22*(1), 107-127.

-Baker, A. J., & Ben-Ami, N. (2011). To turn a child against a parent is to turn a child against himself: The direct and indirect effects of exposure to parental alienation strategies on self-esteem and well-being. *Jr of Divorce & Remarriage*, *52*(7), 472-489.

-Bandura, A & Walters, R.H(1959) Adolescent agression. New York: Ronald.

-Bandura,A (1977) Social Learning theory, Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, New Jersey pp.117-128.

-Bandura, A. (1993). Perceived self-efficacy in cognitive development and functioning. *Educational psychologist*, *28*(2), 117-148.

-Barbu, S., Nardy, A., Chevrot, J. P., Guellaï, B., Glas, L., Juhel, J., & Lemasson, A. (2015). Sex differences in language across early childhood: Family socioeconomic status does not impact boys and girls equally. *Frontiers in psychology*, *6*, 1874. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2015.01874

-Bardwick,J.(1971). Psychology of women: a study of bio-cultural conflicts. Harper and Row : New York.

-Bardwick, J., Douvan, E., Horner, M. S., & Gutmann, D. (1970). Feminine Personality and Conflict. Belmont, California: Brooks.

-Barker, J. E., Semenov, A. D., Michaelson, L., Provan, L. S., Snyder, H. R., & Munakata, Y. (2014). Less-structured time in children's daily lives predicts self-directed executive functioning. *Frontiers in psychology*, *5*, 85789.
https://doi.org/10.3389/fpsyg.2014.00593

-Barkley,R.A.(1990) Attention Deficit Hyperactivity disorder: A Handbook for diagnosis and treatment. New York: Guilford Press.

-Barkley,R.A.,Fischer,M.,Edelbrock,C.S.,& Smallish,L. (1990). The adolescent

outcome of hyperactive children diagnosed by research criteria: I. An 8-year prospective follow-up study. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*, *29*(4), 546-557.

-Barkley, R.A., Fischer, M., Newby, R.F.,& Breen, M.J. (1988). Development of a multimethod clinical protocol for assessing stimulant drug response in children with attention deficit disorder. *Journal of Clinical Child Psychology, 17*(1),14-24.

-Barkley,R.A., Fischer,M., Smallish,L., & Fletcher,K.(2003). Does the treatment of attention-deficit/hyperactivity disorder with stimulants contribute to drug use/abuse? A 13-year prospective study. *Pediatrics*, *111*(1), 97-109.

-Baron, J.,& Brown, R.V.(2012). *Teaching decision making to adolescents*. Routledge.

-Barrera, M., & Garrison-Jones, C. (1992). Family and peer social support as specific correlates of adolescent depressive symptoms. *Journal of abnormal child psychology*, *20*, 1-16.

-Barth, R.P., Derezotes, D.S., & Danforth, H.E. (1991). Preventing adolescent abuse. *journal of Primary Prevention*, *11*, 193-205.

-Battistich, V., Solomon, D., Watson, M., & Schaps, E. (1997). Caring school communities. *Educational psychologist*, *32*(3), 137-151.

-Baumeister, R. F., & Leary, M. R. (1995). The need to belong: Desire for interpersonal attachments as a fundamental human motivation. *Psychological Bulletin*, *117*(3), 497-529.

-Beausang, C.C.,& Razor, A.G.(2000). Young western women's experiences of menarche and menstruation.*Health Care for Women International, 21*, 517-528.

-Becker, G. S. (1993). *Human Capital: A Theoretical and empirical analysis, with special reference to education.* The University of Chicago Press.

-Bell, B.T.(2016). Understanding adolescents. *Perspectives on HCI research with teenagers*,11-27. DOI:10.1007/978-3-319-33450-9_2. https://www.researchgate.net/publication/305813308_Understanding_Adolescents

-Bell, B.,Costa, R., & Machin, S. (2016). Crime, compulsory schooling laws and education. *Economics of Education Review*, *54*, 214-226.

-Bell, G. D. (1963). Processes in the formation of adolescents' aspirations. *Social Forces*, *42*(2), 179-186.

-Bell,Z., Shader,T., Webster-Stratton,C., Reid,M.J., & Beauchaine,T.P. (2018). Improvements in negative parenting mediate changes in children's autonomic

responding following a preschool intervention for ADHD. *Clinical Psychological Science*, *6*(1),134-144. https://doi.org/10.1177/2167702617727559

-Benson, P.L.(2004). Emerging Themes in Research on Adolescent Spiritual and Religious Development. *Applied Developmental Science*, *8*(1), 47–50. https://doi.org/10.1207/S1532480XADS0801_6

-Berg,N., Kiviruusu,O., Huurre,T., Lintonen,T.,Virtanen,P.,& Hammarström, A. (2018). Associations between unemployment and heavy episodic drinking from adolescence to midlife in Sweden and Finland. *The European Journal of Public Health*, *28*(2), 258-263.

-Berg, I. (1997). School refusal and truancy. *Archives of disease in childhood. 76*(2),90-91.

-Berkman,L.F.,Berkman,C.S.,Kasl,S.,Freeman,D.H.,Leo,L.,Ostfeld,A.M., ... & Brody,J.A.(1986). Depressive symptoms in relation to physical health and functioning in the elderly. *American journal of epidemiology*, *124*(3), 372-388.

-Betts, L. R., & Stiller, J. (2014). Reciprocal peer dislike and psychosocial adjustment in childhood.*Social Development*, *23*(3), 556-572.

-Bettmann, J.E.,& Jasperson, R.A.(2009). Adolescents in residential and inpatient treatment: A review of the outcome literature. In *Child & Youth Care Forum* (Vol. 38, pp. 161-183). Springer US.

-Beyer, E. (1940). Some questions children ask and how to answer them. *Childhood Education*, *16*(5), 201-204.

-Beyth-Marom, R., Fischoff, B., Quadrel, M.J., & Furby, L.(2012). Teaching decision making to adolescents: A critical review. *Teaching decision making to adolescents*, 19-59.

-Biederman,J.,Faraone,S.V.,Keenan,K., Benjamin,J.,Krifcher,B., Moore,C.,.. & Tsuang, M.T. (1992). Further evidence for family-genetic risk factors in attention deficit hyperactivity disorder: Patterns of comorbidity in probands and relatives in psychiatrically and pediatrically referred samples. *Archives of general psychiatry. 49*(9), 728-738.

-Birkeland, M.S., Breivik, K.,& Wold,B.(2014). Peer acceptance protects global self-esteem from negative effects of low closeness to parents during adolescence and early adulthood. *Jr of youth and adolescence*, *43*, 70-80.

-Bjork, E.L.,& Bjork,R.A.(2011). Making things hard on yourself, but in a good way:Creating desirable difficulties to enhance learning. *Psychology and the real world:Essays illustrating fundamental contributions to society*, *2*(59-68).

-Bjork, R. A.,& Bjork,E. L.(2020). Desirable difficulties in theory and practice. *Journal of Applied research in Memory and Cognition*, *9*(4), 475-479 DOI:10.1016/ j.jarmac.2020.09.003

-Bingenheimer,J.B.,Asante,E.,& Ahiadeke,C.(2015). Peer influences on sexual activity among adolescents in Ghana. *Studies in family planning*, *46*(1),1-19. https://doi.org/10.1111/j.1728-4465.00012

-Blair-Loy,M.(2005). *Competing Devotions: Career and Family among Women Executives*. Cambridge, MA and London, England: Harvard University Press. https://doi.org/10.4159/9780674021594

-Blakemore,S.J., den Ouden,H., Choudhury, S.,& Frith, C. (2007). Adolescent development of the neural circuitry for thinking about intentions. *Soc. Cogn. Affect. Neurosci.* 2, 130–139. 10.1093/scan/nsm009

-Blasi, A.,& Milton, K.(1991). The development of the sense of self in adolescence. *Journal of Personality*, *59*(2), 217-242.

-Blos, P.(1979) The Adolescent Passage: Developmental Issues. International Universities Press, New York.

-Bober,A., Gajewska,E., Czaprowska,A., Świątek,A.H.,& Szcześniak,M. (2021). Impact of shyness on self-esteem:The mediating effect of self-presentation. *International journal of environmental research and public health*, *19*(1), 230. https://doi.org/10.3390/ijerph19010230

-Bolton,D., O'Ryan, D., Udwin,O., Boyle, S., & Yule, W.(2000). The long-term psychological effects of a disaster experienced in adolescence: II: General psychopathology. *The Journal of Child Psychology and Psychiatry and Allied Disciplines*, *41*(4), 513-523.

-Bonanno, R. A., & Hymel, S. (2010). Beyond hurt feelings: Investigating why some victims of bullying are at greater risk for suicidal ideation. *Merrill-Palmer Quarterly, 56*(3), 420–440. https://doi.org/10.1353/mpq.0.0051

-Bonn,M.(1994).The effects of hospitalisation on children: a review.*Curationis, 17*(2),20–24. https://doi.org/10.4102/curationis.v17i2.1384

-Bonnet, G.(2013). Quand l'idéal pousse au passage à l'acte. *Adolescence, 31*(4), 897-915.

-Borasi, R. (1996). *Reconceiving mathematics instruction: A focus on errors*. Greenwood Publishing Group.

-Bos,C.S.,& Vaughn,S., (2006) .Strategies for Teaching Students with Learning and Behavior Problems. Pearson/Allyn & Bacon.

-Bouldin, P., & Pratt, C. (1999). Characteristics of preschool and school-age children with imaginary companions. *The Journal of Genetic Psychology, 160*(4), 397-410.

-Bourke,M.L.,& Donohue,B.(1996). Assessment and Treatment of Juvenile Sex Offenders: An Empirical Review. *Journal of Child Sexual Abuse*, *5*(1), 47–70. https://doi.org/10.1300/J070v05n01_03

-Botvin, G. J., Baker, E., Dusenbury, L., Botvin, E. M., & Diaz, T. (1995). Long-term follow-up results of a randomized drug abuse prevention trial in a white middle-class population. *Jama*, *273*(14), 1106-1112.

-Bourdeau, B., Miller, B.A., Duke, M.R., & Ames, G.M. (2011). Parental strategies for knowledge of adolescents' friends: Distinct from monitoring? *Journal of child and family studies*, *20*, 814-821. https://doi.org/10.1007/s10826-011-9449-0

-Boyd, E.(1952). An Introduction to human biology and anatomy for frst year medical students. Denver,Colo: Child Research Council.

-Boyd, C.P., Kostanski, M., Gullone, E., Ollendick, T.H., & Shek, D.T. (2000). Prevalence of anxiety and depression in Australian adolescents: Comparisons with worldwide data. *The Journal of Genetic Psychology*, *161*(4), 479.

-Brechwald, W. A., & Prinstein, M. J. (2011). *Beyond homophily: A decade of advances in understanding peer influence processes. Journal of Research on Adolescence, 21*(1), 166-179.

-Brewin,C.R., Andrews, B., & Furnham, A. (1996). Self-critical attitudes and parental criticism in young women. *British Journal of Medical Psychology, 69*(1), 69-78.

-Brière, M. (2018). L'erreur pour apprendre. Étudier les erreurs des étudiants: un processus novateur pour analyser sa pratique et mieux faire apprendre. *Pédagogie collégiale vol. 31, n° 2, hiver 2018*.

-Briggs, F., & McVeity, M. (2000). *Teaching children to protect themselves*. Allen & Unwin.

-Bristow, J. (2014). The double bind of parenting culture: Helicopter parents and cotton wool kids. In E. Lee, J. Bristow, C. Faircloth, J. Macvarish, & J. Bristow (Eds.), *Parenting culture studies* (pp. 200–215). Palgrave Macmillan

-Brizio, A., Gabbatore, I., Tirassa, M., & Bosco, F. M. (2015). "No more a child, not yet an adult": studying social cognition in adolescence. *Frontiers in psychology*, *6*, 1011. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2015.01011

-Brook,J.S., Brook,D.W., Gordon, A.S., Whiteman, M.,& Cohen,P.(1990). The psychosocial etiology of adolescent drug use: a family interactional approach. *Genetic, social, and general psychology monographs*, *116*(2),111-267.

-Brown, B.B. (1990). Peer groups and peer cultures. In S. S. Feldman & G. R. Elliott (Eds.), *At the threshold: The developing adolescent* (pp. 171–196). Harvard University Press.

-Brown, B. B., Clasen, D. R., & Eicher, S. A. (1986). *Perceptions of peer pressure, peer conformity dispositions, and self-reported behavior among adolescents. Developmental Psychology, 22*(4), 521-530.

-Brown, B. B., Larson, R. W., & Saraswathi, T. S. (Eds.). (2002). *The world's youth: Adolescence in eight regions of the globe*. Cambridge University Press.

-Brussoni, M., Olsen, L.L., Pike, I., & Sleet, D.A.(2012). Risky play and children's safety: Balancing priorities for optimal child development. *International journal of environmental research and public health*, *9*(9), 3134-3148.

-Bry, B.H. (1994). Preventing substance abuse by supporting families' efforts with community resources. *Child & family behavior therapy*, *16*(3), 21-26.

-Buhs, E. S., Ladd, G. W., & Herald, S. L. (2006). Peer exclusion and victimization: Processes that mediate the relation between peer group rejection and children's classroom engagement and achievement?. *Journal of educational psychology*, *98*(1),1-13. https://doi.org/10.1037/0022-0663.98.1.1

-Bullinger, D.L.,Hearon, C.M., Gaines, S.A., & Daniel, M.L.(2012). Concurrent verbal encouragement and Wingate anaerobic cycle test performance in females: Athletes vs. non-athletes. *International journal of exercise science*, *5*(3), 239.

-Bureau,J.S.,& Mageau,G.A.(2014). Parental autonomy support and honesty: The mediating role of identification with the honesty value and perceived costs and benefits of honesty. *Journal of Adolescence*,*37*(3),225-236.

-Burgess, K.B., Rubin, K.H., Cheah, C.S.,& Nelson, L.J. (2001) Behavioral inhibition, social withdrawal, and parenting. In:Crozier,W., & Alden, L.E. (2001). International handbook of social anxiety: Concepts, research and interventions relating to the self and shyness. Chichester, Wiley, UK. p.137–158.

-Burt, S.A., Barnes, A.R., McGue, M., & Iacono, W.G. (2008). Parental divorce and adolescent delinquency: ruling out the impact of common genes. *Developmental psychology*, *44*(6), 1668-77. DOI:10.1037/a0013477

-Burton,D.L.(2008). An exploratory evaluation of the contribution of personality and childhood sexual victimization to the development of sexually abusive behavior. *Sexual Abuse*, *20*(1), 102-115.

-Burton, D.L.(1999). An examination of social cognitive theory with differences among sexually aggressive, physically aggressive and nonaggressive children in state care. *Violence and Victims*, *14*(2), 161-178.

-Burton, D.L.,& Meezan, W.(2004). Revisiting recent research on social learning theory as an etiological proposition for sexually abusive male adolescents. *Journal of Evidence-Based Social Work*, *1*(1), 41-80.

-Burton, R (1976). Honesty and Dishonesty. In T. Lickona (Ed.), Moral development and behavior: Theory research and social issues (pp. 173-197). New York: Holt, Rinehart and Winston.

-Butler-Barnes, S. T., Leath, S., Inniss-Thompson, M. N., Allen, P. C., D'Almeida, M. E., & Boyd, D. T. (2022). Racial and gender discrimination by teachers: Risks for Black girls' depressive symptomatology and suicidal ideation. *Cultural diversity and ethnic minority psychology*, *28*(4), 469-482.

-Calabrese, R.,& Adams,J.(1990). Alienation: A cause of juvenile delinquency. *Adolescence*, *25*(98). 435–440.

-Calabrese, R. L., & Poe, J. (1990). Alienation: An explanation of high dropout rates among African American and Latino students. *Educational Research Quarterly*.14,22–26.

-Callanan, M. A., & Oakes, L.M.(1992). Preschoolers' questions and parents' explanations: Causal thinking in everyday activity. *Cognitive development* *7*(2), 213-233.

-Camberis, A. L., McMahon, C. A., Gibson, F. L., & Boivin, J. (2014). Age, psychological maturity, and the transition to motherhood among English-speaking Australian women in a metropolitan area. *Developmental psychology*, *50*(8), 2154-64. doi: 10.1037/a0037301. PMID: 25069055.

-Cameron, N., & Nagdee, I. (1996). Menarcheal age in two generations of South African Indians. *Annals of human biology*, *23*(2), 113-119.

- Camp, B.H., & Thyer, B.A. (1993). Treatment of adolescent sex offenders: A review of empirical research. *Journal of Applied Social Sciences*, *17*, 191-191.

-Canavan,D.(1989).Fear of success. In *Self-defeating behaviors: Experimental research, clinical impressions, and practical implications* (pp. 159-188). Boston, MA: Springer US.

-Carducci, B.J.(2009). *The psychology of personality: Viewpoints, research, and applications*. John Wiley & Sons.

-Caro, F. G., & Pihlblad, C. T. (1965). Aspirations and Expectations: A reexamination of the bases for social class differences in the occupational orientations of male high school students. *Sociology and Social Research* 49, pp.465-475.

-Carter, H. D., & Strong, E. K.,Jr. (1933). Sex differences in occupational interests of high school students. *Personnel Journal, 12,* 166–175.

-Carton,J.S., Ries, M.,& Nowicki Jr, S.(2021). Parental antecedents of locus of control of reinforcement: a qualitative review. *Frontiers in Psychology*, *12*, 565883. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2021.56

-Cartwright-Hatton, S., McNicol, K., & Doubleday, E.(2006). Anxiety in a neglected population: Prevalence of anxiety disorders in pre-adolescent children. *Clinical psychology review, 26*(7),817-833.

-Caskey, M.M.,& Anfara Jr, V.A. (2007). Research summary: Young adolescents' developmental characteristics. *National Middle School Association*.

-Cassirer, E. (1953). *The Philosophy of Symbolic Forms...: By Ernst Cassirer. Translated by Ralph Manheim. Preface... by Charles W. Hendel*. Yale University Press.

-Celio, M., Karnik, N. S., & Steiner, H. (2006). Early maturation as a risk factor for aggression and delinquency in adolescent girls: a review. *International Journal of Clinical Practice*, *60*(10), 1254-1262.

-Chamberlain, K.(1992). Religiosity. Meaning in Life, and Psychological Well-being. *Religion and Mental Health/Oxford University Press*.

-Chan, S.M.,& Wong, A.K.Y.(2013). Shyness in late childhood: relations with attributional styles and self- esteem. Child: care, health and development, 39(2), 213-219.

-Chang,Z., Lichtenstein,P., Asherson,P.J.,& Larsson,H.(2013). Developmental twin study of attention problems: high heritabilities throughout development. *JAMA psychiatry*, *70*(3), 311-318.

-Chapellon, S., & Vicente, C. (2019). Éloges de l'autorité. Pourquoi les adolescents éprouvent-ils le besoin de la tester?. *Bulletin de psychologie*, *72*(4), 305-313.

-Chassin, L., Presson, C.C., Sherman, S.J., & Edwards, D. A. (1990). The natural history of cigarette smoking: predicting young-adult smoking outcomes from adolescent smoking patterns. *Health psychology*, *9*(6), 701-716

-Cheek,J.M., and Stahl, S.S.(1986). Shyness and verbal creativity. *Journal of Research in Personality*, *20*(1), 51-61.

-Chemers, M. M., Watson, C. B., & May, S. T. (2000). Dispositional affect and leadership effectiveness: A comparison of self-esteem, optimism, and efficacy. *Personality and Social Psychology Bulletin*, *26*(3), 267-277.

-Chen, C.P.(1997).Career projection: Narrative in context. *Journal of Vocational Education and Training*, *49*(2), 311-326.

-Chen, K., & Kandel, D. B. (1995). The natural history of drug use from adolescence to the mid-thirties in a general population sample. *American journal of public health*, *85*(1), 41-47.

-Chimwamurombe, M. (2017) Adolescents' Antisocial Behavior in Schools: Examining the Influence of Poverty on Adolescents from Low Socio- Economic Families and Schools. Texila International Journal of Academic Research Volume 4, Issue 2.

-Chin, C., & Osborne, J. (2008). Students' questions: a potential resource for teaching and learning science. *Studies in science education*, *44*(1), 1-39.

-Choi, N. (2005). Self-efficacy and self-concept as predictors of college students' academic performance. *Psychology in the Schools*, *42*(2), 197-205.

-Cho, Y.J., Ju, H. W.,& Hyun, M. H. (2015). The mediating effect of social withdrawal on the relationship between negative parenting attitudes and victimization in adolescents. Studies on Korean Youth, 26(2), 59-81.

-Chouinard, M.M.(2007).Children's questions: A mechanism for cognitive development: IV. Children's questions about animals. *Monographs of the Society for Research in Child Development*. 72(1),1-129.
doi:10.1111/j.1540- 5834.2007.00412.x

-Christiansen, L., Beck, M.M., Bilenberg, N., Wienecke, J., Astrup, A., & Lundbye-Jensen, J.(2019). Effects of exercise on cognitive performance in children and adolescents with ADHD: potential mechanisms and evidence-based recommendations. *Jr of clinical medicine*, *8*(6),841. doi:10.3390/jcm8060841

-Chronis, A.M., Lahey, B.B., Pelham Jr, W.E., Kipp, H.L., Baumann, B.L., & Lee,S.S. (2003). Psychopathology and substance abuse in parents of young children with attention-deficit/hyperactivity disorder. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*, *42*(12), 1424-1432.

-Chuang,C.W.I., Sussman, S.,Stone, M.D., Pang, R.D., Chou, C.P., Leventhal, A.M.,& Kirkpatrick, M. G. (2017). Impulsivity and history of behavioral addictions are associated with drug use in adolescents. *Addictive behaviors*, *74*, 41-47. https://doi.org/10.1016/j.addbeh.2017.05.021

-Chung,H., Elias, M.,& Schneider, K.(1998). Patterns of individual adjustment changes during middle school transition. *Journal of school psychology*, *36*(1), 83-101.

-Cicekci, M. A., & Sadik, F. (2019). Teachers' and Students' Opinions about Students' Attention Problems during the Lesson. *Journal of Education and Learning*, *8*(6), 15-30.

-Cillessen, A.H.N., & van den Berg, Y.H.M. (2012). Popularity and school adjustment. In Ryan, A. M. & G. W. Ladd (Eds.), *Peer relationships and adjustment at school* (pp. 135–164). IAP Information Age Publishing.

-Claes, M. (2014). Les relations entre parents et adolescents. In Claes et Lanne grand Willems , « Psychologie de l'adolescence ». Montréal : Presses de l'Université de Montréal. pp.157-183.

-Clark, A.,McQuail, S.,& Moss, P.(2003). *Exploring the field of listening to and consulting with young children* .Research Report No 445. London:Department for Education and Skills. ISBN: 1 84478 026 0

-Clements, R.L., & Fiorentino, L (2004). The Child's Right to Play: A Global Approach. New York, NY: Greenwood Publishing Company.

-Cloutier,R.(2005). Psychologie de l'adolescence [Psychologie of Adolescence] (3rd ed.). Montréal: Gaëtan Morin

-Coatsworth, J. D., Duncan, L. G., Greenberg, M. T., & Nix, R. L. (2010). Changing Parent's Mindfulness, Child Management Skills and Relationship Quality With Their Youth: Results From a Randomized Pilot Intervention Trial. *Journal of child and family studies*, *19*(2), 203–217.
https://doi.org/10.1007/s10826-009-9304-8

-Coelho, V. A., & Romao, A. M. (2016). Stress in Portuguese middle school transition: a multilevel analysis. *The Spanish journal of psychology*, *19*, E61.

-Coghill, D., Soutullo, C., d'Aubuisson, C., Preuss, U., Lindback, T., Silverberg, M., & Buitelaar, J. (2008). Impact of attention-deficit/ hyperactivity disorder on the patient and family: results from a European survey. *Child and Adolescent Psychiatry and Mental Health*, *2*, 1-15.

-Cohn, L.D. (1991). Sex differences in the course of personality development: a meta-analysis. *Psychological bulletin*, *109*(2), 252.

-Coleman, J. S. (1961). The adolescent society. Free Press of Glencoe.

-Collin, A., & Young, R. A. (1992). Constructing career through narrative and context: An interpretive perspective. *Interpreting career: Hermeneutical studies of lives in context*, 1-12. Westport: Praeger.

-Collins, W. A., & Laursen, B. (1992). Conflict and relationships during adolescence. In Shantz, C. U., & Hartup, W. W. (Eds.). (1995). *Conflict in child and adolescent development*. Cambridge University Press. pp.216-241

-Collins, W.A., Laursen, B., Mortensen, N., Luebker, C.,& Ferreira, M. (1997). Conflict processes and transitions in parent and peer relationships: Implications for autonomy and regulation. *Journal of Adolescence*, **12**, 178–198. https://doi.org/10.1177/0743554897122003

-Conger, J.J (1973) Adolescence and youth : psychological development in a changing world. Harper and Row : New York.

Cooper, M., & Norcross, J.C. (2016). A brief, multidimensional measure of clients' therapy preferences: The Cooper-Norcross Inventory of Preferences (C-NIP). *International Journal of Clinical and Health Psychology*, *16*(1), 87-98.

-Cooper, M., Van Rijn, B., Chryssafidou, E., & Stiles, W. B. (2022). Activity preferences in psychotherapy: What do patients want and how does this relate to outcomes and alliance?. *Counselling Psychology Quarterly*, *35*(3), 503-526.

-Copeland, W.E., Wolke, D., Angold, A.,& Costello, E.J. (2013). Adult psychiatric outcomes of bullying and being bullied by peers in childhood and adolescence. *JAMA psychiatry, 70*(4), 419-426.

-Copeland,W.,Shanahan, L.,Miller,S.,Costello, E.J., Angold, A.,& Maughan, B. (2010).Outcomes of early pubertal timing in young women: a prospective population-based study. *American Journal of Psychiatry*, *167*(10), 1218-1225.

-Cordier, R., Speyer, R., Mahoney, N., Arnesen, A.,Mjelve, L.H.,& Nyborg, G. (2021). Effects of interventions for social anxiety and shyness in school-aged children: A systematic review and meta-analysis. *Plos one*, *16*(7), e0254117.

-Corthorn C. (2018). Benefits of Mindfulness for Parenting in Mothers of Preschoolers in Chile. *Frontiers in psychology*, *9*, 1443. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2018.01443

-Costello, E. J., Mustillo, S., Erkanli, A., Keeler, G., & Angold, A. (2003). Prevalence and development of psychiatric disorders in childhood and adolescence. *Archives of general psychiatry*, *60*(8), 837-844.

-Côté, J.E.(2009). Identity formation and self-development in adolescence. In R.M.Lerner & L.Steinberg(Eds.),*Handbook of adolescent psychology: Individual bases of adolescent development* (3rd ed., pp. 266–304). John Wiley & Sons. Inc.. https://doi.org/10.1002/9780470479193.adlpsy001010

-Courtois C.A.(1988).Healing incest wound: adult survivors in therapy. New York: W.W. Norton and Company.

-Cousins,J(1999) Listening to Children Aged Four: Time is as long as it takes. National Early Years Network

-Covey, L.S., Glassman,A.H.,& Stetner, F.(1998). Cigarette smoking and major depression. *Journal of addictive diseases*, *17*(1), 35-46.

-Crockett,L.J.,& Silbereisen, R.K.(2000). Social change and adolescent development: Issues and challenges. *In* Crockett, L.J.,& Silbereisen, R.K.(Eds.) *Negotiating adolescence in times of social change*. Cambridge University Press.

-Crozier W.R. (1979).Shyness as a dimension of personality. *The British journal of social and clinical psychology*, *18*(1),121-128. https://doi.org/10.1111/j.2044-8260.1979.tb00314.x

-Crozier,W.R.(1995).Shyness and self-esteem in middle childhood. *British Journal of Educational Psychology*, *65*(1), 85-95.

-Csikszentmihalyi, M. (2000). *Beyond boredom and anxiety*. San Francisco: Jossey-Bass. (Original work published 1975)

-Cumsille, P.,Darling, N.,& Martínez, M.L. (2010). Shading the truth: The patterning of adolescents' decisions to avoid issues, disclose, or lie to parents. *Journal of adolescence*, *33*(2),285-296.

-Curtis, D.A., & Hart, C.L.(2020). Pathological lying: Theoretical and empirical support for a diagnostic entity. *Psychiatric Research and Clinical Practice*, *2*(2), 62-69.

- Dahmen, B., Firk, C.,Konrad,K.,& Herpertz-Dahlmann, B. (2013). Adolescent parenting–developmental risks for the mother-child dyad. *Zeitschrift fur Kinder- und Jugendpsychiatrie und Psychotherapie*, *41*(6), 407-17.

-Dalsgaard, S., Mortensen, P. B., Frydenberg, M., & Thomsen, P. H. (2002). Conduct problems, gender and adult psychiatric outcome of children with attention-deficit hyperactivity disorder. *The British Journal of Psychiatry. 181*(5),416-421.

-Dansereau, D.F., Knight, D.K., & Flynn, P.M. (2013). Improving adolescent judgment and decision making. *Professional Psychology: Research & Practice, 44*(4), 274–282. https://doi.org/10.1037/a0032495

-Darmody,J.(1991). The adolescent personality, formal reasoning, and values. *Adolescence*, *26*(103). 731-742.

-Davison, G. C. (1968). Systematic desensitization as a counterconditioning process. *Journal of Abnormal Psychology, 73*(2), 91–99. https://doi.org/10.1037/h0025501

-Davies, P.T., & Lindsay, L.L. (2004). Inter parental conflict and adolescent adjustment: Why does gender moderate early adolescent vulnerability. Journal of Family Psychology, 18(1), 160-170.

-Davis, M., Singer, D., Butchart, A., & Clark, S. J. (2010). Mott Children's Hospital National Poll on Children's Health.

-Day, S.R (1966). Teacher influence on the occupational preferences of high school students. *Vocational Guidance Quarterly.* 14(3), 215–219.

-Deas, D.,& Thomas,S.E.(2001).An overview of controlled studies of adolescent substance abuse treatment. *American Journal on Addictions*,*10*(2), 178-189.

-Deas,D. (2008). Evidence-based treatments for alcohol disorders in adolescents. Pediatrics, 121(suppl. 4), S348–S354.

-Deb,S., Strodl,E.,& Sun,H. (2015). Academic stress, parental pressure, anxiety and mental health among Indian high school students. *International Journal of Psychology and Behavioral Science*, *5*(1), 26-34.

-Deborah, G.K.N., Louisa Chan, E., & Holt, M.B.(2004). When children ask, "What is it? "what do they want to know about artifacts?. *Psychological Science. 15*(6), 384-389.

-DeFrain, J., & Asay, S. M. (2007). Strong families around the world: An introduction to the family strengths perspective. *Marriage & Family Review, 41*(1-2), 1–10. https://doi.org/10.1300/J002v41n01_01

-Degenhardt, L.,Stockings, E., Patton, G.,Hall, W.D.,& Lynskey, M.(2016). The increasing global health priority of substance use in young people. *The Lancet Psychiatry*, *3*(3), 251-264. https://doi.org/10.1016/S2215-0366(15)00508-8

-De Goede,I.H., Branje, S.J.T.,& Meeus,W.H. (2009). Developmental changes in adolescents' perceptions of relationships with their parents. *Journal of Youth and Adolescence*, 38, 75–88. https://doi.org/10.1007/s10964-008-9286-7

-De Goede, I.H., Branje, S.J., Delsing, M.J., & Meeus, W.H. (2009). Linkages over time between adolescents' relationships with parents and friends. *Journal of youth and adolescence*, *38*, 1304-1315.

-Deković, M., Noom, M. J., & Meeus, W. (1997). Expectations regarding development during adolescence: Parental and adolescent perceptions. *Journal of youth and adolescence*, *26*(3), 253-272.
https://doi.org/10.1007/s10964-005-0001-7

-De Matos, M.G., Barrett,P., Dadds,M.,& Shortt, A. (2003). Anxiety, depression, and peer relationships during adolescence: Results from the Portuguese national health behaviour in school-aged children survey. *European Journal of Psychology of Education*, *18*, 3-14.

-Demers, M. (1983). Chômage chez les jeunes: Conséquences psychologiques et sociales. *Relations industrielles*, *38*(4), 785-814.

-Deming, D.J. (2011). Better schools, less crime?. *The Quarterly Journal of Economics*, *126*(4), 2063-2115.

-Demuth, S., & Brown, S.L. (2004). Family structure, family processes and adolescent delinquency: The significance of parental absence versus parental gender. Journal of research in crime and delinquency, 41(1), 58-81.

-DePaulo,B.M., Kashy,D.A., Kirkendol,S.E., Wyer,M.M., & Epstein, J.A.(1996). Lying in everyday life. *Jr of personality and social psychology, 70*(5), 979 –995.

-De Peretti, A. (2009). Apprendre par les erreurs, ou le courage de l'approche rogérienne. *Approche Centrée sur la Personne*, (2) (n° 10), 29-44.

-De Ridder, D., Lensvelt-Mulders, G., Finkenauer, C., Stok, F., & Baumeister, R. (2012). Taking stock of self-control: A meta-analysis of how trait self-control relates to a wide range of behaviors. *Personality and Social Psychology Review, 16*(1),76-99.

-Dewey, J. (1899). *The school and society: Being three lectures*. University of Chicago Press.

-Dewey,J.(1903). Democracy in education. *The elementary school teacher, 4*(4), 193-204.

-Dewey, J. (1907). *The school and the child*. London: Blackie & Son

-Dickson,N.,Paul,C.,Herbison,P.,&Silva,P.(1998).First sexual intercourse: age, coercion, and later regrets reported by a birth cohort. *Bmj, 316*(7124), 29-33.

-DiGiuseppe, R. A., DiGiuseppe, R., Doyle, K. A., Dryden, W., & Backx, W. (2013). *A practitioner's guide to rational-emotive behavior therapy*. Oxford University Press, USA.

-Dike, C.C. (2008). Pathological lying: Symptom or disease? Living with no permanent motive or benefit. *Psychiatric Times, 25*(7), 67-67.

-Diler, R.S., Birmaher, B.,Brent, D.A., Axelson, D.A.,Firinciogullari, S., Chiapetta, L.,& Bridge,J.(2004). Phenomenology of panic disorder in youth. *Depression and Anxiety, 20*(1),39-43.

-Dishion,T.J., & Tipsord,J.M.(2011).Peer contagion in child and adolescent social and emotional development. *Annual review of psychology,62*(1),189-214.

-Dixon, J., Belnap, C., Albrecht, C., & Lee, K. (2010).The importance of soft skills. *Corporate finance review, 14*(6), 35-38.

-Dodge, K.A., Dishion, T.J., & Lansford, J.E. (2006). Deviant peer influences in intervention and public policy for youth. *Social Policy Report*, 20(1), 1-20.

- Donovan, A., & Oddy, M. (1982). Psychological aspects of unemployment: An investigation into the emotional and social adjustment of school leavers.*Jr of Adolescence, 5*(1), 15–30. https://doi.org/10.1016/S0140-1971(82)80015-8

-Doucet, M.C.(2005). Solitude et sociétés contemporaines une sociologie de la connaissance du Solitaire. Thèse présentée à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Phiiosophiœ Doctor en Sociologie. Université de Montréal , Département de Sociologie Faculté des Arts et des Sciences.

- Doucleff, M. (2021). Hunt, gather, parent: What ancient cultures can teach us about the lost art of raising happy, helpful little humans. Simon and Schuster.

-Dovis, S.,Van Der Oord, S., Wiers, R.W., & Prins, P.J.M. (2012). Can motivation normalize working memory and task persistence in children with attention-deficit/ hyperactivity disorder? the effects of money and computer-gaming. *Journal of Abnormal Child Psychology, 40*(5),669–681. https://doi.org/10.1007/s10802-011-9601-8.

- Douvan, E. A., & Adelson, J. (1966). The Adolescent Experience. New York: John Wiley.

-Drill, L.L. (1997) Pedagogy of the depressed *Adult Banc Education* 7(2) pp.104-118.

-Drury, M. (2011). Women technology leaders: Gender issues in higher education information technology. *NASPA Journal About Women in Higher Education* , *4*(1), 96-123.

-Druzin, B.H.,& Li, J.(2011). The criminalization of lying: under what circumstances, if any, should lies be made criminal. *J. Crim. L.& Criminology , 101*, 529

-D.S.M.5 : Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders (2013) 5th ed. Arlington, VA, American Psychiatric Association,

-Dubet, F., & Martuccelli, D. (1995). *Dans quelle société vivons-nous?.* ?, Paris, Seuil.

-Duchense, R (1997) Critical thinking, developmental learning, and adaptive flexibility in organisational leaders *Journal of lifelong learning*, 6, pp.19-28.

-Dupont, S. (2016). L'adolescent et l'épreuve de la solitude. *Revue de l'enfance et de l'adolescence*, (1),93 121-130.

-Dupras, G., & Bouffard, T. (2012). L'importance des conditions de l'estime de soi à l'adolescence pour le bien-être psychologique des jeunes et le rôle du soutien social perçu. Thèse Présentée comme exigence partielle du Doctorat En Psychologie. Université Du Québec à Montréal.

-Dupree,E.,Bertram,T., & Pascal,C.(2001).Listening to Children's Perspectives of Their Early Childhood Settings. Paper presented at the European Conference on Quality in Early Childhood Education (11th, Alkmaar, Netherlands, August 29-September 1, 2001).

-Dursun, B., & Cesur, R. (2016). Transforming lives: the impact of compulsory schooling on hope and happiness. *Jr. of Population Economics*, *29*, 911-956.

-Dykstra, V.W., Willoughby, T.,& Evans, A.D.(2020). Perceptions of dishonesty: Understanding parents' reports of and influence on children and adolescents' lie-telling. *Journal of Youth and Adolescence*, *49*, 49-59.

-Eastwood, J. D., Frischen, A., Fenske, M. J., & Smilek, D. (2012). The unengaged mind: Defining boredom in terms of attention. *Perspectives on psychological science*, *7*(5), 482-495.

-Eccles,J.S.,Midgley,C.,Wigfield,A.,Buchanan,C.M.,Reuman,D.,Flanagan,C., & Mac Iver, D.(1993). Development during adolescence: The impact of stage-environment fit on young adolescents' experiences in schools and in families. *American Psychologist*, *48*(2). 90-101.

-Eccles, J.S., Barber,B.L., Stone, M., & Hunt, J.(2003). Extracurricular activities and adolescent development. *Jr of social issues*, *59*(4), 865-889.

-Edmondson,A.C.(2011) Strategies for learning from failure. *Harvard business review*, *89*(4),48-55.

-Egger, H.L., Costello, J.E., & Angold, A. (2003). School refusal and psychiatric disorders: A community study. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*, *42*(7), 797-807.

-Elkind,D.(1967).Egocentrism in adolescence.*Child development*, 1025-1034.

-Elkin, F., & Westley, W.A. (1955). The myth of adolescent culture. *American Sociological Review*, *20*(6), 680-684.

-Eilam, D.,Izhar, R.,& Mort, J. (2011). Threat detection: behavioral practices in animals and humans. *Neuroscience & Biobehavioral Reviews*, *35*(4),999-1006.

-Ellis, B. J., & Essex, M. J. (2007). Family environments, adrenarche, and sexual maturation: A longitudinal test of a life history model. *Child development*, *78*(6), 1799-1817.

-Ellis,E.M.(2000). *Divorce wars: Interventions with families in conflict*. American Psychological Association.

-Emler, N.,& Reicher,S. (1995). *Adolescence and delinquency: The collective management of reputation.* Blackwell Publishing.

-Endler,N.S., & Parker,J.D.A.(1993). *Coping Inventory for Stressful Situations (CISS)* [Database record]. APA PsycTests. https://doi.org/10.1037/t02138-000

-Enejoh,V.,Pharr,J., Mavegam, B.O., Olutola, A., Karick, H.,& Ezeanolue, E.E. (2016). Impact of self esteem on risky sexual behaviors among Nigerian adolescents. *AIDS care*, *28*(5), 672-676.

-Engfer, A. (2014). Antecedents and consequences of shyness in boys and girls: A 6-year longitudinal study. In *Social withdrawal, inhibition, and shyness in childhood* (pp. 49-79). Psychology Press.

- Ennew, J. (1986). *The sexual exploitation of children.* St Martin's Press.

- Entwistle, V. A., Carter, S. M., Cribb, A., & McCaffery, K. (2010). Supporting patient autonomy: The importance of clinician-patient relationships. *Journal of General Internal Medicine*, *25*(7), 741-745

-Erdoğan, Y. (2008). Exploring the relationships among Internet usage, Internet attitudes and loneliness of Turkish adolescents. *Cyberpsychology*, *2*(2).

-Erickson , E.H (1950) Childhood and society Norton : New York .

-Erickson,E.H (1959). Growth and crisis in the healthy personality Psychological Issues1.

-Erikson, E. H. (1963). Childhood and society (2nd Ed.). Norton: New York.

-Erikson (1968). Identity: Youth and crisis. New York: Norton & company.

-Escobar-Chaves,S.L., Tortolero, S.R., Markham, C.M., Low, B.J., Eitel, P., & Thickstun, P. (2005). Impact of the media on adolescent sexual attitudes and behaviors. *Pediatrics-English Edition*, *116*(1), 303-326.

-Essau,C.A.,Conradt, J.,& Petermann, F.(2000). Frequency, comorbidity, and psychosocial impairment of anxiety disorders in German adolescents. *Journal of anxiety disorders*, *14*(3), 263-279.

-Etter, J.F., & Stapleton, J.A. (2006). Nicotine replacement therapy for long term smoking cessation: a meta-analysis. *Tobacco control*, *15*(4), 280.

-Euling, S.Y., Herman-Giddens, M. E., Lee, P.A., Selevan, S.G., Juul, A., SØrensen, T.I., Dunkel, L.,Himes, J.H., Teilmann, G., & Swan, S.H.(2008). Examination of US puberty-timing data from1940 to 1994 for secular trends: panel findings. *Pediatrics,121* (Supplement_3), S172-S191.

-Evans, A. D., Xu, F., & Lee, K. (2011). When all signs point to you: lies told in the face of evidence. *Developmental Psychology*, *47*(1), 39-49.

-Eysenck,H.J (1947).Dimensions and personality. Routledge & Kegan Paul, London. Praeger, New York.

-Ezinga, M.A.J., Weerman, F.M., Westenberg, P.M., & Bijleveld, C.C. (2008). Early adolescence and delinquency: Levels of psychosocial development and self-control as an explanation of misbehaviour and delinquency. *Psychology, Crime & Law*, *14*(4), 339-356. https://doi.org/10.1080/10683160701770070

-Faraone,S.V., Perlis,R.H., Doyle,A.E., Smoller,J.W., Goralnick,J.J., Holmgren, M.A.,& Sklar, P.(2005). Molecular genetics of attention-deficit/hyperactivity disorder. *Biological psychiatry*, *57*(11), 1313-1323.

-Faraone, S.V., Asherson,P., Banaschewski, T., Biederman, J., Buitelaar,J.K., Ramos-Quiroga, J.A., ... & Franke,B. (2015). Attention-deficit/hyperactivity disorder. *Nature reviews Disease primers*, *1*(1),1-23.

-Farnsworth, D.L.(1972). Summary of the report from the national commission on marihuana and drug abuse:Marihuana: A Signal of Misunderstanding. *Psychiatric Annals*, *2*(5), 8-9.

-Fayyad, J., Sampson, N. A., Hwang, I., Adamowski, T., Aguilar-Gaxiola, S., Al-Hamzawi, A.,...& Kessler, R.C.(2017).The descriptive epidemiology of DSM-IV

adult ADHD in the world health organization world mental health surveys. *ADHD Attention Deficit and Hyperactivity Disorders*, *9*, 47-65.

-Fergusson, D. M., Horwood, L.J., & Lynskey, M. T. (1997). The effects of unemployment on psychiatric illness during young adulthood. *Psychological medicine*, *27*(2), 371-381.

-Ferry, N.M. (2006). Factors influencing career choices of adolescents and young adults in rural Pennsylvania. *Journal of extension*, *44*(3), 1-6.

-Festinger,L.(1954).A theory of social comparison processes. *Human relations, 7*(2), 117-140.

-Fields, B. (1997). Children on the move - the social and educational effects of family mobility. Children Australia. 22(3), 4–9.

-Fiese, B.H., Tomcho, T.J.,Douglas,M.,Josephs,K.,Poltrock,S., & Baker,T. (2002). A review of 50 years of research on naturally occurring family routines and rituals: Cause for celebration?. *Jr of family psychology*, *16*(4),381-390

-Finch, F. H., & Odoroff, M. E. (1939). Sex differences in vocational interests. *Journal of Educational Psychology*, *30*(2), 151.

-Finelli, C.J., Nguyen, K., DeMonbrun, M., Borrego, M., Prince, M., Husman,J., ...& Waters, C.K.(2018). Reducing student resistance to active learning: Strategies for instructors. *Journal of College Science Teaching, 47*(5).90.

-Finkelhor,D.,Ormrod,R.,& Chaffin,M.(2009).Juveniles who commit sex offenses against minors. *Juvenile justice bulletin*.

-Firose, M. M. (2020). Relationship between achievement motivation and anxiety of teenage students. *International Journal of Science and Research*,

-Fisher, B.W., Nation,M., Nixon, C.T., & McIlroy,S.(2017).Students' perceptions of safety at school after Sandy Hook. Jr of School Violence,16(4), 349-360.

-Fischer, M. (1990). Parenting stress and the child with attention deficit hyperactivity disorder. *Journal of clinical child psychology*, *19*(4), 337-346.

-Fize, M. (1993). Adolescents de banlieue. De l'exclusion à la violence. *Diversité*, *92*(1), 6-12.

-Flashman,J.(2012).Academic achievement and its impact on friend dynamics. *Sociology of education*, *85*(1), 61-80.

-Flicek, M. (1992). Social status of boys with both academic problems and attention-deficit hyperactivity disorder. *Journal of Abnormal Child Psychology, 20*, 353-366.

-Flouri, E., & Buchanan, A. (2004). Early father's and mother's involvement and child's later educational outcomes. *British journal of educational psychology, 74*(2), 141-153.

-Fortune, M. M. (2008). *Is nothing sacred?: The story of a Pastor, the women he sexually abused, and the congregation he nearly destroyed*. Wipf and Stock Publishers.

-Fossey, R. (1993). Law, Trauma, and Sexual Abuse in the Schools: Why Can't Children Protect Themselves?. Paper presented at the Annual Meeting of the National Organization on Legal Problems of Education (39th,Philadelphia, PA,November 1993).

-Foster, K.,& Spencer, D. (2013). 'It's just a social thing': Drug use, friendship and borderwork among marginalized young people. *International Journal of Drug Policy*, *24*(3), 223-230.

-Francis,D.A., Hudson,J.L., Robidoux,S.,& McArthur, G.M.(2022). Are different reading problems associated with different anxiety types?. *Applied Cognitive Psychology*, *36*(4), 793-804.

-Freeman, W. S., Johnston, C., & Barth, F. M. (1997). Parent attributions for inattentive-overactive, oppositional-defiant, and prosocial behaviours in children with attention deficit hyperactivity disorder. *Canadian Journal of Behavioural Science*, *29*(4), 239–248

-French, D.C., Conrad, J., & Turner, T.M.(1995). Adjustment of antisocial and nonantisocial rejected adolescents. *Development and Psychopathology, 7*(4), 857-874.

-Friedenberg, E. Z. (1959). The vanishing adolescent. Beacon.

-Friedman,S.D.,& Greenhaus,J.H.(2000). *Work and family--allies or enemies?: what happens when business professionals confront life choices*. Oxford University Press, USA.

-Frith, C. D. (2008). Social cognition. *Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences*, *363*(1499), 2033-2039.

-Furby, L.,& Beyth-Marom, R. (1992). Risk taking in adolescence: A decision making perspective. Developmental Review, 12, 1-44.

-Galagali, P.M.(2011) Adolescence and life skills. In Recent Advances in Adolescent Health; Olyai, R.,Dutta, D.K.,Eds.;JAYPEE Brothers Medical Publishers (P) LTD: New Delhi, India, pp.209–218.

-Galea, S., Rudenstine, S., & Vlahov, D. (2005). Drug use, misuse, and the urban environment. *Drug and alcohol review*, *24*(2), 127-136.

-Gannon, S., & McGilloway, S. (2009). Children's attitudes toward their peers with Down Syndrome in schools in rural Ireland: an exploratory study. *European Journal of Special Needs Education*, *24*(4), 455-463.

-García Planas,M.I.,& García-Camba Vives,M.V.(2022).Anxiety Disorder Caused by Learning Difficulties in Mathematics. *Clinical Reviews & Cases*, *4*(3), 1-5.

-Gardner, M., & Steinberg, L.(2005). *Peer influence on risk taking, risk preference, and risky decision making in adolescence and adulthood: An experimental study. Developmental Psychology, 41*(4), 625-635.

-Garofalo, C.,Holden,C.J.,Zeigler-Hill,V.,& Velotti,P.(2016). Understanding the connection between self-esteem and aggression: The mediating role of emotion dysregulation. *Aggressive behavior*, *42*(1), 3-15.

-Gati, I., Levin, N., & Landman-Tal, S. (2019). Decision-making models and career guidance. *International handbook of career guidance*, 115-145.

-Gatto, J. T. (2002). *Dumbing us down: The hidden curriculum of compulsory schooling*. New Society Publishers.

- Gatto, J. T. (2010). *Weapons of mass instruction: A schoolteacher's journey through the dark world of compulsory schooling*. New Society Publishers.

- Gecas, V., & Schwalbe, M. L. (1986). Parental behavior and adolescent self-esteem. *Jr of Marriage and the Family, 48*(1),37-46.
https: //doi.org/10.2307/352226

-Gecas, V., & Seff, M. A. (1990). Families and adolescents: A review of the 1980s. *Journal of Marriage and the Family*, *52*(4), 941-958.

-Gecas, V.(1989). The social psychology of self-efficacy. *Annual review of sociology*, *15*(1), 291-316.

- Geismar, L. L., & Wood, K. M. (1986). *Family and delinquency: Resocializing the young offender*. New York: Human Sciences Press.

- Gerard, J.M., Krishnakumar, A., & Buehler, C. (2006). Marital conflict, parent-child Relations, and youth maladjustment: A longitudinal investigation of spillover effects. Journal of Family Issues, 27(7), 951-975

-Ge, X., Best, K.M., Conger, R.D., & Simons, R.L. (1996). Parenting behaviors and the occurrence and co-occurrence of adolescent depressive symptoms and conduct problems. *Developmental psychology*, *32*(4), 717.

–Ge, X., Conger, R.D., & Elder Jr, G.H.(1996). Coming of age too early: Pubertal influences on girls' vulnerability to psychological distress. *Child development*, *67*(6), 3386-3400.

–Ge, X., & Natsuaki, M. N. (2009). In search of explanations for early pubertal timing effects on developmental psychopathology. *Current directions in psychological science*, *18*(6), 327-331.

– Gerstein, D.R., & Green, L.W. (1993). Preventing drug abuse. *What Do We Know?*.

–Gest, S.D., Rulison,K.L., Davidson, A.J., & Welsh, J. A. (2008). A reputation for success (or failure): the association of peer academic reputations with academic self-concept, effort, and performance across the upper elementary grades. *Developmental psychology*, *44*(3), 625-636.

–Ghandour, R. M., Moore, K.A., Murphy, K., Bethell, C., Jones, J.R., Harwood,R.,…& Lu,M.(2019). School readiness among US children: Development of a pilot measure. *Child Indicators Research*, *12*, 1389-1411.

–Ghebremichael, M.S.,& Finkelman, M.D.(2013). The effect of premarital sex on sexually transmitted infections (STIs) and high risk behaviors in women. *Journal of AIDS and HIV research (Online)*, *5*(2), 59-64.

–Ghose, S.,& John,L.B. (2017). Adolescent pregnancy: an overview. *International Journal of Reproduction, Contraception, Obstetrics and Gynecology, 6*(10),4197-4203.

–Giedd, J. N., Blumenthal, J., Jeffries, N. O., Castellanos, F. X., Liu, H., Zijdenbos,A.,…& Rapoport, J.L.(1999).Brain development during childhood and adolescence: a longitudinal MRI study. *Nature neuroscience*, *2*(10), 861-863.

–Gilson, A.M., Ryan, K.M., Joranson, D.E., & Dahl, J.L.(2004). A reassessment of trends in the medical use and abuse of opioid analgesics and implications for diversion control: 1997–2002. *Journal of pain and symptom management*, *28*(2), 176-188.

–Ginevra, M. C., Nota, L., & Ferrari, L. (2015). Parental support in adolescents' career development: Parents' and children's perceptions. *The Career Development Quarterly, 63*(1), 2-15.

– Gleason, J. B. (2001) The development of language. Allyn and Bakon.5th Edition. ISBN : 0205316360, 9780205316366

– Glowacz, F.(2009) Adolescence et délinquances, quand la puberté s'en mêle: Approche développementale de la délinquance sexuelle à l'adolescence [Thèse]. Belgique : Université de Liège.

–Glueck,S & Glueck, E (1964) Potential juvenile delinquents can be identified: what next ? *British Journal Crimimol* 4 pp.215–226.

–Gocmen,P.O.(2012).Correlation between shyness and self-esteem of arts and design students. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, *47*, 1558–1561.

–Gómez-Ortiz, O., Romera, E.M., Jiménez-Castillejo, R., Ortega-Ruiz, R., & García-López, L.J.(2019). Parenting practices and adolescent social anxiety: A direct or indirect relationship?. *International jr of clinical and health psychology, 19*(2), 124–133.

–Gonzales,G., Andriamiadana,J.,& Ranaivo, A.(1997). Maladies sexuellement transmissibles et SIDA. *Madagascar, Institut National de la Statistique (ed.), Enquete Demographique et de Santa, Madagascar*, 161–178

–Gopnik, A. (2016). The gardener and the carpenter: What the new science of child development tells us about the relationship between parents and children. *Farrar, Straus and Giroux.*

–Gorman,D.M.(1997).The failure of drug education.*Public Interest*, (129),50–60

–Graber, J.A.(2013). Pubertal timing and the development of psychopathology in adolescence and beyond. *Hormones and behavior*, *64*(2), 262–269.

–Graber, J. A., Lewinsohn, P. M., Seeley, J. R., & Brooks-Gunn, J. (1997). Is psychopathology associated with the timing of pubertal development?. *Jr of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*, *36*(12), 1768–1776.

–Graber, J. A., Seeley, J. R., Brooks-Gunn, J., & Lewinsohn, P. M. (2004). Is pubertal timing associated with psychopathology in young adulthood?. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*, *43*(6), 718–726.

–Gray, P.(2011). The decline of play and the rise of psychopathology in children and adolescents. *American journal of play*, *3*(4), 443–463.

–Gray, P. (2013). Free to learn: Why unleashing the instinct to play will make our children happier, more self-reliant, and better students for life. Basic Books.

–Gray,P., Lancy, D.F., & Bjorklund, D.F.(2023). Decline in Independent Activity as a Cause of Decline in Children's Mental Well-being: Summary of the Evidence. *The Journal of Pediatrics*, *260*.

–Greene, K.M., & Staff, J. (2012). Teenage employment and career readiness. *New directions for youth development*, (134), 23–31.

-Greif, M. L., Kemler Nelson, D. G., Keil, F. C., & Gutierrez, F. (2006). What do children want to know about animals and artifacts? Domain-specific requests for information. *Psychological Science*, *17*(6), 455-459.

-Greven, C.U., Asherson, P.,Rijsdijk, F.V., & Plomin, R. (2011). A longitudinal twin study on the association between inattentive and hyperactive-impulsive ADHD symptoms. *Journal of Abnormal Child Psychology*, *39*, 623-632.

-Guéguen, N., Martin, A., & Andrea, C. R. (2015). "I am sure you'll succeed": When a teacher's verbal encouragement of success increases children's academic performance. *Learning and Motivation*, *52*, 54-59.

-Gullotta, T. P., Adams, G. R., & Markstrom, C. A. (1999). *The adolescent experience*. Elsevier.

-Gündoğdu, A. H., & Bulut, S. (2022). The positive and negative effects of late marriage. *Open Journal of Depression*, *11*(4), 63-71.
https://www.scirp.org/journal/paperinformation?paperid=120363

-Guttmannova, K., Skinner, M.L., Oesterle, S., White, H R., Catalano, R.F., & Hawkins, J.D. (2019).The interplay between marijuana-specific risk factors and marijuana use over the course of adolescence. *Prevention Science*, *20*(2), 235-245. https://doi.org/10.1007/s11121-018-0882-9

-Gutton, P., & Moro, M. R. (2017). *Quand l'adolescent s' engage: radicalité et construction de soi*. In Press.

-Hadfield,J.A.(1978). Childhood and Adolescence.Penguin Bookspp.

-Hafen, C. A., & Laursen, B. (2009). More problems and less support: Early adolescent adjustment forecasts changes in perceived support from parents. *Journal of Family Psychology*, **23**, 193–202.
https://doi.org/10.1037/a0015077

-Hall, G. Stanley (1904). Adolescence: Its psychology and its relation to physiology, anthropology, sociology, sex, crime, religion, and education(Vols.I & II) Englewood Clifs, NJ: Prentice-Hall.

-Hamenoo, E. S., Dwomoh, E. A., & Dako-Gyeke, M. (2018). Child labour in Ghana: Implications for children's education and health. *Children and Youth Services Review*, *93*, 248-254.

-Hammond, D.A. (2017). Grit: An important characteristic in learners. *Currents in Pharmacy Teaching and Learning*, *9*(1), 1-3. doi:10.1016/j.cptl.2016.08.048

-Haotanto, A.V. (2016). Marrying Late: Pros & Cons—Why It Is No One Else's Business.

-Hample, D. (1980). Purposes and effects of lying. *Southern speech communication journal*, *46*(1), 33-47.

-Hampson,S.E., Edmonds,G.W., Barckley,M., Goldberg,L.R., Dubanoski,J.P.,& Hillier,T.A.(2016). A Big Five approach to self-regulation: Personality traits and health trajectories in the Hawaii longitudinal study of personality and health. *Psychology, health & medicine*,*21*(2),152-162. doi:10.1080/13548506.2015. 1061676/

-Hampton, K.N., Sessions, L.F., Her, E.J., & Rainie, L. (2009). Social isolation and new technology. *Pew Internet & American Life Project*, *4*.

-Harackiewicz, J. M., Smith, J. L., & Priniski, S. J. (2016). Interest matters: The importance of promoting interest in education. *Policy insights from the behavioral and brain sciences*, *3*(2), 220-227.

-Hargrove, K.(2005) What's a teacher to do? *Gifted Child Today,* 28(4)38-39.

-Harris, I.D., & Howard, K.I. (1984). Parental criticism and the adolescent experience. *Jr of Youth and Adolescence*, *13*(2), 113-121.

-Harris, R.D. (1980). Unemployment and its effects on the teenager. *Australian family physician*,*9*(8), 546-553.

-Hartanto, T. A., Krafft, C. E., Iosif, A. M., & Schweitzer, J. B. (2016). A trial-by-trial analysis reveals more intense physical activity is associated with better cognitive control performance in attention-deficit/hyperactivity disorder. *Child Neuropsychology*, *22*(5), 618-626.

-Hartup, W.W.(1979).The social worlds of childhood. *American Psychologist, 34*(10), 944–950. https://doi.org/10.1037/0003-066X.34.10.944

-Hastings,W.W.(1902). A manual for physical measurements. *Springfield, Mass*.

-Hathaway,M.L.(1957).*Heights and weights of children and youth in the United States* (No.2). Washington,D.C. : United States Department of Agriculture.

-Haugaard,J.J.(2001).Problematic behaviors during adolescence.McGraw-Hill.

-Hawkins, A.J., Carroll, J.S., Jones, E.M., & James, S.L.(2022). Capstones vs. cornerstones: Is marrying later always better. *State of Our Unions*.

-Hawkins,J.D., Catalano, R.F.,& Miller,J.Y.(1992). Risk and protective factors for alcohol and other drug problems in adolescence and early adulthood: implications for substance abuse prevention. *Psychological bulletin*, *112*(1), 64.

-Hawk, S.T.,Keijsers, L.,Hale, W.W. III, & Meeus, W.(2009). Mind your own business! Longitudinal relations between perceived privacy invasion and adolescent-parent conflict. *Journal of Family Psychology, 23*(4), 511–520.

https://doi.org/10.1037/a0015426

–Hays,C., & Carver,L.J.(2014).Follow the liar: the effects of adult lies on children's honesty. *Developmental Science*, *17*(6), 977–983.

–Hayward, C., Killen, J.D., Wilson, D. M., Hammer, L.D., Litt, I.F., Kraemer, H.C., ... & Taylor,C.B.(1997).Psychiatric risk associated with early puberty in adolescent girls *Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry*, *36*(2), 255–262.

–Heath, G. (2008). Exploring the imagination to establish frameworks for learning. *Studies in Philosophy and Education*, *27*(2–3), 115–123.

–Heinze,A.,& Reiss,K.(2007). Mistake-handling activities in the mathematics classroom: Effects of an in-service teacher training on students' performance in geometry. In *Proceedings of the 31st Conference of the International Group for the Psychology of Mathematics Education* (Vol. 3, pp. 9–16). Seoul: PME.

–Helsen, M., Vollebergh, W., & Meeus, W. (2000). Social support from parents and friends and emotional problems in adolescence. *Journal of Youth and Adolescence*, 29, 319–335. https://doi.org/1005147708827

–Henderson, L.(1994). Social Fitness Training: A Cognitive-Behavioral Protocol for Shyness and Social Anxiety Disorder. *Palo Alto: Shyness Institute*.

–Henderson,L.,& Horowitz, L.M. (1998).The Estimations of Others Scale (EOS). *Unpublished manuscript, Stanford University, Stanford, CA*.

–Henderson, L., Gilbert, P., & Zimbardo, P. (2014). Shyness, social anxiety, and social phobia. In S.G. Hofmann & P. M. DiBartolo (Eds.), *Social anxiety: Clinical, developmental, and social perspectives* (3rd ed., pp. 95–115). Elsevier Academic Press. https://doi.org/10.1016/B978-0-12-394427-6.00004-2

–Henkel, D.(2011). Unemployment and substance use: a review of the literature (1990–2010). *Current drug abuse reviews*, *4*(1), 4–27.

–Henker, B., Whalen, C.K., & O'Neil, R.(1995). Worldly and workaday worries: contemporary concerns of children and young adolescents. Journal of Abnormal Child Psychology, 23 (6), 685–702.

–Herr, E.L., & Cramer, S.H.(1988). *Career guidance and counseling through the life span: Systematic approaches*. Scott, Foresman & Co.

–Hetherington, E.M., Bridges, M., & Insabella, G.M. (1998). What matters? What does not? Five perspectives on the association between marital transitions and children's adjustment. *American Psychologist, 53*(2),

-Heyman, G.D., Luu,D.H., & Lee, K.(2009). Parenting by lying. *Journal of Moral Education*, *38*(3), 353-369.

-Heyman,G.D. (2009). Children's reasoning about traits. *Advances in child development and behavior*, *37*, 105-143.!!!

-Heyne, D, & King, N.J. (2004). Treatment of school refusal. In: Barrett PM, Ollendick TH, editors. *Handbook of interventions that work with children and adolescents: Prevention and treatment*, 243-272.

-Heyne,D.,Gren-Landell,M.,Melvin,G.,&Gentle-Genitty,C. (2019). Differentiation between school attendance problems: Why and how?.*Cognitive and behavioral practice*, *26*(1),8-34.

-Hidi, S.,& Harackiewicz,J.M.(2000).Motivating the academically unmotivated: A critical issue for the21st century.*Review of educational research*,*70*(2),151-179.

-Hill, A. (2000). *Habits of sin: An expose of nuns who sexually abuse children and each other*. Avg.Xlibris Corporation. 1st Edition.

-Hill, C., Corbett, C., & St Rose, A. (2010). *Why so few? Women in science, technology, engineering, and mathematics*. American Association of University Women. 1111 Sixteenth Street NW, Washington, DC 20036..

-Hirschi, A. (2012). Vocational identity trajectories: Differences in personality and development of well-being. *European Journal of Personality*, *26*(1), 2-12.

-Hodgkinson, S.C., Colantuoni, E., Roberts, D.,Berg-Cross, L.,& Belcher, H.M. (2010).Depressive symptoms and birth outcomes among pregnant teenagers. *Journal of pediatric and adolescent gynecology*, *23* (1),16-22.

-Hofmann, W., Luhmann, M., Fisher,R.R., Vohs,K.D.,& Baumeister, R.F.(2014). Yes, but are they happy? Effects of trait self-control on affective well-being and life satisfaction. *Journal of personality*, *82*(4), 265-277.

-Hoge,R.D.,&Cudmore,L.(1986).The use of teacher-judgment measures in the identification of gifted pupils. *Teaching and Teacher Education*, *2*(2),181-196.

-Hogue, A., & Liddle, H. A. (2009). Family-based treatment for adolescent substance abuse: controlled trials and new horizons in services research. *Journal of family therapy*, *31*(2), 126-154.

-Hollis, M.(1994). *The philosophy of social science: An introduction*. Cambridge University Press.

-Horner, M. S. (1970) Femininity and successful achievement: A basic inconsistency. In Bardwick,J, Douvan, E.M, Horner,M.S., & Gutman, D. (Eds.), Feminine personality and conflict. Belmont, California: Brooks-Cole, pp. 45-74

-Horner, M.S. (1972). Toward an understanding of achievement-related conflicts in women. *Journal of Social issues*, *28*(2), 157-175.

- Hooker, K.E.,& Fodor, I.E. (2008). Teaching mindfulness to children. *Gestalt review*, *12*(1), 75-91.

-Hooper, C. M., Ivory, V.C., & Fougere, G. (2015). Childhood neighbourhoods as third places: developing durable skills and preferences that enhance wellbeing in adulthood. *Health & Place*, *34*, 34-45.

-Hsu, Y., Peng, L.P., Wang, J.H.,& Liang, C. (2014). Revising the imaginative capability and creative capability scales: Testing the relationship between imagination and creativity among agriculture students. *International Journal of Learning, Teaching and Educational Research*, *6*(1), 57–70.

-Huang,C.L.C.,Weng, S.F., & Ho, C.H.(2016). Gender ratios of administrative prevalence and incidence of attention-deficit/hyperactivity disorder(ADHD) across the lifespan: A nationwide population-based study in Taiwan. *Psychiatry research*, *244*, 382-387.

-Hubbard,R.L.,Craddock,S.G.,& Anderson,J.(2003).Overview of 5-year followup outcomes in the drug abuse treatment outcome studies (DATOS). *Journal of substance abuse treatment*, *25*(3), 125-134.

-Hubbard, R.L., Craddock, S. G., Flynn, P.M., Anderson, J., & Etheridge, R.M. (1997). Overview of 1-year follow-up outcomes in the Drug Abuse Treatment Outcome Study (DATOS). *Psychology of Addictive Behaviors*, *11*(4), 261-278.

-Hummel, A. C., Premo, J. E., & Kiel, E.J. (2017). Attention to Threat as a Predictor of Shyness in the Context of Internalizing and Externalizing Problems. *Infancy : the official journal of the International Society on Infant Studies*, *22*(2), 240–255.

-Hunter Jr, J.A.,Goodwin, D.W.,& Becker,J.V. (1994). The relationship between phallometrically measured deviant sexual arousal and clinical characteristics in juvenile sexual offenders. *Behaviour Research and Therapy, 32*(5), 533-538.

-Hutt, C. (1972).Sex differences in human development. *Human Development, 15*(3), 153-170.

-Hyrynsalmi,S.M.(2019).The underrepresentation of women in the software industry:thoughts from career-changing women.In*2019 IEEE/ACM 2nd International Workshop on Gender Equality in Software Engineering,* (pp.1-4)

-Ialongo, N., Poduska, J., Werthamer, L., & Kellam, S. (2001). The distal impact of two first-grade preventive interventions on conduct problems and disorder in

early adolescence. *Journal of Emotional and behavioral disorders, 9*(3), 146-160.

-ICD-10 Classification of Mental and Behavioural Disorders: Clinical Descriptions and Diagnostic Guidelines.(1992) Geneva, World Health Organization.

- Inhelder, B.,& Piaget, J.(1958). *The growth of logical thinking: From childhood to adolescence.* (A. Parsons & S. Milgram, Trans.). Basic Books. https://doi.org/10.1037/10034-000

- Isbell, R. ,& Morrow,B. (1991). Should Young Children Be Asked to Protect Themselves? *Childhood Education*, *67*(4), 252.

-Jacob, M. (2000). Les différentes pathologies sexuelles à l'adolescence. *Psychiatrie et violence*, *1*. https://www.erudit.org/fr/revues/pv/2000-v1-pv05805/1074963ar.pdf

-Jarrah, S. S., & Kamel,A.A.(2012). Attitudes and practices of school-aged girls towards menstruation. *International Journal of Nursing Practice*, *18*(3),308-315.

-Jensen,P.S., Mrazek,D., Knapp,P.K., Steinberg,L., Pfeffer,C., Schowalter,J., & Shapiro,T.(1997). Evolution and revolution in child psychiatry: ADHD as a disorder of adaptation. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*, *36*(12), 1672-1681.

-Jiang, M. M., Chen, J. N., Huang, X. C., Zhang, Y.L., Zhang, J. B., & Zhang,J.W. (2023). The effect of teacher discrimination behavior on adolescent suicidal ideation: a cross-sectional survey. *Psychology research and behavior management*, 2667-2680.

-Johnston, L.D., O'Malley, P.M., & Bachman, J.G.(2003). Monitoring the future: National results on adolescent drug use: Overview of key findings. *Focus*, *1*(2), 213-234.

-Jones, M.C (1957) The later careers of boys who were early or late maturing *Child development* , 28 pp.113-128.

-Joussellin,J.J.(2021). Adolescence et radicalités. Ce que nous dit la jeunesse! *Empan*,*123*(3), 40-48.

-Juby, H., & Farrington, D. P. (2001). Disentangling the link between disrupted families and delinquency: Sociodemography, ethnicity and risk behaviours. *British Journal of Criminology*, *41*(1), 22-40.

-Judge,T.A., Erez, A., & Bono, J.E. (1998).The power of being positive: The relation between positive self-concept and job performance.*Human performance.* *11*(2-3), 167-187.

-Jugal Kishore, J. K., & Bhaskar Watode, B. W. (2011). Stress management in adolescents. Health and Population; Perspectives and Issues 34(1):37-47.

-Kandel, D. B., & Logan, J. A. (1984). Patterns of drug use from adolescence to young adulthood: I. Periods of risk for initiation, continued use, and discontinuation. *American journal of public health*, *74*(7),660-666.

-Kaplan, S.J., & Davidson, H.A. (1996). *Family violence: A clinical and legal guide*. American Psychiatric Pub. American Psychological Association.

-Kapoor, I., Sharma, S., & Khosla, M. (2021). Social Anxiety Disorder among Adolescents in relation to Family Environment and School Environment. *Journal of the Indian Academy of Applied Psychology*, *47*(2), 125-132.

-Kapur, M.(2008).Productive failure. *Cognition and instruction*, *26*(3),379-424.

-Kapur, M. (2014). Productive failure in learning math. *Cognitive science*, *38*(5),1008-1022.

-Karkošková, S.(2013) Juvenile sex offenders. https://www.researchgate.net/publication/280226241_Juvenile_sex_offenders.

-Karwowski, M., Jankowska, D.M.,& Szwajkowski, W. (2016). Creativity, imagination, and early mathematics education. In B. Sriraman & R. Leikin (Eds. *Creativity and giftedness: Interdisciplinary perspectives from mathematics and beyond* (pp.7-22).New York,NY: Springer/ Cham: Springer International Publishing.

-Kasper,S.(2006). Anxiety disorders: under-diagnosed and insufficiently treated. *International Journal of Psychiatry in Clinical Practice*, *10*(sup1), 3-9.

-Kathol, R.G., & Petty, F.(1981). Relationship of depression to medical illness: A critical review. *Journal of affective disorders*, *3*(2), 111-121.

-Kearney, C.A., & Albano,A.M.(2004). The functional profiles of school refusal behavior: Diagnostic aspects. *Behavior modification*, *28*(1), 147-161.

-Keegan,R.J., Harwood, C.G., Spray, C.M.,& Lavallee, D.E.(2009).A qualitative investigation exploring the motivational climate in early career sports participants: Coach, parent and peer influences on sport motivation. *Psychology of sport and exercise*,*10*(3), 361-372.

-Keijsers, L., Frijns, T., Branje, S. J., & Meeus, W. (2009). Developmental links of adolescent disclosure, parental solicitation, and control with delinquency: moderation by parental support. *Developmental psychology*, *45*(5), 1314–1327.

-Kellegrew, D.H.(2000). Constructing daily routines: A qualitative examination of mothers with young children with disabilities. *The American Journal of Occupational Therapy*, *54*(3), 252-259.

-Keller, B.K., & Whiston, S.C.(2008). The role of parental influences on young adolescents' career development. *Jr of career assessment, 16*(2),198-217. DOI:10.1177/1069072707313206

-Kelly, J. B. (2000). Children's adjustment in conflicted marriage and divorce: A decade review of research. Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry, 39, 963-973

-Kemple, K.M.(1995). Shyness and self-esteem in early childhood. *The Journal of Humanistic Education and Development*, *33*(4), 173-182.

-Kennedy, A.C., & Bennett, L.(2006). Urban adolescent mothers exposed to community, family, and partner violence: is cumulative violence exposure a barrier to school performance and participation?. *Journal of Interpersonal Violence*, *21*(6),750-773.

-Kenny, M., & Medvide, M. B. (2013). Relational influences on career development. *Career development and counseling: Putting theory and research to work*, 329-356.

-Kenny, M.C., Capri, V., Ryan, E. E., & Runyon, M. K. (2008). Child sexual abuse: from prevention to self-protection. *Child Abuse Review: Journal of the British Association for the Study and Prevention of Child Abuse and Neglect*, *17*(1), 36-54.

-Keogh, B. K., & Becker, L. D. (1973). Early detection of learning problems: Questions, cautions, and guidelines. *Exceptional Children*, *40*(1), 5-11.

-Kerr, M.(2000). Childhood and adolescent shyness in longterm perspective. *Shyness: Development, consolidation, and change*, 64-87

-Kilford, E.J., Garrett, E.,& Blakemore, S.J. (2016). The development of social cognition in adolescence: An integrated perspective. *Neuroscience & Biobehavioral Reviews*, *70*, 106-120.

-Kimura, D. (1992). Sex differences in the brain. *Scientific american*, *267*(3), 118-125.

-Kindermann,T.A.(2007). Effects of naturally existing peer groups on changes in academic engagement in a cohort of sixth graders. *Child development*, *78*(4), 1186-1203.

-King, I.(1914). The Vocational Interests, Study Habits, and Amusements of the Pupils in Certain High Schools in Iowa. *The School Review*, *22*(3), 165-181

-Kipke, M. D. (Ed.). (1999). *Risks and Opportunities: Synthesis of Studies on Adolescence*. National Academies Press.

-Kistner,J.,David,C.,&Repper,K.(2007). Self-enhancement of peer acceptance: Implications for children's self-worth and interpersonal functioning *Social Development, 16*(1),24-44.

-Klump, K.L. (2013). Puberty as a critical risk period for eating disorders: A review of human and animal studies. *Hormones and behavior*, *64*(2), 399-410.

-Knafo, A., & Schwartz, S. H. (2004). Identity formation and parent-child value congruence in adolescence. *British journal of developmental psychology*, *22*(3), 439-458.

-Kohn,A.(1994) The truth about self-esteem.*Phi Delta Kappan*,*76*(4),272-283.

-Konrad, K., Firk, C.,& Uhlhaas, P.J.(2013). Brain development during adolescence: neuroscientific insights into this developmental period. *Deutsches Ärzteblatt International*, *110*(25), 425.

- Kosterman, R., Hawkins, J. D., Spoth, R., Haggerty, K. P., & Zhu, K. (1997). Effects of a preventive parent-training intervention on observed family interactions: proximal outcomes from preparing for the drug free years. *Journal of Community Psychology*, *25*(4), 337-352.

-Kotaman, H. (2013). Freedom and child rearing: critic of parenting practices from a new perspective. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, *82*, 39-50.

-Koydemir, S.,& Demir,A.(2008). Shyness and cognitions: An examination of Turkish university students. The Journal of psychology, 142(6), 633-644.

-Krapp, A. (2002). Structural and dynamic aspects of interest development: Theoretical considerations from an ontogenetic perspective. *Learning and instruction*, *12*(4), 383-409.

-Krishnakumar, A., Buehler, C., & Barber, B. K. (2003).Youth perceptions of interparental conflict, ineffective parenting, and youth problem behaviors in European-American and African-American families. *Journal of Social and Personal Relationships*, *20*(2), 239-260.

-Kroger, J. (2000). Identity Development: adolescence through adulthood. *Adolescence*, *35*(137), 228.

- Krysan, M., Moore, K. A., & Zill, N. (1990). *Identifying successful families: An overview of constructs and selected measures*. Washington, DC: Child Trends.

-Kuczynski, L.(2003). Beyond Bidirectionality: Bilateral Conceptual Frameworks for Understanding Dynamics in Parent-Child Relations. In L. Kuczynski (Ed.), Handbook of Dynamics in Parent-Child Relations (pp. 3-24). Thousand Oaks, CA: SAGE Publishing. https://doi.org/10.4135/9781452229645.n1

-Kumpfer, K.L., Whiteside, H.O., Wandersman A.H., & Cardenas, E (1998). *Community readiness for drug abuse prevention: Issues, tips and tools*. DIANE Publishing.

-Lacoe, J. (2020). Too scared to learn? The academic consequences of feeling unsafe in the classroom. *Urban Education*, *55*(10), 1385-1418.

-Lahey,B.B., Pelham,W.E., Loney, J., Lee, S.S., & Willcutt, E.(2005). Instability of the DSM-IV subtypes of ADHD from preschool through elementary school. *Archives of general psychiatry*, *62*(8), 896-902.

-Lakey,J.F.(1994). The profile and treatment of male adolescent sex offenders. *Adolescence*, *29*(116), 755-762.

-Lang, K., & Kropp, D. (1986). Human capital versus sorting : the effects of compulsory attendance laws. *The Quarterly Journal of Economics*, *101*(3), 609-624.

-Lan, L., & Wang, X. (2023). Parental rejection and adolescents' learning ability: A multiple mediating effects of values and self-esteem. *Behavioral Sciences*, *13*(2), 143. doi:10.3390/bs13020143. PMID: 36829372; PMCID: PMC9952510

-Larsson,H., Dilshad,R., Lichtenstein,P., & Barker,E.D.(2011). Developmental trajectories of DSM-IV symptoms of attention-deficit/hyperactivity disorder: Genetic effects, family risk and associated psychopathology. *Journal of Child Psychology and Psychiatry*, *52*(9), 954-963.

-Larson, R.W. (1997). The emergence of solitude as a constructive domain of experience in early adolescence. *Child development*, 68(1) 80-93.

-Last, C.G., & Strauss, C.C.(1989). Panic disorder in children and adolescents. *Journal of Anxiety Disorders*, *3*(2), 87-95.

-Lavoie, J., Wyman, J., Crossman, A. M., & Talwar, V. (2018). Lie-telling as a mode of antisocial action: Children's lies and behavior problems. *Journal of Moral Education*, *47*(4), 432-450.

-Laws, G., & Kelly, E.(2005).The attitudes and friendship intentions of children in United Kingdom mainstream schools towards peers with physical or intellectual

disabilities. *International Journal of Disability, Development and Education*, *52*(2), 79-99.

-Lazarus, P. J. (1982). Correlation of shyness and self-esteem for elementary school children. *Perceptual and Motor Skills*, *55*(1), 8-10.

-Leary, M.R., Kowalski, R.M.,Smith,, L.,& Phillips, S.(2003). Teasing, rejection, and violence: Case studies of the school shootings. *Aggressive Behavior: Official Journal of the International Society for Research on Aggression, 29*(3), 202-214.

- Leary, M., & Kowalski, R. (1995). Social Anxiety. New York: The Guilford Press.

-Leber, C. (1996). Teaching trategies for children with short-term memory difficulties, poor concentration, and a short attention span. *Australian Journal of Learning Difficulties*, *1*(1), 25-28.

-Lee, J. (2009). Bodies at menarche: Stories of shame, concealment, and sexual maturation. *Sex Roles*, *60*, (9-10) 615-627.

-Lenjalley, A.,& Moro, M.R.(2019). À l'adolescence, s'engager pour exister. Édit responsable: Frédéric Delcor– Fédération Wallonie-Bruxelles de Belgique

-Lerner, R. M. (2002). *Adolescence: Development, diversity, context, and application*. Prentice Hall/Pearson Education.

-Levine, S. V. (1979). The psychological and social effects of youth unemployment. *Children Today*, *8*(6), 6-9.

-Levy, H.M. (2008). Meeting the Needs of All Students through Differentiated Instruction: Helping Every Child Reach and Exceed Standards. *The Clearing House: A Journal of Educational Strategies, Issues and Ideas*, *81*(4), 161–164. https://doi.org/10.3200/TCHS.81.4.161-164

-Levy, K.S.C. (2001). The relationship between adolescent attitudes towards authority, self-concept, and delinquency. *Adolescence*, *36*(142), 333.

-Lleras-Muney, A. (2002). Were compulsory attendance and child labor laws effective? An analysis from 1915 to 1939. *The Journal of Law and Economics, 45*(2), 401-435.

-Lindsay, G. B., & Rainey, J. (1997). Psychosocial and pharmacologic explanations of nicotine's “gateway drug” function. *Journal of School Health, 67*(4), 123-126.

-Lingenfelter, N., & Hartung,S. (2015). School refusal behavior. *NASN School Nurse*,*30*(5), 269-273.

-Lippa, R. A, Preston, K, Penner, J. (2014) Women's Representation in 60 Occupations from 1972 to 2010: More Women in High-Status Jobs, Few Women in Things-Oriented Jobs. *PLOS ONE.*;9: e95960.

- Lips, H.M., & Colwill, N.L. (1978). The psychology of sex differences. Prentice Hall; First Edition. ISBN-10: 0137365535; ISBN-13 : 978-0137365531

- Lloyd, J. D. (2001). *Family violence*. Greenhaven Press, Incorporated.

-Livingstone,L.T., Coventry, W.L., Corley, R.P., Willcutt, E.G., Samuelsson,S., Olson, R. K., & Byrne, B. (2016). Does the Environment Have an Enduring Effect on ADHD? A Longitudinal Study of Monozygotic Twin Differences in Children. *Jr of abnormal child psychology*, *44*(8), 1487-1501. https://doi.org/10.1007/s10802-016-0145-9

-Lochner, L., & Moretti, E. (2004). The effect of education on crime: Evidence from prison inmates, arrests, and self-reports. *American economic review*, *94*(1), 155-189.

-Loewenstein, G. (1994). The psychology of curiosity: A review and reinterpretation. *Psychological Bulletin, 116*(1), 75–98.

-Loonis, E. (2011) Principes de la punition. https://www.researchgate.net/publication/258498590_Principes_de_la_punition.

-Lopez-Mobilia, G., & Woolley, J. D. (2016). Interactions between knowledge and testimony in children's reality-status judgments. *Journal of Cognition and Development*, *17*(3), 486-504. doi:10.1080/15248372.2015.1061529

-Lord, A., & Barnes, C. (1996). Family liaison work with adolescents in a sex offender treatment programme. *Journal of sexual aggression*, *2*(2), 112-121.

-Lu, C.,& Montague, B.(2016). Move to learn, learn to move: Prioritizing physical activity in early childhood education programming. *Early Childhood Education Journal*, *44*(5), 409-417.

-Luce, M.R., & Hsi, S. (2015). Science-relevant curiosity expression and interest in science: an exploratory study. *Science Education*, *99*(1), 70-97.

-Ludwig, R.P.,& Lazarus, P.J.(1983).Relationship between shyness in children and constricted cognitive control as measured by the Stroop Color-Word Test. *Jr of Consulting and Clinical Psychology*, *51*(3), 386.

-Luijk, M.P., Bülow, A., Boele, S., de Haan, A., van der Kaap-Deeder, J., & Keijsers, L. (2024). Overparenting in adolescents' everyday life: Development and validation of the momentary overparenting scale. *Journal of Social and Personal Relationships*, *41*(2), 480-498.

-Luikinga,S.J., Kim,J.H., & Perry,C.J.(2018). Developmental perspectives on methamphetamine abuse: Exploring adolescent vulnerabilities on brain and behavior. *Progress in neuro-psychopharmacology and biological psychiatry*, *87*, 78-84. https://doi.org/10.1016/j.pnpbp.2017.11.010 Elsevier Inc

-Luk, S.L.(1996). Cross-cultural aspects. In S. Sandberg (Ed.), Hyperactivity disorders of childhood. Cambridge: Cambridge University Press.

-Lukowiak, T., & Bridges,J.(2010) Punishment Strategies: First Choice or Last Resort. *Jr.of the American Academy of Special Education Professionals.* 63,72.

-Luminita Sandu, M., Calin, M.F., & Segarceanu, R.A. (2021). The relationship between school performance and anxiety in adolescents. *Technium Social Sciences Journal*, *18*(1), 296-305.

Lund, I., Ertesvåg, S., & Roland, E. (2010). Listening to shy voices: Shy adolescents' experiences with being bullied at school. *Journal of Child & Adolescent Trauma*, *3*, (3) pp. 205-223.

-Machin, S.,Vujić, S., & Marie, O.(2012).Youth crime and education expansion. *German Economic Review*, *13*(4), 366-384.

-Maharaj, P., & Shangase, T.(2020). Reasons for delaying marriage: Attitudes of young, educated women in South Africa. *Journal of Comparative Family Studies*, *51*(1), 3-17. . https://doi.org/10.3138/jcfs.51.1.002

-Majors,K.,& Baines,E.(2017).Children's play with their imaginary companions: Parent experiences and perceptions of the characteristics of the imaginary companions and purposes served. *Educational and Child Psychology. 34*(3).

-Makosky,V.P.(1972) Fear of Success, Sex-Role Orientation of the Task, and Competitive Condition as Variables Affecting Women's Performance in Achievement-Oriented Situations. Paper presented at the Annual Meeting of the Midwestern Psychological Association (44th, May 4-6, 1972, Cleveland, Ohio)

-Mandler, J. M., & Johnson, N. S. (1977). Remembrance of things parsed: Story structure and recall. *Cognitive psychology*, *9*(1), 111-151.

-Mann, L., Harmoni, R., & Power, C. (1989). Adolescent decision-making: The development of competence. *Journal of adolescence*, *12*(3), 265-278.

-Mansouri, A. (2021) Motivating The Student To Learn: A Real Teacher's Challenge, دراسات نفسية وتربوية Vol.14, Numéro 1, Pages 404-422.

-Mardirosian,S.(2018).Anxiety on the Rise: The Cause and Effect of Increasing Anxiety among College Students in the US.
http://hdl.handle.net/20.500.12648/13799

-Markova, S., & Nikitskaya, E.(2017). Coping strategies of adolescents with deviant behaviour. *International Jr of Adolescence and Youth*, *22*(1), 36-46.

-Marshall, J.D.(1984). John Wilson on the Necessity of Punishment. *Journal of Philosophy of Education*, *18*(1), 97-104.

-Martens, H. (2017). Avons-nous besoin de père et de mère ?. *Cahiers de psychologie clinique*, 48, 239-243. https://doi.org/10.3917/cpc.048.0239

-Martin, A.J., & Marsh, H.W. (2003). Fear of failure: Friend or foe?. *Australian Psychologist*, *38*(1), 31-38.

-Masi, G., Favilla, L., Mucci, M., & Millepiedi, S. (2000). Panic disorder in clinically referred children and adolescents. *Child Psychiatry and Human Development*, *31*, 139-151.

-Maslow,A.H.(1970).Motivation and personality. New York:Harper & Row.

-Masten, A.S.(2014). Global perspectives on resilience in children and youth. *Child development*, *85*(1), 6-20. doi:10.1111/cdev.12205

-Maupassant,de Guy (1884) . Solitude. texte publié dans Le Gaulois du 31 mars 1884.

-Maxwell, K.L., & Clifford, R.M. (2004). School readiness assessment. *Young children*, *59*(1), 42-46.

-McAuliffe, W.E.,& Gordon, R.A. (1980). Reinforcement and the combination of effects: Summary of a theory of opiate addiction. *NIDA research monograph*,*30*, 137-141.

-McAuliffe,W.E.,& Ch'ien,J.M.(1986).Recovery training and self help: A relapse prevention program for treated opiate addicts. *Journal of Substance Abuse Treatment*,*3*(1), 9-20.

-McCabe, S. E., Teter, C. J., & Boyd, C. J.(2006). Medical use, illicit use, and diversion of abusable prescription drugs. *Journal of American college health*, *54*(5), 269-278.

-McCabe, S.E., West, B.T., & Wechsler, H. (2007). Trends and college-level characteristics associated with the non-medical use of prescription drugs among US college students from 1993 to 2001. *Addiction*, *102*(3), 455-465.

-McCord,W., McCord,J., & Zola,I.K.(1959). Origins of crime: a new evaluation of the Cambridge-Somerville Youth Study. Columbia University Press.

-McGue, M., Elkins, I., Walden, B., & Iacono, W. G. (2005). Perceptions of the parent–adolescent relationship: A longitudinal investigation. *Developmental Psychology*, 41, 971–984. https://doi.org/10.1037/0012-1649.41.6.971

-McLeod, J.(2015). Client preferences: building bridges between therapy and everyday life. *Psychotherapy and Counselling Journal of Australia*, *3*(1).

-McClelland, D.& Alschuler, A.(1971). Achievement motivation development project, final report. Cambridge, MA: Harvard University. (ERIC Document Reproduction Service Number ED 062585).

-McNair, P. J., Depledge, J., Brettkelly, M., & Stanley, S. N. (1996). Verbal encouragement: effects on maximum effort voluntary muscle: action. *British journal of sports medicine*, *30*(3), 243-245.

-McWhirter, E.H.,& McWhirter, B.T. (2008). Adolescent future expectations of work, education, family and community development of a new measure. *Youth & Society*, *40*(2), 182-202

-Medina,J.A., Netto,T.L., Muszkat,M., Medina, A.C., Botter,D., Orbetelli, R., ... & Miranda, M. C. (2010). Exercise impact on sustained attention of ADHD children, methylphenidate effects. *ADHD Attention Deficit and Hyperactivity Disorders*, 2(1). 49-58.

-Melissa Petersen, J., & Lesch, E. (2022). A Child Needs Both a Mother and a Father : The Parenting Constructions of a New Generation of Tertiary-Educated South African Prospective Parents. *Jr of Comparative Family Studies, 52*(4), 715-742.

-Mendle,J.,Harden,K.P.,Brooks-Gunn,J.,& Graber, J.A.(2010). Development's tortoise and hare: pubertal timing, pubertal tempo, and depressive symptoms in boys and girls. *Developmental psychology*, *46*(5), 1341.

-Mendle, J., Turkheimer, E., & Emery, R. E. (2007). Detrimental psychological outcomes associated with early pubertal timing in adolescent girls. *Developmental review*, *27*(2), 151-171.

-Mendo-Lázaro, S., León-del-Barco, B., Polo-del-Río, M.I., Yuste-Tosina, R., & López-Ramos, V.M.(2019). The role of parental acceptance–rejection in emotional instability during adolescence. *International journal of environmental research and public health*, *16*(7), 1194.

-Mendonça, M., & Fontaine, A. M. (2014). The role maturity of parents of emerging adult children: Validity of a parental maturity measure. *Journal of Adult Development*, 21(2), 116-128. DOI:10.1007/s10804-014-9185-y

-Mennis,J.,& Mason,M.J.(2012). Social and geographic contexts of adolescent substance use:The moderating effects of age and gender. *Social networks, 34*(1), 150-157.

-Merrell, K.W.,& Wolfe,T.M. (1998). The relationship of teacher-rated social skills deficits and ADHD characteristics among kindergarten-age children. *Psychology in the Schools, 35*(2),101-110.

-Miller, B. C., Benson, B., & Galbraith, K. A. (2001). Family relationships and adolescent pregnancy risk: A research synthesis. *Developmental review*, *21*(1), 1-38.

-Miller,J(2003) Never too Young: How young children can take responsibility and make decisions. National Early Years Network/Save the Children.UK

-Miner, J. B.(1922). An aid to the analysis of vocational interests. *The Journal of Educational Research*, *5*(4), 311-323.

-Monastersky, C, & Smith, W. (1985). Juvenile sexual offenders: a family system paradigm. Dans Oley, O. & Ryan, G. (Eds). Adolescent sex offenders: issues in research and treatment, pp. 164-175. Rockville.

-Montgomery, J. (1988). Children as property?.*The Modern Law Review, 51*(3), 323-342.

-Montgomery, S.M., Cook, D.G., Bartley, M.J., & Wadsworth, M. E.(1998). Unemployment, cigarette smoking, alcohol consumption and body weight in young British men. *The European Journal of Public Health*, *8*(1), 21-27.

-Moore, K.A., Chalk, R., Scarpa, J., & Vandivere, S. (2002). Family Strengths: Often Overlooked, but Real. Child Trends Research Brief.

-Morris,G.B.(1991). Perceptions of leadership traits: Comparison of adolescent and adult school leaders. *Psychological Reports*, *69*(3), 723-727.

-Morrison, W. Douglas.(1915).Juvenile Offenders. New York: D. Appleton and Company.

-Mortimer, J.T., Pimentel, E.E., Ryu, S., Nash, K.,& Lee, C.(1996). Part-time work and occupational value formation in adolescence. *Social forces*, *74*(4), 1405-1418.

-Moser, K. A., Fox, A. J., Goldblatt, P. O., & Jones, D. R. (1986). Stress and heart disease: evidence of associations between unemployment and heart disease from the OPCS longitudinal study. *Postgraduate medical journal, 62*(730), 797-799.

-Mosher, F.A., & Hornsby, J.R. (1966). On asking questions. In J.S. Bruner, R.R. Olver, P.M. Greenfield, J. R. Hornsby (Eds.), *Studies in cognitive growth* (pp 117–134). New York, NY: Wiley.

-Mozahem,N.A., Kozbar,D.K., Al Hassan,A.W.,&Mozahem,L.A.(2020). Gender differences in career choices among students in secondary school. *International Journal of School & Educational Psychology*, *8*(3), 184-198.

-Mrug, S., Elliott, M. N., Davies, S., Tortolero, S. R., Cuccaro, P., & Schuster, M. A. (2014). Early puberty, negative peer influence, and problem behaviors in adolescent girls. *Pediatrics*, *133*(1), 7-14.

-Mueller, C. M., & Dweck, C. S. (1998). Praise for intelligence can undermine children's motivation and performance. *Journal of Personality and Social Psychology, 75*(1), 33–52. https://doi.org/10.1037/0022-3514.75.1.33

-Murray, C., & Thompson, F. (1985). The representation of authority: an adolescent viewpoint. *Journal of adolescence*, *8*(3), 217–229. https://doi.org/10.1016/s0140-1971(85)80054-3

-Musa Abdullahi (2013) Consequences of Pre-Marital Sex among the Youth a Study of University of Maiduguri. IOSR Journal of Humanities and Social Science 10(1):10-17. DOI:10.9790/0837-01011017

-Musasi, C., Ndiku, J.M., & Buhere, P.(2022). Schools' withdrawal of privileges and development of values among learners:An empirical study of public secondary schools in Matungu Sub-County, Kakamega County, Kenya. *Journal of Education and Practice*, *6*(1), 48-63.

-Musinger,H & Douglass ,A (1976) .The syntactic abilities of identical twins. journal of Child development,47 , pp.40-50.

-Mussen,P.H & Jones, M.C (1957). Self-conceptions, motivations and interpersonal attitudes of late and early maturing boys.*Child development* 28, pp.243-256.

-Muzinic, L.,Kozaric-Kovacic, D., & Marinic, I. (2016). Psychiatric aspects of normal and pathological lying. *International journal of law and psychiatry*, *46*, 88-93.

-National Center for Chronic Disease Prevention, & Health Promotion (US). Office on Smoking. (2012). *Preventing tobacco use among youth and young adults: A report of the surgeon general*. US Government Printing Office. United States. Public Health Service. Office of the Surgeon General,

-Nawi,A.M., Ismail, R., Ibrahim, F.,Hassan, M.R., Manaf, M.R.A.,Amit, N., ... & Shafurdin, N.S. (2021). Risk and protective factors of drug abuse among adolescents: a systematic review. *BMC public health*, *21*, 1-15.

-Negriff, S., & Susman, E. J. (2011). Pubertal timing, depression, and externalizing problems: A framework, review, and examination of gender differences. *Journal of Research on Adolescence*, *21*(3), 717-746.

-Nett, U.E., Goetz, T., & Hall, N.C. (2011). Coping with boredom in school: An experience sampling perspective. *Contemporary educational psychology, 36*(1), 49-59.

-Niaura, R., Britt, D.M., Shadel, W.G., Goldstein, M.,Abrams, D., & Brown, R. (2001). Symptoms of depression and survival experience among three samples of smokers trying to quit. *Psychology of addictive behaviors*, *15*(1), 13–17.

-Nichols,S.,& Stich,S.P.(2003). *Mindreading: An integrated account of pretence, self-awareness, and understanding other minds*. Oxford University Press.

-Nielsen, M., & Blank, C. (2011). Imitation in young children: when who gets copied is more important than what gets copied. *Developmental psychology. 47*(4), 1050.

-Ng, Q.X., Ho, C.Y.X., Chan, H.W., Yong, B. Z. J., & Yeo, W. S. (2017). Managing childhood and adolescent attention-deficit/hyperactivity disorder (ADHD) with exercise: A systematic review. *Complementary therapies in medicine*, *34*, 123-128.

-Nguyen, K.A., Borrego, M., Finelli, C.J., DeMonbrun, M., Crockett, C., Tharayil, S., ...& Rosenberg, R. (2021). Instructor strategies to aid implementation of active learning: a systematic literature review. *International Journal of STEM Education*, *8*, 1-18.

-Nguyen, N.N., & Newhill, C. E. (2016). The role of religiosity as a protective factor against marijuana use among African American, White, Asian, and Hispanic adolescents. *Journal of Substance Use*, *21*(5), 547-552. https://doi.org/10.3109/14659891.2015.1093558

-Nogales, A.(2009). *Parents who cheat: How children and adults are affected when their parents are unfaithful*. Health Communications, Inc..

-Novick,J.,& Novick, K.K.(2012).Maîtrise ou traumatisme: le choix adolescent. *Adolescence*, (3), 711-724.

-Odom,S.L.,Zercher,C., Li,S., Marquart,J.M., Sandall,S., & Brown,W.H. (2006). Social acceptance and rejection of preschool children with disabilities: A mixed-method analysis. *Journal of Educational Psychology, 98*(4), 807.

-OECD. (2018). *Bridging the digital gender divide: include, upskill, innovate*. https://www.oecd.org/digital/bridging-the-digital-gender-divide.pdf

-Oetting, E. R., Edwards, R. W., Kelly, K., & Beauvais, F. (1997). Drug Use Among Rural American. *Rural substance abuse: State of knowledge and issues*, *20*, 90.

-Offer,D.,& Schonert-Reichl,K.A.(1992). Debunking the myths of adolescence: Findings from recent research. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*, *31*(6), 1003-1014.

-O'Malley,S.(2015). *Cotton wool kids: What's making Irish parents paranoid?* Mercier Press Ltd.

-O'Neill, J., & Vogel, M. (2020). School cohesion perception discrepancy and student delinquency. *Journal of youth and adolescence*, *49*(7), 1492-1502.

-Orringer, K., & Gahagan, S. (2010). Adolescent Girls Define Menstruation: A Multiethnic Exploratory Study. *Health Care for Women International*, *31*,831-847.

-Orth, U.(2018). The family environment in early childhood has a long-term effect on self-esteem: A longitudinal study from birth to age 27 years. *Jr of Personality and Social Psychology, 114*(4), 637–655. https://doi.org/10.1037/pspp0000143

-Osterrieth, P. A (1969). Adolescence: Some Psychological Aspects. *In* G. Caplan and S. Lebovici (eds). Adolescence: psychological perspectives. New York: Basic Books. pp.11-21.

-Oswalt, S.B., Cameron, K.A., & Koob, J.J.(2005). Sexual regret in college students. *Archives of sexual behavior*, *34*, 663-669.

-Öztürk,İ.(2001).The role of education in economic development: A theoretical perspective. *Jr of Rural Development and Administration,* 33(1), pp.39-47. http://ssrn.com/abstract=1137541

-Palmer, E.,Woolgar, M., Carter, B., Cartwright-Hatton, S.,& Challacombe,F.L. (2023). Preventing anxiety in the children of anxious parents–feasibility of a brief, online, group intervention for parents of one-to three-year-olds. *Child and Adolescent Mental Health*, *28*(1), 33-41.

-Paludi, M. A. (1984). Psychometric properties and underlying assumptions of four objective measures of fear of success. Sex Roles,10(9–10), 765–781. https://doi.org/10.1007/BF00287387

-Paquette, D. (2008).The child needs his father and his mother, but for different reasons!. *Santé Mentale au Quebec*, *33*(1), 223-227.

-Pargament,K.I.,& Park, C.L.(1995). Merely a defense? The variety of religious means and ends. *Journal of social issues*, *51*(2), 13-32.

-Parisien, M., & Morissette, L. (1997). Hospitalisation prolongée et sécuritaire d'adolescents du continuu «narcissique-limite»:de l'approche psychodynamique à l'approche cognitive. *Santé mentale au Québec*, *22*(1), 106-126.

-Parker, R., Thomsen, B. S.,& Berry, A. (2022).Learning through play at school: A framework for policy and practice. In *Frontiers in Education* . Vol.7, p.751801 . Frontiers Media SA. https://doi.org/10.3389/feduc.2022.751801

-Parkhurst, J. T., & Hopmeyer, A. (1998). Sociometric popularity and peer-perceived popularity: Two distinct dimensions of peer status. *The Journal of Early Adolescence*, *18*(2), 125-144.

-Parra,Á., Oliva,A., & Sánchez-Queija,I.(2015). Development of emotional autonomy from adolescence to young adulthood in Spain. *Jr of adolescence, 38*, 57-67.

-Parsons,T.,& Bales, R.F.(Eds.) (1955). Family, socialization and interaction process. New York: Free Press.

-Paul, K.I., & Moser, K.A., (2009). Unemployment impairs mental health: Meta-analyses. *Journal of Vocational behavior*, *74*(3), 264-282.

-Pedersen, S., Vitaro, F., Barker, E. D., & Borge, A. I. (2007). The timing of Middle-Childhood peer rejection and friendship: Linking early behavior to Early-Adolescent adjustment. *Child development*, *78*(4), 1037-1051.

-Pelaez, M., Gewirtz, J. L., & Wong, S. E. (2008). A critique of stage theories of human development. Chapter In *Comprehensive handbook of social work and social welfare*, Vol.2. Volume editor Thyer, B. A.. Editors-in-Chief Karen M. Sowers Catherine N. Dulmus. John Wiley & Sons, Inc.

-Pelham, W.E.,& Bender, M.E. (1982). Peer relationships in hyperactive children: Description and treatment. *Advances in Learning & Behavioral Disabilities, 1*,365–436.

-Pellegrini, A., & Blatchford, P. (2000). The Child at School: Interactions with Peers and Teachers. London: Edward Arnold.

-Peplau,L.A.(1976).Impact of fear of success and sex-role attitudes on women's competitive achievement. *Journal of Personality and Social Psychology, 34*(4), 561–568. https://doi.org/10.1037/0022-3514.34.4.561

-Pérez-Edgar, K., Reeb-Sutherland, B. C., McDermott, J. M., White, L. K., Henderson, H. A., Degnan, K. A., ... & Fox, N. A. (2011). Attention biases to threat link behavioral inhibition to social withdrawal over time in very young children. *Journal of abnormal child psychology*, *39*,(6) 885-895.

-Pérez-Edgar, K., Bar-Haim,Y., McDermott, J.M., Chronis-Tuscano, A., Pine, D.S., & Fox, N.A.(2010). Attention biases to threat and behavioral inhibition in early childhood shape adolescent social withdrawal. *Emotion*, *10*(3), 349–357.

-Peris, T.S.,& Miklowitz, D.J.(2015). Parental expressed emotion and youth psychopathology: New directions for an old construct. *Child Psychiatry & Human Development*, *46*, 863-873.

-Peterson,G.W.,& Hann,D.(1999).Socializing children and parents in families. In*Handbook of marriage and the family* (pp.327-370).Boston, MA:Springer US.

-Peterson, G.W., & Leigh, G.K. (1990). The family and social competence in adolescence. In T.P. Gullotta, G.R.Adams, & R. Montemayor (Eds.),*Developing social competency in adolescence* (pp. 97–138). Sage Publications, Inc.

-Petitclerc,.J.M.(2001) Les nouvelles délinquances des jeunes, violences urbaines et réponses éducatives, Paris, Dunod,

-Philips Jr, B.U., Longoria, J. M., Parcel, G. S., & Ebeling, E. W. (1990). Expectations of preschool children to protect themselves from cigarette smoke: results of a smoking prevention program for preschool children. *Journal of Cancer Education*, *5*(1), 27-31.

-Piaget, J. (1936). The origins of intelligence in children (M. Cook, Trans.). New York, NY: International Universities Press.

-Piaget, J. (1954). La période des opérations formelles et le passage de la logique de l'enfant à celle de l'adolescent.*Bulletin de psychologie*,*7*(5),247-253.

-Piaget, J., & Inhelder, B. (1955). *De la logique de l'enfant à la logique de l'adolescent: essai sur la construction des structures opératoires formelles*. Presses Univ. de France.

-Piaget, J. (1958). Les étapes du développement mental. *Bulletin de psychologie.*, *11*(148), 678-685.

- Piguo, H., YunPeng, W., & FengQiang, G. (2015). The relationship between parent shyness and child shyness: Examining the moderating effect of child gender and parenting style. *Psychology Research*, *5*(1), 23-31.

-Pijl,S.J., & Frostad, P. (2010).Peer acceptance and self-concept of students with disabilities in regular education. *European Journal of Special Needs Education*,*25*(1),93-105.

-Pllana, D. (2020). Keeping Students' Attention Active. *Education Society and Human Studies*, *1*(2), 171.

-Pinquart, M., & Silbereisen, R.K. (2002). Changes in adolescents' and mothers' autonomy and connectedness in conflict discussions: An observation study. *Journal of adolescence*, *25*(5), 509-522.

-Platt, B., Kadosh, K.C., & Lau, J.Y. (2013). The role of peer rejection in adolescent depression. *Depression and anxiety*, *30*(9), 809-821.

-Plebanek, D.J.,& Sloutsky, V.M.(2017). Costs of selective attention: When children notice what adults miss. *Psychological science*, *28*(6), 723-732.

-Poche, C., Yoder, P., & Miltenberger, R. (1988). Teaching self-protection to children using television techniques. *Journal of Applied Behavior Analysis, 21*(3), 253-261.

-Polak, A., & Harris,P.L. (1999). Deception by young children following noncompliance. *Developmental psychology*, *35*(2), 561-568.

-Polanczyk, G.,De Lima, M.S.,Horta, B.L.,Biederman,J.,& Rohde, L.A. (2007). The worldwide prevalence of ADHD: a systematic review and metaregression analysis. *American journal of psychiatry*, *164*(6), 942-948.

-Pomeroy ,W. B (1968) Boys and Sex. New York : Delacorte Press .

-Pomeroy ,W. B (1969) Girls and Sex. Dell Publishing CO.,INC. New York

-Poulin, F., & Dishion, T. J. (2008). Methodological and theoretical advances in the study of peer contagion. *Jr of Clinical Child & Adolescent Psychology*, 37(3), 662-670.

-Power,T.G.(2013). Parenting dimensions and styles: a brief history and recommendations for future research. *Childhood Obesity*, *9*(s1), S-14.

-Prochaska, J.O., & DiClemente, C.C.(1984). The transtheoretical approach: Crossing traditional boundaries of therapy. Homewood, IL: Dow Jones-Irwin.

-Puca, R.M.,& Schmalt, H.D.(1999).Task enjoyment: A mediator between achievement motives and performance. *Motivation and Emotion*, *23(1)*, 15-29. Doi.org/10.1023/A:1021327300925 [25]

-Purdon,C., Antony, M., Monteiro, S., & Swinson, R. P. (2001). Social anxiety in college students. *Journal of anxiety disorders*, *15*(3), 203-215.

-Puri, A., & Sharma, R.(2016). Internet usage, depression, social isolation and loneliness amongst adolescents. *Indian Journal of Health & Wellbeing*, *7*(10).

-Puzzanchera, C., Adams, B.,& Sickmund, M.(2010). Juvenile court statistics 2006–2007. *Pittsburgh, PA: National Center for Juvenile Justice*.

-Ralte, J.L., & Fente, H.L.(2018). Parental acceptance-rejection in relation to achievement motivation. *Jr of Humanities& Social Sciences*, *4*(1), 139-148.

-Rapoport, V. E.O., Altamirano, E., Senador, L., Wong, M., Beckhorn, C.B., Coit, J., ... & Chiang, S.S. (2022). Impact of prolonged isolation on adolescents with drug-susceptible tuberculosis in Lima, Peru: a qualitative study. *BMJ open*, *12*(9), e063287.

-Rasmussen, S. A., & Eisen, J. L.(1992).The epidemiology and clinical features of obsessive compulsive disorder. *The Psychiatric Clinics of North America. 15*(4), 743-758.

-Reber, J., & Tranel, D. (2017). Sex differences in the functional lateralization of emotion and decision making in the human brain. *Journal of neuroscience research*, *95*(1-2), 270-278.

-Reece, E.A.,& Barbieri,R.L.(2010).*Obstetrics and Gynecology: The Essentials of Clinical Care.* Stuttgart and New York: Thieme.

-Reid, M.S., Mickalian, J.D., Delucchi, K.L., Hall, S.M.,& Berger, S.P.(1998). An acute dose of nicotine enhances cue-induced cocaine craving. *Drug and alcohol dependence*, *49*(2), 95-104.

-Reijntjes, A., Thomaes, S., Bushman, B. J., Boelen, P. A., de Castro, B. O., & Telch, M. J. (2010). The outcast-lash-out effect in youth: Alienation increases aggression following peer rejection. *Psychological Science*, *21*(10), 1394-1398. DOI:10.1177/0956797610381509

-Rembeck, G. I., & Gunnarsson, R. K. (2004). Improving pre- and post menarcheal 12-year-old girls'attitudes toward menstruation. *Health care for women international*, *25*(7), 680-698.

-Remmers, H.H.,& Radler, D.H (1957). The American Teenager. Indianapolis. Ind.: Bobbs-Merrill.

-Renard, L., Lageix, P., & Losson, M. (1988). Adolescence et institution s'opposent-elles?. *Santé mentale au Québec*, *13*(2), 135-143.

-Resnick,L.B.(1983).Mathematics and science learning: A new conception. *Science*, *220*(4596), 477-478.

-Reupert, A., Maybery, D., Nicholson, J., Göpfert, M., & Seeman, M.V. (Eds.). (2015). *Parental psychiatric disorder: Distressed parents and their families*. Cambridge University Press.

-Rice, F., Frederickson, N., & Seymour, J. (2011). Assessing pupil concerns about transition to secondary school. *British journal of educational psychology, 81*(2), 244-263.

-Riquelme, M., García, O.F.,& Serra, E. (2018). Psychosocial maladjustment in adolescence: Parental socialization, self-esteem, and substance use. *Anales de psicología*, *34*(3), pp.536-544. ISSN :1695-2294. https://dx.doi.org/10.6018/analesps.34.3.315201.

-Rogers, F., & Sharapan, H. (1993). Play. *Elementary School Guidance & Counseling*, *28*(1), 5-9.

-Rogers,M.(2012). "They are there for you": The importance of neighbourhood friends to children's well-being. *Child indicators research,* 5(3),483–502.

-Rogers, V.L.N. (2015). Women in IT: the endangered gender. In *Proceedings of the 2015 ACM SIGUCCS Annual Conference* (pp. 95-98).

-Roggeveen, A. L. (2016). Instilling a Desire to Learn: The Importance of a Well Designed Course. In *Let's Get Engaged! Crossing the Threshold of Marketing's Engagement Era: Proceedings of the 2014 Academy of Marketing Science (AMS) Annual Conference* (pp. 1-2). Springer International Publishing.

-Rokach, A. (2019). *The psychological journey to and from loneliness: Development, causes, and effects of social and emotional isolation.* Elsevier Academic Press.

-Roschelle, J. (1995). Learning in interactive environments: Prior knowledge and new experience. In J. H. Falk & L. D. Dierking (Eds.), Public institutions for personal learning: Establishing a research agenda (pp. 37-51). Washington, DC: American Association of Museums.

-Rosenbaum, M., & Raz, D. (1977). Denial, locus of control and depression among psysically disabled and nondisabled men. *Journal of Clinical Psychology* *33*(3), 672-676.

-Rosen, L.N., & Etlin, M. (1996). *The hostage child: Sex abuse allegations in custody disputes*. Indiana University Press.

-Ross,J.A.(1981) Improving adolescent decision—making skills. *Curriculum Inquiry, 11*(3), 279-295.

-Rubia, K., Smith, A. B., Woolley, J., Nosarti, C., Heyman, I., Taylor, E., & Brammer, M. (2006). Progressive increase of frontostriatal brain activation from childhood to adulthood during event-related tasks of cognitive control. *Human brain mapping*, *27*(12), 973-993.

-Rubin, K.H., Burgess, K.B., & Coplan, R.J. (2002). Social withdrawal and shyness. In: Smith & Hart (Eds.),Blackwell handbook of Childhood Social

Development, Blackwell Publishing, Malden, MA,US. *Blackwell handbook of childhood social development*, 330-352.

-Rubin, K.H.,& Coplan, R.J.(Eds.). (2010). *The development of shyness and social withdrawal*. Guilford Press.

-Rudasill, K. M., Snyder, K. E., Levinson, H., & Adelson, J. (2018). Systems view of school climate: A theoretical framework for research. *Educational Psychology Review,30*(1), 35–60. https://doi.org/10.1007/s10648-017-9401-y

-Ruiz, A.L.(2018). The past hurts: Examining the long-term effects of childhood abuse on adult psychological, physiological, and interpersonal well-being. Doctoral Dissertation, The Pennsylvania State University.

-Russ, S. W., & American Psychological Association. (2014). *Pretend play in childhood: Foundation of adult creativity* (pp. 45-62). Washington, DC: American Psychological Association.

-Ryan, A.M.(2001). The peer group as a context for the development of young adolescent motivation and achievement. *Child development*, *72*(4),1135-1150.

-Ryan, A.M. (2011). Peer relationships and academic adjustment during early adolescence. *The Journal of Early Adolescence*, *31*(1), 5-12.
DOI:10.1177/0272431610387605

-Ryan,G. (1991). The juvenile sex offenders family. In Ryan, G. & Lane, S. Juvenile sexual offending: causes, consequences, and correction, pp.144-174. Toronto: Lexington book.

-Ryan, G., Leversee, T.F., & Lane, S. (2010). *Juvenile sexual offending: Causes, consequences, and correction*. John Wiley & Sons.

-Sabates,R.,Harris, A. L., & Staff,J.(2011).Ambition gone awry: The long-term socioeconomic consequences of misaligned and uncertain ambitions in adolescence. *Social science quarterly*, *92*(4), 959-977.

-Sainio, P.J., Eklund, K.M., Ahonen, T.P.,& Kiuru, N.H.(2019). The role of learning difficulties in adolescents'academic emotions and academic achievement. *Journal of learning disabilities*, *52*(4), 287-298.
https://doi.org/10.1177/0022219419841567

-Sakai, A. (2010). Children's sense of trust in significant others: Genetic versus environmental contributions and buffer to life stressors. *Interpersonal trust during childhood and adolescence*, 56-84.

-Salmela-Aro, K., Kiuru, N., & Nurmi, J. E. (2008). The role of educational track in adolescents' school burnout: A longitudinal study. *British Journal of Educational Psychology*, *78*(4), 663-689.

-Samuels,S.C,(1977)Enhancing self-concept in early childhood Human sciences Press, New York. ISBN-10 :0877053537 ISBN-13 : 978-0877053538

-Sandhu, D., Singh, B., Tung, S., & Kundra, N. (2012). Adolescent identity formation, psychological well-being, and parental attitudes. *Pakistan Journal of Psychological Research*, *27*(1). 89–105.

-Santrock, J. W. (2002). Life-span development. New York: McGraw-Hill Companies.

-Sarver,D.E., Rapport,M.D., Kofler,M.J., Raiker,J.S., & Friedman, L.M.(2015). Hyperactivity in attention-deficit/hyperactivity disorder (ADHD): Impairing deficit or compensatory behavior?. *Jr of abnormal child psychology*, *43*(7), 1219-1232.

-Sawyer,S.M., Azzopardi,P.S., Wickremarathne,D., & Patton, G.C. (2018). The age of adolescence. *The Lancet Child and Adolescent Health*, *2*(3), 223-228.

-Schaeffer, D.L. (1971). Sex differences in personality: Readings. Belmont, Calif: Brooks-Cole.

-Schickedanz, J. A., Schickedanz, D.I., Forsyth, P.D., & Forsyth, G.A. (2001). Understanding children and adolescent (4th.Ed.). MA: Allyn & Bacon.

-Schiffrin, H. H., Godfrey, H., Liss, M., & Erchull, M. J. (2015). Intensive parenting: Does it have the desired impact on child outcomes?. *Journal of Child and Family Studies*, *24*, 2322-2331. 24(8), 2322–2331.

-Schlinger, H. D. (1992). Theory in behavior analysis: An application to child development [Special issue: Special Reflections on B. F. Skinner and Psychology]. American Psychologist, 47, 1396–1410.

-Schneider, B.L.,& Stevenson, D.(1999). *The ambitious generation: America's teenagers, motivated but directionless*. Yale University Press.

-Schöpf, I.C.,Hunziker, M.,Surber,J., Bertisch, B.,Hampel,B., Meynard,A., ... & Tarr,P.(2022). Maladies sexuellement transmissibles: épidémiologie et prise en charge.*Primary and hospital care: médecine interne générale*, *22*(10),313-317.

-Schulenberg, J., Vondracek, F.W., & Kim, J.R. (1993). Career certainty and short-term changes in work values during adolescence. *The Career Development Quarterly*, *41*(3), 268-284.

-Schulte, M.T., & Hser, Y.I. (2013). Substance use and associated health conditions throughout the lifespan. *Public health reviews*, *35* (2). 1-27.

https://doi.org/10.1007/bf03391702
-Schwartz,P.D., Maynard,A.M., & Uzelac,S.M.(2008).Adolescent egocentrism: a contemporary view. *Adolescence*, *43*(171).
-Schwartze, M. M., Frenzel, A. C., Goetz, T., Marx, A. K., Reck, C., Pekrun, R.,& Fiedler,D. (2020). Excessive boredom among adolescents: A comparison between low and high achievers. *PLoS One*, *15*(11), e0241671.
-Schwartzman, A.E., Serbin, L.A., Moskowitz, D.S., & Ledingham,J.E. (1988). L'évolution des enfants difficiles. *Santé mentale au Québec*, *13*(2), 94-102.
-Sebastian, C., Burnett, S.,& Blakemore, S.J.(2008). Development of the self-concept during adolescence. *Trends in cognitive sciences*, *12*(11),441-446.
-Seifert, K.L.(1997). *Child and adolescent development*. Houghton Mifflin Co..
-Serota,K.B., Levine,T.R., & Boster,F.J.(2010). The prevalence of lying in America: Three studies of self-reported lies. *Human Communication Research, 36*(1), 2-25.
-Shakir, M. (2014). Academic anxiety as a correlate of academic achievement. *Journal of Education and Practice*, *5*(10), 29-36.
-Shanahan, L., McHale, S.M., Osgood, D. W. & Crouter, A. C (2007). Conflict frequency with mothers and fathers from middle childhood to late adolescence: within-and between-families comparisons. *Developmental psychology*, *43*(3), 539-550. https://doi.org/10.1037/0012-1649.43.3.539
-Shanahan, L., McHale, S.M., Crouter, A.C., & Osgood, D.W. (2007). Warmth with mothers and fathers from middle childhood to late adolescence: Within- and between-families comparisons. *Developmental Psychology*, 43, 551–563.
https://doi.org/10.1037/0012-1649.43.3.551
-Shek, D.T.(2008). Perceived parental control and parent–child relational qualities in early adolescents in Hong Kong: Parent gender, child gender and grade differences. *Sex Roles*, *58*, 666-681.
-Shors,TJ.(2004).Learning during stressful times. *Learn Mem,* 11(2):137-44.
-Shoval,E.,Sharir,T.,Arnon,M.,&Tenenbaum,G.(2018).The effect of integrating movement into the learning environment of kindergarten children on their academic achievements. *Early Childhood Education Journal*, *46(3)*, 355-364.
-Sickmund,M.(2010).Juveniles in residential placement,1997–2008. US Dept. of Justice, Office of Justice Programs, Office of Juvenile Justice and Delinquency Prevention. https://www.govinfo.gov/content/pkg/GOVPUB-J32-PURL-LPS125217/pdf/GOVPUB-J32-PURL-LPS125217.pdf

-Silverman, M.M., & Maris, R.W.(1995). The Prevention of Suicidal Behaviors: An Overview. Suicide and Life-Threatening Behavior, 25 (1), 10-21.

-Silverman,S.W.(2010). *Because I remember terror, Father, I remember you* (Vol. 4). University of Georgia Press.

-Simpkins, S. D., & Davis-Kean, P. E. (2005). The intersection between self-concepts and values: Links between beliefs and choices in high school. *New directions for child and adolescent development*, *2005*(110), 31-47.

-Sipsma,H.L., Ickovics,J.R., Lin,H., & Kershaw,T.S. (2012). Future expectations among adolescents: a latent class analysis. *American journal of community psychology*, *50*(1-2), 169–181.
https://doi.org/10.1007/s10464-011-9487-1

-Sjöwall, D.,Roth, L., Lindqvist, S., & Thorell, L.B. (2013).Multiple deficits in ADHD: Executive dysfunction, delay aversion, reaction time variability, and emotional deficits. *Jr of Child Psychology and Psychiatry and Allied Disciplines, 54*(6), 619–627.

-Smetana, J.G. (2011). *Adolescents, families, and social development: How teens construct their worlds*. Chichester, UK: Wiley-Blackwell.

-Smetana, J., Crean, H.F., & Campione-Barr, N. (2005). Adolescents' and parents' changing conceptions of parental authority. *New Directions for Child and Adolescent Development*, 2005, 31–46. https://doi.org/10.1002/cd.126

-Smith,S.(2015).Epic Fails:Reconceptualizing failure as a catalyst for developing creative persistence within teaching and learning experiences. *Journal of Technology and Teacher Education*, *23*(3), 329-355.

-Snyder, H.N., & Sickmund, M. (1995). Juvenile offenders and victims: National report Washington. *DC: US Dept. of Justice, Office of Justice Programs, Office of Juvenile Justice and Delinquency Prevention*.

-Snyder, J.,& Patterson, G.(1987). Family Interaction and Delinquent Behavior. in Quay,H.C. (Ed.).(1987). *Handbook of juvenile delinquency.* pp.216-243 New York: John Wiley & Sons.

-Sobel,A.(2014).How failure in the classroom is more instructive than success. *The Chronicle of Higher Education*, *5*.

-Soenens, B., Park, S.Y., Mabbe, E., Vansteenkiste, M., Chen, B., Van Petegem, S., & Brenning, K. (2018). The moderating role of vertical collectivism in South-Korean adolescents' perceptions of and responses to autonomy-supportive and controlling parenting. *Frontiers in psychology*, *9*, 1080.

https://doi.org/10.3389/fpsyg.2018.01080

-Sommer,U., Fink,A.,& Neubauer,A.C. (2008).Detection of high ability children by teachers and parents: Psychometric quality of new rating checklists for the assessment of intellectual, creative and social ability. *Psychology Science, 50*(2), 189-205.

- Song, M. Y., & Park, H. S. (2017). Effects of maltreatment on children's delinquency behaviors: Focus on the moderating effects of poverty. *Institute of Social Sciences, Chungnam National University*, 195-215.

-Sonuga-Barke, E., Bitsakou, P., & Thompson, M. (2010). Beyond the dual pathway model: Evidence for the dissociation of timing, inhibitory and delay-related impairments in Attention-Deficit/Hyperactivity Disorder.*Jrn of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry, 49*(4),345–355. https://doi.org/10.1097/00004583-201004000-00009.

-Søren Ventegodt, M.D.,& Joav Merrick, M.D.(2014). Significance of self image and identity in youth development. *International Journal of Child and Adolescent Health*, *7*(3), 199-209.

-Soto,E.F.,Black,K.,& Kofler,M.J.(2024). Is hyperactivity in children with attention deficit/hyperactivity disorder(ADHD) a functional response to demands on specific executive functions or cognitive demands in general? *Neuropsychology*, *38*(8), 699–713. https://doi.org/10.1037/neu0000975

-Sowislo, J.F.,& Orth, U. (2013). Does low self-esteem predict depression and anxiety? A meta-analysis of longitudinal studies. *Psychological bulletin, 139*(1), 213-240.

-Spence,S.H. (2003). Social skills training with children and young people: Theory, evidence and practice.*Child and adolescent mental health*, *8*(2),84-96.

-Spratt, E.G., Friedenberg, S.L., Swenson, C.C., LaRosa, A., De Bellis, M.D., Macias, M.M., ... & Brady, K.T. (2012). The effects of early neglect on cognitive, language, and behavioral functioning in childhood. *Psychology (Irvine, Calif.), 3*(2), 175-182. doi:10.4236/psych.2012.32026

-Spring, B., Rosen, K.H., & Matheson, J.L. (2002). How parents experience a transition to adolescence: A qualitative study. *Journal of Child and Family Studies*, 11(4) 411-425. DOI:10.1023/A:1020979207588.

-Srinivasan, M., Berner, C., & Rabagliati, H. (2019). Children use polysemy to structure new word meanings. *Journal of Experimental Psychology:General, 148*(5), 926-942.

-Srinivasan, M., Al-Mughairy, S., Foushee, R., & Barner, D. (2017). Learning language from within:Children use semantic generalizations to infer word meanings. *Cognition*, *159*, 11-24.
http://dx.doi.org/10.1016/j.cognition.2016.10.019
-Stapleton,J.(1998).Cigarette smoking prevalence,cessation and relapse. *Statistical methods in medical research*, *7*(2), 187-203.
-Starr, R.,& Wolfe, D.A.(Eds.). (1991). *The effects of child abuse and neglect: Issues and research*. Guilford Press.
-Steinberg, L. (2008). *A social neuroscience perspective on adolescent risk-taking. Developmental Review, 28*(1), 78-106.
-Steinberg, L., & Monahan, K. C. (2007). Age differences in resistance to peer influence. *Developmental psychology*, *43*(6), 1531-1543.
doi: 10.1037/0012-1649.43.6.1531.
-Steinberg, L. & Morris, A.S. (2001). Adolescent development. Annual Review of Psychology, 52, 83–110.
-Steuer, G., & Dresel, M.(2015). A constructive error climate as an element of effective learning environments. *Psychological Test and Assessment Modeling, 57*(2), 262.
-Stice, E., Presnell, K., & Bearman, S.K.(2001). Relation of early menarche to depression, eating disorders, substance abuse, and comorbid psychopathology among adolescent girls. *Developmental psychology*, *37*(5), 608-619..
-Stinnett, N., Chesser, B., & DeFrain, J.D. (1979). Building family strengths: Blueprints for action. *Building family strengths: Blueprints for action.* Lincoln, NE: University of Nebraska Press.
-Stoet, G., & Geary, D.C. (2018). The gender-equality paradox in science, technology, engineering, and mathematics education. *Psychological science, 29*(4), 581-593.
-Stouthamer-Loeber,M.,& Loeber,R. (1986). Boys who lie. *Journal of Abnormal Child Psychology*, *14*(4), 551-564.
-Sudermann, M., Jaffe, P. G., & Schieck, E. (1996). Bullying: Information for parents and teachers. *Center for Children and Families in the Justice System*.
-Sunarty, K., & Dirawan Darma, G. (2015). Development parenting model to increase the independence of children. *International Education Studies*, *8*(10), 1-213.

-Super, D. E., Starishevsky, R., Matlin, N., & Jordaan, J. P. (1963). Career development; Self-concept theory. College Entrance Examination Board: New York.

-Su, R., & Rounds, J. (2015). All STEM fields are not created equal: People and things interests explain gender disparities across STEM fields. *Frontiers in psychology*, *6*, 189.

-Susan,H.,& Fischer Kurt, W.(1999). The construction of the self: a developmental perspective. *New York: Guilford.*

-Susman, E.J. & Rogol, A. (2004). Puberty and psychological development. In R.M. Lerner & L. Steinberg (Eds). Handbook of adolescent psychology (2nd ed.) (p. 15–44). Hoboken, NJ: Wiley.

-Sutton, R.E., Mudrey-Camino, R., & Knight, C.C. (2009). Teachers' emotion regulation and classroom management. Theory into practice, 48(2), 130-137.

-Tahirović, S., & Demir, G. (2017). Influence of parental divorce on anxiety level of adolescents. In *Contemporary perspective on child psychology and education*. IntechOpen.https://www.intechopen.com/chapters/57391.
DOI: 10.5772/intechopen.71287

-Talwar, V., Arruda, C., & Yachison, S. (2015). The effects of punishment and appeals for honesty on children's truth-telling behavior. *Journal of Experimental Child Psychology*, *130*, 209-217.

-Talwar, V., Gordon, H. M., & Lee, K. (2007). Lying in the elementary school years: verbal deception and its relation to second-order belief understanding. *Developmental psychology*, *43*(3), 804-810.

-Talwar, V., & Lee, K. (2008). Social and cognitive correlates of children's lying behavior. *Child development*, *79*(4), 866-881.

-Talwar, V., & Lee, K. (2011). A punitive environment fosters children's dishonesty: A natural experiment. *Child development*, *82*(6), 1751-1758.

-Talwar, V., Murphy, S. M., & Lee, K. (2007). White lie-telling in children for politeness purposes. *International journal of behavioral development*, *31*(1),1-11

-Talwar, V., & Renaud, S. J. (2010). Liar liar! Pants on fire: Detecting the trustworthiness of children's statements. *Interpersonal trust during childhood and adolescence*, 177-199.

-Tangney,J., Baumeister, R.,& Boone, A.(2004). High self-control predicts good adjustment, less pathology, better grades, and interpersonal success. *Journal of personality*, *72*(2), 271-324.

-Tanner-Smith, E.E.,Wilson, S.J., & Lipsey, M.W.(2013). The comparative effectiveness of outpatient treatment for adolescent substance abuse: A meta-analysis. *Journal of substance abuse treatment*, *44*(2), 145-158.

-Tao, T., Wang, L., Fan, C., & Gao, W. (2014). Development of self-control in children aged 3 to 9 years: Perspective from a dual-systems model. *Scientific Reports*, *4*(1), 7272. doi:10.1038/srep07272

-Taylor, M. (2001). *Imaginary Companions and the Children Who Create Them*. Oxford University Press.

-Taylor, K.M., & Betz, N.E.(1983). Applications of self-efficacy theory to the understanding and treatment of career indecision. *Journal of vocational behavior, 22*(1), 63-81.

-Terry. J (1976) family law statutes . edited by Sweet and Maxwell's Legal Editorial Staff with, Advisory Editor Olive M.Stone 2nd Ed, London. pp.266-267.

-Teter, C.J., McCabe, S.E., LaGrange, K., Cranford, J.A., & Boyd, C.J. (2006). Illicit use of specific prescription stimulants among college students: prevalence, motives, and routes of administration. *Pharmacotherapy: The Journal of Human Pharmacology and Drug Therapy*, *26*(10), 1501-1510.

-Tharayil, S., Borrego,M., Prince,M., Nguyen, K.A., Shekhar,P., Finelli, C.J.,& Waters, C. (2018). Strategies to mitigate student resistance to active learning. *International Journal of STEM Education*, *5*, 1-16.

-Tinsley, H. E. (1992). Career decision making and career indecision. *Journal of Vocational Behavior, 41*(3), 209–211. https://doi.org/10.1016/0001-8791(92)90022-R

-Tocqueville, A. D. (1951). Dela Démocratie en Amérique. *Paris, Libraitie de Médicis*.

-Tran, A. G. (2014). Family contexts: Parental experiences of discrimination and child mental health. *American journal of community psychology*, *53*, (1-2) 37-46.

-Turner, R.J., & Noh, S. (1988). Physical disability and depression: A longitudinal analysis. *Journal of health and social behavior 29* , pp.23-37.

-Turner, S. M., & Beidel, D. C. (1989). Social phobia: Clinical syndrome, diagnosis, and comorbidity. *Clinical Psychology Review*, *9*(1), 3-18.

-Tze, V.M., Klassen, R.M., & Daniels, L.M. (2014). Patterns of boredom and its relationship with perceived autonomy support and engagement. *Contemporary Educational Psychology*, *39*(3), 175-187.

-Ungar, M.(2007). *Too safe for their own good: How risk and responsibility help teens thrive*. McClelland & Stewart. ISBN-13 : 978-0771087080

-Ungar, M.(2009). Overprotective parenting: Helping parents provide children the right amount of risk and responsibility. *The American Journal of Family Therapy*, *37*(3), 258-271. https://doi.org/10.1080/01926180802534247

-US Preventive Services Task Force. Final Recommendation Statement: Tobacco Use in Children and Adolescents: Primary Care Interventions. https://www.uspreventiveservicestaskforce.org/Page/Document/Recommendation StatementFinal/tobacco-use-inchildren-and-adolescents-primary-care-interventions. Accessed Nov 20, 2018.

-US Preventive Services Task Force. Draft Recommendation Statement: Prevention and Cessation of Tobacco Use in Children and Adolescents: Primary Care Interventions. https://www.uspreventiveservicestaskforce.org/Page/Document/draft-recommendation-statement/tobacco-andnicotine-use-prevention-in-children-and-adolescents-primary-care-interventions. Accessed Octr 14, 2019.

-Valentine, J. C.,& DuBois, D. L.(2005). Effects of self-beliefs on academic achievement and vice-versa: Separating the chicken from the egg. In H.W. Marsh, R.G. Craven & D.M McInerney (Eds) International advances in self research: New frontiers for self research (Vol. 2, pp. 52-77). Greenwich, Connecticut: Information Age Publishing.

-Valkenburg, P.M., & Cantor, J. (2000). Children's likes and dislikes of entertainment programs. *Media entertainment: The psychology of its appeal*, *11*, 135-152.

-Vallentyne, P.(2002). Equality and the Duties of Procreators. In *Philosophy publications*. Oxford University Press.

-Van der Oord, S.,& Tripp,G.(2020). How to improve behavioral parent and teacher training for children with ADHD: Integrating empirical research on learning and motivation into treatment. *Clinical child and family psychology review*, *23* (4), 577-604.

-Van Hasselt, V.B.,Hersen, M., Null, J.A., Ammerman, R.T., Bukstein, O.G., McGillivray, J.,& Hunter,A. (1993). Drug abuse prevention for high-risk African American children and their families: A review and model program. *Addictive behaviors*, *18*(2), 213-234.

-Van Hoose, J., Strahan, D., & L'Esperance, M. (2001). Promoting harmony: Young adolescent development and school practices. Westerville, OH: National Middle School Association.

-Van Ingen, D.J., Freiheit, S.R., Steinfeldt, J.A., Moore, L.L., Wimer, D.J., Knutt, A.D., ... & Roberts, A.(2015). Helicopter parenting: The effect of an overbearing caregiving style on peer attachment and self-efficacy. *Journal of College Counseling*, *18*(1), 7-20.

-Van Meerbeeck,P.,& Nobels, C. (1998). *Que jeunesse se passe: l'adolescence face au monde adulte*. De Boeck Supérieur.

-Véronneau, M. H., & Dishion, T. J. (2011). Middle school friendships and academic achievement in early adolescence: A longitudinal analysis. *The Journal of early adolescence*, *31*(1), 99-124.

-Villarejo,S., Garcia,O.F., Alcaide,M., Villarreal,M.E., & Garcia, F.(2024). Early family experiences, drug use, and psychosocial adjustment across the life span: is parental strictness always a protective factor?. *Psychosocial Intervention, 33*(1), 15-27.

-Virtanen, P., Lintonen, T., Westerlund, H., Nummi, T., Janlert, U., & Hammarström, A. (2016).Unemployment in the teens and trajectories of alcohol consumption in adulthood. *BMJ open*, *6*(3), e006430.

-Virtanen,T.E., Vasalampi,K., Torppa,M., Lerkkanen,M.K.,& Nurmi, J.E.(2019). Changes in students' psychological well-being during transition from primary school to lower secondary school: A person-centered approach. *Learning and individual differences*, Vol. *69*, 138-149.

-Vizard, T., Sadler, K., Ford, T., Newlove-Delgado, T., McManus, S., Marcheselli, F., ... & Cart-Wright, C. (2020). Mental health of children and young people in England. *Health and social care information centre*, 1-53.

-Vogel, S. and Schwabe, L. (2016), 'Learning and memory under stress: implications for the classroom'. *Science Learn* 1(16011).

-Von Korff, M.R., Eaton, W.W.,& Keyl, P.M. (1985). The epidemiology of panic attacks and panic disorder results of three community surveys. *American Journal of Epidemiology*, *122*(6), 970-981.

-Vrij, A. (2008). *Detecting lies and deceit: Pitfalls and opportunities*. John Wiley & Sons.

-Vye, C., Scholljegerdes, K., & Welch, I.D. (2007). *Under pressure and overwhelmed: Coping with anxiety in college*. Bloomsbury Publishing USA.

-Wairimu, M.J., Macharia, S.M., & Muiru, A.(2016). Analysis of Parental Involvement and Self-Esteem on Secondary School Students in Kieni West Sub-County, Nyeri County, Kenya. *Jr of Education and Practice*, *7*(27), 82-98.

-Wagener,L.M.,Furrow, J.L.,King,P.E.,Leffert,N.,& Benson, P.(2003). Religious involvement and developmental resources in youth. *Review of religious research*, Vol. 44, No. 3, pp.271-284.

-Walburg, V. (2014). Burnout among high school students: a literature review. *Child Youth Serv. Rev.*42,28–33.

-Waldron,H.B.,& Turner,C.W.(2008). Evidence-based psychosocial treatments for adolescent substance abuse. *Jr of Clinical Child & Adolescent Psychology, 37*(1), 238-261.

-Weatherley, D(1964) Self-perceived rate of physical maturation and personality in late adolescence *Child development* 35, pp.1197-1210.

-Weeks, M., Ooi, L.L.,& Coplan, R.J. (2016). Cognitive Biases and the Link Between Shyness and Social Anxiety in Early Adolescence. *The Journal of Early Adolescence*, *36*(8), 1095–1117. https://doi.org/10.1177/0272431615593175

-Weems, C.F.,Silverman, W.K., & La Greca, A. M.(2000). What Do Youth Referred for Anxiety Problems Worry About? Worry and Its Relation to Anxiety and Anxiety Disorders in Children and Adolescents. Journal of Abnormal Child Psychology, 28, 63–72.

-Weinberger,A.H., Kashan,R.S., Shpigel,D.M., Esan,H., Taha,F., Lee,C.J., ... & Goodwin,R.D.(2017). Depression and cigarette smoking behavior: A critical review of population-based studies. *The American journal of drug and alcohol abuse*, *43*(4), 416-431.

-Weir, K. (2016). The risks of earlier puberty. *Monitor on Psychology, 47*(3), 41-44.

-Weiss, R.D., Jaffee, W.B., Menil de, V.P., & Cogley, C.B. (2004). Group therapy for substance use disorders: what do we know?. *Harvard review of psychiatry*, *12*(6), 339-350.

-Weiss, E.M., Kemmler, G., Deisenhammer, E.A., Fleischhacker, W.W., & Delazer, M. (2003). Sex differences in cognitive functions. *Personality and individual differences*, *35*(4), 863-875.

-Wentzel, K. R. (2009). Peers and academic functioning at school. In K. H. Rubin, W. M. Bukowski, & B. Laursen (Eds.), *Handbook of peer interactions, relationships, and groups* (pp. 531–547). The Guilford Press.

-Weybright, E. H., Caldwell, L. L., Xie, H., Wegner, L., & Smith, E. A. (2017). Predicting secondary school dropout among South African adolescents: A survival analysis approach. *South African journal of education*, *37*(2), 1-11.

-Whalen, C.K., & Henker, B. (1985). The social worlds of hyperactive (ADDH) children. *Clinical Psychology Review*, *5*(5), 447-478.

-Whalen, T.E., & Fried, M.A. (1973). Geographic mobility and its effect on student achievement. *The Journal of Educational Research*, *67*(4), 163-176.

-W.H.O. (2012). Fact sheet No.364 May 2012.

-W.H.O,(1994). Life Skills Education for Children and Adolescents in Schools; World Health Organization (WHO): Geneva, Switzerland,

-W.H.O,(1997). Life Skills Education for Children and Adolescents in Schools: Introduction and Guidelines to Facilitate the Development and Implementation of Life Skills; World Health Organization : Geneva, Switzerland.

-Wickström, A., & Lindholm, S.K.(2020). Young people's perspectives on the symptoms asked for in the Health Behavior in School-Aged Children survey.*Childhood*, *27*(4), 450-467.

-Wilens, T.E., Faraone, S.V., Biederman, J., & Gunawardene, S.(2003). Does stimulant therapy of attention-deficit/hyperactivity disorder beget later substance abuse? A meta-analytic review of the literature. *Pediatrics*, *111*(1), 179-185.

-Williamson, D., & Johnston, C.(2015).Gender differences in adults with attention-deficit/ hyperactivity disorder: A narrative review. *Clinical psychology review*, *40*,:15-27.

-Willcutt, E.G., Nigg, J.T., Pennington, B.F., Solanto, M.V., Rohde, L.A., Tannock, R.,... & Lahey, B.B. (2012). Validity of DSM-IV attention deficit/ hyperactivity disorder symptom dimensions and subtypes. *Journal of abnormal psychology*, *121*(4), 991-1010.

-Willits, J.A., Wojcik, E.H., Seidenberg, M.S., & Saffran, J.R. (2013). Toddlers activate lexical semantic knowledge in the absence of visual referents: Evidence from auditory priming. *Infancy*, *18*(6), 1053-1075.
http://dx.doi.org/10.1111/infa.12026

-Wilson, A. E., Smith, M. D., & Ross, H. S. (2003). The nature and effects of young children's lies. *Social Development*, *12*(1), 21-45.

-Wilson J (1977) Philosophy and Practical Education. London: Routledge & Kegan Paul.

-Wilson, J. (1984). A reply to James Marshall. *Journal of Philosophy of Education*, *18*(1), 105-107.

-Wimperis.V (1960) The unmarried mother and her child George Allen and Undwin : London.

-Windschuttle, K. (1979). Unemployment. Ringwood. *Victoria: Penguin*.

-Winnicott,D.W.(1965).The family and individual development. Psychology Press.

-Wolfe, C.D., Zhang, J., Kim-Spoon, J.,& Bell, M.A. (2014). A longitudinal perspective on the association between cognition and temperamental shyness. *International Journal of Behavioral Development*, *38*(3),266-276.

-Wong, Y.J. (2015). The psychology of encouragement: Theory, research, and applications. *The Counseling Psychologist*, *43*(2), 178-216.

-Wood, D.J.(1998) How children think and learn: the social contexts of cognitive development, Series:Understanding children's worlds, 2nd ed.,Oxford, UK; Malden, Mass: Blackwell Pub.

-Wood, J.J.(2006). Parental intrusiveness and children's separation anxiety in a clinical sample. *Child psychiatry and human development*, *37*(1), 73-87.

Wood, J.J., McLeod, B.D., Sigman, M., Hwang, W.C., & Chu, B.C.(2003). Parenting and childhood anxiety: Theory, empirical findings, and future directions. *Journal of child psychology and psychiatry*, *44*(1), 134-151.

-Woodhouse, S. S., Dykas, M. J., & Cassidy, J. (2012). Loneliness and peer relations in adolescence. *Social development*, *21*(2), 273-293.

-Woolley,J.D.(1997).Thinking about fantasy:Are children fundamentally different thinkers and believers from adults?.*Child development*, *68*(6), 991-1011. doi:10.1111/j.1467-8624.1997.tb01975.x

-Worell,J. & Danner, F.(1989).The adolescent as decision-maker: Applications to development and education. San Diego, CA: Academic Press, Inc.

-Wrosch, C., Miller, G.E., Scheier, M.F., & De Pontet, S.B.(2007). Giving up on unattainable goals: Benefits for health?. *Personality and Social Psychology Bulletin*, *33*(2), 251-265.

-Wyatt, J. M., & Carlo, G. (2002). What Will My Parents Think? Relations Among adolescents' Expected Parental Reactions, Prosocial Moral Reasoning, and Prosocial and Antisocial Behaviors. *Journal of Adolescent Research*, *17*(6), 646-666.

-Xiang,A.H., Martinez,M.P.,Chow,T.,Carter,S.A.,Negriff,S.,Velasquez,B., ... & Kumar,S.(2024). Depression and anxiety among US children and young adults. *JAMA network open*, *7*(10), e2436906-e2436906.

-Xu, H., & Tracey, T.J. (2014). The role of ambiguity tolerance in career decision making. *Journal of Vocational Behavior*, *85*(1), 18-26.

-Yang, Y. (2006). How does functional disability affect depressive symptoms in late life? The role of perceived social support and psychological resources. *Journal of health and social behavior*, *47*(4), 355-372.

-Ying, L., Ma, F., Huang,H., Guo,X., Chen,C., & Xu, F. (2015). Parental monitoring, parent-adolescent communication and adolescents' trust in their parents in China. *PloS one*, *10*(8), e0134730. https://doi.org/10.1371/journal.pone.0134730

-Yi,S.,Peltzer,K.,Pengpid,S.,& Susilowati,I.H.(2017). Prevalence and associated factors of illicit drug use among university students in the association of southeast Asian nations (ASEAN). *Substance abuse treatment, prevention and policy*, *12*, 1-7.

-Yoo, J.A., & Chung, I.J. (2014). The effects of neglect on early elementary school-aged children's behavior problems: Does gender make a difference. Journal of Korean Society of Child Welfare, 47(47), 157-183.

-Zacny,J., Bigelow,G., Compton,P., Foley,K., Iguchi,M., & Sannerud,C.(2003). College on Problems of Drug Dependence taskforce on prescription opioid non-medical use and abuse: position statement. *Drug and alcohol dependence, 69*(3), 215-232.

-Zametkin, A.J.,& Ernst, M. (1999). Problems in the management of attention-deficit–hyperactivity disorder. *New England Journal of Medicine*, *340*(1), 40-46.

-Zankman, S., & Bonomo, J. (2004). Working with parents to reduce juvenile sex offender recidivism. *Journal of child sexual abuse*, *13*(3-4), 139–156. https://doi.org/10.1300/j070v13n03_08

-Zeedyk, M.S.,Gallacher,J.,Henderson,M., Hope,G., Husband, B.,& Lindsay, K. (2003). Negotiating the transition from primary to secondary school: Perceptions of pupils, parents and teachers. *School Psychology International, 24*(1), 67-79. doi: 10.1177/0143034303024001010

-Zhang, S., & Bhavsar, V. (2013). Unemployment as a risk factor for mental illness: combining social and psychiatric literature. *Advances in Applied Sociology, 3*(2), 131-136.

-Zhao, J.,Gao, F., Xu,Y.,Sun,Y., & Han, L.(2020). The relationship between shyness and aggression: The multiple mediation of peer victimization and security and the moderation of parent–child attachment. *Personality and individual differences*, *156*, 109733.

-Zhao, L., Zhou, D., He, X., Peng, X., Hu, J., Ma, L., ... & Kuang, L. (2024). Changes in P300 amplitude to negative emotional stimuli correlate with treatment responsiveness to sertraline in adolescents with depression. *Brain Research, 1845*, 149272.

-Ziegler, A., & Stoeger, H. (2003). Identification of underachievement with standardized tests, student, parental and teacher assessments. An empirical study on the agreement among various diagnostic sources. *Gifted and Talented International*, *18*, 87-94.

-Zimbardo, P.G., Pilkonis, P.A. & Norwood, R.M., (1974). The silent prison of shyness. *Office of Naval Research Tech.* Stanford, CA: *Stanford University*.

-Zimbardo, P. G., & Piccione, C. (1985). Can shyness affect your health. *Healthline*, *4*, 12-13.

-Zito, J.M., Safer, D.J., Gardner, J.F., Magder, L., Soeken, K.,Boles, M., ... & Riddle,M.A.(2003). Psychotropic practice patterns for youth: a 10-year perspective . *Archives of pediatrics & adolescent medicine*, *157*(1), 17-25.